

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الثالث

أَهْلُ الْبَيْتِ

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: أ. د. عباس حسين جواد
سكرتير التحرير: د. فاروق محمود الحبوبي

أعضاء هيئة التحرير

أ. م. د. مهدي داخل كاظم العبيدي
أ. م. د. عباس مرزوك فليح العبيدي
أ. م. د. حكمت عبيد حسن الخفاجي
أ. م. د. عبود جودي الحلي
أ. م. د. محمد عبد الحسين الخطيب

المقوم اللغوي

السيد صادق جعفر القزويني

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليه السلام
ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٣٣٤٩٣٢

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019, Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور
حسين علي محفوظ

الأستاذ الدكتور
ناظم رشيد شيوخو

الأستاذ الدكتور
حاكم محسن محمد

الأستاذ الدكتور
حسن عودة زعال

الأستاذ المساعد الدكتور
خديجة الحديثي

الأستاذ الدكتور
صبحي ناصر حسين

الأستاذ الدكتور
عبد الأمير الورد

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجديد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:
أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنتشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.
توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ١٠١٩، فاكس: ٣٢٦٦٨٩

الفهرست

كلمة العدد	٥
نظرة إلى الطفل في التراث العربي	٧
أ.د. حسين علي محفوظ	
الحقوق والحريات من منظور علي بن أبي طالب عليه السلام	٢٢
د. محسن باقر القزويني	
أثر التخطيط الاستراتيجي في رضا الزبون	٥٤
أ.د. عباس حسين جواد	
م.م. سحر عباس حسين	
تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العراق	٨٦
أ.د. حاكم محسن محمد	
الافاق المستقبلية للجامعة المستنصرية في ضوء موقعها الجغرافي	١٠٤
أ.د. عباس علي التميمي	
أ.م. مؤيد جواد بهجت	
العدوانية وعلاقتها بتقدير الذات	١١٦
أ.م.د. ناجح كريم السلطاني	
آل البيت عليه السلام، في شعر دعبل الخزاعي	١٣٤
د. فاروق محمود الحبوبي	
مصطلح الحرف	١٦٦
د. محمد عامر	

- أخلاقيات العمل الصحفي ، المفهوم والممارسة ١٩٤
د. محمد عبود مهدي
- من رسم التاء في القرآن الكريم ٢٢٨
د. محمد صنكور
- بناء (مُفْعَل) ودلالته الكونية في القرآن الكريم ٢٥٨
د. أفراح عبد علي الخياط
- صور من التربية السلوكية القرآنية في سورة يوسف ٢٧٢
حيدر تقي فضيل العلق
- العراق والولايات المتحدة الامريكية دراسة في السياسة الخارجية العراقية المستقبلية . . . ٢٨٢
م.م. خالد عليوي العرداوي
- طرائق حل المعادلات البوليانية ٣٠٢
م.م. احمد شهاب حمد العتايي
م.م. علي حسين شعاع الطائي

كلمة العدد

بلغت مجلة أهل البيت عليه السلام مشوارها الثالث بحزمة ابّحاث قيمة تعالج مختلف شؤون الانسان الذي هو الهدف من خطط التربية والتعليم.

الانسان مذ كان طفلاً، أحتضنه التراث العربي ورعاه في منهاجه التربوي شعراً ونثراً. ومتى يبلغ البلوغ الشرعي تبدأ معاناته فكان لابد من ضمانات لحقوقه قبل أن تهدر. وعند تسلمه مهمات ادارية كان لابد من تحقيق رضا الذات كمعيار للاداري الناجح.. وفي العمل الصحافي عليه أن يتحلّى بأخلاقيات المهنة.

وفي جميع هذه المحطات للقرآن الكريم كلمة نستطيع أن نكتشفها من خلال آياته الكريمة، فالقرآن الكريم هو كتاب الانسان، هدفه الأسمى بناء شخصيته وتنظيم سلوكه ليصبح سلوكاً إنسانياً راقياً هذه المحطات وغيرها سنمر عليها خلال جولتنا في العدد الثالث من مجلة أهل البيت تلك الواحة التي يجد فيها كل باحث مناه وموئله الرغيد.

نظرة إلى
الطفل في التراث العربي

الأستاذ الدكتور
حسين علي محفوظ

نظرة إلى الطفل في التراث العربي

الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ

عناصر البحث:

- الطفل عند العرب.
- الطفل في القرآن الكريم.
- الطفل في السيرة النبوية.
- الطفل في الحديث الشريف.
- الطفل في اللغة.
- الطفل في الأدب.
- الطفل في الأمثال.
- الطفل في الدعاء.
- الطفل في الطب.
- الطفل في الفلسفة.
- الطفل في الأخلاق.
- الطفل في الفقه.
- الطفل في المهد، ترقيص الأطفال.
- الطفل بين اللعب والجد.
- تعليم الطفل.
- تقييم المكتبة العربية القديمة في موضوع الطفل.
- حقوق الطفل في التراث.
- الاهتمام الجديد بالطفل.
- دراسات شاغرة في الطفولة والطفل.

الطفل في التراث العربي:

يحتل الطفل مكانة كبيرة في التراث العربي تدل على معنى الطفولة العميق عند العرب، وعنايتهم الأصيلة بالطفل، ومنزلته الرفيعة في قلوبهم، ونظرتهم الفريدة إليه، واهتمامهم العظيم به، وحبهم الشديد له، واعتزازهم الفائق به.

وليس في التاريخ ادب يزخر به زاهر الادب العربي به من تكريم الطفل، ولم تكن أمة كعناية العرب بالطفل. والتراث حافل بألوف الشواهد والامثلة على هذا الاعتزاز وذلك التقدير ابتداء بالقرآن الكريم والحديث الشريف والمنقول من المنظوم والمنثور، وانتهاء بالمأثور عن العامة من أقوال وأمثال وقصص وروايات، ولا يزال العرب عامة وأهل العراق خاصة يكونون للإنسان المزيد التشريف والتكريم والاحترام.

الطفل في القرآن الكريم

اقسم الله _ تعالى _ بالولد في سورة البلد. وذكر الطفل في سورة النور وسورة الحج. ومن على الناس ان امدهم بالبنين في أربع سور مباركات هن، الاسراء والمؤمنون ونوح والمذثر. واعتبرهم (زينة الحياة الدنيا) في سورة الكهف، وهم (قرة أعين) في سورة الفرقان والقصص.

الطفل في السيرة النبوية

تفيض حياة النبي ﷺ باكرام الطفولة ورحمة الأطفال. ولم يؤت أحد مثل ما أوتي الرسول من حب أولاده وأطفاله وحفدته وبنيه. فقد أوتي هذا الانسان الكامل ما لم يؤت أحد من العالمين، وما من سيرة تشابه سيرته الكريمة.

فقد كان على جلال سنه وعظمة مقامه يستصبي للأطفال، ويحنو عليهم. كان يحب (الطفل) حبا شديداً، ويدعو له بالرحمة ويشفق عليه. كانت ابنته (فاطمة رضي الله عنها) أحب الناس إليه. كان يكثر تقييلها. وكانت إذا دخلت عليه قام لها فقبلها. وكان اذا قبلها كأنه يريد أن يلعبها عسلاً، وكان يعدها من ثمار الجنة، وهي عنده تفاحة من الجنة. وكان يقول إذا اشتقت إلى الجنة قبلت نحر فاطمة. كان رسول الله ﷺ يسمى الولد (ريحان الله)، وكان يسمى الحسن والحسين رضي الله عنهما طفلاً ابنته فاطمة رضي الله عنها _ ريحانتيه من الدنيا. فقد كان "ولد الأبناء عنده بمنزلة الولد" وكان يقبلهم اذا اشتاق إلى الجنة.

كان النبي يمضي طرفاً من الوقت مع طفليه هذين. وكان يقول لفاطمة ادعى لي ابني فيشمهما، ويضمهما إليه، وكان يقول "هما ريحانتي..".

كان الحسن رضي الله عنه يجلس في حجره ويدخل اصابعه في لحيته، وكان يجيء وهو صغير، فكان _ كلما سجد الرسول ﷺ _ وثب على رقبته وظهره فيرفع النبي رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه.

وجاء _ ذات يوم والرسول يخطب بأصحابه _ فصعد المنبر، فضمه الرسول إليه، وكان يأتي النبي وهو ساجد فيركب على ظهره فما ينزل حتى يكون هو الذي ينزل. أو يأتي وهو راکع فيفرج له رجله حتى يخرج من الجانب الآخر. وكان النبي يقبل سرتة.

وكان الرسول يأخذ بكفي الحسين وقدماه على قدميه وهو يقول "ترق عين بقعة" حتى يضع قدميه على صدر الرسول، وكان يقول له افتح فاك ثم يقبله.

وكان ينزو على ظهر الرسول وعلى بطنه. وخرج مع الرسول إلى طعام دعوا له فاذا هو مع الصبيان يلعب فاشتمل النبي أمام القوم ثم بسط يده فطفق الصبي يكرهنا مرة وهنا مرة. وجعل النبي يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والآخرى تحت قفاه. ثم وضع رأسه ووضع فاه على فيه فقبله. وكان يدلح لسانه للحسين فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش اليه ويرتاح. وكان يقبل ثغره.

وجاء الحسن والحسين يستيقان مرة إلى رسول الله. فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه. وقبل هذا ثم قبل هذا.

وكانا يتواثبان على ظهره وهو يصلي. وكان الناس يباعدونهما وهو يقول دعوهما. وكان يأخذهما فيقعد أحد على فخذ، ويقعد الآخر على فخذ الأخرى. وكان يضمهما إلى بطنه تارة، وإلى ابطنه أخرى وإلى صدره.

ودخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبل أحدهما. فقال تقبله ولي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهما، فقال: "من لا يرحم لا يرحم".

وكان الرسول ﷺ جالسا فاقبل الحسن والحسين فلما رآهما قام لهما واستبطأ بلوغهما اليه فاستقبلهما وحملهما على كتفيه. وقال: نعم المطي مطيكما، ونعم الراكبان انتما.

وكانا نائمين معتنقين في حظيرة بني النجار فأكب النبي يقبلهما حتى انتبها من نومهما، ثم جعل الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر. وكان ذات يوم خطب فجاء عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران. فنزل من المنبر وحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

وكانا يركبان على عنقه مرة ويركبان على ظهره مرة، ويمران بين يديه ومن خلفه _ وهو يصلي _ وكان اذا سجد وثبا على ظهره. فاذا رفع رأسه اخذهما بيده من خلفه اخذا رفيقا فيضعهما على الأرض. فإذا عادا عاد حتى قضى صلاته فأقعدهما على فخذيه. وكان اذا أرادوا أن يمنعوها قال: دعوهما، وكان يحملهما على بغلته الشهباء، هذا قدماه وهذا خلفه.

وكانا يصطرعان بين يديه فكان يستحث الحسن ويقول وبها يا حسن. وكان العرب يقول وبها يا فلان اذا ارادوا اغراءه بالشيء وهو تحريض.

الطفل في الحديث الشريف

للطفل في تراث النبوة مكانة عزيزة. فقد كان يسمى الولد (ريحان الله)، وكانت ابنته في حديثه بضعة منه يعني قطعة منه. وكان ابنها ریحانتیه من الدنيا، وكان "ولد الابناء عنده بمنزلة الولد". وكان يقول: "من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا".

وجاء في الحديث: "من كان له صبي فليستصب" اي يتواضع ويتصاغر وينزل إلى مستوى الصبي.

وفي الآثار النبوية _ أيضاً _ ان الرسول ﷺ قال للحسن والحسين: "انكم لتجنبون وانكم لتبخلون وانكم لمن ریحان الله"، اي تجعلون اهلكم ذوى جبن وذوى بخل من اجلكم.

وفي رواية أنه نظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فقال: "انكم لتجنبون وتبخلون وانكم لمن ربحان الله".

وقد نقل عنه انه قال: "ان ربح الولد من ربح الجنة".

وقال: "الولد الصالح من ربحان الجنة" أو "ربحانة من رباحين الجنة". وفي الحديث: "الولد كبذ المؤمن" و"الولد ربحان من الجنة" و"ان أولادكم هبة الله لكم" و"لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد" و"من لا يرحم ولده لا يرحمه الله".

ولما بشر النبي ﷺ بآبنة نظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهية فيهم، فقال: ما لكم؟ ربحانة اشمها ورزقها على الله.

وعنه قال: "احبوا الصبيان وارحموهم فاذا وعدتموهم ففوا لهم" وانه نظر إلى رجل له ابنان فقبل احدهما وترك الآخر، فقال النبي ﷺ فهلا ساويت بينهما.

وعنه، قال: سموا أولادكم أسماء الأنبياء.

وقال: من حف الولد على والده ثلاثة، يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه اذا بلغ.

وعن الصادق: ان الله _ عز وجل _ ليرحم الرجل لشدة حبه لولده.

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: قبلة الولد رحمة.

الطفل في اللغة:

الطفل في اللغة هو الولد الصغير، ويبقى اسم الطفل على ولد الإنسان حتى يميز فيسمى صبياً. والعرب تستعمل اللفظتين بمعنى واحد.

ولقد اهتمت اللغة بالطفل فبدأت الكتب اللغوية الكبيرة المبوبة بخلق الإنسان ابتداءً بالحمل والولادة والرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية. وفصلت أحوال الطفل من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر وتبعته جنيناً ووليداً وصبيّاً ورضيعاً وطفلاً وطلولاً وهيباً وشرخاً وفطيماً ومستكرشاً وجحوشاً وناقعاً وحزموراً ومرتعرعاً ومطبخاً وملماً ويافعا وخماسياً وصبيخاً ووصيغاً وفيداقاً ومراهقاً وأمرد وطاراً ومحمماً وغلاماً ثم رجلاً شادخاً وفتى حدثاً شاباً.

الطفل في الأدب:

وللطفل في التراث الأدبي المنظوم والمنثور ذكر كثير، منه قول أحمد الأعرابي:

بـنيتي ربحانة اشمها

فديت بنتي وفدتني امها

وقالت أعرابية:

يا قوم مالي لا أحب عنجده

وكل انسان يحب ولده

حب الحباري ويذب عنده

وقالت أخرى:

يا حـسرتا عـلى ولـد

اشبهه شبيء بالأسد
إذا الرجال في كبد
تغالبوا على نكد
كان له حظ الأسد

وقالت أم الأحنف:

والله لو لا ضعفه من هزله
أضعف أو دقة في رجله
ما كان في صبيانكم من مثله

وقال الحسن البصري:

يا حبذا ارواحه ونفسه
وحبذا نسيمه وملحمه
والله يبقيه لنا ويحرسه
حتى يجر ثوبه ويلبسه

ومن ترقيص الأعرابيات:

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد
أهـ كذا كل ولد أم لم يلد قبلي أحد
وأنشد بعضهم:

من سره الدهران يرى الكبد

تمشي على الأرض فلير الولد

وقال حطان بن المعلى:

أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهر بما يرضى
أنزلي الدهر على محكمة من شاق عال إلى خفض
وابتزني الدهر ثياب الغنى فليس لي ثوب سوى عرضي
لولا بنيات كزغب القطا ينهضن من بعض إلى بعض
ان هبت الريح على بعضهم لم تطعم العين من الغمض
لكان لي مضطرب وسمع في الأرض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وقال آخر:

يا قرّة العين يا سؤلي ويا ألمي

يا من ترغب في قطع المحجات

وقال آخر:

يا طيب رياح ولد صالح فانه ريحانة الجنة
والوالد الصالح حرف الفتى يقيه شر الانس والجنة

وقال الآخر :

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا
وقال امية بن أبي الصلت :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة ابتلت بالشجو لم أبت
لشكواك ألا ساهرا اتململ
كأنني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دونى فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وأنني
لا علم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي
اليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائي فلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل

وقال منصور الفقيه :

أحب البنات فحب البنات
وفي وصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن : "وجدتك بعضي بل وجدتك
كلي حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني. فعنا لي من أمرك ما يعينني من
أمر نفسي.

وقال معاوية _ وكانت عنده ابنته عائشة _ : "هذه تفاحة القلب".

وقال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنة ..

وقال الأحنف بن قيس : أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا. نحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة.

وكان يقال : الولد ريحانتك سبعا ..

الطفل في الأمثال والحكم

وفي الأمثال والحكم وجوامع الكلم في التراث العربي كثير من الجمل والأقوال تنبئ عن أهمية
الطفل ، منها :

أولادنا ، أكبادنا.

إذا ترعرع الولد ترعرع الوالد.

الاولاد ان عاشوا فتنوا وان ماتوا أحزنوا.

من أدب أولاده ارغم حساده.. الخ.

الطفل في الدعاء:

ومن المأثور في أدب الدعاء كتاب معروف جداً يشتمل على ادعية علي بن الحسين (عليه السلام) يسمى (الصحيفة السجادية) والدعاء الخامس والعشرون هو دعاؤه للولد دعا لهم فيه أن يمن الله عليه ببقائهم، وباصلاحهم له، وبامتناعه بهم. وأن يمد له في أعمارهم، ويربي له صغيرهم، ويقوى له ضعيفهم، ويصح له في أبدانهم وأخلاقهم. وان يعافيه في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما عنى به من أمرهم، وأن يدر له وعلى يديه أرزاقهم، ودعا أن يشد بهم عضده، ويقيم بهم أوده، ويكثر بهم عدده، ويزين بهم محضره، ويحيى بهم ذكره، ويكفي بهم في غيبته، ويعينه بهم على حاجته، ويجعلهم له محبين، وعليه حدين مقبلين مستقيمين له، مطيعين غير عاصين، ولا غافلين ولا مخالفين ولا خائفين، ودعا الله ان يعينه على تربيتهم وتأديبهم وبرهم..

الطفل في الطب:

تعد المكتبة الطبية في اللغة العربية أكبر خزائن العالم في التراث الطبي. وقد كان العرب يهتمون اهتماماً عظيماً بصحة الطفل وتنشئته، فقد كانوا يعتقدون _مثلاً_ ان الزواج بالأقارب يجعل الأطفال نحاف مهزولين، وفي الحديث: "اغربوا لا تطوا" أي تزوجوا في الغرائب ولا تتزوجوا القرائب فأن ولد الرجل من قرابته يجيء نحيفاً غير انه يجيء كريماً. وقد امتلأت كتب الطب العربي بالفصول المخصصة للعناية بالطفل جنباً ورضيعاً وصيباً. وهذا غير الكتب الخاصة بطب الأطفال، مثل كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم وجوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر، وخلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود بن ورسالة في أوجاع الأطفال، ورسالة في تدبير المولودين، ورسالة في غلام صبي اصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد، وطب الأطفال، وكتاب ابقراط في المولودين لثمانية أشهر، وكتاب الجنين، وكتاب المولودين، وكتاب المولودين لسبعة أشهر.. وغيرها وقد ألف هذه الكتب ونقلها كبار العلماء والأطباء، مثل ثابت بن قرة، وعريب بن سعد القرطبي، وابن مندويه، وحنين بن اسحاق، وابن رضوان، والطبري، والرازي، وابن ماسويه..

الطفل في الفلسفة

وهكذا الكتب الفلسفية ولاسيما مؤلفات الكندي، والفارابي، وابن سينا ومن لهم من أعلام الحكمة ورجالات الفلسفة في الإسلام كالراغب الاصبهاني، فقد ألف عدة كتب اشتهر منها في التربية والأخلاق كتاب (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) و(الذريعة إلى مكارم الشريعة). وقد ذكر في الباب الثالث عشر من تفصيل النشأتين: "ان الخير والشر الذي يكسبه الإنسان ويتخلق به يبقى أثره موروثاً..". وان من أسباب تفاوت الناس "اختلاف ما تكون منه المنطقة التي يكون منها الولد ودم الطمث الذي يترى به الولد فذلك له تأثير.. واختلاف ما يتفقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذي يترى به. ولتأثير الرضاع يقول العرب لمن تصفه بالفضل (لله دره).. واختلاف احوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيقهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبیحة. فحق الولد على الوالدين ان

يؤخذ بالآداب الشرعية واطار الحق بباله وتعوده فعل الخير.. ويجب أن يصاب عن مجالسة الأرياء فإنه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به..

وقال في الباب الخامس والعشرين من كتاب الذريعة فيما يجب أن يتحراه المعلم مع المتعلمين "حق المعلم أن يدرى متعلميه منه مجرى بنيه فإنه في الحقيقة أشرف من الأبوين.."

وقد ألف ابن مسكويه كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) في مكارم الأخلاق والتأديب لتصدر الأفعال كلها جميلة عن الإنسان في فصل (تأديب الأحداث والصبيان خاصة): "أن نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة وليس لها رأي ولا عزيمة تملئها من شيء إلى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها، فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة..

وألف ابن سينا عشرات الكتب في الفلسفة والعلوم، ومن مؤلفاته كتاب تدابير المنازل أو السياسات الأهلية. وقد افرد فصلاً (في سياسة الرجل ولده) قال فيه: "أن من حق الولد على والديه احسان تسميته، ثم اختيار ظئره (أي المربية) كي لا تكون حمقاء ولا ورهاء، ولا ذات عامة فأن اللبن يعدى كما قيل. فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدأ بتأديبه ورياضة اخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فأن الصبي تتبادر إليه المساوئ الأخلاق وتنشأ عليه الضرائب (أي الطباع) الخبيثة. فما تكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعا.

فينبغي لقيم الصبي أن يجنبه مقابح الأفعال، وينكب عنه معائب العادات بالترهيب والترغيب والايئاس والايحاش، وبالأعراض والاقبال مرة، وبالتوبيخ أخرى.. وينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل ذو دين بصير بريضة الأخلاق حاذق بتخريج الصبيان..

وهذا الفصل من الفصول الممتعة جداً في التربية وعلم النفس. ولابن سينا آثار عديدة في علم النفس وحقيقة الإنسان ومن أهمها مقالة في النفس، ورسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها.

وكتب جماعة اخوان الصفا (رسائل اخوان الصفا) تشتمل على خلاصة آرائهم في التربية والتعليم والعلم، و(السياسة الخاصة) عندهم في معرفة كل انسان كيفية تدبير منزله معيشته، ومراعاة أمر خدمة وغلمايه وأولاده ومماليكه وأقربائه، وعشرته مع جيرانه وصحبته مع اخوانه. وهم يرون ان الأخلاق والسجيا تقوى بالمداومة عليها، وان الصبيان اذا نشأوا مع قوم وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا أمثالهم. وان الصبيان يتطبعون من الصغر على أخلاق الآباء والأمهات أو الأخوة والأخوات والأقارب والأصدقاء والمعلمين المخالطين لهم.

وآلف الماوردي كتاب (ادب الدنيا والدين) وذكر في باب أدب العلم: "التعلم في الصغر أحمد. وروى ان رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر.. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قلب الحدث كالأراضي الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، وانما كان ذلك لان الصغير أفرغ قلباً وأقل شغلاً وأيسر تبذلاً وأكثر تواضعاً.."

وآلف الغزالي كتاب (ميزان العمل، في معرفة العلم والتميز بينه وبين غيره، والتميز بين العمل المسعد والعمل المشقي، وقد ذكر فيه أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

وقد خصص جزءاً من كتابه الكبير (أحياء علوم الدين) للعلم والتعلم والتعليم وفصل القول في شرف العلم.

وله أيضاً رسالة (أيها الولد) في الأخلاق والنصيحة والتأديب، كرر فيها هذا الخطاب ثلاثاً وعشرين مرة دعاه فيها إلى التفكير والعمل. وبين له أن الجهل مرض. وقال في أثنائها العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون. وقال مالم تعمل لم تجد الأجر. وأوصاه أن يجعل الهمة في الروح. وذكر قول الرسول ﷺ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن تورثوا. وقول الإمام علي عليه السلام من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو معمر. وقال في آخرها: أيها الولد اني كتبت في هذا الفصل ملتمساتك فينبغي لك أن تعمل بها..

وينسب إلى الخواجة نصير الدين الطوسي كتاب آداب المتعلمين في ماهية العلم وفضله والنية واختيار العلم والاستاذ والشريك (أي الزميل) الذي ينبغي ان يختار مجداً.. وأن يفر من الكسلان والمعطل وكثير الكلام والمفسد والفتان وذكر في الجِد والمواظبة والهمة أن المرؤ يطير بهيمته كما يطير بجناحيه. وبين ان التعلم من المهد إلى اللحد، وان طالب العلم ينبغي أن يكون مستفيداً في كل وقت. ولولا ترجمة نصير الدين الطوس ضاع كتاب (الأدب الوجيز للولد الصغير) الذي كتبه ابن المقفع في تأديب الطفل وتعليمه وقد قصره على الآداب والمواظب والأخلاق والنصائح. وهو يشتمل على (٥١) فصلاً يتدئ كل فصل منها بعبارة (يا بني).

أشار ابن المقفع إلى منزلة الأبوة ومكانة النبوة وحضى (الولد) على قبول قوله وحفظ وصيته. ودعاه إلى التجلد والتحمل، وكسب الآداب في صغر السن، والتعلم في عنفوان الطفولة. وان لا ينسى نصيبه من الدنيا. وان يتفقد أعماله. وان لا يميز الامهال على المهمات والدقيق والجليل من الأمور. وان يلزم اتباع المحاسن واستعمالها. وترك المساوئ واجتنابها. وان يقود لسانه الصدق.. وفي مقدمة ابن خلدون باب واسع في التعلم وطلب العلم. وهو يرى ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا. وقد فصل الكلام على (تعليم الولدان) وبين اختلاف المذاهب في طرقه، وذكر ان الشدة مضرة بالمتعلمين سيما في (أصاغر الولد). وقال: ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن يستبدأ عليهما في التأديب. وأن يقوم الوالد بالقرب والملائية فأن أباهما فبالشدة والغلظة.

الطفل في الأخلاق

تزدحم المكتبة العربية بكتب الأخلاق والآداب والرسوم و(الاتيكيث) معدة للتربية. والمثل الأعلى فيها أخلاق النبي والأئمة والصحابة والعلماء والصالحين. وقد فصلت تلك الكتب كل ما يتعلق بالآداب فذكرت آداب التنظيف والتطبيب والتكحل والتدهن والسواك والحمام وتقليم الاظفار والنظر في المرأة وتسريح الرأس والزينة، وآداب اللباس والتجمل وطي الثوب، وآداب المسكن والأثاث والفرش، وآداب الأكل والشرب وغسل اليد، وآداب السفر والمشى، وآداب المريض والعائد..

استشهد مؤلفوا هذه الكتب جميعاً بالآيات والأحاديث والأمثال والحكم وكلمات الفلاسفة وأبيات الشعراء من ذخائر التراث ونفائس المأثور.

الطفل في الفقه

ذكر الطفل كثيراً في أبواب الفقه، وأشار الفقهاء إليه في الدراسات الفقهية فيما يتصل به من موضوعات. ومن المسائل التي فصلوها (الحلم) و(البلوغ) و(الرشد). متى يبلغ الأطفال الحلم؟ ومتى يبلغ الطفل أشده؟ وقد أُلّف في (الرضاع) خاصة العديد من الفقهاء القدامى، منهم أبو القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولوية (٣٦٨هـ)، وأبو أحمد محمد بن أبي عمير الأزدي (٢١٧هـ)، وأبو جعفر محمد بن علي بن محبوب الأشعري، وأبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي.. ومنهم إبراهيم بن سليمان القطيفي (٩٤٥هـ)، وأبو الحسن الفتوتي النبادلي (١١٣٨هـ)، والشيخ يؤسف الدرازي البحراني (١١٨٦هـ). وفي كل كتاب من كتب الفقه المبسوط والمختصرة باب خاص بحكم الرضاع في موضوع الزواج من أوائل سطورهم: ان من حق الولد على والده أن يحسن اسمه. وان من السنة أن يرضع الصبي سنتين كاملتين لا أقل منهما ولا أكثر. فان نقص عن السنتين مدة ثلاثة أشهر لم يكن به بأس فإن نقص عن ذلك لم يجوز. وكان جوراً على الصبي، ولا بأس أن يزداد على السنتين في الرضاع. وأفضل الألبان التي يوضع بها الصبي لبان الأم، وإذا أراد الإنسان أن يسترضع لولده فلا يسترضع الا عاقلة عفيفة وطيبة الوجه..

الطفل في المهد

أهتم العرب بالطفل وأكد الإسلام أهمية رعاية الطفل منذ المهد وفي الرضاع، فلقد قال النبي ﷺ توقوا على أولادكم من لبن الأم أفضل الألبان. وقد امتلأت كتب الآداب بأشعار الترقيص يعمرها الحب الجم، والحنو الشديد. يفدى الطفل بالأب والأم والأسرة ويفدى ربحه الذي يشفى شمه الصداع: "أحبه حب الشحيح ماله" و"وأبائي أرواح نشرفيكا"، و"يشفى الصداع ربحه وشمه"، و"باركن يارب في بنيه"، و"يارب اذا اعطيته فأبقه"، و"واعطه عزا يدوم أبداً"، و"الحمد لله الذي أعطاني _ هذا الغلام الطيب الاردان"، و"اعنيه بالله باري النسم" وأمثالها..

الطفل بين اللعب والرياضة

في بعض الأحاديث ان تلقين الطفل يبدأ اذا بلغ الغلام ثلاث سنين. وانه يميز بين اليمين والشمال اذا تم له خمس سنين، وان التعليم والعمل في السادسة. وفي الأخبار: دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعا، وألزمه نفسك سبع سنين. وفيها _ أيضاً _ احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين، ثم أدبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمه إليك سبع سنين فأدبه. وفيها: يرمى الصبي سبعا، ويؤدب سبعا..

الطفل بين اللعب والجد

لعب الطفل في التراث العربي تجمع اللعب والجد فهي تدعو إلى التحاب، وتعود المران، وتدريب على الاجتماع، وتؤكد التعاون والاخوة والصداقة، وتربي الرجولة والشجاعة والفتوة. ولا سيما (الجمري) و(الجناباء) و(الحجورة) و(الحزقة) و(الحكة) و(خراج) و(المخرا) و(التديج) و(المدحاة) و(الارجوحة) و(سفن اللقاح) و(الشفقة) و(الطبن) و(الطريدة) و(عظم وضاح). وكان النبي - وهو صغير - يلعب عظم وضاح مع الصبيان، ومنها (المغيلة) و(القفيزي) و(القلة) و(الانبوثة) و(المهزام) ..

تعليم الطفل

تشير الأحاديث والأخبار والروايات في التراث العربي ان من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة وأن يؤدب اذا انتهت عليه ست سنين ثم يؤدب في الكتاب (المدرسة) ست سنين.. وفي الحديث عن النبي ﷺ : ("أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"). وفي المأثور، ان امرأة من بني تغلب قالت، .. ارضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من طرق المهدي إلى فراش أبيه، فربى كأنه شبل اسد... حتى اذا مضت له خمس سنوات اسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن وعلمه الشعر، فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه مكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتغرس وتمرس وليس السلاح.. وكان يقال من تمام ما يجب للبناء على الآباء، تعليم الكتابة والسباحة. وقال الشاعر:

خير ما ورث الرجال بينهم أدب صالح وحسن الشناء
ذاك خير من الدنانير والاول راق في يوم شدة أو رخاء

تقييم المكتبة العربية في التربية والتعليم

تغص المكتبة العربية بكثرة كاثرة من المؤلفات في موضوعات والتعليم _ منذ العصور الأولى _ منها: كتاب الآداب، وآداب البحث، وآداب البحث والمناظرة، وآداب التعليم والتعلم والمطالعة والمذاكرة وجمع الكتب واختيار الأسانيد، وآداب السلوك، وآداب المتعلمين، وآداب المريدين، وآداب المطالعة والبحث، وآداب المعاشرة، وآداب المتعلمين في أحكام المعلمين، وأحياء علوم الدين، وأحياء النفوس في صفة الغاء الدروس، وأدب الجدل، وأدب الدارس، وأدب الدنيا والدين، وأدب سلوك الدنيا والدين، والأدب الصغير، وأدب العلم، والأدب الكبير، وأدب النظر، وأدب النفس، والأدب الوجيز للولد الصغير، وأحسن الطلاب فيما يلزم الشيخ والمريد من الآداب، والأخلاق، والأمر الدارس في الأحكام المتعلقة بالمدارس، وكتاب الاملاء والاستملاء، وإيها الولد، وبغية المستفيد في شرح تحفة المريد، وتاريخ معاهد العلم في دمشق، وتحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبوا الأطفال، وتحفة الجنان، وتحفة المريد، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، وتعليم المتعلم، وتعليم المتعلم طريق التعلم، وتلقين المبتدى، وتلقين المتعلم، وتنبيه الطالب وارشاد الدارس، وتهذيب الأخلاق، وجامع بيان العلم، والدارس، والدر

النضيد في آداب المفيد والمستفيد، ورسالة الحقوق، ورسالة في التربية والتسليك، وروض العارفين وتسليك المريدين، ورياضة المتعلم، وسراج المستفيد وغنيمة المفيد والمستفيد، وغنيمة المفيد، وشرح تعليم المتعلم، وشفاء المتألم في آداب المتعلم، وصفة الفتوى والمفتي والمستفتي، وكتاب العالم والمتعلم، وفتحة العلوم، وفضل علم السلف على الخلف، قانون على احكام العلم واحكام العالم واحكام المتعلمين، واللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، وما لا يسع المريد تركه، ومختصر كتاب العالم والمتعلم، والمدخل، وكتاب المعلمين، والمعيد في ادب المفيد والمستفيد، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة، والمقدمة، ومكارم الأخلاق، ومن أجل الانسان، ومنهاج المتعلم، والمنهج المفيد، ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد، وميزان العمل، ونظم القلادة في كيفية الجلوس على السجادة، ونهج التعلم كما يجب على المعلم والمتعلم، وهداية المتعلم وعمدة المعلم... الخ.

حقوق الطفل في التراث

روي عن النبي ﷺ انه قال: ما نحل والد ولده خيرا من ادب احسن. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ينبغي لاحدكم أن يتغير لولده اذا ولد _ الاسم الحسن. والاسم الحسن والادب الحسن (اي التربية الحسنة) من أوائل الحقوق. ولقد كتب علي بن الحسين عليه السلام إلى بعض أصحابه كتابا يسمى (رسالة الحقوق) تشتمل على خمسين حقا محيطة بالانسان يجب عليه رعايتها والعمل في تأديتها.

والحق الثالث والعشرون هو (حق الولد) قال فيه: "وأما حق ولدك فأنت تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وانك مسؤول عما وليته من حسن الادب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعتك فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في امره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه...".

الاهتمام الجديد بالطفل

يلقى الطفل عناية فائقة في هذا العصر، من مظاهرها: دور الحضانة، ورياض الأطفال، ومكتبة الطفل، ورعاية الأسرة والطفل، ومدن الألعاب، وعالم الطفل، ودنيا الأطفال، وأفلام كارتون.. ومن مظاهرها العالمية، منظمة الأمم المتحدة للأطفال، وصندوق الأمم المتحدة الدولي لاغاثة الأطفال "اليونيسيف" سنة ١٩٦٤ الذي سمي صندوق الأمم المتحدة للأطفال سنة ١٩٥٣ او منظمة الأمم المتحدة للأطفال، واعلان حقوق الطفل، ويوم كتاب الطفل العالمي في ٣ نيسان، ومهرجان أفلام الأطفال، والسنة الدولية للطفل سنة ١٩٧٩ م.

واهتمام العراق بالطفل واضح كبير متميز تعددت مظاهره العلمية والعملية والعالمية، ومن امثلته الأخيرة مؤتمر السليمانية ومؤتمر البصرة. ومن شعار المؤتمر القطري للطفولة "الطفل ثروة الأمة وأساس مستقبلها" من العمق والاصالة والاحاطة والاستيعاب والاصابة ما يستغني عن الايضاح والتعريف.

دراسات شاعرة في الطفولة والطفل

هذا ولا تزال موضوعات الطفل المعاصر تنتظر الدراسة العميقة والبحث المستمر والتحقيق المثمر، ومنها:

- (١) الطفل والمدرسة.
 - (٢) الطفل والأسرة.
 - (٣) الطفل والمجتمع.
 - (٤) الطفل والمناسبات.
 - (٥) الطفل والفصول.
 - (٦) الطفل والحياة.
 - (٧) الطفل والوطن.
 - (٨) الطفل والاخلاق.
 - (٩) الطفل والطبيعة.
 - (١٠) الطفل والفن.
 - (١١) الطفل والعمل.
 - (١٢) الطفل والأمة.
 - (١٣) الطفل والتراث.
 - (١٤) الطفل والمدينة.
 - (١٥) الطفل والناس.
 - (١٦) الطفل والفولكلور.
 - (١٧) الطفل والعلم... الخ.
- وفي كل موضوع عدة دراسات وأبحاث تزيد جميعا على ثمانين.

الحقوق والحريّات

من منظار علي بن أبي طالب عليه السلام

بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق
الإنسان

الدكتور

محسن باقر القزويني

الحقوق والحريات

من منظار علي بن أبي طالب عليه السلام

بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

د. محسن باقر القزويني

تمهيد

خلق الله الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وحمله مسؤوليات جسام أبت الجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وكان لابد من أن يكرم هذا الإنسان على تحمله المسؤولية الكبيرة، وذلك يجعله خليفة الله في الأرض، ومن التكريم أيضاً أن جعله مختاراً، والاختيار يعني الحرية. وفي مقابل الواجبات التي تحملها الإنسان لكونه خليفة الله في الأرض بصريح (آية الخلافة)، فقد منحه الله حقوقاً، ولاشك أن هذه الحقوق تتأطر بإطار الشريعة الإسلامية، التي هي في الأساس نظام الحياة بالنسبة إلى كل المخلوقات.

وكان من مسؤولية الحكم الإسلامي صيانة هذه الحقوق، ومنح أصحابها فرصة كسب حرياتهم، والحصول على حقوقهم كاملة غير منقوصة. من هنا أتت مناسبة التأكيد على مبدأ الحقوق والحريات عند أمير المؤمنين عليه السلام؛ بوصفه حاكماً إسلامياً، مهمته الأولى تنظيم شؤون الناس، وإرسائها على روابط متينة هدفها تحقيق العدالة.

المبحث الأول: الحقوق:

المطلب الأول: مفهوم الحق:

الحق في اللغة: المطابقة والموافقة، لمطابقة رجل الباب في حقه لدورانه على استقامة^(١).
والحق في اصطلاح أهل القانون: مجموعة القرارات التي تحكم الأفراد كونهم يعيشون في الوسط الاجتماعي^(٢).

والحق عند الفقهاء هو: ما ثبت به الحكم^(٣).
ومعنى ذلك أن الفقهاء علّقوه بالقضاء، فأصبح للحق آثار. ومهمة القضاء الكشف عنه لتعيين آثاره.

وبحث الفقهاء _ من كافة المذاهب _ موضوع الحق في باب الحكم على الغائب، وباب الشهادات؛ لكونها الوسيلة لإثباته، فقسموا الحق إلى مراتب تبعاً لقوة الشهادة؛ فهناك من الحقوق ما يثبت بأربعة شهود، وهناك ما يثبت بثلاثة شهود، وشاهدين، وشاهد واحد.

وهناك من الحقوق ما يثبت بشهادة النساء، وهناك ما لا يثبت إلا بشهادة الرجال. ومن الذين ربطوا بين نظرية الحقوق الفقهية والحكم على الغائب سلار، وهو أبو يعلى الديلمي، المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، فقد قسم الحقوق إلى ثلاثة أنواع: حق الله، وحق الآدمي، وحق الله تعالى يتعلق به حق الآدمي. ثم يضرب أمثلة على حق الله تعالى: الزنى واللواط والخمر فلا يقضى فيها على الغائب؛ لأن القاضي مأمور بالتخفيف، وحق الله قابل للتخفيف، بخلاف حقوق الناس التي لا يمكن التخفيف فيها؛ لذا يقضى فيها على الغائب، كما يقول الصهرشتي: كالدين ونحوه، أما النوع الثالث فالمثال الذي يضربه سلار بالرسقة، فإنه يقضى فيها على الغائب بالغرم دون القطع^(٤).
أما هبة الله الراوندي المتوفى سنة (٥٧٣هـ)، فيربط بين الحقوق والشهادات، فيقسم الحقوق تبعاً لذلك إلى ضربين: حق الله وحق الآدمي.

"فأما حق الآدمي فإنه ينقسم _ في باب الشهادة _ إلى ثلاثة أقسام: أحدها لا يثبت إلا بشاهدين ذكرين كالقصاص، والثاني: ما يثبت بشاهدين وشاهد وامرأتين وشاهد ويمين، وهو كل ما كان مالا أو المقصود منه المال، والثالث: ما يثبت بشاهدين وشاهد وامرأتين، أو أربعة نسوة، وهو الولادة والاستهلال والعيوب تحت الثياب.

وأما حقوق الله فجميعها لا مدخل للنساء، ولا للشاهد مع اليمين فيها، وهي ثلاثة أضرب: ما لا يثبت إلا بأربعة؛ وهو الزنى واللواط إذا كانا بالأحياء، فإن كانا بالأموات فيكفي في ذلك شاهدان، وإتيان البهائم. والثاني: ما لا يثبت إلا بشاهدين؛ وهو السرقة، وحد الخمر. والثالث: ما

١ _ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٢٥.

٢ _ كاتوزيان، ناصر مقدمة علم حقوق (فارسي)، ص: ١.

٣ _ مرتضى الأنصاري، القضاء والشهادات _ الينابيع، ص ٤٩٥.

٤ _ الصهرشتي، اصباح الشيعة، ص ١١٠.

اختلف فيه ؛ وهو الإقرار بالزنى ، قال قوم : لا يثبت إلا بأربعة كالزنى ، وقال آخرون : يثبت بشاهدين كسائر الإقرار ؛ وهو أقوى^(٥) .

أما ابن فرحون فيربط بين الحقوق والإثبات عبر الشهادة من زاويتين :

الزاوية الأولى : مسؤولية الشاهد في الشهادة ، فقسم هذه الحقوق إلى ما يجب أن يشهد الشاهد عليها ، وما لا يجب عليه ذلك . ويعطي مثالا على النمط الأول : العتق والطلاق والخلق والرضاع ، وعلى النمط الثاني : الزنى وشرب الخمر وما أشبه ذلك مما أمرنا بالستر فيها ، فلا يضر الشاهد ترك إخباره بشهادته .

أما الزاوية الثانية : فهي مراتب الشهادات وقسمها إلى خمسة أقسام :

- ١- أحكام تثبت في البدن فقط ، وهي ما يطلع عليها الرجال ، وهي تثبت بشاهدين .
- ٢- أحكام تثبت في البدن مما يطلع عليه النساء ، وهي تثبت بشهادة امرأتين .
- ٣- أحكام تثبت في البدن وتتعلق بالمال ، كالشهادة على أسباب التوارث ، كالنكاح بعد موت أحد الزوجين ليرث الآخر مالا ، وفيه رأيان ؛ الأول : جواز شهادة رجل وامرأتين ، والثاني : لا بد من رجلين .

٤- حقوق الأموال : كالقرض والوديعة وما شابه ذلك ، واستحقاقه شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، أو شاهد ويمين ، أو بامرأتين ويمين .

إذا ، فدائرة الحقوق عند الفقهاء هي ما يتحمل بموجبها شخص تبعات عمله وآثاره ، وإثباتها يكون عبر الشهادة .

فالحقوق تنكشف عندما يتم تجاوزها ، ففي هذه الحالة يتحمل المتجاوز تبعات عمله ، كالقصاص والجلد والرجم ، أو قطع اليد ، أو إعادة المال المسروق إلى أصحابه ، فهذه هي الحقوق بالمنظور الفقهي البحت .

المطلب الثاني : الحقوق عند أمير المؤمنين (عليه السلام) :

أما في منظور أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن دائرة الحق هي أوسع مما أوردها الفقهاء أثناء معالجتهم القضائية .

فالحقوق عنده (عليه السلام) هي الركن القانوني في نظام العلاقات الاجتماعية فالمسلم مسؤول عن حقوق الآخرين : حق الوالدين ، وحق الزوجة ، وحق الابن ، وحق المعلم ، وحق المربي ، وحق الصديق ... الخ .

فيجب على الإنسان المسلم أن يؤدي هذه الحقوق ، وكما أن للآخرين حقوقاً عليه ، فإن له حقوقاً عليهم ، ونتيجة لهذه الحقوق المتبادلة يقوم نظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

أما حق الله فهو الدائرة الواسعة التي تشمل حق المجتمع ، فهو غير منفصل عن حقوق الناس ، بل هو تبع لحقوق الناس ، وليس العكس . تأمل ما يقوله أمير المؤمنين (عليه السلام) : " جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه " ^(٦) .

٥- الراوندي ، فقه القرآن ، ص ١٩٣ .

لذا كان أفضل ما يقوم به الإنسان هو أن يُوصل الحقوق إلى أهلها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "أفضل الجود إيصال الحقوق إلى أهلها"^(٧).

المطلب الثالث: أنواع الحقوق:

تنقسم الحقوق التي تؤمنها الدولة الإسلامية لرعاياها إلى: ١- الحقوق الشخصية ٢- الحقوق الاقتصادية ٣- الحقوق الاجتماعية ٤- الحقوق السياسية ٥- الحقوق الدينية ٦- الحقوق القضائية. أولاً: الحقوق الشخصية:

وعلى رأسها حق الإنسان في الحياة؛ إذ لا يجوز مصادرة الحياة من الناس، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/٩٣].

وتأمين هذا الحق واجب من واجبات الدولة الإسلامية؛ حيث ورد في القرآن الكريم ﴿فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/١٩٣].

وحق الإنسان في الحياة واضح في منهج أمير المؤمنين عليه السلام من اللحظة الأولى لتكوينه، وهو جنين، حتى آخر يوم من حياته.

فقد روي أنه ((أُتي بحامل قد زنت، فأمر الخليفة برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ((هب أن لك سبيلاً عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها)) والله تعالى يقول: ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم/٣٨]، فقال عمر: لا عشت لمعظلة لا يكون لها أبو الحسن، ثم قال: فما أصنع بها؟ قال عليه السلام: ((احتط عليها حتي تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد))^(٨).

هذا، ومن تسبب في موت الجنين _ حتى بصورة غير مباشرة _ فعليه الدية، روي أيضاً أن الخليفة كان استدعى بامرأة [يتجمع] عندها الرجال، فلما جاءها، رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم، فأملصت ووقع إلى الأرض ولدها يستسهل، ثم مات، فبلغ عمر ذلك، فجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الحكم في ذلك، فقالوا بأجمعهم: نراك مؤدياً ولم ترد إلا خيراً ولا شيء عليك في ذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم، فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال: ((لقد سمعت ما قالوا))؛ قال: فما عندك أنت؟ قال: ((قد قال القوم ما سمعت)) قال: أقسمت عليك لتقولن ما عندك، قال: ((إن كان القوم قاربوك فقد غشوك، وإن كانوا ارتأوا فقد قصروا، الدية على عاقلتك؛ لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك))، فقال: ((أنت - والله - نصحتني من بينهم، والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي))^(٩).

وتأكيداً لحق الإنسان في الحياة وضعت الشريعة الإسلامية أحكاماً صارمة لمنع الاعتداء على حياة الآخرين، حتى لو كان قد ارتكب جناية، وهذا الأمر نجده في منهج أمير المؤمنين عليه السلام، فقد طالب

٦- الأمدي، غرر الحكم: ٣/٣٧٠.

٧- المصدر نفسه.

٨- المفيد، الإرشاد، ص: ٩٧ _ ٩٨، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٥١/٤٠، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤٩٤/١.

٩- الإرشاد، ص: ٩٨، والمناقب: ٤٩٧/١.

الزوج الذي قتل رجلاً مدّعيًا أنه وجدته في فراش زوجته بأربعة شهود، وهو أمر شبه مستحيل، أو أن يدفع الدية عن قتله إياه.

ففي رواية ((أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أبي موسى الأشعري أن ابن أبي الجسري وجد على بطن امرأته رجلاً فقتله، وقد أشكل حكم ذلك على القضاء فسأل أبو موسى علياً عليه السلام، فقال: ((والله ما هذا في هذه البلاد)) يعني الكوفة وما يليها وما هذا بحضرتي، فمن أين جاء هذا؟ قال: كتب إلي معاوية أن ابن أبي الجسري وجد مع امرأته رجلاً فقتله، وقد أشكل ذلك على القضاء، فرأيت في هذا، فقال علي عليه السلام: ((إن جاء بأربعة يشهدون على ما شهد وإلا دفع برمته))^(١٠).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدرأ الحدود التي توجب قتل المتهم إلا في القصاص، فكم من مرة جاء زان محصن راغباً في إقامة الحد فكان يردّه بأعذار حتى لا يعود، لكنه يعود مرة ثانية وثالثة ورابعة. وحكايته مع المرأة التي زنت حكاية مشهورة ذكرها العام والخاص؛ فقد جاءت امرأة وقالت له: إني زنيت فطهرني، وكانت المرأة حاملاً، فقال لها أمير المؤمنين: ((انطلقني فضعي ما في بطنك ثم اثبتيني أطهرك..)) ثم ذهبت وعادت بعد حولين فتجاهل عليها أمير المؤمنين فأصرت مرة ثالثة على إقامة الحد فقال لها عليه السلام: ((انطلقني فأكفليه)) (الطفل) حتى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردى من سطح، ولا يتهور في بئر).

وكان هدفه من التسويف هو توفير الأسباب النفسية لكي لا تعود المرأة في المرة الرابعة؛ لأنها إن عادت وجب إقامة الحد عليها، ثم إنها عادت وأصرت على إقامة الحد، فأقام الإمام عليها حد الرجم^(١١).

وفي واقعة أخرى: ((أتاه رجل بالكوفة فقال له: يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهرني، قال: فمن أنت؟ قال: من مزينة، قال: أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: بلى، قال: فقرأ، فقراً... قال: أبك جنة؟ قال: لا، قال: فاذهب حتى نسأل عنك، فذهب ثم عاد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ألك زوجة؟ قال: بلى، قال: فمقيمة معك في البلد؟ قال: نعم، فأمره أمير المؤمنين عليه السلام فذهب وقال: حتى نسأل عنك، فرجع ثالثة، ثم رابعة، فغضب أمير المؤمنين منه ثم إنه قال: ((ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملاء، أفلا تاب في بيته؟ فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد))^(١٢).

نستخلص من هذه الحكاية الأمور التالية:

- ١- رغبة الإمام في انصراف الرجل عن قراره بإقامة حد الرجم عليه من خلال صنع أجواء تعلّقه بالدين.
- ٢- كان الإمام يحاول أن يجد طريقاً لدرء الحد عنه، فكان يسأله أسئلة مختلفة علّه يجد سبيلاً لإنقاذه من الرجم.

١٠- التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص: ٥١.

١١- الكليني، الكافي: ١٨٥/٧ _ ١٨٧.

١٢- الكليني، الكافي: ١٨٥/٧ _ ١٨٧.

٣- لا يكتفي الإمام بمنح الرجل فرصة للعيش، بل للعيش الكريم أيضاً؛ أي أن يبقى مستوراً لا يعلم بما فعله أحد.

٤- قول الإمام: ((فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد))، عبارة عن قاعدة ذهبية سبق بها أمير المؤمنين الشرائع الحديثة في مجال حقوق الإنسان.

وتحمل هذه القاعدة إقراراً صريحاً بأن الحدود ليس الهدف من إقامتها الانتقام، بل الهدف هو إصلاح الإنسان والمجتمع، فإذا صلح الإنسان بغير العقاب فلا ضرورة لإقامة الحد عليه.

وقد اسقط أمير المؤمنين _ فعلاً _ الحد عن رجل اتهم بقتل رجل لم يكن له أولياء، فهو ولي الدم عنهم، فقد أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجل وجد في خربة ويده سكين ملطخة بالدم وإلى جانبه رجل مذبح يتشطح في دمه، فاعترف الرجل بأنه القاتل، فلما جاءوا به لإقامة حد القتل عليه، فإذا برجل مسرع مقبل عليهم، مدعياً بأنه هو القاتل، فسأل أمير المؤمنين الرجل الأول: ((ما حملك على إقرارك على نفسك؟)) فقال: يا أمير المؤمنين، وما كنت أستطيع أن أقول وقد شهد علي أمثال هؤلاء الرجال وأخذوني ويدي سكين ملطخة بالدم والرجل يتشطح في دمه وأنا قائم عليه؟ وخفت الضرب فأقررت، وأنا رجل كنت ذبحت بجنب هذه الخربة شاة وأخذني البول، فدخلت الخربة فرأيت الرجل يتشطح في دمه، فقممت متعجباً، فدخل علي هؤلاء، فأخذوني. فأمر أمير المؤمنين أن يأخذوا الاثنين إلى الإمام الحسن عليه السلام ليحكم بينهما، فقال الحسن عليه السلام: ((قولوا لأمر المؤمنين: إن هذا الرجل الثاني إن كان ذبح ذلك [المقتول] فقد أحيا هذا الرجل الأول، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة/٣٢]، يُخلى عنهما ويُخرج دية المذبح من بيت المال))^(١٣).

وهكذا نرى أن حكم الإمام الحسن هو حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه الحكاية على غرار الحكاية السابقة، طبق فيها أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة _ التوبة أفضل من إقامة الحد _ وقد كاد يقيم الحد على الرجل الأول لإقراره بالقتل لو لا الرجل الثاني الذي لو كان هو القاتل فقد تاب عن فعله، ولأنه تسبب في إلغاء حد القتل عن الرجل الأول، فقد استحق الحياة. أما حق المقتول فلم يذهب هدرًا؛ إذ عوض عن ذلك بالدية من بيت المال.

هذه الحادثة وغيرها الكثير من الحوادث المماثلة ترسم لنا لوحة جميلة يتجلى فيها حرص الإمام على حق الإنسان في الحياة، وإن هذا الحق مصان، وأن رئيس الدولة هو المسؤول الأول والأخير عن تأمين حياة الناس.

وقد ذهب الإمام إلى أبعد مما وصلت إليه الشرائع الوضعية في مجال حقوق الإنسان، فقد أسقط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحد عن سارق الطعام في عام المجاعة؛ إذ روي عنه: ((لا يقطع السارق في أيام المجاعة))^(١٤)، ونقل عنه أيضاً أنه قال: ((لا قطع في عام مجاعة))^(١٥) لأن حياة الإنسان أغلى من كل شيء.

١٣ _ الكليني، الكافي: ٢٨٩/٧ _ ٢٩٠.

١٤ _ الحر العاملي، الوسائل، الباب ٢٥، أبواب حد السرقة، الحديث ٣.

وبناءً على هذه القاعدة أجاز أمير المؤمنين لأهل الميت أن ينبشوا القبر لاستخراج الكفن عند حاجتهم إليه ؛ لأنه سيسدّ بعض حاجاتهم^(١٦).

ثانياً: الحقوق الاقتصادية

وهو حق الإنسان في إيجاد العمل اللائق، وحقّه في ناتج العمل، وهو يشمل ملكيته لرأس المال وللإنتاج، وضمن القرآن الكريم للإنسان هذا الحق من خلال الآية الكريمة: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء/٢٩]. وهذا اعتراف صريح بالحق في الملكية، ومسؤولية الدولة الإسلامية في ضمان هذا الحق بتوفير الكسب المشروع للإنسان، وبضمان حرية التملك على أساس العمل، وحماية الملكية من اعتداء الآخرين عليها.

وفي سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم نجد الكثير من الشواهد الدالة على ضمان هذا الحق، وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا ((الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة)). إلا أننا سنأتي بمقدار الضرورة على ذكر الشواهد الحية.

١- توفير الكسب الحلال.

فقد حث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على العمل، فقال ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))^(١٧). وذكر عن سيرة الأنبياء: إن الله أوحى إلى داود عليه السلام: ((يا داود، إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال، ولا تعمل بيدك شيئاً))، قال: فبكى داود أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى الحديد: ((أن ألبس عبيدي داود))، فلان له الحديد فكان يعمل في كل يوم درعاً^(١٨).

ومن مسؤولية الدولة أيضاً توفير فرص العمل للجميع، فحق رعايا الدولة الإسلامية - حتى من غير المسلمين - ضمان هذا الحق. ويذكر هنا أن أمير المؤمنين عليه السلام وجد شيخاً أعمى بالبصرة بتصدق من أموال الناس، فأنكر أمير المؤمنين ذلك فقالوا له: يا أمير المؤمنين، نصراني، فقال الإمام: ((استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟ أنفقوا عليه من بيت المال))^(١٩).

ومن جانب آخر، فمن حق العامل الذي يعمل ضمن العقود الإسلامية أخذ الأجر على عمله، وصاحب العمل مكلف بأداء هذا الأمر قبل أن يحرق عرق العامل، وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك في بداية حكمه عندما بعث أحداً لينادي بين المسلمين باللحن على ثلاثة؛ أحدهم من خان أجيراً على أجرته.

١٥- المصدر نفسه.

١٦- قارن بين مذهب أمير المؤمنين عليه السلام في حق الإنسان في الحياة، وبين ما جاء في المادة (٤٣٥) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه (انظر: ص: ١٩ من الوثيقة).

١٧- اكتفى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة (٢٣) بالقول: لكل شخص الحق في العمل، ص ٢٤ من الوثيقة.

١٨- المجلسي: بحار الأنوار: ١٣/١٤، رواية ٢١.

١٩- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٤٩/١١.

٢- حق الإنسان في الملكية.

وثمره العمل هو الإنتاج، فكان من حق الإنسان أن يمتلك ما أنتجته يده، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((من أحيا أرضاً من المؤمنين فهي له وعليه طسقتها يؤدّيها إلى الإمام))^(٢٠).

وهذه قاعدة أرسى معالمها أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذها الفقهاء كمستند في تملك الأرض الحياة. ويؤكد هذا النص على حقين؛ الأول: حق الإنسان في العمل. والثاني: حقه في تملك نتائج عمله^(٢١).

٣- حماية الملكية من السرقة أو العبث أو ماشابه ذلك.

وقد واجه أمير المؤمنين عليه السلام مظاهر التسيب والعبث بأموال الناس، فقد قضى على صاحب البقرة التي شقت بطن الجمل بالضمان لأنه ربطها في طريق الجمل؛ مستنداً إلى حديث رسول الله: ((لا ضرر ولا ضرار))^(٢٢).

ومن طرق حماية الملكية الاقتصادية إقرار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لقاعدة اليد التي لها آثار كبيرة في الفقه والقضاء الإسلاميين.

ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رجل أبصر طائراً فتبعه حتى سقط على شجرة، فجاء رجل آخر فأخذه ((للعين ما رأت ولليد ما أخذت))^(٢٣).

فأصبح الطائر ملكاً لمن أخذه باليد، وسنجد كثيراً من القضايا التي وقعت في عهده عليه السلام حكم فيها استناداً لهذه القاعدة التي هي أصل من أصول الملكية.

وبالإضافة إلى مسؤولية الدولة، فعلى المالك أيضاً مسؤولية حماية أمواله؛ لذا دعا أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الأموال إبداء ما يستطيعون من شجاعة عند تعرض أموالهم للانتهاك، يقول عليه السلام: ((إن الله ليمقت الرجل يدخل عليه اللص بيته فلا يحارب))^(٢٤).

وخلاصة الأمر، أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعهد بحماية الحقوق الاقتصادية لرعايا الدولة الإسلامية، وضمن ما يكفل لهم العيش الكريم، فقد ورد عنه: ((أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ: فالنصيحة لكم، وتوفير فيثكم عليكم))^(٢٥) والفنيء الذي يوفره الإمام لرعيته هو الخراج، وما يجلب إلى بيت المال، والظاهر أن توفير ذلك إنما يكون بتهيئة جميع وسائل العمل وميادين الإنتاج^(٢٦).

وقد وضع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة مهمة يمكن الاستناد إليها في جميع الحقوق الاقتصادية للأمة؛ وهي: ((والناس كلهم عيال على الخراج))^(٢٧).

٢٠- صحيحة ابن خالدة الكابلي عن الإمام الباقر عليه السلام: وجدنا في كتاب علي عليه السلام ثم ذكر الحديث: راجع التهذيب: ١٤٥/٤، رواية ٢٦.

٢١- اكتفى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة (٢٣) بالقول: لكل شخص الحق في العمل، ص ٢٤ من الوثيقة.

٢٢- التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ١٩٦.

٢٣- المصدر نفسه، ص ٦١.

٢٤- الحر العاملي، الوسائل، الباب ٤٦، جهاد العدو، حديث ٢٢.

٢٥- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٩٢/٢.

٢٦- القرشي، العمل وحقوق العامل، ص ٣٢٧.

٢٧- باب الرسائل، رقم ٥٣.

فرسم من خلال هذه القاعدة مسؤولية الدولة في إيجاد العمل المناسب، وفي توفير العيش الكريم لكل رعايا الدولة الإسلامية^(٢٨).

قارن بين نص المادة (١٧) من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام.

ثالثاً: الحقوق الاجتماعية:

وهي تشمل حق الإنسان في الزواج وإشباع حاجاته الجنسية، ومن ثم إنشاء الأسرة، وكذلك حقّه في العيش الكريم بعيداً عن أذى الآخرين وتحمل الدولة مسؤولية كبيرة في توفير هذا الحق وصيانة الفرد اجتماعياً وأسرياً حتى ينعم بحياة رغيدة.

والحقوق الاجتماعية يمكن لنا أن نستشفّها من خلال الإجابة على هذا السؤال: ماذا يريد الفرد من المجتمع؟

١- يريد منه تأسيس الأسرة السعيدة وإشباع حاجاته الجنسية، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام بغافل عن وجود هذه الغريزة، فكان يسرع في توفير مستلزمات إشباعها كلّما دعت الضرورة إلى ذلك، وهذه نماذج حية عن ذلك:

جاءته امرأة فقالت له:

ما ترى أصلحك الله وأثرى لك أهلاً
في فتاة ذات بعل أصبحت تطلب بعلاً
بعد إذن من أبيها أترى ذاك حلاً؟

فأنكر ذلك السامعون، ولعلّهم أرادوا ضربها وتأديبها على كلماتها.. لكن أمير المؤمنين عليه السلام عرف ما تبطن هذه الكلمات من شهوة جامحة قاومتها المرأة سترًا على زوجها.

فقال: أحضريني بعلك، فأحضرتة، فأمره بطلاقها ففعل، ولم يحتج لنفسه بشيء، فقال عليه السلام: إنه عني، فأقر الرجل بذلك، فأنكحها رجلاً من غير أن تقضي عدة^(٢٩).

وروي أيضاً: قضى أمير المؤمنين في امرأة حرة دلس لها عبد فنكحها ولم تعلم إلا أنه حر، قال: ((يفرق بينهما إن شاءت المرأة))^(٣٠)؛ أي أنها مخيرة بين أن تبقى زوجة له أو أن تفرق عنه، فالخيار لها. فالزواج رابطة مقدسة تتساقط أمامها كل الاعتبارات غير الشرعية.

روى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن عبد الله بن أبي بكر أعطى زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل حديقة على أن لا تتزوج بعده، فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف خطبها عمر، فقالت: كان أعطاني حديقة على أن لا أتزوج.

فقال لها عمر: فاستفتي، فاستفتت علياً عليه السلام، فقال لها: ((ردّي الحديقة على أهله وتزوجي))، فتزوجت منه^(٣١)؛ لأن الزواج رابطة مقدسة لا يستطيع أي عقد أو اتفاق الوقوف

٢٨- ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المادة (١٧): لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره، ولا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً، ص ٢٢-٢٣.

٢٩- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤٩٢/١ - ٤٩٣، والمجلسي في بحاره: ٢٢٧/٤٠.

٣٠- الكليني، الكافي: ٤٢/٥، الحديث ٢.

٣١- الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/١٨.

بوجهها. فمثلما للمرأة الحق في الزواج والعيش الكريم، كذلك من حق الرجل الذي يملك مؤونة الزواج أن يتزوج أيضاً؛ لأن الزواج حصانة ضد الانحراف. وحينما شاهد علي عليه السلام شاباً يستمني فضرب على يده حتى احمرت، ثم زوجته من بيت المال^(٣٢).

لقد وجد الإمام في هذا الشاب ثورة جنسية عارمة لا يطفئها شيء سوى الزواج؛ لأنه سيعود مجدداً إلى ممارسة فعلته إن لم تحل مشكلته حلاً جذرياً، كذلك فإن الضرب وحده لا يكفي، بل لا فائدة منه، والحل الطبيعي يكمن في الزواج، ولما لم يكن الشاب قادراً على الزواج زوجه الإمام من بيت المال. وهذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك أن الزواج حق مشروع يجب أن تعمل أجهزة الدولة على تحقيقه^(٣٣).

ومن حق الفرد أيضاً أن يعيش في مجتمعه حياة كريمة مرفوع الرأس، لا تناله الألسن بالقذف. أو ماشابه ذلك. وعلى الدولة مسؤولية تطهير المجتمع، وإزالة الأسباب التي تنقص من الاحترام المتبادل إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((يعزر الرجل في الهجاء))^(٣٤). أما لو قذف إنسان إنساناً آخر بآبى المجنونة فإنه يجلد عشرين جلدة، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٣٥).

ومن أطرف ما روي في قضاء أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قال لرجل على عهده عليه السلام: إنني احتلمت بأهلك، فرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إن هذا افتري علي، قال: وما قال لك؟ قال: زعم أنه احتلم بأمي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن شئت أقمتك لك في الشمس فأجلد ظله، فإن الحلم مثل الظل))^(٣٦).

ولم يكتف أمير المؤمنين بهذا القدر، بل قرر ضربه حتى لا يؤذي المسلمين بعد الآن، لأن كلامه كان جارحاً وهو شبيه بالقذف، فكان لابد من مكافحة حتى هذا القليل من الأذى حتى يصبح المجتمع طاهراً يستطيع أن يأمن فيه الإنسان على ماله وحرماته. وهذا هو ما يسمى اليوم بالحق العام أو حق المجتمع.

رابعاً: الحقوق السياسية:

وتشمل الحق في المشاركة السياسية، في صنع القرار وفي بناء مؤسسات الدولة، وكذلك الاعتراض على أعمال المسؤولين في الدولة، وكذلك الحق في إنشاء التجمعات السلمية. وتنطلق هذه الحقوق في الشريعة الإسلامية من قاعدة الاستخلاف؛ إذ وعد الله المؤمنين أن يجعل منهم خلفاء الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

٣٢_ الحر العاملي، الوسائل، الباب ٣: نكاح البهائم، الحديث ٢.

٣٣_ الحر العاملي، الوسائل، الباب ٣: نكاح البهائم، الحديث ٢.

٣٤_ الحر العاملي، الوسائل، الباب ١٩ حد القذف، حديث ٥.

٣٥_ المصدر نفسه، حديث ٣.

٣٦_ التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ٣٦.

[النور/٥٥]، يتبين لنا من ضمير ((هم)) في لفظ (لَيْسَتْ حَقَّتْهُمْ) أَنَّ جميع الذين آمنوا هم خلفاء دون استثناء، ولهم الحق في الشؤون السياسية، ويُلاحظ من يدرس سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقوق جلية وواضحة^(٣٧).

١- حق المشاركة في بناء الدولة.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وأكثرُ مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمرُ بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك، واعلم أنَّ الرعية طيقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غني بعضها عن بعض؛ فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف، والرفق، ومنها أهل الجزية والخراد من أهل الذمة ومسلمة الناس؛ ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلُّ قد سمي الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهداً فيه عندنا محفوظاً))^(٣٨).
فالمجتمع بجميع طبقاته يجب أن يساهم في البناء، فكلاهما؛ المجتمع والدولة، كيان واحد، وكل طبقة في المجتمع تشكل جزءاً من هذا الكيان، ولا نعرف مفهوماً للمشاركة السياسية أقوى من المفهوم الذي أكد عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله وفعله^(٣٩).

٢- حق المعارضة، والاعتراض والشكوى:

فتاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) حافل بحوادث من هذا القبيل، فالمرأة التي اعترضت على الوالي، قصتها مشهورة؛ وهي سودة بنت عمارة الهمدانية.
فقد شكت هذه المرأة جور الوالي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأخذ الإمام يبكي ويقول: ((اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، إني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك)) ثم عزله في الوقت^(٤٠).
وحكاية الفلاحين الذين اشتكوا إليهم، فكتب إليه الإمام (عليه السلام) كتاباً جاء فيه: ((أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يعصوا ويحفظوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرافة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والاقصاء، إن شاء الله))^(٤١).

أما حكاية أبي الأسود الدؤلي الذي عزل من القضاء لرفعه صوته فوق صوت الخصم، فاعتراض على قرار الإمام قائلاً: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ قال (عليه السلام): ((إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك))^(٤٢).

٣٧ — سنفرد له بحثاً مفصلاً.

٣٨ — باب الرسائل، رقم ٥٣.

٣٩ — قارن بين ما عرف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المجال وبين ما ورد في المادة (٢١) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً (المواثيق الدولية، ص ٢٣).

٤٠ — ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢١١/١.

٤١ — باب الرسائل، رقم ١٩.

٤٢ — النوري، المستدرک: ٣٥٩/١٧، رواية رقم ٢١٥٨١.

وما هذه الحكايات إلا مؤشر دالّ على طبيعة النظام السياسي الذي أرسى دعائمه أمير المؤمنين عليه السلام، والذي آل على نفسه احترام حقوق الناس كاملة، ولا ريب في ذلك فقد كتب إلى أحد ولاته: ((أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه وأخذوهم بالباطل فاقتدوه))^(٤٣). فقد كان حكم أمير المؤمنين نقيضاً للحكم الفردي المستبد الذي كان عليه نظام الحكم في الشام، فكان لابد من رسم صورة صالحة عن الإسلام لتمكينه من الانتشار، بعد أن شوّهتها الممارسات الخاطئة لبني أمية في عهود سيطرتهم السياسية على البلاد الإسلامية.

٣- السماح للتجمعات السلمية بممارسة طقوسها:

ظهرت في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تشكيلات مختلفة؛ منها المنحرفة سياسياً بمعارضتها للسلطة الحقّة المتمثلة بالإمام عليه السلام، ومنها المنحرفة عقدياً، وكان الإمام يعاملها كما يعامل رعاياه دون أن يستشبههم بشيء طالما ظلّت هذه التجمعات سلمية، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للخوارج: ((لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولم نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلونا))^(٤٤). لكن الأمر يختلف تماماً مع المنحرفين عقدياً؛ لأنّ عمل هؤلاء يتجاوز مفهوم المعارضة السياسية، فهم يخرجون على الدين وليس السلطة، ولربما كانوا مساندين للسلطة، من أمثال الذين اعتقدوا بربوبية أمير المؤمنين عليه السلام فحتى مع هؤلاء استخدم الإمام شتى الطرق السلمية والأساليب الفكرية والتربوية لإعادتهم إلى الجادة، وعندما لم تفلح كل الوسائل استخدم معهم العنف. جاء في الكافي عن الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من أهل البصرة أتاه سبعون رجلاً من الزط^(٤٥)، فسلموا عليه وكلموه بلسانهم، فرد عليهم بلسانهم ثم قال لهم: ((إني لست كما قلتم، أنا عبد الله مخلوق)) فأبوا عليه وقالوا: أنت هو^(٤٦)، فقال لهم: ((لئن لم تنتهوا وترجعوا عما قلتم في وتوبوا إلى الله عز وجل لأقتلنكم))، فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا، فأمر أن تحفر لهم بئر، فحفرت، ثم خرق بعضها إلى بعض، ثم قذفهم فيها، ثم خمر رؤوسها، ثم ألهمب النار في بئر منها ليس فيها أحد منهم، فدخل الدخان عليهم فيها فماتوا^(٤٧). وسياسته إزاء المعارضين سياسة واضحة أكّدها رسائله إلى ولاته، ومنها كتابه إلى عبد الله بن عباس؛ وهو عامله على البصرة التي كانت موطن المعارضة، جاء في الرسالة: ((إعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحدث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم...))^(٤٨) فأمر واليه باتباع سياسة اقتصادية وتربوية لتصفية مظاهر الحقد من نفوسهم؛ لأنّ معارضتهم لم تكن واقعية، بل كانت معارضة نفسية قائمة على الحقد.

٤٣ _ باب الرسائل، رقم ٧٩.

٤٤ _ ذكره أبو زهرة في كتابه الجريمة، ص ١٦٣.

٤٥ _ الزط: قوم من الهنود والسودان.

٤٦ _ يعنون أنه الله _ والعياذ بالله _.

٤٧ _ الكليني الكافي: ٢٥٩/٧، الحديث ٢٣.

٤٨ _ باب الرسائل، رقم ١٨.

٤- الحق في المساواة:

وهو من الحقوق السياسية التي جاء بها الإسلام وصدع بها القرآن الكريم في أكثر من آية قرآنية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/١٣].

وبذلك كان القرآن الكريم مؤسساً لفكرة المساواة في مجتمع كان يغرق في مستنقع التناقضات والطبقية. وعندما آلت قيادة الأمة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عمل بهذا المبدأ على أفضل صورة، فكان يساوي بين نفسه وخادمه قنبر، بل كان يؤثره في اللباس الجيد والطعام المفضل، كما ورد في سيرته. وساوى أمير المؤمنين (عليه السلام) في العطاء بين الشريف والوضيع، وبين الغني والفقير، وقد دفع ثمن هذه السياسة غالياً، فثارت عليه الفئات التي كانت تمثل الطبقة الاستقرائية في البلد، فكانت حرب الجمل، وتمرد عليه معاوية لأنه أراد إقصاءه عن الولاية ف وقعت واقعة صفين، وعلى الرغم من كل هذه المتاعب التي واجهته فقد ظل مصراً على تطبيق مبدأ المساواة في الحياة، فكان يقول: ((أفنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش))^(٤٩).

وكتب إلى واليه محمد بن أبي بكر: ((فاخفض لهم جناحك، والن لهم جنابك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم))^(٥٠).

ولم ينسَ حتى آخر لحظة من حياته هذه القيم التي استشهد من أجلها، لم ينسَ أن يقول لولده بأن يساوا بينهم وبين قاتله عبد الرحمن بن ملجم في المأكل والملبس، ثم يقول للحسن (عليه السلام): ((أحسنوا إيساره فإن عشت فأنا ولي دمي، وإن مت فضربة كضربتي))^(٥١).

خامساً: الحقوق الدينية:

المشمولون بهذا الحق هم المعاهدون من أهل الذمة، فهؤلاء هم من رعايا الدولة الإسلامية، وهم سواسية لا يختلفون عن المسلمين في الحقوق الاقتصادية والحقوق الشخصية، لكنهم يختلفون معهم في بعض الحقوق السياسية. وقد نظم الحكم الإسلامي على طول التاريخ الإسلامي علاقة إيجابية بين المجتمع الإسلامي وبين أهل الذمة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً في التسامح الديني. وكان أهل الذمة يحظون برعاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في فترة حكمه، فقد ذكرنا مشاهدته للرجل المعاهد في البصرة وهو يتصدق من أموال الناس، وكيف جعل له حقاً في بيت المال. ولم ينسَ أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يوصي عامله على الخراج: ((ولا تمسّن مال أحدٍ من الناس، مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدي به على أهل الإسلام))^(٥٢).

٤٩ — باب الرسائل، رقم ٤٥.

٥٠ — باب الرسائل: رقم ٢٧.

٥١ — ذكره أبو زهرة مستشهداً به على عظمة النظام الإسلامي في إعطائه حقوقاً كافية حتى للمجرمين، انظر كتابه: الجريمة، ص ٢٥٩.

٥٢ — باب الرسائل: رقم ٥١.

فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلامية هو بحكم المسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها. أما حقهم الديني في ممارسة طقوسهم، فكانوا يجرونها وفق تعاليمهم الدينية، فقد ورد ((أن علياً عليه السلام كان يستحلف النصارى واليهود في بيعهم وكنائسهم، والمجوس في بيوت نيرانهم))^(٥٣). وذكر أن علياً عليه السلام استحلف يهودياً بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، فحقوق أهل الذمة مضمونة طالما ظلوا ملتزمين بالقوانين الإسلامية، أما إذا أخلوا بها فإن عقابهم سيكون أشد من عقاب المسلمين، سيما في الأمور التي تمس الجانب الأخلاقي من المجتمع الإسلامي، وذلك لأن الدولة الإسلامية، أحسنت إليهم ومنحتهم حق الرعاية وهم في الأصل غير مستحقين لكل هذه الرعاية؛ لعدم انتمائهم لعقيدة الدولة، فإذا أذنبوا ذنباً فإنهم خانوا خيانتين؛ الأولى: خيانتهم للمسلمين بارتكابهم الذنب، وخانوا الأمانة والإحسان الذي أولته لهم الدولة الإسلامية. وهنا لابد من التنويه إلى أن الحقوق الدينية لا تعني الحرية الدينية، فالمسلم الذي اعتنق الإسلام كعقيدة ونظام لا يحق له تغيير دينه إلى دين آخر، فإذا فعل ذلك فيحاسب حساب المرتد ويعاقب عقاباً شديداً.

وعقاب المرتد عقاب صارم؛ لأنه تجاوز حقوق المجتمع، وظلم نفسه عندما غير عقيدته بعد الاقتناع؛ لذا كان عقاب المرتد عند أمير المؤمنين أنه: يعزل عن امرأته، ولا تؤكل ذبيحته، ويستتاب ثلاثة أيام؛ فإن تاب، وإلا قتل في اليوم الرابع^(٥٤). قال أمير المؤمنين عليه السلام لمسلم تنصر ثم رجع: ((قد قبلت منك رجوعك هذه المرة، فلا تعد، فإنك إن رجعت لم أقبل عنك رجوعاً بعده))^(٥٥)؛ لأنه سيحاسب حساب المرتد، فالإنسان حر في اختيار عقيدته قبل أن يصبح مسلماً، فإذا أسلم فسيكون مقيداً بالإسلام.

سادساً: الحقوق القضائية:

الحقوق القضائية هي ما يجب على القاضي توفيره للمدعي والمدعى عليه حتى يسير القضاء وفق العدالة التي يتوخاها الجميع، وإذا أخلت الجهة التي تتولى القضاء بهذه الحقوق، فإن الحكم الصادر بحق المدعى عليه يكون حكماً جائراً يمكنه استئنافه. ((وقد رعى الإسلام هذه الحقوق في زمن حالك لم تعرف البشرية طعم العدالة والحرية، وفي زمن لم يكن لدى العرب في الجاهلية نظام محكم للقضاء))^(٥٦). وتأتي رعاية الإسلام لهذه الحقوق من منظور إنساني واقعي، فالإنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو مركب من عقل وهوى، وفيه استعداد للخير كما وأنه قابل للانحراف نحو الشر، فإذا ارتكب ذنباً أصبح مجرمًا في نظر القانون إلا أنه يظل إنساناً قابلاً للعودة إلى الجادة. وأفضل صورة واقعية عن الحقوق القضائية هو ما ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام في ممارساته القضائية.

٥٣ _ الحر العاملي، وسائل الشريعة: ٢١٩/١٨.

٥٤ _ فقاهتي، كتاب القضاء، ص ٨٥.

٥٥ _ الوسائل، الباب ٣: حد المرتد، الحديث ٥.

٥٦ _ الطحاوي، السلطات الثلاث، ص ٣٣.

ومن أجل أن نُنظِّم هذه الحقوق تنظيمًا منطقيًا منسجمًا مع أهداف الإسلام في القضاء نقسمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحقوق التي يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم. وهي:

١- المساواة في القضاء:

يجب أن يتساوى المدعي والمدعى عليه حتى لا يشعر أحد الطرفين بالغبن، فتضعف حجته، وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام أروع الأمثلة في المساواة.

فقد ساوى بين شخصيه واليهودي الذي نازعه في الدرع في القصة المشهورة، وأمر فضاته بأن يساوا بين الخصمين ذاكرا العلة أيضا في ذلك، فيقول لأحدهم: ((وأس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا يئأس الضعفاء من عدلك))^(٥٧).

وكتب إلى شريح قاضيه: ((ثم واسي بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك، ولا يئأس عدوك من عدلك))^(٥٨).

وأكثر أهمية من ذلك هو المساواة بين أفراد المجتمع أمام القضاء، وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام أروع الصور في المساواة عندما عاتب خازن بيت المال علي بن أبي رافع لما أعطى إحدى بناته عقد لؤلؤ كعارية مضمونة فقال له: ((لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة لكانت إذا أول هاشمية قطعت يدها في سرقة))^(٥٩).

فإذا كان الحاكم لا يفرق بين الإنسان العادي وأحد أولاده في تنفيذ الأحكام لهو الحاكم الجدير بحكم البلاد؛ لأنه سيسعد شعبه بتطبيق العدالة بينهم وتحقيق المساواة^(٦٠).

٢- تدقيق القاضي وعدم الإسراع في إصدار الحكم:

يجب على القاضي أن لا يسرع وأن يتفحص الشهود بتمعن ويستمع إلى أقوالهم وأقوال الخصمين بدقة؛ لأن إهمال نقطة صغيرة قد تؤدي إلى كارثة، وهذا حق مسلم لكلا الخصمين، فالعجلة والسرعة تؤديان حتماً إلى هضم الحقوق؛ نضرب مثالين عن دقة أمير المؤمنين عليه السلام وتأنيه وعدم إسراعه في إصدار الحكم:

المثال الأول: نقله العامة والخاصة، ومفاده أن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها، وأنكر حملها منه، فالتبس الأمر على عثمان، وسأل المرأة: هل افتضك الشيخ؟ وكانت بكراً، قالت: لا، فقال عثمان: أقيموا الحد عليها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن للمرأة سمين، سم للمحيض وسم للبول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض فحملت، فاسألوا الرجل عن ذلك))، فسئل فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها

٥٧ — باب الرسائل: رقم ٤٦.

٥٨ — الأنصاري، القضاء، ص ١١٣.

٥٩ — الأنصاري، القضاء، ص ١١٣.

٦٠ — تشير المادة (٧) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: كل الناس سواسية أمام القانون (المواثيق الدولية، ص ٢٠)، قارن بين هذا النص وبين موقف الإمام من علي بن أبي رافع الذي أصبح مضرباً للأمثال في المساواة. وكل من تحدث في هذا الموضوع لم ينس أن يشير إلى موقف أمير المؤمنين عليه السلام، بل الكثير استندوا إلى مساواة أمير المؤمنين عليه السلام لإظهار عظمة القضاء الإسلامي (انظر: علم القانون والفقه الإسلامي، ص ٣٠٣).

بالافتضاض، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ((الحمل له والولد ولده، وأرى عقوبته في الإنكار)) فصار عثمان إلى قضائه بذلك^(٦١).

ولو لا تدقيق الإمام في هذه القضية لكان قد حُكِمَ على المرأة بالزنى.

المثال الثاني: روي أن امرأة هوت غلاماً فدعته إلى نفسها فامتنع الغلام، فمضت وأخذت بيضة وألقت بياضها على ثوبها، ثم علقت بالغلام ورفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت: إن هذا الغلام كابرنى على نفسي وقد فضحني، ثم أخذت ثيابها فأرت بياض البيض وقالت: ماؤه على ثوبي، فجعل الغلام يبكي ويتبرأ مما ادعته ويحلف، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: من يغلي ماء حتى يشتد حرارته، ثم لتأتني به على حاله، فيجيء بالماء فقال: ألقوه على ثوب المرأة، فألقوه عليه، فاجتمع بياض البيض والتأم، فأمر بأخذه ودفعه إلى رجلين من أصحابه، فقال: تطعماه والفظاه، فطعماه فوجداه بيضا، فأمر بتخلية الغلام وجلد المرأة عقوبة على ادعائها الباطل^(٦٢). فلو لا تدقيق الإمام عليه السلام وتأنييه وأخذ الفرصة الكافية للتحقيق لكانت تهمة الزنى ثابتة على الغلام من خلال القرائن والظواهر.

٣. علنية جلسات المحاكمة:

وهي أساس في النظام القضائي المعاصر، وهي حق قضائي لصالح المتهم، سيما إذا كانت الدولة هي المدعى عليها، فالقاضي يستطيع أن يتلاعب بالأحكام كيفما يشاء، ولضمان قضاء عادل طالبت الدساتير بإجراء المحاكمات العلنية لكي تفوت الفرصة أمام الأغراض الخاصة لبعض القضاة. كما وأقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مبدأ علنية جلسات المحاكمة: كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانونياً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه^(٦٣). وكانت تجري المحاكمات في عهد الإسلامي بصورة علنية، وكان لأمر المؤمنين عليه السلام مكان خاص في مسجد الكوفة يجلس فيه للقضاء.

وعند تتبع سير القضاء في عهد أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنها كانت تجري بين الناس حتى يأخذ الآخرون العبرة منها.

وكان عليه السلام يعظ الناس وينصحهم أثناء المرافعة، وهذه الحكاية شاهد على ذلك: حدث في زمن الخليفة عمر أن غلاماً طلب مال أبيه من عمر، وذكر أن والده كوفي بالكوفة، والولد طفل بالمدينة، فصاح في وجهه الخليفة وطرده، فخرج يتظلم منه فلقبه عليه السلام قال: ((أتوني به إلى الجامع حتى اكشف أمره فجاءوا به، فسألوا عن حاله، فأخبره بخبره، فقال عليه السلام: لأحكمن فيكم بحكومة حكم الله بها من فوق سبع سماواته، لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعلمه))، ثم استدعى بعض أصحابه وقال: هات بحجر منه، ثم قال: سيروا بنا إلى قبر والد الصبي.. إلى آخر القصة^(٦٤).

٦١ _ المفيد، الإرشاد، ص: ١٠٢-١٠١، وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٥٠/١ _ ٥١.

٦٢ _ المفيد، الإرشاد، ص: ١٠٥، وابن شهر آشوب، المناقب: ٤٩٨/١.

٦٣ _ المفيد، الإرشاد، ص: ١٠٥، وابن شهر آشوب، المناقب: ٤٩٢-٤٩١/١.

٦٤ _ راجع: ابن شهر آشوب، المناقب: ٤٩١/١ _ ٤٩٢.

وإذا ما دققنا في حكاية المرأة التي زنت وطلبت من الإمام أن يطهرها، والرجل اللاطي الذي طلب من الإمام تطهيره، ليتبين لنا _ بما لا يدع مجالاً للشك _ أن هاتين الحكايتين وقعتا وسط الناس، وفي مكان عام، والطريف في الأمر أن بعض الفقهاء قالوا بکراهة إقامة القضاء في المسجد، لكن بعضهم الآخر استدل بعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) في عدم الكراهية. فيذكر المحقق الحلي أن من المكروهات: ((وأن يتخذ المسجد مجلساً للقضاء دائماً، ولا يكره لو اتفق نادراً، وقيل: لا يكره مطلقاً التفاتاً إلى ما عرف من قضاء علي (عليه السلام) بجامع الكوفة))^(٦٥). وقد ذكر الفقهاء في آداب القضاء استحباب حضور أهل العلم إلى مجلس القضاء لتصويب القاضي إذا أخطأ، فهؤلاء يشكّلون عيوناً على القاضي يحصون عليه أخطأه إذا أخطأ. وقد منع أمير المؤمنين (عليه السلام) إقامة القضاء في الأماكن الخاصة لأنها تكون بعيدة عن أعين الناس وسمعهم، فقد بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) أن شريحاً يقضي في بيته، فقال: ((يا شريح، اجلس في المسجد فإنه أعدل بين الناس، وإنه وهن بالقاضي أن يجلس في بيته))^(٦٦). لأن المحاكمة في البيت ستكون أشبه بالمحاكمة السرية، وسيكون بمقدور القاضي أن يحكم بما شاء، فتوجه إليه الاتهامات، وقد أورد الحر العاملي باباً في كتابه تحت عنوان: ((كان علي (عليه السلام) يقضي بين الناس في الأماكن العامة))^(٦٧).

٤. مبدأ حرية الدفاع:

وهو مبدأ قرّنه الدساتير الحديثة، ولم تعرف البشرية هذا الحق إلا عند أمير المؤمنين (عليه السلام). روي أن امرأة شهد عليها اليهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطؤها ليس ببعل لها، فأمر الخليفة عمر برجمها وكانت ذات بعل، فقالت: اللهم إنك تعلم أنني بريئة، فغضب الخليفة وقال: وتجرع اليهود أيضاً؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((ردوها واسألوها فلعل لها عذراً، فردت)) وسئلت عن حالها، فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء، ولم يكن في إبل أهلي لبن، وخرج معي خليطنا وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي، فأبيت، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الله أكبر)) ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة/١٧٣] فلما سمع ذلك الخليفة خلى سبيلها^(٦٨).

وهذه الحكاية تؤكد بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي استحدث هذا المبدأ؛ لأن العرف القضائي السائد هو اعتماد رأي الشهود مع وجود الدلائل، فالمؤشرات توحى بأن المرأة كانت قد زنت، وجاء الشهود ليشهدوا بذلك، وقد أخذ عمر بالعرف السائد في مثل هذه القضايا فحكم عليها بالرجم

٦٥ _ المحقق الحلي، شرائع الإسلام ١٩٥/٢.

٦٦ _ النوري، المستدرک، کتاب القضاء آداب القاضي، الباب ١١، الحديث ٣.

٦٧ _ الحر العاملي، الوسائل: ١١/١٥٧.

٦٨ _ المفيد، الإرشاد، ص ٩٩.

ورفض أن يسمع طعنها في الشهود، لكن مع تطبيق مبدأ حرية المتهم في الدفاع عن نفسه تغير كل شيء؛ حيث ثبت من دفاع المرأة أنها كانت مجبرة، ولا حد على المضطر.

القسم الثاني: الاعتراض على قرار القاضي.

وهو حق لم نر له وجوداً إلا في عهد الإسلام؛ حيث أعطى للفرد الحق في الاعتراض على قرار القاضي وإعطاء أدلة جديدة تثبت براءته أو إعطاء أدلة جديدة تثبت حقاً لصالحه، وقد منح أمير المؤمنين عليه السلام هذا الحق للشاب الذي اعترض على حكم شريح القاضي في تبرئة الرجال الذين شاركوا أباه في رحلة التجارة حيث قتل في الطريق، وكان الشاب على يقين أنهم هم الذين قتلوه، فاعترض على ذلك الحكم عند أمير المؤمنين عليه السلام الذي قام بتفريق الشهود ومساءلتهم، كل على انفراد، حتى اكتشف التناقض في أقوالهم، وبالتالي ثبت له صحة اعتراض الشاب على حكم شريح.

٥- الإقرار يجب أن يكون عن وعي بالقانون:

وهو حق انفرد به أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أن القانون الوضعي أهمل هذا الجانب^(٦٩)، فالذي يرتكب عملاً مخالفاً يعتبر مجرمًا حتى لو كان لا يعرف بمواد القانون، وحتى هذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تنباهى به الدول الكبرى في عالمنا اليوم، فإنه غفل عن هذا الحق الذي لا نجد في جميع الشرائع والقوانين أحداً أقره غير الإسلام؛ وبالأخص أمير المؤمنين عليه السلام، الذي نجد في سيرته العطرة مصاديق كثيرة تدل على احترامه لهذا الحق. فقد أتى برجل قد شرب الخمر، فقال له الخليفة أبي بكر: أشربت الخمر؟ فقال الرجل: نعم، فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال: إنني أسلمت ومنزلي بين ظهرائي قوم يشربون الخمر ويستحلونها، ولم أعلم أنها حرام فأجتنبتها، قال: فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة، وأبو الحسن لها، فقال أبو بكر: يا غلام ادع لنا علياً، فقال عمر: بل يؤتى الحكم في منزله، فأتوه ومعه سلمان الفارسي، فأخبره بقصة الرجل فاقتصص عليه قصته، فقال علي عليه السلام لأبي بكر: ((ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار فمن تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه، فإن لم يكن تلا عليه آية التحريم فلا شيء عليه)) ففعل أبو بكر ذلك بالرجل. قال علي عليه السلام: ((إنما أردت أن أجدد تأكيد هذه الآية في وفهم:)) ((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) [يونس/٣٥]^(٧٠).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسأل من يقرُّ على نفسه بذنوب، هل سمع آية التحريم في ذلك العمل الذي ارتكبه؛ فإذا أقر بذلك حكم عليه، وإلا ترك سبيله. فالرجل الذي أقر على نفسه بالزنى، فسأله أمير المؤمنين عليه السلام بعد إقراره: ((أتعرف شيئاً من القرآن؟)) فقال: نعم، قال: اقرأ، فقرأ فأصاب، فقال له: ((أتعرف ما يلزمك من حقوق الله تعالى في صلاتك وزكاتك؟))، فقال: نعم، ولم يكتف الإمام بهذا المقدار من الأسئلة عن مقدار المعلومات الدينية للمتهم، بل حاول أن يستطلع

٦٩ __ يذكر ناصر كاتوزيان: بعد انتشار القانون وحلول موعد تنفيذه لا حق لأحد عدم اطلاعه عليه.

٧٠ __ الكليني، الكافي: ٢٤٩/٧.

حالته الصحية والنفسية ذات الأثر في إمكانية الوعي لديه فسأله: ((هل بك من مرض معروف أو تجد وجعاً في رأسك أو شيئاً في بدنك أو غماً في صدرك؟))^(٧١).

٦- الإقرار بالذنب بعيداً عن الضغوط:

وهو حق يضمن حكماً عادلاً للأفراد، فالمقر بالذنب يجب أن يتمتع أثناء اعترافه بذنبه بكامل حرّيته، وأن لا يمارس بحقه أي ضغط من أنواع التعذيب أو التهريب أو التهيب (استخدام القاضي هيئته لانتزاع الأقوال). وقد ساند أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الحق الذي غفل عنه القضاء قبل الإسلام وبعده، وأماناً حشد من الصور الرائعة يمكن للقاضي أن يضعها نصب عينه، ويمكنها لوحدها أن تشكل معلماً من معالم القضاء عند أمير المؤمنين (عليه السلام).

أتي بامرأة حامل إلى الخليفة عمر في ولايته، فسألها فاعترفت بالفجور، فأمر بها أن تُرجم، فلقبها علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ((أمرت بها أن تُرجم؟)) فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور، فقال: ((هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟)) ثم قال له علي (عليه السلام): ((فلعلك انتهرتها أو أخفتها؟)) فقال: قد كان ذلك، قال: ((أو ما سمعت رسول الله يقول: لا حد على معترف بعد بلاء)) إنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له. فخلّى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب. لو لا علي لهلك عمر^(٧٢).

تبين لنا هذه الحادثة كم للضغط النفسي من أثر على إقرار المتهم، وكم لأسئلة القاضي من انعكاس على سير التحقيق وسير العدالة في القضاء. ونستخلص منها مبدأ قضائياً عمل به أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويجب أن يسن في التشريعات القضائية في البلاد الإسلامية والمبدأ هو: ((لاحد على معترف بعد بلاء))، وهو حديث سميحه أمير المؤمنين (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالإقرار الذي يأتي نتيجة للتعذيب النفسي أو البدني هو إقرار باطل، ولا يجوز الاعتماد عليه في إصدار الأحكام.

القسم الثالث: الحقوق التي يجب مراعاتها عند إصدار الحكم.

وهي اللحظة الحرجة التي رعاها الإسلام أحسن رعاية، وأعطى لأطراف الخصومة الفرصة الكافية لكي تأتي قرارات القاضي قرارات عادلة، وتنقسم هذه الحقوق إلى:

١- تفسير الأدلة لصالح صاحب الحق:

فالأدلة التي يحصل عليها القاضي من إقرار أو شهادة أو ماشابه ذلك تمتاز بالمرونة، فيمكن أن تُفسر تفسيرات مختلفة، ولما كان هم القاضي هو احقاق الحق، فإذا تعين لديه صاحب الحق فيجب أن يوجه مرونة الأدلة لصالح صاحب الحق.

روي أن رجلاً أوصى، ودفع إلى الوصي عشرة آلاف درهم، وقال: إذا أدرك ابني فأعطه ما أحببت منها، فلما أدرك استعدى أمير المؤمنين، قال له: ((كم تحب أن تعطيه؟)) قال: ألف درهم. قال: ((أعطه تسعة آلاف درهم، وهي التي أحببت وخذ الألف)).

٧١ _ التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ٢٥.

٧٢ _ الأربلي، كشف الغمة، ص ٣٣.

وروا أن رجلاً حضرته الوفاة، فوصى بجزء من ماله ولم يعينه، فاختلف الوراث في ذلك بعده، وترافعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقضى عليهم بإخراج السبع من ماله، وتلا قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةٌ أَبْوَابٌ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمُ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) [الحجر/٤٤]، فقد فسر الجزء بالسبع.

وقضى عليه السلام في رجل وصى فقال: اعتقوا عني كل عبد قديم في ملكي، فلما مات لم يعرف الوصي ما يصنع، فسأله عن ذلك فقال: ((يعتق عنه كل عبد ملكه ستة أشهر))، وتلا قوله جل اسمه: (وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) [الأحقاف/١٥] ثم قال: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [البقرة/٢٣٣]، فحولان مدة الرضاع وستة أشهر مدة الحمل، فقال عثمان: ردوها، ثم قال: ما عند عثمان بعد أن بعث إليها ترد.

وقضى في رجل ضرب امرأة فألقت علقه أن عليه ديتة أربعين ديناراً، وتلا قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون/١٤]. ثم قال: ((في النطفة عشرون ديناراً، وفي العلقه أربعون ديناراً، وفي المضغة ستون ديناراً))^(٧٣).

فيجب أن يكون رأي القاضي مدعماً بالدليل الشرعي، وأن يكون الدليل حاضراً حتى يستطيع الإجابة عنه متى ما سئل. طبعاً لم يحصل ولا مرة أن سئل أمير المؤمنين عن الدليل؛ لأن المسلمين كافة يعتقدون به اعتقاداً جازماً، وأنه لا يحكم اعتباطاً، لكن من كان يريد السؤال كانت الإجابة حاضرة عنده. بل نجده كان يقدم الدليل مع الحكم عندما يلاحظ الإمام علامة السؤال كانت الإجابة حاضرة عنده. بل نجده كان يقدم الدليل مع الحكم عندما يلاحظ الإمام علامة السؤال وقد ارتسمت في محيا المدعي أو المدعى عليه.

القسم الرابع: الحقوق الممنوحة لمن يُقام عليه الحد:

١- مراعاة وضع الجاني وحاله أثناء إقامة الحد:

فهناك نظرة إنسانية إلى من يراد إقامة الحد عليه، فيجب أن يكون في حالة سليمة طبيعية، وإلا لا يُقام عليه الحد.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ليس على المستحاضة حد حتى تطهر، ولا على الحائض حتى تطهر، ولا على الحامل حتى تضع))^(٧٤).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسأل من يراد إقامة الحد عليه عن حالته وأوضاعه، سأل مرة رجلاً زنى وأراد إقامة الحد عليه؛ وهو الرجم، سأله أمير المؤمنين عليه السلام: ((هل بك من مرض معروف أو تجد وجعاً في رأسك أو شيئاً في بدنك أو غماً في صدرك))^(٧٥)؛ لأنه يكفي للجاني أن يتحمل أذى الحد

٧٣ _ المفيد، الإرشاد، ص ١٠٧.

٧٤ _ التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ٥.

٧٥ _ المصدر نفسه، ص ٢٥.

الذي يُجرى عليه، فإذا كانت صحته غير سليمة فإن التبعات تتضاعف، ولما كان الإسلام دين الرحمة فلا يريد أن يضيف علي من يراد إقامة الحد عليه ألماً أكثر مما يتركه عليه الحد.

٢. العفو عن تاب عن جرمه قبل أن تقام عليه البيعة:

لأن الإقرار قبل البيعة فضيلة، ولأنه يشكل دليلاً قاطعاً على الندم والتوبة، فقد كان باستطاعته أن يتجنب الحد بعدم إقراره، لكنه يقر لإقامة الحد عليه، وهذا حق يرتبط بقرار الإمام، فهو الذي يعفو ويصفح إذا وجد في ذلك مصلحة عامة في الإعفاء لإشاعة الصفات الحسنة في الناس، مثلما فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقاتل الحقيقي الذي جاء ليعترف بأنه قتل ويده السكين، والذي لم يربداً سوى الاعتراف على نفسه ولو كذباً، لكن الله كشف الحقيقة عندما قذف في نفس القاتل الأصلي الرحمة والشفقة فجاء ليقر أمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بذنبه ولينفذ القصاص من المحنة، وفي النهاية جاءت النتيجة سليمة للغاية حيث عفي عن القاتل الحقيقي بسبب توبته^(٧٦).

والحادثة الثانية التي عفا الإمام (عليه السلام) عن مرتكبها حادثة الرجل اللاطي الذي جاء إلى الإمام مقراً بذنبه، تائباً إلى الله، طالباً من أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يقيم عليه أشد الحدود؛ وهو الحرق، ثم قام وهو بالك حتى جلس في الحفرة التي حفرها له أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يرى النار تتأجج حوله، فبكى أمير المؤمنين وبكى أصحابه جميعاً، فقال له أمير المؤمنين: ((قم يا هذا، أبكيت ملائكة السماء وملائكة الأرض، وإن الله قد تاب عليك، فقم ولا تعاودن شيئاً مما قد فعلت))^(٧٧).

فأمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن خلال هذا الموقف، يريد أن يشيع فضيلة الإقرار بالذنب والتوبة النصوح في المجتمع، فهو أفضل من إقامة الحد - كما جاء في إحدى كلماته (عليه السلام) - كما مر سلفاً. وهناك حكاية لها مغزى كبير هي: ((جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فأقر بالسرقة، فقال له: ((أتقرأ شيئاً من القرآن؟)) قال: نعم، سورة البقرة، قال: ((وقد وهبت يدك لسورة البقرة))، فقال الأشعث: أتعطّل جداً من حدود الله؟ قال: ((وما يدريك ما هذا إذا قامت البيعة فليس للإمام أن يعفو، وإذا أقر الرجل على نفسه فذاك إلى الإمام؛ إن شاء عفا وإن شاء قطع))^(٧٨). واستدل الفقهاء من هذه المواقف الإنسانية لأمير المؤمنين (عليه السلام) ((إن للإمام أن يعفو عن الحد إذا أقر الجاني لا إذا قامت عليه البيعة))^(٧٩).

٣. العناية بمن أقيم عليه الحد:

وتتجلى إنسانية النظام القضائي الإسلامي - أيضاً - في عنايته بمن أقيم عليه الحد، وتظهر صورة بارزة عن هذه الإنسانية في تعامل أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الذين أقام عليهم الحد، وفي ما يأتي بعض الصور المشرفة والمواقف الإنسانية للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

أتي بسراق فقطع أيديهم، ثم قال: ((يا قنبر، ضمهم إليك فداو كلومهم وأحسن القيام عليهم، فإذا برئوا فأعلمني)) فلما برئوا أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، القوم الذين أقمتم عليهم الحدود قد

٧٦ _ انظر: الكليني، الكافي: ٢٨٩/٧ - ٢٩٠.

٧٧ _ التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ٢٩.

٧٨ _ المصدر نفسه، ص ٣٠.

٧٩ _ المصدر نفسه، ص ٢٩.

برئت جراحاتهم، قال: ((إذهب فأكس كل واحد ثوبين وآتيني بهم))، فكساهم ثوبين ثوبين، وأتى بهم في أحسن هيئة مشتملين كأنهم قوم محرمون، فمثلوا بين يديه قبلاً، فأقبل على الأرض ينكتها بإصبعه ملياً، ثم رفع رأسه إليهم، فقال: ((اكتشفوا أيديكم))، ثم قال: ((ارفعوا إلى السماء فقولوا: اللهم إن علينا قطعنا))، ففعلوا، فقال: ((اللهم على كتابك وسنة نبيك))، ثم قال: ((يا هؤلاء، إن تبتم سلمت أيديكم وإن لا تتوبوا ألحقتم بها، يا قنبر خل سبيلهم، واعط كل واحد منهم ما يكفيه إلى بلده))^(٨٠).

أُتي أمير المؤمنين عليه السلام بقوم لصوص قد سرقوا فقطع أيديهم من نصف الكف وترك الإبهام لم يقطعها، وأمرهم أن يدخلوا إلى دار الضيافة، وأمر بأيديهم أن تعالج، فأطعمهم السمن والعسل واللحم، حتى برئوا فدعاهم، فقال: ((إن أيديكم سبقتكم إلى النار، فإن تبتم وعلم الله منكم صدق النية تاب عليكم وجرتم أيديكم إلى الجنة، فإن لم تتوبوا ولم تفعلوا عما أنتم عليه جرتكم أيديكم إلى النار))^(٨١).

وهذه الحادثة قد تكون رواية عن الحادثة التي سبقتها، على أي حال، يمكننا أن نستنتج منها ومن غيرها من الحوادث، التي هي من هذا القبيل، أن الهدف من إقامة الحد ليس الانتقام، بل هو التنبيه لغرض الإصلاح، وبعد أن يعيش المذنب لحظات الألم يتذوق بعدها حلاوة الرحمة الإسلامية وهي تمد يد الشفقة حتى للمجرم الذي يحكم عليه بالموت، بل حتى للذي ارتكب أعظم جريمة في التاريخ وهي قتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فماذا فعل الإمام بقاتله الذي ضربه على رأسه وهو يؤم المسلمين في صلاة الصبح؟

تقول الرواية: لما ضرب علي عليه السلام تلك الضربة قال: ((فما فعل ضاربي أطعموه من طعامي وأسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ضربة ولا تزيدوه عليها))^(٨٢). وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أوصى أولاده وأقرباءه: ((يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))^(٨٣).

وهذه أروع صورة في عدالة القضاء الإسلامي، ونحن لا نجد لهذه الصورة مثيلاً، وقد افتخر المسلمون على مر التاريخ بهذه المواقف وقد أشاد بها حتى غير المسلمين، وأصبحت معلماً من معالم الحكم الإسلامي يذكرها كل من كتب في النظام السياسي الإسلامي.

٨٠ _ الحر العاملي، الوسائل، الباب ٣٠: حد السرقة، الحديث ٣.

٨١ _ المصدر نفسه، الحديث ٤.

٨٢ _ كشف الغمة، ص ٥٧.

٨٣ _ المصدر نفسه، صفحة ٥٧٨.

المبحث الثاني الحريات:

أول دستور تضمن فكرة الحريات هو دستور الولايات المتحدة الذي وُضع أواخر القرن الثامن عشر، وبعده بعقود أقر الدستور الفرنسي ذلك لكن قبل ذلك باثني عشر قرناً كان الإسلام قد أقر وعلى لسان قرآنه الكريم ونبه المرسل وخلفائه الصالحين، هذا المبدأ، وجعله قاعدة وركيزة من ركائز الحياة السياسية والاقتصادية.

والحرية التي جاء بها الإسلام تُعين المسؤولية بخلاف الحرية الغربية التي أطلقت العنان للإنسان لينفلت من كل القيود.

المطلب الأول: مفهوم الحرية:

هناك تعريفات عديدة للحرية أفضلها ما ورد في الموسوعة الاجتماعية: ((الاستخدام العام لمصطلح الحرية يشير إلى التحرر من القيود التي يفرضها شخص معين على شخص آخر، ينطوي هذا المصطلح على الكثير من التعريفات بعضها يساير المعنى الشائع للحرية، أما البعض الآخر فإنه يميل إلى القول بأن الحرية في الواقع تتوقف على وجود الظروف أو الفرص الضرورية التي تسمح بالتطور ونمو قدرات المرء... وقد أخذ فلاسفة النازية والفاشية هذه الفكرة لتدعيم حكم هتلر وموسوليني، ويعد كل من هوبز (Hobbes) وهل (Hill) من بين الذين تناولوا مفهوم الحرية بمعناه الشائع، فالإنسان الحر في رأي هوبز هو الذي يستطيع أن يفعل ما يريد بإرادته وقدراته، ويؤكد البعض من ناحية أخرى أن الحرية تشير إلى أسلوب محددة في الحياة يمثل في القيام بالأفعال التي تتطابق مع القانون الأخلاقي أو المنطق، وقد ذهب كارليل (Cairlale) في هذا الصدد إلى أن الإنسان الحر هو الذي يستطيع أن يكتشف الطريق الصحيح وأن يسير عليه، والحرية الأخلاقية عن جريم (Green) هي تحديد الإرادة بواسطة العقل، أما هيجل على تحقيق الحرية طالما أن الفرد يجد ذاته من خلال خدمة الدولة^(٨٤)، وعرفها مونتسكيو بأنها: حق صنع جميع ما تبيحه القوانين، فإذا استطاع أحد أن يصنع ما تحرمه القوانين فقد الحرية (سلبها)، وذلك لإمكان قيام الآخرين بمثل ما صنع^(٨٥).

هذه هي الحرية في الفكر الغربي، أما في الفكر الإسلامي: يقول الراغب الأصفهاني: ((والحر خلاف العبد... والحرية ضربان، الأول: من لم يجبر عليه حكم الشيء؛ نحو (الحر بالحر)، والثاني: من لم تملكه الصفات الذميمة من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية، وإلى العبودية التي تضاد ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: ((تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار))^(٨٦).

واستخلص الشيخ السبحاني من الأحاديث والروايات هذا المعنى للحرية: ((الحرية تعني أن يكون الجو الاجتماعي بنحو يستطيع كل فرد من أفراد المجتمع من إخراج مواهبه وقابلياته إلى منصة

٨٤ _ غيث، قاموس علم الاجتماع، ص ١٩٤.

٨٥ _ مونتسكيو، روح القوانين، ٢٢٦/١.

٨٦ _ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ١١١.

الظهور دون أن يمنعه مانع، أو يحجزه حاجز يقف دون ظهور المواهب ويمنع من نمو الاستعدادات)). ثم يضيف:

((وقد جاء الأنبياء والمرسلون لمثل هذه المهمة الكبرى، فهم جاءوا ليرفعوا جميع الموانع والحواجز من بين أيدي البشرية، ويخلقوا بيئة حرة لا مكان فيها للسدود والقيود حتى يستطيع كل فرد أن يصل إلى كماله المنشود وينمي مواهبه)).^(٨٧)

مفهوم الحرية عند أمير المؤمنين عليه السلام:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((الجاهل عبد شهوته)).^(٨٨)

وقال أيضاً: ((لا يسترقتك الطمع وقد جعلك الله حراً)).^(٨٩)

فأول خطوة على طريق الحرية هي الخروج من رتبة الشهوات والأهواء والطمع، وبعدها تأتي الخطوة الثانية.

ثانياً: الخروج من سلطة الاستبداد الخارجي:

سواء كان من نوع السلطة السياسية أو النفوذ الاقتصادي أو العادات الاجتماعية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((الحرية منزّهة من الغل والمكر)).^(٩٠)

ويقول لولده الحسن: ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)).^(٩١)

والمقصود به هو العبودية للأشخاص؛ لمقامهم السياسي أو قدرتهم الاقتصادية. ويضع أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة رسخها الزمن؛ وهي: ((الناس كلهم أحرار)).^(٩٢)، وقد أعلن الإمام هذه القاعدة قبل أن تعلن الأمم المتحدة في ميثاقها المشهور، الذي نص في مادة الأولى على ما يأتي: ((يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء)).^(٩٣)

المطلب الثالث: أنواع الحريات:

نستخلص من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنواعاً معينة من الحريات، التي ثبت وجودها وحرص عليها، وهذه الحريات هي:

- ١- حرية ابداء الرأي.
- ٢- الحرية الشخصية.
- ٣- الحرية السياسية (المعارضة).

٨٧ _ السبحاني (جعفر)، مفاهيم القرآن [معالم الحكومة الإسلامية]، ص ٤٤٧.

٨٨ _ المصدر نفسه ١/ ١٢٣.

٨٩ _ المصدر نفسه: ٦/ ٩٨.

٩٠ _ الأمدي، الغرر: ١/ ٣٨٥.

٩١ _ باب الوصايا، رقم ٣١.

٩٢ _ الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٣/ ٢٣٤.

٩٣ _ المواثيق الدولية، ص ١٨.

أولاً: حرية الرأي:

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير^(٩٤). فإذا كانت الحضارة المعاصرة تفتخر بسنها لهذا المبدأ الذي لا يعتبر أكثر من توصية، فإن الإنسانية فخورة بسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي وضع المبدأ موضع التنفيذ العملي في فترة حكمه العادل.

قال أبو زهرة شيخ الأزهر، بشيء من الزهو، ((وكذلك كان الأمر بالنسبة لعليّ - كرم الله وجهه - فقد كان يصدع بالكلمة النابية، فلا يجد في ذلك ما يوجب عقاباً، ولقد كان يكون على المنبر فيقاطعه مخالفوه يرمونه بالكفر فلا يفكر في عقابهم، وإنه ليذكر أنهم رموه بالكفر قاتلين له: لا حكم إلا لله، فيقول لهم هادئاً مطمئناً: ((كلمة حق يراد بها باطل))، نعم نه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمنين، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ فيها الأجل، ويبلغ فيها الفتى، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به الضعيف من القوي، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

ثم يستنتج من جملة حوادث كان ذكرها: ((وبهذا نرى أن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ما عاقب على إبداء الرأي ما دام الرأي ليس كفراً^(٩٥).

ووصلت الحرية في عهد الإمام (عليه السلام) إلى أوجها؛ حيث ظهرت في عهده المعارضة السياسية والعقيدة، ومن أبرزها - بالطبع - حركة الخوارج.

لنتمعن في هذا الحوار الذي دار بينه وبين قادة الخوارج لنستنتج كيف نمت هذه الحركة.

ذكر الطبري: ((لما أراد علي أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج، زُرعة بن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي، فقالا: لا حكم إلا لله، فقال علي: ((لا حكم إلا لله)). وقال حر قوص بن زهير: تب من خطيئتك وارجع من قضيتك وأخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال علي: ((قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهداً))، وقد قال الله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) [النحل/٩١].

فقال حر قوص: ذلك ذنبٌ ينبغي أن تتوب عنه، فقال علي: ((ما هو ذنب، ولكنه عجز عن الرأي، وقد نهيتكم))، فقال زُرعة: يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك، أطلب وجه الله تعالى، فقال علي: ((بؤساً لك، ما أشقاك، كأني بك قتيلاً تسفى عليك الرياح))، قال: وودت كان ذلك، فخرجا من عنده يحكمان^(٩٦).

ووقف يزيد بن عاصم المجازي أمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليقول: يا علي، أبا القتل تخوفنا؟ أما والله إنني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلم أننا أولى بها صلياً^(٩٧). وقد جئنا على

٩٤ — الموائيق الدولية، المادة ١٩، ص ٢٣.

٩٥ — أبو زهرة، الجريمة، ص ١٥١.

٩٦ — الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٧٢/٥، والكامل لابن الأثير: ٣٣٤/٣.

٩٧ — ابن الأثير، الكامل: ٣٣٥/٣.

ذكر كلام يزيد لندلل من خلاله على مدى ما بلغه عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الحرية السياسية، وإلى أي حد بلغ تمادي بعضهم في استغلال تلك الحرية الممنوحة في عهده عليه السلام.

ثانياً: الحريات الشخصية:

وهي أن يصبح بمقدور الفرد أن يتصرف في شؤون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته آمناً من الاعتداء على نفسه أو عرضه أو ماله أو داره، وهي تشمل حرية التنقل واختيار محل الإقامة، وحرية الزواج عند بلوغه سن الرشد، وحرية التملك، وما إلى ذلك من الحريات.

وقد ورد في الإعلان العالمي لحق ١٩٥/٢ وق الإنسان بعض من هذه الحريات في المواد (١٣-١٧)، وهي حريات مضمونة في الدستور الإسلامي، فقد ورد في القرآن الكريم تأكيد على هذه الحريات، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْشُرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة/١٠].

ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/٩٧].

من هنا، فلا يحق لأحد أن يمنع إنساناً من التنقل من مكان إلى آخر.

وقد ضرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أروع الأمثلة في توفير الحريات الشخصية، فقد جاءه طلحة والزبير واستأذنا منه الذهاب إلى مكة، فأذن لهما، وهو يعلم أنهما قد نوبا شراً، لنستمع إلى هذا الحوار بينه وبين ابن عباس.

قال ابن عباس: رأيت طلحة والزبير.

قال أمير المؤمنين: ((إنهما استأذنا في العمرة فأذنت لهما بعد أوثقت منهما بالآيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً)).

ثم أطرق الإمام برأسه، بعد هنيئة واصل قائلاً: ((إنني لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنني بهما قد سار إلي مكة ليسعيا إلى حربي)).

فقال ابن عباس بأدب بالغ، كاظماً غيظه في قلبه: إن كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً فلم أذنت لهما؟ هلاً حبستهما وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المؤمنين شرهما! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((يا ابن عباس، أتامرني بالظلم، أبدأ بالسيئة قبل الحسنة؟ وأعاقب على الظنة والتهمة؟ وأؤاخذ بالفعل قبل كونه، كلا! والله لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم والعدل، ولا ابتدئ بالفصل)) (٩٨).

وبهذا الموقف الخالد الذي دفع الإمام ضريبة غالياً فيما بعد، أرسى أمير المؤمنين مبدأ حرية التنقل حتى لمن يشتم منهم رائحة الفتنة، عملاً بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، تقول المادة الثالثة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة (٩٩).

٩٨ _ الموسوي، دولة الإمام علي، ص ٢٤٩.

٩٩ _ المواثيق الدولية، ص ٢٩.

فالحرية الشخصية مُصانة إلا إذا اعترضت حقوق الآخرين وحرّياتهم، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((وإذا دخلت دار قوم يأذنبهم فعقر كلبهم فهم ضامنون، وإذا دخلت بغير إذن فلا ضمان عليهم))^(١٠٠)، لأنهم أحرار في بيوتهم يستطيعون أن يتصرفوا فيها كما يحلو لهم، فإذا ورد عليهم ضيف كان عليهم أن يرفعوا عن طريقه الموانع، فإذا عقر كلبهم الضيف فهم ضامنون، أما إذا دخل شخص إلى بيتهم بلا إذن منهم فهو قد تجاوز حدوده واعتدى على حرّيتهم، فإذا عقره كلبهم فلا ضمان عليهم لأنه متجاوز.

وروي أيضاً أن رجلاً قال لرجل عليّ عهد أمير المؤمنين (عليه السلام): إني احتلمتُ بأمك، فرفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: إن هذا افتري عليّ، فقال: ((وما قال لك؟)) قال: زعم أنه احتلم بأمي، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) في العدل: ((إن شئت أقمته لك في الشمس فأجلد ظله، فإن الحلم مثل الظل، ولكننا سنضربه حتى لا يعود ويؤذي المسلمين))^(١٠١).

فمن حق الفرد أن يقول ما يشاء إلا المساس بالآخرين، فحرّيته تنتهي عندما تبدأ حرّيتهم. فهذا الرجل استغلّ حرّيته فتناول بالكلام على شخص آخر مسبباً له الأذى، فشكا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقام الإمام بتأديبه حتى لا يعود إلى تكرار هذا العمل الذي فيه تناول على حقوق الآخرين، فالحرّيات تبدأ في اللحظة التي يقرر فيها الإنسان استخدام إرادته في ما يراه مناسباً، وتنتهي عندما تتعارض حرّيته وحقوق الآخرين.

ثالثاً: الحرّيات السياسية:

وهي الحرّيات التي تكفل للأفراد اتخاذ المواقف السياسية، والقيام بالعمل السياسي ضمن مجموعات متعاقدة على شكل أحزاب وجمعيات.

وقد أباح الإسلام هذه الحرّيات، بل أكد على مشروعيتها، بل وضرورتها أيضاً، عندما صدع قائلاً: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وقد استنبط العلماء من الآية هذه الأفكار:

- ١- تقرير الآية ضرورة قيام جماعة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - ٢- ولهذه الجماعة قدرة تنفيذية بدليل أنها تأمر وتنهى، ولا يمكن أن يكون هناك أمر ونهي من دون وجود القوة.
 - ٣- إن هذه الجماعة تنبثق من القاعدة العريضة للأمة، واستناداً لهذه الآية، فقد أجاز العلماء تكوين الجمعيات والأحزاب لمراقبة الدولة.
- ومهمة هذه الجماعات المنبثقة من الأمة هي تقديم النصّح للدولة ومواجهة الانحرافات التي ترتكبها السلطات بأساليب تؤدي إلى التقليل منها أو إزالتها.

١٠٠ _ الشيخ الطوسي، التهذيب: ٢٢٨/١٠، رواية رقم ٣١.

١٠١ _ التستري، قضاء أمير المؤمنين، ص ٣٦.

هذا في حالة وجود حُكم جائر، وعندما يكون الحاكم عادلاً فإن مسؤولية هذه الجماعة هي النصّح، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((إنما الدين النصيحة))، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتبه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))^(١٠٢).

والنصح هنا بمعنى إخلاص العمل، وإخلاص الطاعة للحاكم الإسلامي المشروع، وتأسيساً للأهداف الحكم الإسلامي في بناء المجتمع على استخدام الإرادة، وليرفع من مستوى الوعي السياسي للمجتمع الإسلامي، هذا الوعي الذي لا يتحقق إلا بوجود الحريات السياسية. وبالرغم من عدم وجود الحاجة إلى هذا النمط من الحريات في ظل الحكم العادل إلا أننا وجدنا أمير المؤمنين عليه السلام يعمل على تثبيت هذه الحريات في المجتمع الإسلامي، وهو بهذا العمل يحصن المجتمع الإسلامي من خطر الحكومات المنحرفة والظالمة. ونستطيع أن نصنف الحريات السياسية الممنوحة في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى قسمين:

الأول: حرية اتخاذ الموقف السياسي: وكان أول موقف سياسي اتّخذه بعضهم هو الامتناع عن مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد أتوا بسعد بن أبي وقاص، فقال له الإمام: ((بايع))، قال: حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس، فأراد الصحابة أن يرغموه على البيعة، فنادى فيهم الإمام.. ((خلّوا سبيله)).

وجاءوا بعبدالله بن عمر، فقالوا: بايع، فقال: لا، حتى يبايع الناس، فقال عليه السلام: ((إئتني بكفيل))، قال: لا أرى كفياً، فقال الأشر: دعني أضرب عنقه، فقال الإمام: ((دعوه، أنا كفيله)).

وكان أمير المؤمنين يقول عن بيعة طلحة والزبير: ((بايعني فيمن بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما))^(١٠٣).

فرفض المبايعة هو موقف سياسي واضح المعالم والأهداف، وهو يعني رفض الحاكم والسلطة الحاكمة.

أمّا في مجال العمل السياسي، فقد سمح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للتجمّعات مع تيقّنه أنّها تجمّعات منحرفة بالعمل السياسي؛ لأنه على يقين أيضاً بأن الحرية على أضرارها المؤقتة هي أنفع من الاستبداد؛ لأنها ستفتح في النهاية طريق الهداية أمام المستفيدين منها.

الحرية السياسية مشروعة طالما لم تصل إلى درجة حمل السلاح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج الذين خرجوا عليه: ((لكم علينا ثلاث: لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا تمنعكم الفياء ما دامت أيديكم معنا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلوننا))^(١٠٤).

فهنا يمد الإمام يده إلى جناح المعارضة فيمنحهم الحرية الكافية في العمل، والحضور إلى الأماكن العامة، ولهم الحق أيضاً في الفياء حال بقية المسلمين، لكن إذا حملوا السلاح وقاتلوا المسلمين تسقط جميع حقوقهم. وهذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام مع تجمع الخوارج، فقد قاتلهم عندما

١٠٢ _ سنن النسائي: ١٥٦/٧.

١٠٣ _ النّقّفي، الغارات، ص ٢٥.

١٠٤ _ أبوزهرة، الجريمة، ص ١٦٣.

سفكوا الدماء المحرمة استباحوا الحرمات. هذا هو موقف الإمام من المعارضة، فهو لم يقاتلهم إلا بعد أن نفذوا أهدافهم ولم يقاتلهم لمجرد معارضتهم له، ولم يعاقبهم لأنهم نوا مقاتلته، كما تفعل الحكومات اليوم حيث تلقي بالسجن وتعذب كل من تشك بأنه نوى معارضة الدولة. ولتوضيح هذا الموقف الثابت عند أمير المؤمنين (عليه السلام) نأتي على ذكر هذه الحادثة، والتي ذكرها شيخ الأزهر أبو زهرة في كتابه ((الجرمة)).

عن الحضرمي أنه قال: ((دخلت مسجد الكوفة من قبل أبواب كندة، فإذا نفر خمسة يشتمون علياً رضي الله عنه وفيه رجل عليه برنس يقول: أعاهد الله لأقتلنه، فتعلقت به وتفرقت أصحابه عنه، فأتيت به علياً رضي الله عنه فقلت: إني سمعت هذا يعاهد الله ليقتلنك، فقال له: ادن ويحك! من أنت؟ فقال: أنا سوار المنقري، فقال علي رضي الله عنه: ((خل عنه))، فقلت: أخلي عنه وقد عاهد الله ليقتلنك؟ قال علي: ((أفأقتله ولم يقتلني))، قلت فإنه قد شتمك، قال: ((فاشتمه إن شئت أو أدعه))^(١٠٥).

حري أن تكتب هذه القصة بماء الذهب وتعلق في قصور الملوك والرؤساء؛ لكي تكون درساً لهم، فيتعلموا من أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يجب أن يتعامل الحاكم مع معارضيه.

المصادر والمراجع:

١. الأمدي (عبد الواحد التميمي)؛ غرر الحكم ودرر الكلم؛ فهرسة مصطفى درايتي، مكتب الاعلام الإسلامي، قم ابن أبي الحديد.
٢. ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة؛ دار احياء التراث العربي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع القاهرة.
٣. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن بن علي)؛ الكامل في التاريخ؛ دار صادر، بيروت.
٤. ابن شهر آشوب (رشيد السروي)؛ مناقب آل أبي طالب، طهران.
٥. ابن عبد ربه؛ العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣م.
٦. الاربلي (علي بن عيسر) (٦٨٧)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، نشر أدب الحوزة، قم، ١٣٤٦هـ.
٧. الأنصاري (الشيخ مرتضى)؛ القضاء والشهادات المكتبة، الفقهية، ط ١، قم، ١٤١٠.
٨. التستري (محمد تقي)، قضاء أمير المؤمنين، منشورات الشريف الرضي ط ٥، قم.
٩. الثقفى (أبو هلال إبراهيم)، الغارات، دار الكتاب الإسلامي، ط ١، قم ١٩٩٠م.
١٠. الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق عبد الرحيم المراباني، دار احياء التراث العربي، بيروت.
١١. الحلي (المحقق) أبو القاسم نجم الدين، جعفر بن الحسن (٦٧٦)، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، انتشارات الاستقلال، طهران.

١٠٥ — أبو زهرة، الجرمة، ص ١٦٢.

١٢. الراغب الأصفهاني (٥٢٠)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق محمد سيد كلاني، ط ٢، المكتبة المرتضوية.
١٣. الراوندي (هبة الدين سعيد بن عبد الله) (٥٧٣)، فقه القرآن، سلسلة الينايع الفقهية، ط، طهران ١٤٠٦.
١٤. زيدان (عبد الكريم)، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤.
١٥. الصهرشتي (نظام الدين سليمان بن الحسن) اصباح الشيعة بمصباح الشريعة، سلسلة الينايع الفقهية، طهران ١٤٠٦.
١٦. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت.
١٧. الطحاوي (سليمان محمد)، السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي، دار الفكر العربي، ١٩٦٧.
١٨. الطوسي: شيخ الطائفة (أبو جعفر محمد بن الحسن) (٤٦٠ هـ) تهذيب الأحكام في شرح المقدمة، دار الكتب الإسلامية، طهران.
١٩. فقاھتي (ميرزا عبد الرحيم الزنجاني)، كتاب القضاء، مكتبة المرتضوي، طهران.
٢٠. القرشي (باقر شريف)، العمل وحقوق العامل في الإسلام، دار التعارف، مصر، ١٩٦٦.
٢١. الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب)، الكافي (الروضة) المكتبة الإسلامية، قم.
٢٢. المجلسي (محمد باقر)، بحار الأنوار الجامع لدرر الأخبار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
٢٣. المفيد (محمد بن النعمان ٤١٣ هـ)، الارشاد، دار التيار الجديد، دار المرتضى، لبنان.
٢٤. الموسوي (محسن)، دولة الإمام علي، دار البيان العربي، ط ١، ١٩٩٣.
٢٥. النسائي، (أحمد بن شعيب)، سنن النسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. النوري، مستدرک وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لحياء التراث، بيروت.

أثر التخطيط الاستراتيجي في رضا الزبون وفق فلسفة إدارة الجودة الشاملة

**دراسة ميدانية في الشركة العامة للصناعات
الكيمياوية**

أ.د عباس حسين جواد
م.م. سحر عباس حسين

أثر التخطيط الاستراتيجي في رضا الزبون وفق فلسفة إدارة الجودة الشاملة

دراسة ميدانية في الشركة العامة للصناعات الكيماوية

أ.د. عباس حسين جواد

م.م. سحر عباس حسين

المقدمة

إن التغير المستمر في أذواق الزبائن ورغباتهم وتزايد درجة تعقيد البيئة المحيطة بالمنظمة وتعاضم درجة المنافسة فضلا عن اتساع الأسواق وتباين خصائصها اضطرت المنظمات إلى إعادة التفكير بالمفاهيم الإدارية التي تتبناها ومنها مفهوم التخطيط الاستراتيجي و رضا الزبون سعيًا منها لدعم ميزتها التنافسية التي تؤهلها للتميز على منافسيها المحليين او الاقليميين او الدوليين .

وقد تناولت الدراسة الحالية تحليل العلاقة والتأثير بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون في شركة صناعية ، وانطلقت الدراسة من مشكلة بحثية تمثلت بضعف وعي المنظمات العراقية بأهمية التخطيط الاستراتيجي و عدم تبنيها مفهوم التخطيط الاستراتيجي وتطبيقه على كل المستويات في المنظمة مما يحد من قدرتها على إشباع رغبات الزبائن .وقد سعت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها: التعرف على واقع التخطيط الاستراتيجي في الشركة المبحوثة .والتعرف على مدى رضا زبائن الشركة .

وبهدف تحقيق ذلك تبنت الدراسة أ نموذجاً فرضياً يعبر عن العلاقات المنطقية بين متغيرات الدراسة . اذ عد التخطيط الاستراتيجي متغيراً مستقلاً يؤثر في رضا الزبون بوصفه متغيراً معتمداً ، وبغية الكشف عن طبيعة العلاقات المتمثلة في أ نموذج الدراسة اتجهت الدراسة الحالية الى طرح مجموعة من الفروض بوصفها إجابات أولية تسعى الدراسة الى التحقق من صحتها ، وفي هذا السياق تم طرح فرضيتين رئيسيتين كانتا على النحو الآتي : عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون .و عدم وجود علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون

ولغرض تطبيق هذه الدراسة ميدانيا واختبار فروضها تم اختيار شركة الفرات كونها واحدة من كبريات الشركات العامة و توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: التخطيط الاستراتيجي

اولا :- المفهوم والأهمية

كلمة الاستراتيجية تنحدر من أصل الكلمة (Strategos) وهي كلمة ذات جذور يونانية تعني القيادة (Ellis & Williams, 1995: 10) و (Licker, 1997: 78) وتعرف بأنها : تلك الخطة العامة والشاملة التي ترشد المنظمة وتوجهها نحو تحقيق أهدافها ورسالتها حالياً ومستقبلاً". و يعرف التخطيط بأنه مجموعة الخطوات الرسمية الهادفة لتحقيق نتيجة محددة من خلال نظام متكامل للقرارات (Mintzberg, 1994:14).

ويعبر عنه بأنه نشاط يتضمن تحديد رسالة المنظمة ووضع الأهداف و تطوير الاستراتيجيات لتمكين المنظمة من العمل الناجح في بيئتها (Mosley et al, 1996: 212) وهو عملية تطوير رسالة المنظمة (القطامين, ١٩٩٦: ٩٢) وتحديد كيفية سعي المنظمة نحو الأهداف بعيدة المدى (التميمي, ١٩٩٧: ٤٤) في ضوء الموارد المالية والبشرية المتاحة (عبيدات, ١٩٩٧: ٢٠) وتأسيساً على ما تقدم يعد التخطيط الاستراتيجي أسلوب عمل مبني على التحليل الدقيق لبيئة المنظمة (داخلية وخارجية) لتحديد الجوانب الإيجابية والسلبية فيها (الفرص والتهديدات و نقاط القوة والضعف) و العمل على تطوير الأهداف و الاستراتيجيات اللازمة لبقاء المنظمة واستمرارها.

و قد تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بمفهوم التخطيط الاستراتيجي بسبب زيادة التعقيدات في البيئة المحيطة بالمنظمة فضلاً عن زيادة المنافسة نتيجة انفتاح الأسواق العالمية على بعضها البعض. اذ تكمن أهمية التخطيط الاستراتيجي في اهتمامه بتحديد الأهداف اللازمة لتحقيق رسالة المنظمة، وإيصال هذه الأهداف أو الغايات إلى جمهور المنظمة بهدف تنمية الشعور بوجود خطة لها، و تأكيد الاستخدام الفعال للموارد من خلال تركيز الموارد على الأسبقيات الرئيسة، زد على ذلك يزود التخطيط الاستراتيجي المنظمة بقاعدة لقياس آلية العلم بالتغيرات وتحديدتها عند الحاجة، وتوحيد الجهود المتميزة ذات الأهمية بالنسبة إلى المنظمة، مما ينتج درجة عالية من الرضا بين المخططين حول الرؤيا وزيادة الإنتاجية، بسبب زيادة الكفاءة والفاعلية، فضلاً عن تنسيق علاقة الكادر الإداري والفني، وزيادة التركيز لحل المشكلات الكبيرة. (Mc Namara, 1999:3) و هناك من يؤكد أن أهمية التخطيط الاستراتيجي تكمن في :

قدرته على تحسين المواءمة بين المنظمة وبيئتها الخارجية. وتحديد الفرص و التهديدات السوقية في المستقبل وخلق المشاركة في الاتصالات الداخلية وتشجيع التغيير المفضل وتوفير المدخلات للقرارات الإدارية فضلاً عن أثره في عملية التوجيه والرقابة. (Kargar & Parnell, 1996: pp 42-64)

ويتضح من هذا أن التخطيط الاستراتيجي يساعد في إيجاد أفكار استراتيجية جديدة، ويقلل من حالة عدم التأكد والحد من الأنشطة الزائدة فضلاً عن أنه يوجه المديرين، ويساعدهم على التفكير العقلاني، ويحقق إدارة جيدة للوقت.

ثانياً: - مستويات التخطيط الاستراتيجي

بعد مراجعة أدبيات الفكر الاستراتيجي اتضح وجود مستويات متعددة للتخطيط الاستراتيجي فبالرغم من اختلاف الكتاب والباحثين حول عدد هذه المستويات إلا أن أغلبهم اتفق على وجود ثلاثة مستويات هي: التخطيط الاستراتيجي على مستوى المنظمة، وعلى مستوى الأعمال، وعلى المستوى الوظيفي. ومن هؤلاء الكتاب على سبيل المثال لا الحصر (Daft, 2000: 242) و (العلاق، ١٩٩٨: ١٠٣) و (Wright et al, 1998: 4) و (Leenders et al, 1997: 631) و (Ellis & Williams, 1995: 14)، في حين اقتصر بعضهم الآخر على المستويين الأوليين (المنظمة والأعمال) مثل (بورتر، ١٩٩٧: ١٣٠) و (Griffin, 1999: 233). وتوسع آخرون بزيادة مستوى رابع هو المستوى التشغيلي (خليل، ١٩٩٤: ٢٤) و (Thompson & Strickland, 1999: pp44-51).

اذ يهتم التخطيط الاستراتيجي على مستوى المنظمة بتحديد مسار المنظمة كله و بتنمية الموارد ويعنى بالإجابة عن السؤال (في أي الأسواق ستقوم المنظمة بالمنافسة؟) (Criffin, 1993: 177) و مما تجدر الإشارة إليه هو أن التخطيط الاستراتيجي على هذا المستوى يأخذ بنظر الاعتبار العوامل البيئية مثل طلبات الزبون، المواد الأولية، العمالة، مصادر رأس المال، نقاط قوة و ضعف المنظمة و نقاط قوة و ضعف المنافسين. (Evans, 1997: 82).

في حين يركز التخطيط الاستراتيجي على مستوى وحدات الأعمال على الكيفية التي يمكن من خلالها لكل وحدة من وحدات الأعمال الاستراتيجية المساهمة في تعزيز الاستراتيجية الكلية للشركة ونجاحها (Robson, 1997: 7) فهو يحدد الطرق التي تمارس من خلالها عملية إدارة التنافس في أسواق المنظمة المختلفة. (القطامين، ١٩٩٦: ١٠٦) وفيما يتعلق بالتخطيط الاستراتيجي على المستوى الوظيفي فهو يشير إلى الخطط الموضوعة لعملية أو قسم رئيس داخل منظمة الأعمال. (Thompson & Strackland ١٩٩٩: ٥٠) اذ يتم التركيز فيها على تنفيذ استراتيجية الأعمال بواسطة وظيفة التسويق، والموارد البشرية، والعمليات، والمالية. أن الاستراتيجيات الوظيفية تشير إلى كيفية مساهمة الأنشطة المختلفة للأعمال في الاستراتيجية الشاملة للمنظمة

ثالثاً: - مكونات عملية التخطيط الاستراتيجي

تباينت آراء الباحثين والكتاب بشأن مكونات عملية التخطيط الاستراتيجي وربما يرد هذا التباين إلى اختلاف الباحثين والكتاب في خلفياتهم النظرية أو بسبب الاختلاف في تركيزهم على بعض الجوانب دون الأخرى. وهنا يرى الباحثين ضرورة طرح آراء بعض الباحثين لتحديد العناصر الأساسية لعملية التخطيط الاستراتيجي فبالنسبة لـ (Mosley et al, 1996: 213) و (Sutherland & Canwell, 1997: 5) تتمثل بـ (الرسالة والأهداف والاستراتيجيات)، و اضاف روبسن السياسات والتنفيذ (Robson, 1997: 17) في حين ذكر (Evans, 1997: 99)

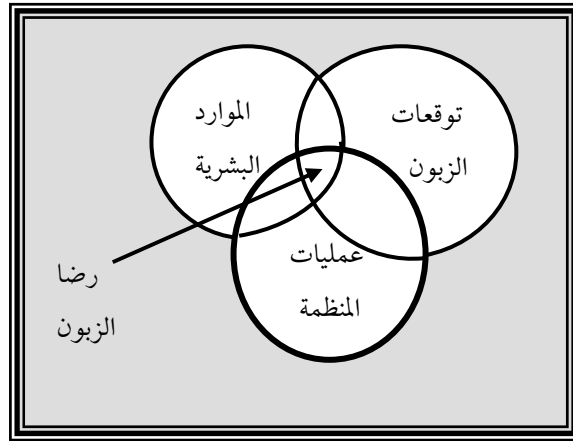
و (Stanton, 1997: 56) و (Peter & Donnelly, 1998: 10) الرسالة والتحليل و الاهداف و الاستراتيجيات ، وتوسع (Kotler, 1997: 80) لاضافة التنفيذ والرقابة واتفق (Hellriegel et al, 2000: 232) و (Coulter, 1999: 283 & Robbins) على الرسالة والتحليل و الاستراتيجيات فقط. وذكر (Hill & Yones, 2001: 5) الرسالة والتحليل والاستراتيجيات و التنفيذ ، ويرى (Chaffey et al, 2000: 125) ان الرسالة والتحليل والاهداف والتنفيذ هي العناصر الاساسية لعملية التخطيط الاستراتيجي. ويتضح مما سبق ان العناصر التي حظيت باتفاق اغلب الباحثين هي الرسالة والتحليل والاهداف والاستراتيجيات ، وهي التي تم اعتمادها في هذه الدراسة .

المبحث الثاني: رضا الزبون

اولا :- المفهوم والأهمية

تشكل لدى الزبائن أحكام معينة تجاه قيمة العرض التسويقي وهم يقررون فيما إذا كانوا سيقبلونه أم لا . وان مستوى تلبية توقعات المستهلك من صفقة الشراء يتعلق باي قدر تتناسب تلك الصفقة مع توقعاته ، فاذا كانت خواص السلعة تختلف عن تلك المتوقعة يشعر المستهلكون بان رغبتهم لم تتم تلبيتها ، واذا كانت خواص السلعة تفوق التوقعات يصل المستهلكون الى مرحلة القبول التام والرضا . (كوتلر وآخرون، ٢٠٠٢: ١٩٤)

إذ يعرف الرضا: بأنه مقياس لدرجة الإشباع المتحققة للزبائن عند استخدامهم منتجات وخدمات الشركة (Wesner et al, 1995: 280) او مثلما عرفه Ross بأنه نتيجة لنظام متفاعل من ثلاثة أجزاء ، تمثل (عمليات المنظمة ، و توقعات الزبون ، والموظفين) هذه الأجزاء ، و صورها بالشكل الآتي :-



الشكل (٢) رضا الزبون عند Ross

: Source:- (Ross, 1995 pp 207-208)

واتفق Kotler و gopal على ان رضا الزبون يعبر عن شعور شخصي بالبهجة او بخيبة الأمل ناتج عن موازنة أداء المنتج مع توقع الزبون (Kotler, 1997: 40) (Raja, 2000: 52) ، كذلك عرفه البكري بأنه (النتائج المتحققة من الاستخدام لذلك المنتج دون غيره وليس بالضرورة

ان يكون ما هو اقل كلفه من غيره ، أو قد يكون الأقل كلفة ذاته) (البكري ٢٠٠٢ : ١٥) وعليه يمكننا تعريف رضا الزبون بأنه : قناعة الزبون بإشباع حاجاته ورغباته نتيجة استخدام منتجات علامة معينة و درجة الاستعداد لديه لإعادة التعامل معها في المرة القادمة .

ومن التعاريف السابقة نجد ان الرضا يعتمد على أداء المنتج وتوقعات الزبون ، فإذا كان أداء المنتج اقل من توقع الزبون فإن الزبون يكون غير راضٍ وإذا كان الأداء يحقق التوقعات فإن الزبون يكون راضياً أما إذا كان الأداء يفوق توقعات الزبون فإنه يكون سعيداً (Kotler & Armstrong, 1999 : 8) . اذ تشكل توقعات الزبائن على أساس انطباعاتهم التي حصلوا عليها من خبراتهم الشرائية والاستهلاكية السابقة ، والأصدقاء او الزملاء ، ومن المعلومات التسويقية عن سلع المنافسين و وعودهم . ومع هذا تقوم اكثر الشركات الناجحة اليوم برفع مستوى التوقعات وتقدم السلع والخدمات التي تتوافق مع هذه التوقعات ، اذ تسترشد هذه الشركات بمبدأ تحقيق الرضا الشامل للزبون (TCS) . فمثلاً قامت شركة xerox بدراسات معمقة عن رضا الزبون ، وقد وجدت فوائد عديدة عندما قدمت منتجات ذات نوعية عالية وخدمات تتطابق مع حاجات زبائنها ، لانها وجدت مستويات عالية من الرضا ، وان هذا المستوى من الرضا سيقود الى زيادة كبيرة في ولاء الزبون ، وتجد الشركة ان زيادة الولاء وحدها تكون ذات أهمية كبيرة في المستقبل (Jones & Sasser, 1995 : 91) .

وقد ندرك أهمية الرضا إذا ما عرفنا أن الباري (عز وجل) قد أشار إلى هذا المفهوم في القرآن الكريم في سور عدة منها على سبيل المثال ما جاء في سورة البقرة بقوله ((فلنولينك قبلة ترضاها)) (الايه ١٤٤) و في سورة الضحى بقوله ((ولسوف يعطيك ربك فترضى)) (الايه ٥) ، ولعل تكرار هذا المفهوم في القرآن الكريم ❖ دليل واضح على أهمية توافره عند البشر وضرورة السعي إلى تحقيقه عندهم . ومن الجدير بالذكر ان الشركات بدأت تهتم بالزبون في الوقت الذي احتدمت فيه المنافسة بينها وأدركت متأخرة أن الطرف الأكثر أهمية في كل عملياتها هو الزبون ، لانه الشخص الذي يستخدم المنتجات والخدمات وهو الذي يزودها بالارباح .

ويؤكد Kotler في هذا المجال ان على الشركة التي ترغب في النجاح في اسواق المنافسة اليوم ان تجعل من الزبون النواة التي تدور حولها عملياتها وان تبعد عن المفهوم التسويقي السابق (المفهوم البيعي) وتركز على المفهوم التسويقي الحديث ، والذي يبدأ وينتهي بحاجات ورغبات الزبون وكيفية إشباعها .

ثانياً :- مفهوم الحاجات وأنواعها

تعد الحاجات التي يريدها المستهلك هي السلع التي يمكن بيعها فقط ، إذا لا بد للشركات التي تريد أن تحقق نجاحاً في الاسواق ان تعرف حاجات زبائنها ومتطلباتهم ، ولذلك تقوم اغلب الشركات الناجحة بإجراء دراسات عديدة تهدف للكشف عن حاجات زبائنها ورغباتهم . اذ تعرف الحاجة : بأنها إحساس بالنقص لدى الشخص تدفعه للعمل لتلافي هذا النقص وإخفائه (اميريان وآخرون ٢٠٠٢ : ١٩٩٩) . وفي السياق نفسه عرفها البرواري والبرزنجي بأنها النقص والحرمان من شيء معين ذي قيمة ومنفعة للمستهلك (البرواري والبرزنجي ٢٠٠٢ : ٥٥) . في حين عرفها البكري

بأنها تتمثل بالأساسيات التي يسعى إليها الإنسان بهدف الحصول عليها ، لكونها تمثل أساسا مهما لبقائه واستمراره في الحياة مثل حاجته للأكل والحماية و... الخ . (البكري ، ٢٠٠٢ : ١٣)
وتعد الحاجات غير الملباة أي التي لا تقابلها منتجات معروضة ذات أهمية استراتيجية لأنها تمثل فرصا للشركة لزيادة حصتها السوقية او ربما تعد تهديدا إذا ما استغلها المنافسون (Aaker ,1995 : 58) . ولهذا تسعى الشركات في الوقت الحاضر الى دراسة الحاجات المستقبلية للزبون .

ان الفرد محكوم بمجموعة من الحاجات الا انه لا يستطيع الا تلبية البعض منها . ويصنف العلماء الحاجات الى انواع ، فقد قسمها ماسلو على خمسة أنواع هي (الفيزيولوجية ، و الأمان ، والاجتماعية ، والاعتبار ، وتحقيق الذات) في حين صنفها **Kotler & Armstrong** على حاجات مادية (غذاء وملبس) ، وحاجات اجتماعية (انتماء وعاطفة) وحاجات فردية (المعرفة) . (**Kotler & Armstrong ,1999 : 4**) و حددت الحاجات في نموذج كانو (Kano) بثلاث مجاميع هي :

الحاجات الأساسية : وهي الحاجات التي لا يمكن الاستغناء عنها إطلاقا كالأكل والشرب والنوم
الحاجات المتوقعة : هي حاجات غير أساسية إلا أن الفرد يرغب في الحصول عليها ويتوقعها ، مثل شراء تلفزيون .

التجارب المحفزة : وهي تلك الحاجات التي تنشط نتيجة وجود شيء في البيئة (**Bergman & Klefsjo ,1994 : 282**)

في حين تناول عبيدات نوعين من الحاجات هي :
- الحاجات الفطرية : وهي التي تقترن بحاجة الفرد الى المتطلبات الاساسية في حياته اليومية كال حاجة الى الطعام ، و الشراب ، و النوم ، و الراحة .
- الحاجات المكتسبة : وهي التي يتعلمها الفرد خلال رحلة حياته (عبيدات ، ١٩٩٨ : ٧٨) .
و زاد **Kotler** الأنواع الآتية للحاجات وهي : الحاجات المعلقة ، و الحاجات غير المعلقة ، والحاجات العملية ، و حاجات السرور ، والحاجات الكامنة (غير الظاهرة) (**Kotler ,2000 : 21**)

كما ان فهم حاجات الزبون ورغباته أمرا ليس سهلا ، إذ إن فريقا من الزبائن يملكون حاجات لا يشعرون بها او ان لديهم حاجات لكن لا يصرحون بها او قد يستخدمون كلمات تحتاج الى التفسير ، وهذا ما دعى بعض علماء النفس الى دراسة حاجات الإنسان و تحليلها مما أدى إلى ظهور نظريات عدة ومن بين هذه النظريات : نظرية التحليل النفسي ونظرية تدرج الحاجات (نظرية ماسلو) ونظرية تحقيق الحاجة وغيرها .

ثالثا :- العوامل المؤثرة في رضا الزبون

ان الشعور بالرضا يعتمد على خبرة الزبون المتحققة نتيجة تعامله السابق مع المنظمة والمتوقف على توافر عدة عوامل في المنتجات المقدمة من قبلها بالشكل الذي يحقق القناعة للزبون . وهنا نجد ضرورة عرض وجهات نظر عددا من الباحثين والكتاب حول عدد هذه العوامل وماهيتها.اذ نجد ان (Noori &Radford,1995:p50-54) ذكر ستة عوامل هي الجودة والسعر والثقة والمرونة والوقت

والخدمة، و (Evans,1997:86) خمسة عوامل هي الجودة والسعر والثقة والوقت والسرعة، وتناول (Willington,1995 :p54-64) اربعة عوامل هي الجودة والسعر والوقت والخدمة، و ذكر (Wesner etal ,1995 :184) الجودة والسعر والاداء والاعلان والتدريب كموامل مؤثرة في رضا الزبون، وأشار (Arnold,1998 :418) الى الجودة والسعر والوقت والمرونة والخدمة والوفرة و (Hodgetts,1998:66) الى الجودة والسعر والخدمة والسمعة والاعلان، واخير تطرق (Phillips etal ,2000:166) الى الجودة والسعر والخدمة وسياسة الشكوى وبالرغم من تعدد هذه العوامل الا ان اغلب الباحثين اتفقوا على اربعة عوامل فقط وهذه العوامل هي : الجودة والسعر والخدمة والوقت.

المبحث الثالث إدارة الجودة الشاملة

اولاً :- المفهوم

اختلف الكثير من الباحثين والكتاب حول وضع مفهوم محدد لإدارة الجودة الشاملة اذ ان الجودة نفسها تحتمل مفاهيم مختلفة من حالة الى حالة ومن شخص لأخر . فقد عرف قاموس اكسفورد الجودة بأنها ((درجة الامتياز) ، في حين يرى Feigenbume بانها تشكيلة شاملة لخصائص المنتج او الخدمة المتعلقة بالتسويق ، والهندسة، والتصنيع والصيانة والتي يمكن من خلالها إشباع حاجات المستهلك (Feigenbume ,1991:7) ، او هي ببساطة التوافق مع متطلبات الزبون (Muhlemann etal ,1992 :97) . وتعرف إدارة الجودة الشاملة بانها فلسفة تركز على أربعة مبادئ هي : ١- التركيز على الزبون ، ٢- وضع مقاييس دقيقة للنشاطات و ، ٣- تحسينات مستمرة على المنتجات والعمليات و ، ٤- قوة تأثير وسيطرة على الأفراد . (Noori & Radford ,1995 :638)

او مثلما يراها (Logothets) أنها ثقافة تتضمن الالتزام الشامل بالجودة والتعبير عن موقف كل فرد يشترك في عملية التحسين المستمر للمنتجات و الخدمات من خلال الابداع في استخدام الطرق العلمية . (Logothets, 1997 :5) ، ويشير (بن سعيد) إلى أنها أسلوب للإدارة الحديثة يلتزم بتقديم قيمة لكل العملاء من خلال ايجاد بيئة يتم فيها تحسين وتطوير مستمر لمهارات الافراد ولنظم العمل وصيغ كل جانب من جوانب المنشأة ونشاطاتها بصيغة التفوق (بن سعيد , ١٩٩٧ : ٧٧) ، في حين عرفها (Arnold) بانها مدخل لتحسين رضا الزبون وطريقة عمل المنظمة (Arnold ,1998 :416) .

وحسب تعريف المواصفة ISO 8402 تكون إدارة الجودة الشاملة هي امتداد لمفهوم إدارة الجودة باتجاه مشاركة جميع العاملين في المؤسسة و تحفيزهم (من قمة الهرم الى القاعدة) بهدف تحقيق الفائدة لها ومحيطها (ISO9000 ,1999 :28) ، ومن خلال استعراض المفاهيم السابقة يتضح لنا ان T.Q.M هي :

١. مدخل ، فلسفة ، أسلوب وثقافة .
٢. تركز على الزبون بشكل مباشر .
٣. أنها مفهوم حديث نسبياً .

٤. تستخدم عملية التحسين المستمر للوصول الى أهدافها .

٥. تشجع الابتكار والإبداع .

٦. أنها مسؤولة جماعية

٧. تركز على الاستخدام الكفوء للموارد .

وبناء عليه نجد بأن إدارة الجودة الشاملة : عبارة عن مفهوم شامل يشير الى ضرورة التزام الإدارة ببرامج تحسين مستمر للجودة واشراك العاملين بها وتدريبهم عليها لتوليد منتجات وخدمات تطابق أو تفوق توقعات الزبون .

ثانياً : - أهمية إدارة الجودة الشاملة

تعد إدارة الجودة الشاملة واحدة من ابرز الإدارات في المنظمة وتبرز أهميتها من خلال تأثيرها وصلتها بكل من المستهلك وإشباع حاجاته ، و المنتج وقدرته على التميز في السوق ، وكذلك المجتمع (العزاوي ٢٠٠٢ : ٢٣) . فضلاً عن ان إدارة الجودة الشاملة تعمل على تحسين نوعية السلع والخدمات المنتجة ورفع مستوى الأداء وتخفيض تكاليف التشغيل وتحسين وتطوير إجراءات وأساليب العمل وزيادة ولاء العاملين للمنظمة بهدف زيادة قدرة المنظمة على البقاء والاستمرار (اللوزي ١٩٩٩ : ٢٤٣) . وفي السياق نفسه حدد معهد الإدارة في لندن المزايا الآتية لإدارة الجودة الشاملة :-

١. تحسين جودة الخدمة والمنتج .

٢. تخفيض تبديد الموارد .

٣. إحداث طفرة إنتاجية .

٤. زيادة الحصة السوقية ، والتي تقود الى ميزة تنافسية مستدامة .

٥. زيادة تحفيز القوى العاملة . (معهد الادارة ٢٠٠١ : ٤٢)

ويمكن إضافة ميزة اختصار الوقت اذ تعمل إدارة الجودة الشاملة على استبعاد العمليات غير الضرورية والاختصار على الأعمال اللازمة لإنجاز الأهداف ، فضلاً عن أنها تخفض الموارد المبذورة فهي تركز على جعل العيوب تساوي صفراً .

وقد لخص الطويل وسلطان أهمية إدارة الجودة الشاملة بكونها نظاماً متكاملًا للإدارة يهدف الى إرضاء حاجات الزبائن ورغباتهم الحالية والمستقبلية ، وتحسين سمعة الشركة وزيادة حصتها السوقية وأرباحها ، ومن ثم ضمان بقائها واستمرارها في ميدان العمل (الطويل وسلطان ٢٠٠١ : ١٦) .

ثالثاً : - مبادئ إدارة الجودة الشاملة

لقد تناول العديد من الكتاب والباحثين مبادئ إدارة الجودة الشاملة ، ولاختلاف عدد هذه المبادئ تبعاً لوجهة نظر كل باحث ، تطرقنا الى مجموعة المبادئ التي اتفق عليها اغلب الباحثين الوارد ذكرهم في الجدول (٥) ، وهذه المبادئ هي :

١ - التخطيط الاستراتيجي Strategic Planning

يعد التخطيط لإدارة الجودة الشاملة من أهم وأكثر الخطوات الفاعلة في تحقيق الأبعاد الأساسية للنشاط الإنتاجي و الخدمي في المنظمات المختلفة على حد سواء (حمود ٢٠٠٢ : ٩٦) ، ولهذا

تستخدم المنظمات في إدارة الجودة الشاملة (TQM) خطة استراتيجية شاملة تتضمن على الأقل رؤية ، ورسالة ، وأهداف واسعة ، ونشاطات لها القدرة على تحقيق أهداف المنظمة . وكذلك يجب ان تصمم الخطة الاستراتيجية لإدارة الجودة بالشكل الذي يعطيها القدرة على دعم الميزة التنافسية للمنظمة في السوق . (Goethsch & Davis ,1997 :pp13-14)

٢- التركيز على الزبون

تسعى إدارة الجودة الشاملة الى إرضاء الزبون من خلال إنتاج سلع وخدمات توافق او تفوق توقعاته ، ولا تقتصر الإدارة على فهم الحاجات الحالية للزبون ومعرفتها بل تتعداها لتوقع حاجاته المستقبلية (Arnold,1998 :418) . ومما تجدر الإشارة إليه هنا ان الزبون ممكن ان يكون زبونا خارجيا يتلقى منتجات وخدمات الشركة وممكن ان يكون زبونا داخليا ، (العاني واخرون ، ٢٠٠٢ : ٣٨)

٣- التزام الادارة العليا

لا يمكن تطبيق إدارة الجودة الشاملة من دون توفير البيئة الإدارية المناسبة ، ولا يتم ذلك إلا من خلال قناعة الإدارة العليا بأهمية التغيير في السياسات والنظم الإدارية المتبعة وتقديم الدعم لإرساء قواعد نظام الجودة.

(ابراهيم واخرون ، ١٩٩٩ : ١٣١)

٤- التحسين المستمر

وهي عملية البحث المنسق الذي يتناول افضل السبل لإنجاز الأشياء وان الهدف من عملية التحسين المستمر هو التفوق على المعايير الحالية للصناعة وتحديد المشكلات وحلها بمهارة لخلق ميزة تنافسية جديدة (Pitts & Lei ,1996 :369) ، وتخفيض للموارد المستخدمة ، وتخفيض الأخطاء ، والتفوق على توقعات الزبون ، لجعل العمليات اكثر أمنا ، وزيادة رضا القائمين بالعمليات . (البكري ، ٢٠٠٠ : ٣٧٢ - ٣٧٣)

٥- مشاركة العاملين

ينظر للمشاركة على أنها عملية تفاعل الأفراد عقليا ووجدانيا مع جماعات العمل في التنظيم وبطريقة تمكن هؤلاء من تعبئة الجهود والطاقات اللازمة لتحقيق الأهداف التنظيمية (اللوزي ، ١٩٩٩ : ٢٣٨) ، لذا تعد عملية المشاركة من الركائز الأساسية التي يجب ان تعتمد عند تطبيق أسلوب إدارة الجودة الشاملة ، إذ ان إطلاق الفعاليات وتشجيع الابتكار وزرع روح المشاركة الذاتية والفريق الواحد يعد حالة اساسية لترصين البناء التنظيمي وتحقيق الاهداف المثلى التي تسعى اليها المنظمات المختلفة . (حمود ، ٢٠٠٠ : ١٠٠)

٦- التدريب والتعليم

من اجل ان يتمكن العاملون على تنفيذ الإدارة الشاملة للجودة كجهد مستمر ، يجب على المديرين ان يقوموا بتدريب كل فرد في المنظمة حول وسائل الإدارة الشاملة للجودة (التميمي ، ١٩٩٧ : ٥٨٧) ، فبرامج التدريب تقدم وعيا وإدراكا مكثفا للجودة ، وتوضح دور كل عامل في العمل ،

وأهمية الجودة للمنظمة والرقابة الإحصائية للعملية وطرائق حل المشكلات ، ومهارات العمل المطلوبة لتدعيم تحسين الجودة (الصرن ، ٢٠٠١ : ٣٢٨).

الجدول (١)

مبادئ إدارة الجودة الشاملة بحسب رأي كل باحث

مقياس الاداء	التدريب والتعليم	حرية الرقابة	مشاركة العاملين	مدخل علمي	المقارنة المرجعية	التخطيط الاستراتيجي	فرق العمل	التحسين المستمر	التركيز على الزبون	التزام الإدارة العليا	الكاتب المبادئ
	*		*	*		*	*			*	Bounds etal ,1994 :61
	*	*	*	*		*	*	*	*	*	Goetsch & Davis ,1997:pp13-17
						*		*	*	*	Evans,1997 :pp57-59
*			*					*	*	*	Arnold ,1998 :417
			*			*		*	*	*	Krajewski & Ritizman ,1999 :
	*		*		*	*		*	*	*	Hakseve etal ,2000 :pp336-337
			*					*	*	*	Davis etal ,2003 :226

المصدر : - إعداد الباحثين

رابعاً: - إدارة الجودة الشاملة ، رضا الزبون و التخطيط الاستراتيجي

أخذ موضوع إدارة الجودة الشاملة يستحوذ على اهتمام مختلف المستويات الإدارية في المنظمات في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء ، وذلك لأهمية الجودة بوصفها سلاحاً تنافسياً أساسياً (الطويل وسلطان ، ٢٠٠١ : ١١) للمفاضلة عند عقد الصفقات والعامل الحاكم بين الدول والتكتلات ، ولعل التحول نحو آليات السوق والسير نحو حرية التجارة ، والأخذ بالتخصيصية جعل الجودة هدفاً يجب على المنظمات ان تأخذ به لكي تتجاوز الحدود الجغرافية و لا سيما بعد ان تربع الزبون على العرش سيداً للسوق وملكاً وحاكماً (عبد الرحمن ، ١٩٩٥ : ٤) ، اذ يعد الزبون الاكتشاف الأهم الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين ، فلقد خضعت الشركات قبل ذلك

لمتطلبات الإنتاج والنظام التشغيلي ، ولكن سرعان ما ظهر الزبون ليصبح العمل رقم واحد للشركات ، وان الزبون هو الذي يدفع اجور ورواتب العاملين وغير ذلك مما يدخل في ضمن ثقافة الشركة الموجهة للزبون ، اذ كان من الطبيعي ان يرتفع دور الزبون تحت تأثير المنافسة الشديدة (نجم ٢٠٠٤ : ٢٩٣) التي لا يستطيع ان يصمد في وجهها الا من يسعى الى إرضاء الزبون و يحقق متطلباته ورغباته بدرجة عالية ويتخطاها بشكل دائم ومستمر ، وفي الحقيقة هذا لا يكون الا من خلال استراتيجية متكاملة تضع نصب عينها هدفا أساسيا هو تحقيق مستوى جودة عال في سبيل تحقيق رضا الزبون وسعادته لضمان البقاء والاستمرار والتطور (عقيلي ٢٠٠١ : ص ٣٩ - ٤٣) ، وفي سعي الشركة للمحافظة على البقاء في السوق يعمل المديرون اليوم على تقدير المستقبل و على مواجهته بشكل مدروس ، وهكذا تتزايد أهمية التخطيط بتعاطف حالات عدم التأكد والتغيير ، وعليه تضطلع معظم الشركات الكبيرة بالتخطيط لآجال مختلفة من الزمن (الشماع ١٩٩٩ : ٩١) ، ويعمل محجوب نقلا عن (Skinner) ان من أسباب انخفاض حصة السوق في الكثير من شركات الأعمال الأمريكية هو ما يعود الى النظر الى النتائج في المديات القصيرة والى إغفال التخطيط الاستراتيجي ، ليكون ذلك سببا او عائقا امام التفكير في تحسين الجودة على المدى البعيد . (محجوب ٢٠٠٢ : ٢٠)

ومن الجدير بالذكر ، ان رسالة المنظمة التي تعد نقطة البداية لعملية التخطيط الاستراتيجي ترتكز على ثلاثة أبعاد هي قطاعات المستهلكين الذين سيتم خدمتهم ، احتياجات المستهلكين التي سيتم إشباعها ، و أخيرا التكنولوجيا التي سيتم استخدامها لإشباع احتياجات المستهلكين (حجازي ٢٠٠٢ : ٨٥) . في حين تتناول الخطوة التالية من التخطيط الاستراتيجي وهي عملية التحليل ، مواطن القوة والضعف ، والفرص والتحديات ، اذ يشير Pride الى ان مواطن القوة التي تقود الى إرضاء الزبون هي فقط التي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار وان تعد فوائد تنافسية ، أما مواطن الضعف التي تؤثر بصورة مباشرة في إرضاء الزبون فيجب ان تعد أضرارا تنافسية (Pride 44-43 pp, 2000 & Ferrell) . في حين عد قسم من الكتاب حاجات الزبون غير الملباة فرصة او تهديدا للمنظمة تبعا لقدرة الأخيرة على استغلال الموقف (Aaker, 1995 : 58) ، وتركز عملية الخيار الاستراتيجي التي تعد الخطوة النهائية لعملية التخطيط الاستراتيجي على اختيار البديل الذي يحقق الأرباح ، والنمو ، والنجاح للمنظمة ، ومثلما تم الإشارة سابقا ان هذا لا يتم إلا إذا كانت الشركة قد حققت رضا الزبائن عن أعمالها .

وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول بان رضا الزبون يعد الهدف الأول والأخير لكل عمليات المنظمة ، اذ من دونه لا تحقق المنظمة أي تقدم ، فهو الهدف الاستراتيجي الذي تنصب عليه كل مهام المنظمة ، وهو المقياس النهائي لنجاحها واستمرارها .

المبحث الرابع :- منهجية الدراسة

يوضح الاتي منهجية هذه الدراسة ومسوغات قيامها والمشكلة والأهمية والأهداف . ومن ثم الفرضيات والأنموذج الفرضي للدراسة

اولا :- مشكلة الدراسة

مما لا يخفى ان التخطيط بأنواعه وأشكاله المختلفة هو أحد سمات العصر الحديث ، وان التخطيط الناجح يساعد على بقاء واستمرارية التنظيمات من خلال عمليات التنبؤ المدروس و المنظم للمستقبل و وضع التقديرات والاحتمالات بناء على أسس علمية وتحديد البرامج المراد إنجازها بما يتماشى مع القدرات الرشيدة . وقد دلت دراسات عدة أجريت على شركات أمريكية ان عدد المنظمات التي تأخذ بمفهوم التخطيط الاستراتيجي يفوق عدد تلك المنظمات التي لا تأخذ به . وان المديرين الذين يأخذون بهذا المفهوم يعتقدون بأنه يؤدي الى النجاح والنمو والاستمرار .

و في الوقت الحالي نجد ان هدف المنظمات هو المحافظة على الزبون إذ ان التركيز على الزبون ضروري للمنافسة في الاقتصاد العالمي ولهذا تسعى المنظمات للتخطيط لإشباع حاجات الزبون ورغباته. ومن هنا تنبع مشكلة الدراسة التي تتمثل بضعف وعي المنظمات العراقية بأهمية التخطيط الاستراتيجي و عدم تبنيها لمفهوم التخطيط الاستراتيجي وتطبيقه على كل المستويات في المنظمة الأمر الذي يحد بصورة مباشرة او غير مباشرة من قدرة المنظمة على تحقيق وإشباع حاجات الزبائن من ثم عدم تحقيق رضاهم الذي يعد الان الهدف الأسمى للمنظمات .

ثانيا :- أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية المتغيرات التي تعرضت لها ، اذ تناولت هذه الدراسة متغيرين لا تخفى أهميتهما على أحد إذ يمثل المتغير الأول التخطيط الاستراتيجي الذي يعد عملية ديناميكية مستمرة تتعلق بالقرارات التي تستمر مدة طويلة والتي من الصعوبة مخالفتها ، في حين يمثل رضا الزبون المتغير الثاني الذي يعد أساسا لنمو المنظمة واستمرار عملها على المدى الطويل ، ولذا تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على علاقة التخطيط الاستراتيجي وأثره على رضا الزبون الخارجي ، واقتراح السبل اللازمة لتعزيز جوانب القوة وتخفيف جوانب الضعف ، فضلا عن إلى معرفة العوامل المؤثرة في رضا الزبون .ورفد المكتبة العراقية بدراسة في هذا الموضوع .

ثالثا - أهداف الدراسة

تتمثل أهداف هذه الدراسة بـ :

١. معرفة هل هناك تخطيط استراتيجي على مستوى المنظمة .
٢. التعرف على اهتمام المنظمة عينة الدراسة برضا الزبون .
٣. التعرف على مدى رضا الزبون عن منتجات الشركة .
٤. تحديد طبيعة العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون.

رابعا - حدود الدراسة

١. الحدود المكانية : تضمنت الدراسة شركة الفرات العامة للصناعات الكيماوية في محافظة بابل ،
٢. الحدود الزمانية ان الحدود الزمانية للدراسة امتدت من ٢٠٠٣/١١/١ ولغاية ١١ / ٢٠٠٤ .

٣. الحدود البشرية : تضمنت الدراسة كلا من :

- المديرين في شركة الفرات

- زبائن شركة الفرات .

خامسا :- منهج الدراسة

تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي أسلوبا في معالجة الموضوع ، لانه يعد ملائما لدراسة الظواهر الاجتماعية ، اذ يقدم البيانات عن واقع هذه الظواهر مبينا أسبابها ونتائجها وتحليلاتها ويتعرف على العوامل المؤثرة فيها ويفيد من وراء ذلك الخروج باستنتاجات وتوصيات بشأنها .

سادسا :- فرضيات الدراسة

تنطلق الدراسة في معالجة المشكلة من خلال الفرضيات الاتية :

الفرضية الرئيسة الأولى :

لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون الخارجي .
وتشتق منها عدة فرضيات فرعية هي :-

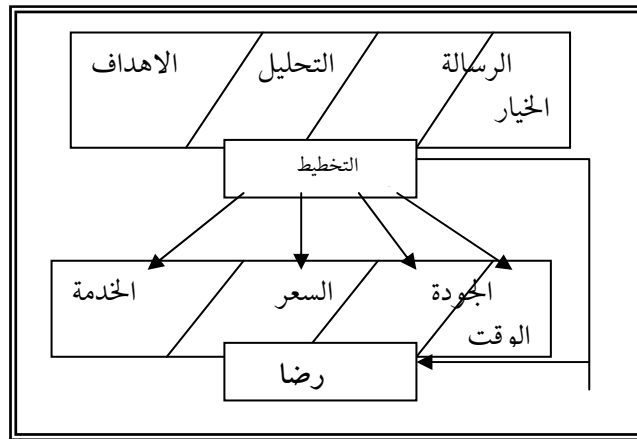
١. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والجودة .
٢. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والسعر .
٣. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والخدمة .
٤. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والوقت .

الفرضية الرئيسة الثانية :-

لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي و رضا الزبون الخارجي .
وتشتق منها عدة فرضيات فرعية هي :

- ١- لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والجودة .
- ٢- لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والسعر .
- ٣- لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والخدمة .
- ٤- لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والوقت .

سابعا :- النموذج الدراسة الفرضي



ثامنا :- التعاريف الاجرائية

التخطيط الاستراتيجي :- اسلوب عمل مبني على التحليل الجيد لبيئة المنظمة (داخلية وخارجية) لغرض تحديد الجوانب الايجابية والسلبية الخاصة بالمنظمة (الفرص والتهديدات ونقاط القوة والضعف) والعمل على تطوير الاهداف والاستراتيجيات اللازمة لبقاء المنظمة واستمرارها .
الرسالة :- هي تلك الصفات المميزة التي تضعها المنظمة لنفسها لتمييزها عن المنظمات الاخرى . او هي السبب من وجود المنظمة .

الأهداف :- وهي النتائج المستقبلية التي تسعى المنظمة لتحقيقها .
التحليل :- وهو العملية التي يستطيع من خلالها المدراء تحديد المتغيرات البيئية المؤثرة لمعرفة نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات للمنظمة .

الخيار الاستراتيجي :- وهو عملية اتخاذ القرار بتطبيق الاستراتيجية الانسب للمنظمة .

رضا الزبون :- درجة الإشباع المتحققة للزبائن عند استخدامهم منتجات وخدمات الشركة .

الجودة :- وتعني مطابقة المنتج للمواصفات التي يرغبها الزبون .

السعر :- هو كمية النقود المدفوعة ثمنًا للمنتج .

الخدمة :- ونعني بها جميع التسهيلات المقدمة للزبون من قبل الشركة .

الوقت :- وهو المدة اللازمة لإنجاز الأعمال التي يطلبها المستهلك .

تاسعا :- عينة البحث والادوات

اعترافا بالدور الكبير الذي تقوم به شركات القطاع العام في البناء الاقتصادي والاجتماعي للبلد , فقد تم اختيار شركة الفرات العامة للصناعات الكيماوية مجتمعا للدراسة كونها تمثل واحدة من كبريات الشركات الحكومية واطولها عمرا واكثرها خبرة , كما وانها تمارس طائفة من الانشطة المختلفة فضلا عن انها تقدم منتجات متنوعة للمواطنين . وبخصوص عينة البحث فقد تم تحديدها بالمدراء في شركة الفرات و عينة قصدية من زبائن الشركة وعلى هذا الاساس فقد بلغ حجم عينة المدراء (٣٢) بلغ عدد الذكور (٣١) منهم والاناث (١). في حين بلغت عينة الزبائن (٥٧) زبونا موزعين على (٥٣) ذكور و(٤) اناث .

وقد استخدم الباحثان عدد من الاساليب في جمع البيانات والمعلومات منها : المصادر التاريخية والمقابلة الشخصية والمشاهدة الميدانية واستمارة الاستبيان التي اعتمدت بصورة اساسية لانها تعد من اهم طرائق جمع البيانات واكثرها انتشارا , اذ تم تصميم استمارتين الاولى تخص المدراء في الشركة والاخرى بالزبائن المتعاملين مع الشركة , وقد تكونت استمارة المدراء من (٢٤) عبارة تركزت على عناصر التخطيط الاستراتيجي وصيغت على مقياس likert الخماسي اذ اعطيت كل عبارة خمس خيارات هي (اتفق تماما , اتفق , محايد , لا اتفق , لا اتفق تماما) واعطيت الخيارات الدرجات التالية (١,٢,٣,٤,٥) على التوالي , بينما تكونت استمارة الزبائن من (٢٧) عبارة تركزت على العوامل المؤثرة في رضا الزبون وصيغت هذه الاستمارة ايضا على مقياس ikert . وقد تم اجراء عدة اختبارات على استمارتي الاستبيان للتأكد من صدقها وثباتها وبغرض التأكد من الصدق الظاهري فقد تم عرض فقرات المقياس على مجموعة من الاساتذة والخبراء في قسمي ادارة الاعمال والاحصاء

للحكم على مدى صلاحيتها في قياس الخاصية المراد قياسها وقد كان لملاحظاتهم الدور البناء في إعادة النظر في عدد من فقراتها وإعادة صياغة فقرات أخرى بغية تحقيق الدقة والوضوح في عملية جمع البيانات وبغرض التحقق من الاتساق الداخلي (الفا) للمقياس فقد تم استخدام معاملات (الفارومباخ) وقد بلغت لمتغيرات التخطيط الاستراتيجي (الرسالة ٠,٩٩ , التحليل ٠,٩٨٨ , الاهداف ٠,٩٨٩ , الخيار ٠,٩٩٧) و لمتغيرات رضا الزبون (الجودة ٠,٩٩٥ , السعر ٠,٩٩ , الخدمة ٠,٩٧٥ , والوقت ٠,٩٧٩) مما يدل على ان مقياس الدراسة يتمتع بدرجة عالية من الاستقلالية في قياسه للمتغيرات المصمم من اجلها , كما وبلغ معامل الثبات لمقياس التخطيط الاستراتيجي (٠,٩٨٧) ولمقياس الرضا (٠,٩٩) مما يعني ان استبانتى الدراسة وبمتغيراتها المختلفة ذات ثبات عال جدا .

المبحث الخامس :- تحليل واختبار العلاقات بين متغيرات الدراسة

اولا : تحليل علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة

يتناول هذا المبحث تحليل علاقة الارتباط بين كل من متغيرات التخطيط الاستراتيجي و أبعاد رضا الزبون ، وذلك من خلال استخدام معامل الارتباط . من اجل اكتشاف طبيعة العلاقة الواردة في الفرضية الرئيسة الاولى والتي تنص على عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون .

الجدول (٢)

علاقات الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) ورضا الزبون

رضا الزبون				المتغير المعتمد
المتغير المستقل	r	المحسوبة t	t الجدولية	مستوى المعنوية
الرسالة	٠,٧٨	١١,٦٠٠	٢,٣٩	٠,٠١
التحليل	٠,٨٨٢	١٧,٤٥٣	٢,٣٩	٠,٠١
الاهداف	٠,٨٦	١٥,٥٠١	٢,٣٩	٠,٠١
الخيار	٠,٧٩٥	١٢,٢٤٠	٢,٣٩	٠,٠١
المؤشر الكلي	٠,٨٣٩	١٤,٤٣٥	٢,٣٩	٠,٠١

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية .

يظهر الجدول (٢) نتيجة قياس علاقة الارتباط بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون واختبارها. اذ يتضح وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون إجمالاً . اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٨٣٩) وهي قيمة عالية تعكس وجود

علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بمستوى ثقة (٩٩٪). وتفسر هذه العلاقة انه كلما طبقت الشركة عملية التخطيط الاستراتيجي للوصول الى الأداء المناسب كلما ازدادت قدرتها على تحقيق رضا زبائنها. وتؤشر النتيجة السابقة ان العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون هي علاقة ذات دلالة معنوية ، اذ بلغت قيمة t المحسوبة (١٤,٤٣٥) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (٢,٣٩) عند مستوى معنوية (٠,٠١). وتأسيسا على ذلك يتم رفض الفرضية الرئيسة الاولى لعدم وجود ما يثبت صحتها في حين كانت نتائج علاقات الارتباط الفرعية كالآتي

١- تحليل علاقات الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والجودة .

يظهر الجدول (٣) نتائج قياس علاقة الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والجودة على المستوى الكلي للعينة . وتشير معطيات الجدول الى ان هناك علاقة ارتباط معنوية بين التخطيط الاستراتيجي والجودة . اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٨٧) وهي علاقة إيجابية وقوية ، اذ يعزز هذا الارتباط أهمية اثر التخطيط الاستراتيجي في تحسين جودة المنتجات المقدمة في الشركة موضوع الدراسة بمستوى ثقة (٩٩٪). وقد بلغت قيمة t المحسوبة (١٦,٥٣٨) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (٢,٣٩) عند مستوى معنوية (٠,٠١)

الجدول (٣)

نتائج الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) والجودة

المتغير المستقل	r	الجودة		مستوى المعنوية
		المحسوبة t	t الجدولية	
الرسالة	٠,٨١	١٢,٨١٨	٢,٣٩	٠,٠١
التحليل	٠,٩٢	٢١,٢٤٣	٢,٣٩	٠,٠١
الأهداف	٠,٨٥	١٥,٠٩٤	٢,٣٩	٠,٠١
الخيار	٠,٨٦	١٥,٦٤٢	٢,٣٩	٠,٠١
المؤشر الكلي	٠,٨٧	١٦,٥٣٨	٢,٣٩	٠,٠١

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية

مما سبق نجد ان جميع علاقات الارتباط المستخرجة بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والجودة تخالف الفرضية الفرعية الأولى من الفرضية الرئيسة الأولى وبناء عليه يتم رفض هذه الفرضية .

٢- تحليل علاقة الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والسعر

يتضح من الجدول (٤) النتائج المستحصلة لقياس علاقة الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي وعنصر السعر . وتكشف هذه النتائج عن وجود علاقة ارتباط ضعيفة جدا بين التخطيط الاستراتيجي والسعر ، بلغ معاملها (٠,٠٥). وهي قيمة ضعيفة جدا تؤشر ضعف العلاقة

بين المتغيرين وتفسر هذه العلاقة عدم تبني الشركة عينة البحث سياسة تسعير محددة ومدرسة للمنتجات التي تقدمها وبالشكل الذي يتوافق مع دخول الزبائن .
وقد جاءت نتائج الارتباط جميعها على مستوى متغيرات التخطيط الاستراتيجي . تدعم هذه العلاقة بين المتغيرين و كما في الجدول (٢٩) :

الجدول (٤)

نتائج علاقات الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) والسعر

السعر				المتغير المعتمد
مستوى المنوية	الجدولية t	الحسوبة t	r	المتغير المستقل
٠,٠٥	١,٦٧	١,٣٣٧	٠,١٤٢ -	الرسالة
٠,٠٥	١,٦٧	٠,٢٤٦	٠,٠٣	التحليل
٠,٠٥	١,٦٧	٠,٨٣٧	٠,٠٩ -	الأهداف
٠,٠٥	١,٦٧	٠,٦٠٩	٠,٠٧	الخيار
٠,٠٥	١,٦٧	٠,٥٩٩	٠,٠٦٤	المؤشر الكلي

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية
نخلص مما سبق الى ان جميع نتائج الاختبار الخاصة بالعلاقة بين التخطيط الاستراتيجي والسعر هي نتائج ضعيفة جدا وغير معنوية مما يؤيد صحة وقبول الفرضية الفرعية الثانية من الفرضية الرئيسية الأولى.

٣- تحليل علاقة الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي و الخدمة

يتولى هذا المحور مهمة التحقق من صحة الفرضية الفرعية الثالثة من الفرضية الرئيسية الثانية التي تنص على عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الخدمة.
وتشير نتائج الجدول (٥) إلى أن هناك علاقة ارتباط إيجابية بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الخدمة ، اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٥٤) وهي قيمة قوية نسبياً تفسر ان تبني الشركة لعملية التخطيط الاستراتيجي يساعدها في تقديم خدمات تزيد من إقبال الزبائن على منتجاتها .
كذلك تؤشر هذه النتيجة الى ان العلاقة بين المتغيرين هي علاقة معنوية اذ بلغت قيمة T المحسوبة (٤,١٥٤) وهي اكبر من قيمة T الجدولية (٢,٣٩) عند مستوى معنوية (٠,٠١) ودرجة حرية (٨) .

الجدول (٥)

نتائج علاقات الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) وعنصر الخدمة

الخدمة				المتغير المعتمد
مستوى المعنوية	الجدولية	المحسوبة t	r	المتغير المستقل
٠,٠١	٢,٣٩	٤,٤٢١	٠,٥٧٣	الرسالة
٠,٠١	٢,٣٩	٣,٧٢٥	٠,٥١	التحليل
٠,٠١	٢,٣٩	٦,٢١٢	٠,٧٠١	الاهداف
٠,٠١	٢,٣٩	٢,٧٨	٠,٤٠٣	الخيار
٠,٠١	٢,٣٩	٤,١٥٤	٠,٥٤٩	المؤشر الكلي

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية وتأسيساً على النتائج السابقة نرفض الفرضية الفرعية الثالثة من الفرضية الرئيسة الأولى لعدم وجود ما يثبت صحتها .

٤- تحليل علاقة الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والوقت

توضح معطيات الجدول (٦) ان هناك علاقة ارتباط قوية وموجبة بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الوقت . اذ بلغت قيمة معامل الارتباط (٠,٨٩) بين المتغيرين وهي علاقة قوية ومعنوية عند مستوى (٠,٠١) ، اذ بلغت قيمة (t) المحسوبة (١٢,٥٢٧) وهي اكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٢,٣٩) بدرجة حرية (٨٨) ومستوى ثقة (٩٩٪) وهذا يشير إلى أهمية أثر التخطيط الاستراتيجي في توفير منتجات الشركة في الوقت المناسب للزبائن .

وقد جاءت نتائج الارتباط جميعاً على مستوى متغيرات التخطيط الاستراتيجي كلا على حده تدعم صحة هذه النتيجة كما في الجدول :

الجدول (٦)

نتائج علاقات الارتباط بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) وعنصر الوقت

المتغير المستقل	r	الوقت		مستوى المعنوية
		المحسوبة	t	
الرسالة	٠,٨٦	١٠,٥١١	٢,٣٩	٠,٠١
التحليل	٠,٩٠٢	١٣,٢١٩	٢,٣٩	٠,٠١
الاهداف	٠,٩٣	١٦,٠٥٧	٢,٣٩	٠,٠١
الخيار	٠,٨٤	٩,٧٩٧	٢,٣٩	٠,٠١
المؤشر الكلي	٠,٨٩٣	١٢,٥٢٧	٢,٣٩	٠,٠١

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية وتؤشر النتائج السابقة الى ان جميع نتائج الاختبار الخاصة بالعلاقة بين التخطيط الاستراتيجي بدلالة متغيراته مجتمعة وعنصر الوقت كانت إيجابية وذات دلالة معنوية . مما يثبت وجود علاقة ارتباط خطي ذات دلالة إحصائية معنوية بين التخطيط الاستراتيجي و الوقت ، الأمر الذي يدعو إلى رفض الفرضية الفرعية الرابعة من الفرضية الرئيسة الأولى لعدم وجود ما يثبتها .

المبحث الثاني :- تحليل علاقات التأثير بين متغيرات الدراسة

يتناول هذا المبحث تحليل علاقات التأثير بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون من اجل اختبار مدى صحة الفرضية الرئيسة الثانية والفرضيات الفرعية المنبثقة عنها . والتي مفادها أن هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون .

- تحليل علاقة الأثر بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون

يتولى هذا المحور مهمة الكشف عن طبيعة التأثير الوارد في الفرضية الرئيسة الثانية . إذ تشير معطيات الجدول (٧) إلى نتائج التحليل إذ يؤشر معامل التحديد (R^2) ان نسبة الاختلاف المفسر في رضا الزبون بسبب تأثير التخطيط الاستراتيجي لا تقل عن (٧٠ %) وهي نسبة جيدة تعني ان التخطيط الاستراتيجي للشركة يستطيع إشباع ٧٠ % من رغبات الزبون ، وان النسبة المتبقية (٣٠ %) تمثل نسبة إسهام متغيرات غير داخلية في أنموذج الدراسة الحالي أو التي لا يمكن السيطرة عليها . يدعم ذلك اختبار F فقد بلغت قيمة F المحسوبة (٧,١٨٥) وهي اكبر من F الجدولية (٧,٠٧٧) عند مستوى معنوية (٠,٠١) ودرجة حرية (١,٨٧) ،

الجدول (٧)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) ورضا الزبون

رضا الزبون					المتغير المعتمد
المتغير المستقل	r2	f المحسوبة	f الجدولية	مستوى المعنوية	p قيمة
الرسالة	٦٠,٧٣%	٤,٦٦	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٠٣
التحليل	٧٧,٧٨%	١٠,٥	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٢
الاهداف	٧٣,٤٢%	٨,٢٩	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٥
الخيار	٦٣,٢٦%	٥,١٧	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٠٢
المؤشر الكلي	٧٠%	٧,١٨٥	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٩

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية

باحتمال رفض فرضية العدم (H_0) التي تنص على (عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون) نحو (٠,٠٠٩) وهذا يعني أننا لو رفضنا فكرة عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون (١٠٠٠) مرة لكان قرارنا صائباً ٩٩١ مرة وهنالك ٩ قرارات خاطئة فقط . وهذا يعني عدم وجود ما يمنعنا من رفض فكرة عدم وجود علاقة بين المتغيرين .

وقد جاءت نتائج تحليل اختبارات التأثير للفرضيات الفرعية كالآتي :

١ - تحليل علاقات التأثير الإحصائية بين التخطيط الاستراتيجي والجودة

يتضح من الجدول (٨) وجود تأثير ذي دلالة إحصائية معنوية موجبة للتخطيط الاستراتيجي في متغير الجودة ، اذ يؤشر معامل التحديد (R^2) ان نسبة الاختلاف المفسر في جودة منتجات الشركة بسبب تأثير متغيرات التخطيط الاستراتيجي إجمالاً لا تقل عن (٧٥,٨٧٪) ، وهي نسبة جيدة تدل على ان (٧٥,٨٪) من الاختلافات الكلية في الجودة تتحدد من خلال معرفة إدارة الشركة بمتغيرات التخطيط الاستراتيجي ، وان النسبة المتبقية (٢٤,٢٪) تمثل نسبة مساهمة المتغيرات غير الداخلة في النموذج الدراسة او متغيرات عشوائية لا يمكن السيطرة عليها يدعم ذلك اختبار F ، اذ بلغت قيمة F المحسوبة (٩,٤٣١) وهي اكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٧,٠٧٧) عند درجتي حرية (١,٨٧) ومستوى معنوية (٠,٠١) ، أي بدرجة ثقة (٩٩٪) وباحتمال رفض فرضية العدم (H_0) التي تنص على " عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي و الجودة " بلغ (٠,٠٠٣) وهذا يعني أننا لو رفضنا فكرة عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي والجودة ١٠٠٠ مرة لكان قرارنا صائباً في ٩٩٧ مرة وهنالك ٣ قرارات خاطئة فقط .

جدول (٨)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) والجودة

المتغير المعتمد	الجودة				
المتغير المستقل	r2	f المحسوبة	f الجدولية	مستوى المعنوية	p قيمة
الرسالة	٦٥,٣٨٪	٥,٦٦	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٠٢
التحليل	٨٣,٨٤٪	١٥,٥٦	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠
الاهداف	٧٢,٣٧٪	٧,٨٥	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٦
الخيار	٧٣,٧٧٪	٨,٤٣	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٥
المؤشر الكلي	٧٥,٨٧٪	٩,٤٣١	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٣

المصدر : - إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية وتأسيساً على ما سبق يمكن القول بان هناك علاقة تأثير معنوية بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الجودة، وبذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى من الفرضية الرئيسة الثانية.

٢- تحليل علاقات التأثير الإحصائية بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والسعر
توضح نتائج الجدول (٩) ان نسبة معامل التحديد (R^2) بين المتغيرين التخطيط الاستراتيجي والسعر مقارنة للصفر ، اذ بلغت (٠,٠٠٤) وهي قيمة ضعيفة جداً ، لا تدل على وجود تأثير لمتغير التخطيط الاستراتيجي في السعر يمكن ان يؤخذ بنظر الاعتبار . باحتمال رفض فرضية العدم التي تنص على "عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي والسعر" نحو (٠,٩١) ، وهذا يعني اننا لو رفضنا فكرة عدم وجود علاقة بين المتغيرين (١٠٠) مرة لكان قرارنا خاطئاً في حوالي (٩١) ، وصائباً في ما تبقى أي (٩) مرات فقط .

الجدول (٩)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (اجمالاً وتفصيلاً) والسعر

المتغير المستقل	المتغير المعتمد	السعر			
		قيمة p	f الجدولية	f المحسوبة	r ²
الرسالة		٠,٨٠٥	٤,٠٠١	٠,٠٦٢	٢,٠١٪
التحليل		٠,٩٦	٤,٠٠١	٠,٠٠٢	٠,٠٧٪
الاهداف		٠,٨٧	٤,٠٠١	٠,٠٢٤	٠,٨٪
الخيار		٠,٩١	٤,٠٠١	٠,٠١٣	٠,٤٢٪
لمؤشر الكلي		٠,٩١	٤,٠٠١	٠,٠١٢	٠,٤١٪

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية

ومما سبق يمكن القول بأنه كان لمتغيرات التخطيط الاستراتيجي أثر ضعيف جداً في متغير السعر ، وإن ما نسبته (٠,٩٩٦) من التغيرات في السعر لا يستطيع النموذج الحالي تفسيرها ، لأنها بفعل متغيرات أخرى عشوائية أو لا يمكن السيطرة عليها ، لم تدخل في النموذج الحالي .

ومن الجدير بالذكر أن قيمة F المحسوبة بلغت (٠,٠١٢) وهي أقل من قيمة F الجدولية (٤,٠٠١) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) . وعليه تكون العلاقة التأثيرية بين المتغيرين شبة معدومة. مما يدل على صحة الفرضية الفرعية الثانية من الفرضية الرئيسة الثانية وقبولها.

٣- تحليل علاقات التأثير الإحصائية بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والخدمة

تنص الفرضية الفرعية الثالثة من الفرضية الرئيسة الثانية على أن للتخطيط الاستراتيجي تأثيراً ذا دلالة إحصائية في الخدمات التي تقدمها الشركة لزبائنها . ويتضح من الجدول (١٠) أن معامل التحديد (R²) بين التخطيط الاستراتيجي و متغير الخدمة بلغ (٠,٣٠١) ، اذ يدل هذا المؤشر إلى أن قدرة المتغير المستقل في تفسير التغير الذي يطرأ على متغير الخدمة بنحو (٣٠ ٪) وأن نحو (٧٠ ٪) من التغيرات الحاصلة هي بسبب متغيرات أخرى عشوائية أو لا يمكن السيطرة عليها . كذلك بلغت قيمة F المحسوبة (١,٣٠) وهي أصغر من F الجدولية البالغة (٤,٠٠١) عند مستوى (٠,٠٥) . مما يدل على أن العلاقة غير معنوية بين المتغيرين . باحتمال رفض فرضية العدم (H0) التي تنص على " عدم وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي والخدمات التي تقدمها الشركة عينة الدراسة (نحو (٠,٢٥) وهذا يعني أننا لو رفضنا فكرة عدم وجود علاقة بين المتغيرين (١٠٠) مرة لكان قرارنا صائباً في (٧٥) مرة وخاطئاً في (٢٥) مرة.

وقد جاءت نتائج التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والخدمة على النحو الآتي :

الجدول (١٠)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (إجمالاً وتفصيلاً) والخدمة

المتغير المعتمد	الخدمة				
المتغير المستقل	r2	f المحسوبة	f الجدولية	مستوى المعنوية	p قيمة
الرسالة	٣٢,٨٢%	١,٤٦٦	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٢٢
التحليل	٢٥,٧٦%	١,٠٤١	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٣١
الأهداف	٤٩,١%	٢,٨٩٤	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٠٩
الخيار	١٦,٢٦%	٠,٥٨٢	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٤٤
المؤشر الكلي	٣٠%	١,٣	٤,٠٠١	٠,٠٥	٠,٢٥

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية وبناء على ما جاء في أعلاه ، يمكن القول بأن هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي ومتغير الخدمة ، وبذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الثالثة من الفرضية الرئيسة الثانية .

٤- تحليل علاقات التأثير الإحصائية بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والوقت تشير معطيات الجدول (١١) إلى وجود تأثير ذي دلالة معنوية موجبة للتخطيط الاستراتيجي (ممثلاً بعناصره) في متغير الوقت ، إذ بلغت قيمة F المحسوبة (١١,٧٧) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٧,٠٧٧) عند درجتي حرية (١,٨٧) ومستوى معنوية (٠,٠١) أي بدرجة ثقة (٩٩٪) ، كما بلغ معامل التحديد (R2) بين التخطيط الاستراتيجي والوقت (٠,٧٩٧) ، إذ يدل هذا المؤشر على أن لمتغير التخطيط الاستراتيجي القدرة على تفسير ما يقارب (٧٩,٧٪) من التغيرات الحاصلة في متغير الوقت ، وإن النسبة المتبقية (٢٠,٣٪) هي بسبب متغيرات أخرى لم تدخل في النموذج الحالي . باحتمال رفض فرضية العدم (H0) بلغ (٠,٠٠١) وهذا يعني أننا لو رفضنا فكرة عدم وجود علاقة بين المتغيرين لكان قرارنا صائباً في (٩٩٩) مرة وخاطئاً مرة واحدة فقط في كل ١٠٠٠ قرار.

الجدول (١١)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي (اجمالاً وتفصيلاً) والوقت

المتغير المعتمد	الوقت				
المتغير المستقل	r2	f المحسوبة	f الجدولية	مستوى المعنوية	p قيمة
الرسالة	٧٣,٤٢%	٨,٢٨٦	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٥
التحليل	٨١,٣٧%	١٣,١٠٦	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٠
الاهداف	٨٦,٥٧%	١٩,٣٣٦	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٠
الخيار	٧٠,٥٨%	٧,١٩٨	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠٩
المؤشر الكلي	٧٩,٦٩%	١١,٧٧	٧,٠٧٧	٠,٠١	٠,٠٠١

المصدر :- إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الإلكترونية وبناء على النتائج السابقة نجد ان هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية بين التخطيط الاستراتيجي ومتغير الوقت ، وعليه يتم رفض الفرضية الفرعية الرابعة من الفرضية الرئيسة الثانية .

المبحث السادس :- الاستنتاجات والتوصيات

سيتم في هذا المبحث استعراض أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسة وذلك بالاعتماد على استقراء الجانب النظري ونتائج تحليل الجانب الميداني وكذلك اقتراح التوصيات المناسبة في ضوء ما تم التوصل إليه من استنتاجات .

اولاً :- الاستنتاجات

- ١- كانت نتائج التطبيق لعمليات التخطيط الاستراتيجي في الشركة قيد الدراسة جيدة نسبياً مما يدل على اهتمام الإدارة باعتماد التخطيط المستقبلي لعمالها بهدف مواجهة اي ظروف قد تحدث وتؤثر في سير عملياتها.
- ٢- أظهرت نتائج التحليل الإحصائي آراء عينة الزبائن ان هناك رضا لدى الزبائن بدرجة جيدة نسبياً عن (الجودة ، والوقت ، والخدمة) في حين كشفت هذه النتائج أيضاً أن أغلب الزبائن غير راضين عن الأسعار التي تعرض بها الشركة منتجاتها .
- ٣- أظهرت نتائج الدراسة ان هناك علاقة ارتباط قوية ومعنوية بين التخطيط الاستراتيجي والجودة اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٨٧).

- ٤- أظهرت نتائج الدراسة ان نتيجة علاقة الارتباط بين التخطيط الاستراتيجي والسعر كانت اقل من (١٪) وهي نسبة ضعيفة لا تدل على اهتمام خطط إدارة الشركة بعنصر السعر .
- ٥- اتضح من نتائج الدراسة ان هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية الا انها متوسطة فيما بين التخطيط الاستراتيجي والخدمة اذ بلغت قيمة ($r = 0.54$) وهي قيمة موجبة تدل على اهتمام متوسط الشدة لإدارة الشركة بالخدمات التي تقدمها للزبون عند إقدامه على شراء منتجاتها .
- ٦- دلت نتائج الدراسة على علاقة ارتباط معنوية بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الوقت اذ بلغ معامل الارتباط بين المتغيرين (٠.٨٩) وهي قيمة عالية تدل على قوة العلاقة الإيجابية بين عملية التخطيط الاستراتيجي والوقت .
- ٧- أفرزت نتائج الدراسة عدم صحة الفرضية الرئيسة الاولى بشكل عام اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بين متغيري التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون إجمالاً (٠.٨٣) وهي نسبة قوية تدل على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية عند مستوى (٠.٠١) ودرجة حرية (١,٨٨) .
- ٨- أظهرت نتائج الدراسة ايضا عن وجود علاقة تأثير معنوية بين متغيرات التخطيط الاستراتيجي والجودة اذ بلغت قيمة معامل التحديد بينهما (٧٥٪) .
- ٩- اتضح من نتائج التحليل الإحصائي ان تأثير التخطيط الاستراتيجي ضعيف جدا وغير معنوي في عنصر السعر. اذ يشير ذلك الى عدم تبني إدارة الشركة لسياسة تسعير معينة يعتمد عليها في تحديد أسعار المنتجات .
- ١٠- اظهرت نتائج التحليل الإحصائي ان هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إلا أنها ضعيفة بين التخطيط الاستراتيجي وعنصر الخدمة .
- ١١- أشارت نتيجة التحليل الإحصائي الى وجود علاقة تأثير معنوية بين التخطيط الاستراتيجي والوقت بدرجة ثقة (٩٩٪) وبدرجة حرية (١.٨٧) . اذ بلغت قيمة معامل التحديد (٧٩.٦٩٪) . وهذا يشير الى مدى قدرة التخطيط الاستراتيجي على توفير المنتجات للزبائن بالوقت المناسب .
- ١٢- برهنت نتيجة التحليل على وجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون إجمالاً اذ بلغت قيمة معامل التحديد فيها (٧٠٪) .

ثانياً :- التوصيات

ونحن نعيش اليوم واقعا جديدا يختلف عما عليه من قبل متمثلا بانفتاح السوق العراقي وزيادة حدة المنافسة بين الشركات العراقية والدولية تلك الشركات التي تمتلك قدرات استراتيجية عالية في تقديم منتجات ذوات مواصفات عالية تتوافق ورغبات الزبون لذا بات من الضروري على إدارات الشركات العراقية عامة والشركة عينة الدراسة خاصة ان تهتم بفعاليات التخطيط الاستراتيجي وان تركز على الإفادة القصوى من المزايا التي يحققها من خلال التطبيق الفعلي والجاد لكل عناصره وعلى كافة المستويات الإدارية في الشركة . وبالرغم من ان نتائج الدراسة أشارت الى ان المعنيين في الشركة المبحوثة يقومون بعمليات التخطيط الاستراتيجي الا انها ليست بالمستوى المطلوب . لذا تقترح الباحثة التوصيات الآتية :

- ١- ضرورة إجراء دراسات ميدانية بين مدة وأخرى للوقوف على أي من المستجدات التي تطرأ في الأسواق ، كدخول منتجات جديدة منافسة ، وتغيير في مستوى الأسعار ، و تقديم خدمات جديدة ، او أي تغييرات أخرى بالشكل الذي يجعل إدارة المنظمة على بينة واضحة لما يدور حولها بغية الاستعداد لأي جديد قد يؤثر في سير أعمالها .
- ٢- اتباع منهج جديد في تحديد الأسعار والاعتماد على سياسة تسعيرية متوازنة قائمة على أساس دراسة شاملة لأسعار المنتجات المماثلة المحلية والدولية ، على أن تأخذ بنظر الاعتبار حاجات الزبون وإمكاناته من جهة والكلف التي تتحملها الشركة من جهة أخرى .
- ٣- محاولة التركيز على فعاليات التخطيط الاستراتيجي وهدف رضا الزبون بوصفهما محورين أساسيين ينبغي الالتزام بتطبيقهما معا ، والابتعاد عن النظرة الحيادية التي لا تحقق النجاح والتفوق للمنظمة وتعرقل سبيل تقدمها .
- ٤- اعتمادا على التحليل اتضح أن نتائج عنصر الخدمة ليست بالمستوى المرغوب به مما يستلزم من إدارة الشركة محاولة تحسين نوعية ومستوى الخدمات المرافقة لعملية تقديم المنتج وذلك من خلال :
- أ- تشكيل لجنة خاصة بقرار من الإدارة العليا في الشركة تقوم بدراسة الخدمات التي تقدمها الشركات ذات الإنتاج المماثل ، كما ونوعا وأساليب تقديمها ، وكذلك تقوم بأجراء دراسات استكشافية لمتطلبات السوق ، والبحث في شبكة المعلومات الدولية للتعرف على مستوى الخدمات التي تقدم عالميا .وعند الانتهاء من هذه المهمة ترفع تقريرا مفصلا عن النتائج التي حصلت عليها إلى الإدارة العليا مع بعض الاقتراحات التي توصي بها .
- ب- تثبيت مجموعة من الخدمات التي تستطيع الشركة تقديمها مع منتجاتها وبما يتناسب مع قدرات وإمكانات الشركة الداخلية والخارجية .
- ج - تشكيل قسم او وحدة تتولى عملية تقديم الخدمات للزبائن مع المنتج ومتابعة ردود أفعالهم والاستماع لمقترحاتهم بشأن الخدمات المقدمة او الخدمات الجديدة التي قد يرغبون في الحصول عليها ، ومحاولة تطبيق هذه الاقتراحات عمليا .
- ٥- التركيز على تحقيق رضا الزبائن بالاعتماد على التطبيق الفعلي لفعاليات إدارة الجودة الشاملة ، والمتمثل بالآتي :
- أ- العناية الجادة بشكاوى الزبائن
- ب- تعزيز نظام المعلومات من خلال إنشاء مركز بحوث جيد يعتمد على التغذية العكسية لردود أفعال الزبائن حول التغيرات في السوق من اجل دعم عملية التخطيط الاستراتيجي .
- ج- تحديث وسائل الإنتاج باستبدال الماكائن والمعدات الموجودة بالأخرى اكثر تطورا بهدف التخلص من الوقت المطلوب لصيانة هذه المعدات وتصليحها وزيادة الطاقة الإنتاجية بحيث يضمن توافر المنتجات عند طلبها .
- ٦- تشجيع عملية الإبداع والابتكار بين صفوف العاملين في الشركة وذلك من خلال إجراء مسابقة لأفضل ابتكار خلال مدة محددة يمنح الفائز بها مكافأة مناسبة لرفع الروح المعنوية للعاملين

وزيادة التنافس بينهم . علاوة على ذلك فان الشركة بحاجة إلى تطوير الكوادر الإدارية والفنية فيها وهذا لا يتم الا من خلال زج هذه الكوادر في دورات تخصصية داخل الشركة وخارجها و فسخ المجال أمام بعضهم لاكمال دراساتهم العليا من اجل توفير كوادر شابة قادرة على إدارة الشركة في المستقبل .

٧- ضرورة مراجعة الإدارة العليا لنظام إدارة الجودة الشاملة في المنظمة في حقب زمنية مخططة لضمان استمرار ملاءمته وصلاحيته وفاعليته ، بحيث تتضمن هذه المراجعة تحديد فرص التحسين المستمر والحاجة الى التغيرات اللازمة في الأنظمة المعتمدة في المنظمة بما في ذلك الأهداف والسياسات

٨- اعتماد المقارنة المرجعية مع الشركات المماثلة العراقية والدولية لمعرفة مدى التقدم والتحسين في برامج الجودة قياساً بتلك الشركات ، وإنشاء معايير لقياس الأداء على مستوى المنظمة والعاملين .
٩- الاطلاع على تجارب المنظمات العالمية الناجحة ، ومراجعة الدراسات والبحوث المنشورة ذوات العلاقة بعملية التخطيط الاستراتيجي ورضا الزبون بهدف الاستفادة منها من خلال تكييفها للبيئة العراقية ومحاولة تطبيع العاملين عليها .

المصادر

اولاً :- المصادر باللغة العربية

- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابراهيم ، حسين والعمر ، رضوان المحمود و الخليل ، عبد الحميد (ادارة الجودة الشاملة بالتطبيق على الصناعات الغذائية في سورية)، مجلة بحوث جامعة حلب سلسلة العلوم الاقتصادية ، جامعة حلب ، العدد(٢٣) ، لعام ١٩٩٩ .
- ٣- اميريان ، بيير.مانك،ريتشارد.ايريك،برنارد.ويبر.باتريك((التسويق وادارة الاعمال التجارية))، ترجمة أياذ زوكار، ط١، سلسلة الرضا للمعلومات، دار الرضا للنشر، ١٩٩٩ .
- ٤- البرواري ،نزار عبد المجيد والبرزنجي، احمد محمد فهمي ((التسويق مدخل مفاهيمي / وظيفي / استراتيجي))، ط١، بغداد، ٢٠٠٣ .
- ٥- البكري ،ثامر ياسر ((ادارة التسويق))، المكتبة الوطنية ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة / الموصل، ٢٠٠٢ .
- ٦- البكري ، سونيا محمد ((ادارة الانتاج والعمليات " مدخل نظم ")) الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ ..
- ٧- بن سعيد ،خالد بن سعد عبد العزيز ((ادارة الجودة الشاملة تطبيقات على القطاع الصحي))، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٧ .
- ٨- بورتر ،مايكل أي ((من الميزة التنافسية الى استراتيجية الشركة))، عن فن الادارة ل ال باولو، جوزيف. ترجمة سعد ابو لبة، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧ .
- ٩- التميمي ،حسين عبد الله حسن ((ادارة الانتاج والعمليات[مدخل كمي]))، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧ .

- ١٠- حجازي، جمال طاهر ابو الفتوح ((ادارة الانتاج والعمليات مدخل ادارة الجودة الشاملة)) ط١، مكتب القاهرة للطباعة والتصوير، الزقازيق، ٢٠٠٢.
- ١١- حمود، خضير كاظم ((ادارة الجودة الشاملة))، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الاردن، ٢٠٠٠..
- ١٢- خليل، نبيل مرسي ((التخطيط الاستراتيجي))، ط١، دار المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٤.
- ١٣- الشماع، خليل محمد حسن (مبادئ الادارة مع التركيز على ادارة الاعمال))، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩.
- ١٤- الصرن، رعد حسن ((ادارة الابداع والابتكار، كيف تخلق بيئة ابتكارية في المنظمات))، ج٢، ط١، سلسلة الرضا للمعلومات، دار الرضا للنشر، دمشق - سوريا، ٢٠٠١.
- _____ ((نظم ادارة البيئة والايزو ١٤٠٠٠))، سلسلة الرضا للمعلومات، دار الرضا للنشر، دمشق - سوريا، ٢٠٠١.
- ١٦- الطويل، اكرم احمد وسلطان، حكمت رشيد (امكانية تطبيق ادارة الجودة الشاملة في الصناعة العراقية، دراسة استطلاعية لاراء المدراء في عينة من الشركات المساهمة الخاصة - نينوى)، مجلة بحوث مستقبلية، كلية الحداثة الجامعة، العدد (٤)، تموز، ٢٠٠١.
- ١٧- العاني، خليل ابراهيم محمود والقزاز، اسماعيل ابراهيم وكوريل، عادل ((ادارة الجودة الشاملة ومتطلبات الايزو ٩٠٠١، ٢٠٠٠))، ط١، مطبعة الاشقر، بغداد، ٢٠٠٢.
- ١٨- عبد الرحمن، مصطفى رضا (ادارة الجودة المتميزة الشاملة مدخل القرن الجديد)، مجلة البحوث الادارية، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، المجلد (٧)، العدد (٣- ٤)، ١٩٩٥.
- ١٩- عبيدات، محمد ابراهيم ((سلوك المستهلك))، ط٢، دار وائل للطباعة والنشر، عمان - الاردن، ١٩٩٨.
- ٢٠- _____ ((استراتيجية التسويق مدخل سلوكي))، ط٢، المستقبل للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ١٩٩٧.
- ٢١- العزاوي، محمد عبد الوهاب ((انظمة ادارة الجودة والبيئة ISO14000&ISO9000))، ط١، دار وائل للنشر، عمان - الاردن، ٢٠٠٢.
- ٢٢- عقيلي، عمر وصفي ((مدخل الى المنهجية الشاملة لإدارة الجودة الشاملة "وجهة نظر"))، ط١، دار وائل للنشر، عمان - الاردن، ٢٠٠١.
- ٢٣- العلاق بشير عباس ((مبادئ الادارة))، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ١٩٩٨..
- ٢٤- القطامين، احمد عطا الله ((التخطيط الاستراتيجي والادارة الاستراتيجية))، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ١٩٩٦.

- ٢٥ كوتلر ، فيليب و سوندرز، جون وارمسترونغ، غاري وبونغ ، فيرونيكا((التسويق ، اساليب التسويق الرئيسية))، ج٣، ترجمة مازن نفاع، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٢.
- ٢٦ - اللوزي ، موسى ((التطوير التنظيمي ، اساسيات ومفاهيم حديثة)) ، ط١ ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ١٩٩٩
- ٢٧ - محبوب ، وجيه ((البحث العلمي ومناهجه))، دار الكتب للطباعة والنشر - بغداد ، ٢٠٠٢.
- ٢٨ - معهد الادارة -لندن((التسويق والتخطيط))، مكتبة جرير ، ٢٠٠١..
- ٢٩ - نجم ، نجم عبود ((المدخل الياباني الى ادارة العمليات "الاستراتيجية والنظم والاساليب"))، ط١ ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، الاردن ٢٠٠٤.
- المصادر باللغة الانكليزية

A- Book

- “ -Aaker, David A .Strategic market management 4th ed., by John Wiley & Sons Inc, in U.S.A, 1995. “
- “ -Arnold ,J. R. tony Introduction to materias management”3rd ed., by prentice Hall international inc , in u.s.A, 1998. “
- “ - Bergman, Bo. Klefsjo, Bengt Quality from customer needs to customer sat sfaction” 3rd ed., by studentlitteratur Lund, Sweden, 1999. “
- “ -Bounds, Grey, Yerks, Lyle.Adams, Mel-Ranney, Gipsie Beyond total quality management towarol The Emerging paradigm”, by McGrow-Hill, inc in u.s.A, 1994. “
- “ -Chaffey ,Dave.Mayer, Richarol.Johnston, Kevin.Chadwick, Flonaellis Internet marketing” strategy, implementation&practice, First ed., by Pearson edition on limited, in Britain, 2000. “
- “ -Daft, Rchard L .management” fifth Edition, by The Darden press, in u.s.A, 2000. “
- “ -Davis Mark M. Aquilano, Nicholas J. Chase, Richard B .Fundamentals of operations management 4th ed. , by mc Grow-Hill Irwin,2003. “
- Ellis, John & Williams, David “International Business strategy “, first ed., by Pitman publishing, in Brition, 1995.
- “ -Evans ,James R Production / Operation Management 5th ,by Publishing Company ,in U.S.A ,1997. “
- “ -Feigenbaum, Armand V .Total qualityControl”3rd ed., by Mc Graw-Hill Inc, in Singapore 1991. “
- “ -Goetsch, David L. Davis, Stanley B .Introduction to total quality management for production, processing, and services, 2nd ed., by prentice Hall, Inc, in U.S.A, 1997.

- “
- Griffin, Ricky W. "management" 4th condition, Houghton Mifflin Company. In U.S.A 1993.
 - “
 - "management" 6th Edition, by, Houghton Mifflin Company in U.S.A, 1999.
 - “
 - Haksever, Congiz, Render, Barry, Russell. Roberta Murdick. Render, "Service management and operation", 2nd ed., prantice-Hill, New Jersey, 2000.
 - “
 - Hellregel, Don. Jackson, Susan E. Slocum, John W. "management" 8th edition, by south western college publishing, 1999.
 - “
 - Hill, Charles W. Jones Gareth R. "strategic management Theory" A ninntegrated Approach, 5th Edition, by Houghton miff in Company, in u.s.A 2001.
 - Hodgetts, Richard M. "measures of quality and High performance", by AmAcom, in U.S.A 1998.
 - Jones, Thomas o & Sasser, Eariw (Why Satisfied Customers Defect), Harvard Business Review, November-december, 1995
 - “
 - Kargar, Javad. Parnell, John A. "Strategic Planning Emphasis and Planning Satisfaction in Small firms: An Empirical Investigation", Journal of Business Strategies, Vol (13), No (1), 1996. www.google.com
 - Kotler, Philip "marketing management" 10th ed., by prentice Hall Inc in u.s.A, 2000.
 - “
 - "marketing management" 9th ed., by prentice Hall Inc, in u.s.A 1997.
 - “
 - Kotler, Philip, Armstrong, Gary "principles of marketing" 8th ed., by prentice Hall Inc, in U.S.A, 1999.
 - “
 - Krajewski, Lee J. Ritzman, Larry P. "Operations management" strategy & Analysis, 4th ed., by Addison-Wesley publishing company, in U.S.A, 1996.
 - “
 - Leenders, Michiel R. Fearon, Harold. Flynn, Anna "Purchasing & supply management" 5th ed., by mc Graw-Hill companies in u.s.A, 1997.
 - “
 - Lehmann, Donald, Winer, Russell "product mangement" 2nd ed., Mc Grow-Hill companies, in Singapore, 1997.
 - Licker, Paul S. "management Information systems: A strategic leadership Approach" first ed., in U.S.A, 1997.
 - Logothetis, N. "Management for total Quality" form deming to taguchi and spc, by prentice Hall of India priyate Limited, New Delhi, 1997.
 - Lynch, Richard "corpoate strategy" 2nd Edition, Alders gate consultancy Limited, in Spain, 2000.
 - “
 - Mintzeberg, Henry, Quinn, James Brian-choshal, Sumantra "The strategy process" 1st ed., by , in , 1999.
 - “
 - Mintzberg, Henry, Quinn, James Brian "The strategy process, 3rd Edition, 1996.

- “
-Mc Namara ,Strategic Planning on nonprofit or for-profit organization”, 1999,in
www.mapnp.org /library /plan.
- “
-Mosley, Donald, Pietri, Paul. Megginson, Leonc management leadership in
action”5th ed., by Harper Collins college publishers, 1996. “
- Muhlemann, Alan. Oaklaid, John.Lockyer, Kerth Production and operations
management”6th ed., by Redwood Books, in Britain, 1992.
- Noor, Hamid & Radford, Russell Production and operations management
“
, International ed., by Mc Grow-Hill ,inc in u.s.a, 1995.
- “
-Peter, J. Paul. Donnelly, James marketing management knowledge & skills, 5th
Edition The mc grow- Hill company Inc, in u.s.A 1998.
- Pitts, Robert A. Lei, David strategic management”Bailding and sustaining
competitive Advantage, by west publishing company, in U.S.A, 1996.
- Prid, William M. Ferrell O.C .marketing” concepts and strategies, by Houghton
Mifflin Company, in U.S.A, 2000.
- Rajs gopal marketing management, Text&cases,First ed. , by Vikas publishing
House Pvt Ltd, in New Delhi,2000.
- Robson, Wendy strategic management and information systems” An integrated
approach, 2nd edition, by, prentice Hall, in Britain, 1997.
- Ross ,Joel E” Total Quality Management Text,Cases & Reading “ , 2nd edition ,by ST
.Lucie press ,in U.S.A ,1995
- “
- Robbins, Stephen, Coulter, Mary management” 6th ed., by prentice Hall Inc, in
u.s.A, 1999.
- “
- Stanton, William J. Etzel, Michael, Walker, Bruce marketing”11th ed., by mc
Grow-Hill company Inc,in u.s.A,1997.
- “ “
-Sutherland, Jon& Canwell, Diane Planning & Decision making , first ed., by
Pltman publishing, in Brition, 1997.
- “
- Thompson, Arther A. & Strickland III A.J .Strategic management concepts and
Cases”, 11th ed., by Mc Graw-Hill, Inc in Singapore, 1999.
- -Strategic management concepts and Cases”, 2nd ed., by Mc Graw-Hill, Inc in
u.s.a , 1996.
- “
-Wesner, John W. Hiatt, Jeffrey M., Trimble David C .Winning With Quality”
Applying Quality Principles in product development, 2nd, Addison-Wesley publishing
company, in u.s.A, 1995. “
- “
-Willington,Patricia Kaizen Strategies For Customer Care First edition .by
Prentice Hall ,in Britain ,1995
- “
- Wright, Peter.Kroll, Mark.Parnell, John A .strategic management.concepts”, 4th
edition, by, prentice Hall, 1998.

**تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية
في العراق
بالإدارة الكفوءة للعوائد النفطية**

أ.د. حاكم محسن محمد

تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العراق

بالإدارة الكفوءة للعوائد النفطية

أ.د. حاكم محسن محمد

تراجع مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العراق منذ اواخر السبعينات من القرن الماضي ولاسيما مع بداية الحرب العراقية - الايرانية إذ جرت عسكرة الاقتصاد العراقي وتغييب القوى العاملة والكوادر عن البناء والحاقها في جبهات القتال وبسبب ذلك حصل تراجع في مختلف القطاعات وعلى وجه التحديد القطاع الصناعي، اذ كانت العوائد النفطية تدار بقرارات فردية وتسخر للحروب العبيثة التي حصلت في العراق خلال المدة التي سبقت سقوط النظام حملت الاقتصاد العراقي (٦، ٥٠٩)^(١) مليار جنيه استرليني، وما اعقبت هذه الحرب من حرب جديدة سنة ١٩٩١ بعد احداث دخول الجيش العراقي الى الكويت، إذ تعرض العراق الى حرب شاركت فيها اكثر من ثلاثين دولة وفرض حصار شامل وتبعاً لذلك تراجع الاقتصاد العراقي في مختلف قطاعاته وبرزها القطاع الصناعي وعلى سبيل عرض واقع التنمية في العراق للمدة التي سبقت سقوط النظام والتي توضح عدم استغلال واستثمار العوائد النفطية كما في مجالات التنمية جاء هذا البحث الذي يتضمن سرد لهذا الواقع ومقترحات لكيفية استثمار الثروة النفطية وانعكاس اثار ذلك بشكل ايجابي على المجتمع العراقي.

اولاً: الموارد الاقتصادية

أ- القطاع الصناعي:

١. المنشآت الصناعية الكبيرة:

يعد القطاع الصناعي من القطاعات المعبرة عن مدى التطور الذي وصلت اليه الدولة لما له من انعكاسات ايجابية على مختلف المجالات الاقتصادية الاخرى، لكن هذا القطاع بقي متخلفاً بل وتراجع كثيراً بسبب الحروب العبيثة للنظام السابق ولذلك لم يدخل العراق في صناعات ثقيلة او متطورة وبقي اسير المنشآت التي كان لها اساس في المدة التي سبقت فترة النظام السابق. ويبين الجدول (١) عدد المنشآت الصناعية الكبيرة للسنوات ١٩٩٨ - ٢٠٠١ والتي كانت حصة القطاع العام محافظة على مستوياتها ففي عام ١٩٩٨ بلغت ١٠٢ وفي عام ٢٠٠١ كان عددها ١٠٨ وكذلك كان القطاع المختلط الذي لم تزداد منشآته عن سنة ٩٩ و٩٨ إذ بلغت (١٨) منشأة انشائية اصبحت

١ _ غانم التجار حالة اللاسلم واللاحرب الراهنة بين العراق وايران، دراسة غير منشورة - اعداد قسم العلوم السياسية - كلية التجارة - جامعة الكويت، الكويت ١٩٩١.

(٢٠) منشأة بينما كانت الزيادة الكبيرة في القطاع الخاص ، وكانت (٥٧١) منشأة سنة ١٩٩٨ أصبحت ٦٦١ منشأة عام ٢٠٠١.

ويكشف الجدول (٣) القيمة المضافة للمنشآت الصناعية الكبيرة حسب القطاعات ونوع الصناعات وقد تميز القطاع الخاص بأعلى مستوى للقيمة المضافة بلغت (٩٢١٧٩، ٤٣٣) ألف دينار وادنى مستوى كان للقطاع التعاوني (١٠٣٣٣٢) ألف دينار وعلى صعيد الصناعات كان اعلى مستوى للقيمة المضافة لصناعات المكائن والاجهزة والمعدات الكهربائية والتي بلغت (٤١٤٢٢٤٤٨) ألف دينار وادنى مستوى كان مساهمة صناعة التعدين والاستخراج حيث بلغت (٤٤٠٥٠٠٧) ألف دينار.

ويوضح الجدول رقم (٢) عدد هذه المنشآت حسب نوع الصناعات وكان نصيب منشآت المنتجات التعدينية غير المعدنية (٢٢٥) منشأة تليها الصناعات الغذائية التي بلغت (١٩٠) منشأة بينما كانت منشآت التعدين والاستخراج (٢) فقط ويشير ذلك الى قلة المنشآت الصناعية ذات الصناعات الثقيلة والصناعات التي تلبي حاجة البلد الى معدات وآلات انتاجية.

جدول رقم (١)

المنشآت الصناعية الكبيرة حسب القطاع من حيث الملكية

للسنوات ١٩٩٨ - ٢٠٠١

السنة القطاع	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١
قطاع عام	١٠٢	١٠٤	١٠٢	١٠٨
مختلط	١٨	١٨	٢٠	٢٠
تعاوني	٣٥	٣٦	٣٤	٢٤٠
خاص	٤١٦	٤٠٩	٤٨٣	٥٠٤
المجموع	٥٧١	٥٦٧	٦٣٩	٦٦١

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٢)

عدد المنشآت الصناعية حسب نوع الصناعة

الصناعة القطاع	قطاع عام	مختلط	تعاوني	خاص	خاص
التعدين والاستخراج	٢	-	-	-	-
المواد الغذائية	٧	٣	-	١٨٠	١٨٠
المشروبات الغازية والكحولية	-	٢	٥	٢٧	٢٧

١	-	-	-	-	تنقيح التبغ وصناعة السكاير
١٣	٣	-	٥٢	٥٢	الكيميائية ومنتجات النفط والبلاستيك
٥٥	٤	-	١٦٦	١٦٦	الخامات التعدينية غير المعدنية
٢	-	-	-	-	الصناعات المعدنية الاساسية
١	-	-	٦	٦	المنتجات المعدنية المصنعة (عدا المكائن والمعدات)
-	-	-	١	١	المكائن عدا الكهربائية
٤	٣	-	٤	٤	المكائن والاجهزة والمعدات الكهربائية
٢	٢	-	-	-	صناعة وتصليح وسائط النقل
١٠٨	٢٠	٢٩	٥٠٤	٥٠٤	المجموع العام

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٣)

القيمة المضافة للمنشآت الصناعية الكبيرة (بالالف دينار)

الصناعة القطاع	قطاع عام	مختلط	تعاوني	خاص	المجموع
التعدين والاستخراج	٤٤٠٥٠٠٧	-	-	-	٤٤٠٥٠٠٧
المواد الغذائية	١٠١٤٥٧٠٦	٧٣١٢٣٨	-	١٩٩٥٧٨١٥	٣٠٨٣٤٧٥٩
المشروبات الغازية والكحولية	-	١٠٥٤٣٨٩٨	-	٥٣٩٧٦١٤	١٥٩٤١٥١٢
تنقيح التبغ وصناعة السكاير	١٦٠٥٩١٢٧	-	-	-	١٦٠٥٩١٢٧
المنسوجات	١٥٠٠٩٤٧٤	-	-	١٦٠٢١٢٣٨	٣١٠٣٠٧٢

٧٩٨٥١١٢	٨٩٠٩١٩	٦٩١٠٣	١٥٨٨١٣	٦٨٦٦٢٧٧	الملابس الجاهزة
١٣٩٧٣	١٣٩٧٣	—	—	—	الجلود ومنتجاتها (عدا الاحذية)
٨٢٣٦٨٦٦	—	—	—	٨٢٣٦٨٦٦	الاحذية
١٥٥٢٣٨٥	١١١٠٦٢٠	٣٤٢٢٩	٣٧٠٧٤٨	٣٦٧٨٨	منتجات الخشب والاثاث
٤١٤٢٢٤٤٨	—	—	٣٥٣٨٧٤٤	٣٧٨٨٣٧٠٤	المكائن والاجهزة والمعدات الكهربائية
١٦٦٨٩٧١٦	—	—	٥٤٩٧٣٧٧	١١١٩٢٣٣٩	صناعة وتصليح السيارات
١٧٤١٧١٦١٧	٤٣٣٩٢١٧٩	١٠٣٣٣٢	٢٠٨٤٠٨١٨	١٠٩٨٣٥٢٨٨	

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

٢. المنشآت الصناعية المتوسطة:

بلغ عدد المنشآت الصناعية المتوسطة (١٧١) منشأة لسنة ١٩٩٩ وهو اكبر عدد بالنسبة للمدة من ١٩٩٧ - ٢٠٠١ وادنى عدد كان لسنة ١٩٩٧ إذ بلغت ١٣٩ منشأة كما موضح في الجدول رقم (٤) ورغم ان سنة ١٩٩٩ كان عدد هذه المنشآت فيها اكبر من بقية السنوات الا ان القيمة المضافة كانت بالسالب وبمقدار (٦٤٨٣٣٩٥) الف دينار في حين تحسن مستوى القيمة المضافة الى ان اصبح (١٣٤٩٣٤٣٣) الف دينار لسنة ٢٠٠٠ رغم ان عدد المنشآت المتوسطة لهذه السنة كان (١٥٦) منشأة وتباينت للسنوات الاخرى، اما القيمة المضافة على مستوى المحافظات فقد حظيت مدينة بغداد بأكبر مستوى للقيمة المضافة اذ بلغت (١٧٨٩٨٦٧) الف دينار تلتها مدينة البصرة إذ كانت (١٢٢٩١٠٦) دينار في حين خلت بعض المحافظات من هذا النوع من المنشآت وهذه المحافظات هي واسط وصلاح الدين والقادسية والمثنى وذي قار وثلاث محافظات في الشمال هي اربيل، دهوك، السليمانية إذ لم تتوفر البيانات عنها. والجدول (٤) و(٥) و(٦) تكشف ذلك. وتباينت هذه الشركات في مستوى القيمة المضافة لها حسب نوع الصناعة إذ كان اعلى مستوى للقيمة المضافة لصناعة المواد الغذائية والمشروبات اذ بلغت (٣٥٧٣١٠٩) الف دينار، تليها صناعة وتصليح المكائن إذ بلغت القيمة المضافة (٤٤٦٤٦٧) الف دينار وادنى مستوى كان للصناعات المعدنية الاساسية وكان (٣٠٥٩) الف دينار في حين لم تحقق الصناعات الورقية والطباعة والصناعات المتفرقة اية قيمة مضافة وكانت صفر.

جدول رقم (٤)

القيمة المضافة للمنشآت الصناعية المتوسطة للسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠١
(بالالف دينار)

السنة	عدد المنشآت	القيمة المضافة
١٩٩٧	١٣٩	١٢٠٩٠٢١
١٩٩٨	١٦٣	٣١٣٣٥٧٢
١٩٩٩	١٧١	٦٤٨٣٣٩٥٠٠
٢٠٠٠	١٥٦	١٣٤٩٣٤٣٣
٢٠٠١	١٤٢	٥٠٥٤٧٧٥

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٥)

القيمة المضافة وعدد المنشآت الصناعية المتوسطة حسب المحافظات
(بالالف دينار)

المحافظة	عدد المنشآت	القيمة المضافة
نينوى	٩	٦٨٦١١٤
كركوك	١١	٧٦٧٩٠
ديالى	٢٠	٥٢٦٥٢٠
الانبار	٢	١٨١٣٤
بغداد	٦٨	١٧٨٩٨٦٧
بابل	١٣	٥٨٥٦٦٧
كربلاء	٢	٨٤٨٠٧
واسط	-	-
صلاح الدين	-	-
النجف	١	٣٩٤٤٠
القادسية	-	-
المنجى	-	-
ذي قار	-	-
ميسان	١	١٨٣٣٠
البصرة	١٥	١٢٢٩١٠٦
دهوك	-	-
اربيل	-	-

السليمانية	-	-
المجموع	١٤٢	٥٠٥٤٧٧٥

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٦)

القيمة المضافة للمنشآت الصناعية المتوسطة حسب نوع الصناعة

لسنة ٢٠٠١ (الف دينار)

الصناعة	القيمة المضافة
التعدين والاستخراج	١٣,٩٣٥
المواد الغذائية والمشروبات	٣,٥٧٣,١٠٩
المنسوجات	١١٩,١٨٨
خياطة الملابس الجاهزة	٤١,٥٢٣
الجلود ومنتجاتها	٣٨,١٤٢
منتجات الخشب والاثاث	٣٤,٤١٦
المنتجات الورقية والطباعة	-
المنتجات الكيماوية	٣٥٤,٢٥٦
منتجات الحامات التعدينية غير المعدنية	١٤٠,١٦
المنتجات المعدنية الاساسية	٣,٠٥٩
المنتجات المعدنية غير المكائن	٦٧,٨٤٩
صناعة وتصلح المكائن	٤٤٦,٤٦٧
صناعة وتصلح اللوازم الكهربائية	١٢,١٩٠
صناعة وتصلح وسائط النقل	١٧,٣٩٤
صناعات متفرقة	-
خدمات صناعية	١٩٦,١٠١
المجموع	٥٠٥٤٧٧٥

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

٣. المنشآت الصغيرة:

تساهم الصناعات الصغيرة كغيرها من الصناعات الأخرى في القيمة المضافة ولكن بالقدر الذي يتناسب مع حجمها وقدراتها ويبين الجدول رقم (٧) عدد هذه المنشآت للمدة ١٩٩٧ - ٢٠٠١ وكانت أعدادها متقاربة للسنوات ١٩٩٧ - ١٩٩٨ - ١٩٩٩، إلا إن نمواً كبيراً حصل في إعداد هذه المنشآت للسنوات ٢٠٠٠ و ٢٠٠١ إذ بلغ العدد (٧٧١٦٧) منشأة لعام ٢٠٠٠ و (٦٩٠٩٠) لعام ٢٠٠١ ويرجع ذلك الى التسهيلات الائتمانية التي قدمتها الدولة للمستثمرين، وكانت القيمة المضافة

لمدة البحث (٦٩٢٩٤٩٧١٠) ألف دينار، وكان اعلى مستوى لسنة ٢٠٠٠ اذ بلغت القيمة المضافة (٢٥٥٧٧١٤٦١) ألف دينار، اما عدد هذه المنشآت على ضوء نوع الصناعات فقد كانت الخدمات الصناعية اكثر عدداً اذ بلغت (٣٨٩٥٠) منشأة و (٨٨٧٠) منشأة لصناعة المنتجات المعدنية عدا المكائن والمعدات تليها المواد الغذائية (٦٠٤٢) واقل عدد هي شركات صناعة وتصليح، يوضح ذلك الجدول (٨)، اما عدد هذه المنشآت حسب المحافظات مع القيمة الاضافية لكل منها حسب المحافظات أيضاً. وكانت اعلى قيمة مضافة هي للمنشآت الصغيرة في نينوى بينما اقل مستوى للقيمة المضافة هي للمنشآت الصغيرة في كركوك بينما في محافظات دهوك واربيل والسليمانية، فان الإحصائيات غير متاحة، يبين ذلك الجدول رقم (٩) وبلغ مجموع القيمة المضافة لهذه المنشآت لسنة ٢٠٠١ فقط ما مقداره (٢٣٥٤٣١٨٧٦) ألف دينار.

جدول رقم (٧)
القيمة المضافة لمنشآت الصناعة الصغيرة
للسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠١
(بالألف دينار)

السنة	عدد المنشآت	القيمة المضافة
١٩٩٧	٣١٠٤٠	٦٩٠٨٠٤٢٨
١٩٩٨	٢٥١٣٦	٥٩٦٥٥٩٩٩
١٩٩٩	٢٩٤٦٧	٧٣٠٠٩٩٤٦
٢٠٠٠	٧٧١٦٧	٢٥٥٧٧١٤٦١
٢٠٠١	٦٩٠٩٠	٢٣٥٤٣١٨٧٦
المجموع		٦٩٢٩٤٩٧١٠

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٨)
المنشآت الصناعية الصغيرة حسب نوع الصناعة
لسنة ٢٠٠١

نوع الصناعة	عدد المنشآت
التعدين والاستخراج	٢٨
المواد الغذائية	٦٠٤٢
المشروبات الغازية والكحولية	-
التبغ والسكاير	-
النسوجات	١٢٣٨
خياطة الملابس الجاهزة	٥٠٤٣
الجلود ومنتجاتها	٤٩٨

٣٢٠	المنتجات الورقية والطباعة
٨٢٩	صناعة المنتجات الكيماوية
١٣٣٣	منتجات الخامات التعدينية غير المعدنية
١٠٩	المعدنية الأساسية
٨٨٧٠	المنتجات المعدنية عدا المكائن والمعدات
١٠٥	صناعة وتصليح المكائن
٢٤	صناعة وتصليح اللوازم الكهربائية
٥٨	صناعة وتصليح وسائل النقل
٥٥٩٥	صناعات متفرقة
٣٨٩٥٠	خدمات صناعية
٦٩٠٩٠	المجموع

المصدر: المجموعة الإحصائية لسنة ٢٠٠٣

جدول رقم (٩)

المنشآت الصغيرة حسب المحافظات والقيمة المضافة
(الف دينار)

المحافظة	عدد المنشآت	القيمة المضافة
نينوى	٦٩٣٦	٦١١٩٧١٧١٦
صلاح الدين	٢٦٥١	٨١٣٣٣٤٠
كركوك	١٢٨٧	٢٦٣٤٧٢١
ديالى	٥٠٥٨	٣٧٣٥٣٦٤٤
بغداد	١٦٨٩٠	٦٩٧٥٩٥٤٥
الانبار	٣٩٧٤	٢٤٧٩٧٢٤٤
بابل	٤٤٦٣	٦٥٠٧١٢٢
كربلاء	٣٦١٦	٨٦٤٥٧٠٥
النجف	٤٩٤٩	١٧٨٣٧٩٠٢
القادسية	٢١٩٧	٥١٧٩٥٦٢
المثنى	١٢١٩	٣٦٥٧٧٢٩
ذي قار	٣٥٧٧	٤٠٣٣٤٨٤
واسط	٢٩٧٨	٥٦٣٢٦٨١
ميسان	٢٥٧٨	٦٧٣٨٧٤٠
البصرة	٦٧٦٧	١٦٧٤٥٦٩١

دهوك	-	-
اربيل	-	-
السليمانية	-	-
المجموع	٦٩٠٩٠	٢٣٥٤٣١٨٧٦

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

ب- القطاع الزراعي:

تتوفر في العراق مقومات زراعية تجعل منه دولة زراعية متميزة وابرز هذه المقومات هي الأراضي الصالحة للزراعة والتي كانت بحدود (٤٨)^(١) مليون دونم تتوزع بين المحافظات الشمالية والوسطى والجنوبية والأمر الآخر إن العراق بلد فيه نهران هما دجلة والفرات ويكاد يتميز عن غيره من الدول بهذين النهرين إلا إن نصف هذه المساحة كان يتم زراعتها والنصف الآخر يترك حسب نظام التبوير أي زراعة الأرض موسم وتركها موسم آخر.

وقد كان لعسكرة الاقتصاد العراقي منذ بدء الحرب مع ايران في ايلول عام ١٩٨٠ اثر واضح في تراجع الاقتصاد الزراعي العراقي إذ تم سوق القوى العاملة بعمر انتاجي بين ١٨ - ٤٥ سنة وربما اكثر من ذلك إذ آلت الى الحرب التي اخذت مأخذا كبيرا من هذه القوى وتحول الاقتصاد من اقتصاد زراعي الى اقتصاد نفطي يعتمد على ايرادات النفط أي أصبح اقتصاد استهلاكي يشبع حاجاته عن طريق الاستيراد بايرادات النفط.

ويوضح الجدول رقم (١٠) الناتج الزراعي العراقي للمدة من (١٩٩٥ - ٢٠٠٣) ومقدار المساهمة في الناتج المحلي الاجمالي لنفس المدة.

جدول رقم (١٠)

الناتج الزراعي والمساهمة في الناتج المحلي الاجمالي

للمدة من ١٩٩٥ - ٢٠٠٣

(مليون دولار)

السنة	الناتج الزراعي	نسبة المساهمة في الناتج المحلي الاجمالي %	نصيب الفرد من الناتج الزراعي (دولار)
١٩٩٥	١٠,٩١٤	٣٣,٩	٥٣١
٢٠٠٠	٨,٦٢١	٣٢,١	٣٦٠
٢٠٠١	٨,١٣٢٦	٣٢,٤	٣٤٠
٢٠٠٢	٧,٥٠٠	٣٠,٦	٣٠٠
٢٠٠٣	٧,٦٨٩	٣٢,٨	٣٠٠

٢ — حاكم محسن محمد، النفط والتنمية الزراعية في البلدان النامية، مع الاشارة الى الاقطار العربية، مجلة النفط والتنمية - عدد اذار - نيسان - السنة العاشرة، ١٩٨٥.

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد - ايلول - ٢٠٠٤.

ومن خلال ملاحظة الارقام المبينة في الجدول عن الناتج الزراعي يتضح ان سنة ١٩٩٥ وهي السنة التي اصبح معدل التضخم فيها اعلى مستوياته كانت الافضل بينما تراجع الانتاج خلال السنوات المتبقية الى سنة ٢٠٠٣ التي شهدت تحسناً طفيفاً قياساً لسنة ٢٠٠١ وبالمقابل كانت المساهمة لهذا القطاع في الناتج المحلي منخفضة اذا ما اخذ بنظر الاعتبار انخفاض ايرادات النفط الناتجة عن انخفاض الكميات المصدرة بسبب الحصار وتبعاً لذلك كانت حصة الفرد من هذا الناتج الزراعي منخفضة ويرجع ذلك الى انخفاض المساحات المزروعة بالمحاصيل الزراعية للمدة ذاتها والتي يعتمد جزء منها على الارواء السيحي (مروي) والجزء الاخر (ديمي) مطري والجدول رقم (١١) يوضح ذلك لابرز محصولين هما الحنطة والشعير وعند استعراض الارقام الواردة في الجدول المذكور يلاحظ انخفاض انتاجية الدونم لكلا المحصولين.

جدول رقم (١١)

المساحات المزروعة لمحصولي الحنطة والشعير والانتاج السنوي

السنة	الحنطة		الشعير		متوسط انتاجية الدونم (حنطة) كغم	متوسط انتاجية الدونم (شعير) كغم
	المساحة (دونم)	طن الناتج	المساحة المزروعة (دونم)	طن الناتج		
١٩٩٥	٥٧٠٢٠٠٠	١٠٩١٤٠٠	٤٦٧٥٧٠٠	٧١٢٣٠٠	١٩١	١٥٢
١٩٩٦	٥٥٦٩١٠٠	١١٥٠٠٠٠	٤١٧٤٥٠٠	٦٤٧٣٠٠	٢٠٦	١٥٥
١٩٩٧	٥٤٩٨٥٠٠	٩٤٦٧٠٠	٣٩٩٩١٠٠	٤٢٩٦٠٠	١٧٢	١٠٧
١٩٩٨	٥٧٨٢٠٠٠	١٤٧٤٩	٤١٨٦١٠٠	٦٢٩٩٠٠	٢٥٥	١٥١
١٩٩٩	٥٩٥٠٧٤٤٠٠	١١٠١٥٩٨٠٠	٤١٨٦٩٢٦	٢٨٢٩٨٥	١٨٥	٦٨
٢٠٠٠	٤٣٠٨١٤١٠٠	١٠٤٠٣٢٦٠٠	٢٣٠٦٤٢٩	١٩٢٦٩٧٠٠	٢٤٢	٨٣٥
٢٠٠١	٥٢١٧٩١١٠٠	٢٢١٩٤٤٦٠٠	٢٢١٧١٦٧٠٠	٧١٢٨٣٢٠٠	٤٢٥	٣٢٢
٢٠٠٢	٦٥٩٤٩٤٥٠٠	٢٥٨٩٤٦٧٠٠	٣٨٦٢١٣٠	٨٣٣٤٣٧٠٠	٣٩٣	٢١٦
٢٠٠٣	٦٨٥٤٩٢٥٠٠	٢٣٢٩١٩٨٠٠	٤٢٥٢٩٤٥٠٠	٨٦٠٤١٦	٣٤٠	٢٠٢

وكانت اعلى مستوى لانتاجية الدونم بالنسبة لمحصول الحنطة سنة ٢٠٠١ وبالنسبة لمحصول الشعير سنة ٢٠٠٠ اذ كانت انتاجية الدونم (٨٣٥) كغم كمتوسط، ان ابرز ما تشير اليه هذه النتائج انخفاض مستوى الاهتمام والرعاية التي يحتاج اليها القطاع الزراعي ولاسيما هذين المحصولين من حراثة وتعزيق للاراضي المراد زراعتها والارواء المنظم بالكميات المطلوبة من المياه التي يظهر فيها شحة خلال السنوات الماضية بسبب المنشآت المائية التي تقيمها تركيا في اراضيها وكذلك سوريا التي يمر فيها نهر الفرات بمحدود (٦٠٠) كم وعدم الاهتمام بشبكة الصرف اضافة الى ارتفاع اسعار الاسمدة

الكيميائية والمبيدات الامر الذي يجعل الفلاح والمزارع ان يعزف عن شراء هذه المستلزمات لانها تزيد من التكاليف وبالتالي خفض اليراد والارباح.
اما ما يتعلق بمحصول الرز فان البيانات المتوفرة كانت لسنة ٢٠٠٢ فقط والجدول رقم (١٢) يوضح المساحات المزروعة والانتاج لهذا المحصول حسب المحافظات ، إذ تتركز زراعة محصول الرز في خمس محافظات فقط هي (النجف والقادسية والمثنى وذي قار وميسان)

جدول رقم (١٢)
المساحات المزروعة والانتاج حسب المحافظات لمحصول الرز
لسنة ٢٠٠٢

المحافظة	المساحة المزروعة	الانتاج طن	متوسط انتاجية الدونم (كغم)
النجف	١٠٢٤٠٩	٨٥٩٠٦	٨٣٩
القادسية	٩٨٦٣٧	١٠١٥٧١	١٠٣٠
المثنى	١٨٦	١٠٥	٥٦٥
ذي قار	٧٦١١	٢٧١٩	٣٥٧
ميسان	٧٦٦٨	٣٤٦٦	٤٥٢
المجموع	٢١٦٥١١	١٩٣٧٦٧	٨٩٥

المصدر: المجموعة الاحصائية لسنة ٢٠٠٣

من خلال ملاحظة الجدول رقم (١٢) يتضح انخفاض انتاجية الدونم في محافظات المثنى وذي قار وميسان وارتفاع انتاجية الدونم من محصول الرز لمحافظة القادسية والنجف. اما متوسط انتاجية الدونم بشكل عام فكانت (٨٩٥) كيلو ويعد محصول الرز من المحاصيل التي تعطي انتاجاً اوفر مما هو بالنسبة لمحصول الخنطة والشعير، وربما يرجع اسباب انخفاض انتاجية الدونم لمحافظة (المثنى وذي قار وميسان) الى عوامل بيئية او انخفاض الحصة المائية بعد هذا المحصول من المحاصيل التي تحتاج الى المياه بكميات كبيرة.

ج- القطاع النفطي:

يتميز النفط العراقي بانخفاض تكلفة استخراجه قياساً بغيره من الدول النفطية الاخرى وكان ذلك دافعا لزيادة الانتاج وبالتالي زيادة اليرادات النفطية وقد ظهرت دعوات للاستفادة من الثروة النفطية لخدمة التنمية وتنشيط القطاعات الاقتصادية الاخرى كالقطاع الصناعي والقطاع الزراعي وبقية القطاعات كالنقل والمواصلات والتخزين والتجارة والخدمات، الا ان تحول الاقتصاد الى اقتصاد حرب وتحول الجيش والمؤسسات ذات الطابع العسكري الى اكبر مؤسسة اقتصادية في البلاد

ادى الى تحويل الايرادات النفطية لخدمة المؤسسات العسكرية مما ادى الى اهمال مشاريع التنمية وانعكس ذلك على القطاعين الصناعي والزراعي وبقية القطاعات الاخرى. وبعد ان وصلت ايرادات النفط اعلى مستوى لها (٨٠٠,٩) مليون دينار لسنة ١٩٨١ تراجعت بسبب الحرب العراقية الايرانية إذ انخفضت الى (٢٠٠,١١٩) مليون دولار لسنة ١٩٨٤ ثم ارتفعت خلال السنوات ١٩٨٧، ١٩٨٦، ١٩٨٥ حتى اصبحت (٧٠٠,١١) مليون برميل سنة ١٩٨٨ وهي السنة التي انتهت فيها الحرب وكان ذلك مدعاة سرور للعراقيين للتخلص من الحرب الايرانية التي بلغت تكاليفها (٥٠٩) مليار جنيه استرليني (النجار، ١٩٩١) الا ان النظام السابق وبعد مرور اقل من سنتين بدأت الحرب الثانية سنة ١٩٩١ في اعقاب دخول الجيش العراقي الى الكويت، ثم فرض حصار شامل على العراق وشن الحرب عام ١٩٩١ ثم استمرار هذا الحال حتى سقوط النظام السابق سنة ٢٠٠٣ بعد الاحتلال الامريكي - البريطاني للعراق وبذلك تراجع انتاج النفط وتصديره تماماً إذ توقفت صادرات النفط كما توقفت كل الحركة التجارية والمالية وجمدت ارصدة العراق في الخارج واذا ما اخذت ارقام سنة ١٩٨٩ فان العراق حرم من (١٤) مليار دولار سنوياً ويقدر احد الاقتصاديين ان العراق خسر بسبب الحصار للمدة من ١٩٩٠ - ١٩٩٤ ما يقارب (٧٠) مليار دولار ومع الايرادات الاخرى تقدر خسارة العراق من الحصار لغاية سنة ١٩٩٦ (١٠٠) مليار دولار اضافة الى الاضرار التي لحقت بالاقتصاد العراقي والتي قدرت بـ (٢٣٢) مليار دولار اضافة الى الخسائر البشرية الهائلة لهذه الحرب^(٣).

ويوضح الجدول رقم (١٣) تراجع الايرادات النفطية العراقية للمدة من ١٩٩٥ - ٢٠٠٢.

جدول رقم (١٣)

عوائد الصادرات النفطية (مليون دولار)

السنة	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
العوائد النفطية السنوية	٣٧٠	٦٨٠	٤,٥٩٠	٦,٧٩٠	١٢,١٠٤	١٨,١٥٠	١٤,٨	١٣,٢٥١

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

وهذه الايرادات تعد منخفضة قياساً بامكانيات العراق النفطية إذ تعرض القطاع النفطي كغيره من القطاعات الاقتصادية الاخرى الى التأثير بالحروب في ظل النظام السابق، فالمعدات والالات والقدرات الاستخراجية والانتاجية بحاجة الى الصيانة والاستبدال الا ان احتواء العراق بسبب الحروب السابقة وفرض الحصار عليه وعدم السماح له باستيراد المعدات اللازمة جعل القطاع النفطي في وضع تراجعي، وتشير الاحصائيات الى ان الانتاج النفطي الحالي (١,٥) مليون برميل وهو مستوى منخفض قياساً بامكانياته النفطية وبالمقارنة مع دول اقل منه قدرة، ومن المحتمل ان تزداد هذه الكمية الى (١,٨) مليون برميل يومياً خلال الاشهر القادمة ولكن هذا القطاع يحتاج الى تمويل

٣ _ عادل عبد المهدي، الاقتصاد العراقي، اقتصاد مرتين / اقتصاد مافوي، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٣٠٥ - دمشق - سوريا.

ولاعادة تأهيله لانتاج (٣.٢) مليون برميل يومياً التي اعتاد ان ينتجها اواخر السبعينات واول ثمانينات من القرن الماضي اما التوسع في الانتاج للوصول الى (٦) مليون برميل فانه يحتاج الى مدة (٣- ٥) سنة لاعادة تأهيله فلم يتفق الباحثون والخبراء على حجم التمويل فالبعض يقول من (٥- ٦) مليار تكفي لاعادة تأهيل القطاع النفطي العراقي للوصول الى مستوى الانتاج المطلوب^(٤) مع ان الخبرة العراقية متوفرة ولكن تحتاج الى الاستعانة بخبراء من الخارج لنقل اخر تطورات التقنية في مجال النفط وربما يؤدي ذلك الى طلب الجهات التي تحاول الاشتراك في اعادت تأهيل القطاع النفطي الى المشاركة في الانتاج والتصدير وبالتالي حصول استثمار اراضي في ميدان الثروة النفطية وهي ثروة سيادية يجب ان تبقى ملكية الشعب العراقي وبالتالي استثمار العائدات النفطية في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة ولا يتوفر ذلك الا من خلال المشاركة الكلية للشعب العراقي في ادارة عوائده النفطية في اجواء الافصاح والشفافية في حساب الايرادات وكيفية التصرف بها.

د. الايرادات النفطية المتوقعة للسنوات السبع القادمة وكيفية التصرف بها:

تشير التقارير المحلية والدولية الى الاحتياج المالي اللازم لاعادة تأهيل القطاع النفطي ، فالبعض يقدر هذا الاحتياج ب(٣٠) مليار دولار وآخرين يقدرون ذلك ب(٥- ٦) مليار بينما يقدر السيد وزير النفط السابق ان هذا الاحتياج يقدر ب(٢٥) مليار دولار خلال السنوات الخمس او الست القادمة و(٥) مليار دولار لتطوير قطاع الغاز وبلغت صادرات العراق الحالية (٥، ١) مليون برميل يومياً وهذا المقدار يقل بمقدار (٦، ٠) مليون برميل عن تقديرات ميزانية سنة ٢٠٠٥ إذ كان المقدار (١، ٢) مليون برميل وفي ضوء انخفاض الصادرات الحقيقية عن المتوقعة انعكس ذلك على تقديرات ميزانية سنة ٢٠٠٦ إذ يقدر ان ترتفع الصادرات من (٥، ١) الى (٨، ١) مليون برميل يومياً رغم المحاولات الرامية للوصول نهاية عام ٢٠٠٥ الى (٥، ٢) مليون برميل، وان اعادة تأهيل القطاع النفطي ربما اذا تحقق هذا التأهيل فمن المتوقع الوصول الى (٦) مليون برميل يومياً سنة ٢٠١٢ ومن الجدير بالذكر ان احتياجات العراق حالياً قد تصل الى (٣- ٥) مصفاة بطاقة انتاجية (٥٠٠) الف برميل يومياً لكل منها ويجري التباحث حالياً على انشاء مصفاة واحدة مع مستثمرين اجانب وفي نية الحكومة انشاء مصفاة في كل محافظة لسد احتياجات المحافظات بكلفة تقديرية (٢٥) مليون دينار. وعلى افتراض ان التحرك باتجاه اعادة تأهيل القطاع النفطي يبدأ من العام ٢٠٠٦ ويجب ان يتضمن التأهيل استبدال الآلات والمعدات الاستخراجية القديمة بأخرى جديدة واستخدام أحدث التقنيات في مجال انتاج وتصفية النفط مع تدريب الكادر النفطي الحالي بدورات مكثفة خارج وداخل القطر لان في العراق كوادر علمية وهندسية يجب اخذها بنظر الاعتبار ولا يمكن استئثارها. وعلى افتراض ان سير الصادرات والايرادات النفطية تدريجية باتجاه الارتفاع بالصادرات والايرادات وكما موضح في الجدول رقم (١٤) :-

٤ — عادل قبرصي وعلي قادري- اعادة بناء العراق- استراتيجيات التنمية في ظروف الازمات -المستقبل العربي، ٢٩٥، ايلول ٢٠٠٣.

جدول رقم (١٤)
الايادات النفطية المتوقعة للسنوات القادمة

نصف سنوي	كميات النفط المصدرة مليون برميل (يومية)	السعر المتوقع كمتوسط (دولار)	الايارد النفطي سنوي (مليار دولار)	الايارد السنوي (مليار دولار)
الاول / ٢٠٠٥	١,٣	٥٥	١٢,٨٧٠	٢٧,٧٢٠
الثاني / ٢٠٠٥	١,٥		١٤,٨٥٠	
الاول / ٢٠٠٦	١,٨	٥٥	١٧,٨٢٠	٤٠,٥٠٠
الثاني / ٢٠٠٦	٢,١	٦٠	٢٢,٦٨٠	
الاول / ٢٠٠٧	٢,٥	٦٠	٢٧,٠٠٠	٦٢,٨٠٠
الثاني / ٢٠٠٧	٣,٠٠	٦٥	٣٥,١٠٠	
الاول / ٢٠٠٨	٣,٢	٦٥	٣٧,٤٤٠	٧٨,٣٩٠
الثاني / ٢٠٠٨	٣,٥	٦٥	٤٠,٩٥٠	
الاول / ٢٠٠٩	٣,٨	٦٥	٤٤,٤٦٠	٩٦,١٢٠
الثاني / ٢٠٠٩	٤,١	٧٠	٥١,٦٦٠	
الاول / ٢٠١٠	٤,٥	٧٠	٥٦,٧٠٠	١٢٦,٠٠٠
الثاني / ٢٠١٠	٥,٥	٧٠	٦٩,٣٠٠	
الاول / ٢٠١١	٥,٥	٧٥	٧٤,٢٥٠	١٦٠,٦٥٠
الثاني / ٢٠١١	٦	٨٠	٨٦,٤٠٠	

فان الملاحظ من تصاعد الايرادات النفطية ان هناك مورد مالي يمكن اذا استثمر بشكل عقلاني في تنمية الاقتصاد الوطني باتجاهات مختلفة ان يحسن من الوضع الاقتصادي والاجتماعي العراقي حيث يجب ان تخصص هذه الموارد لمشاريع انمائية في مختلف المجالات وتمويل المشروعات المقترحة.
ومن الجدول رقم (١٤) يمكن وضع الجدول رقم (١٥) للايادات النفطية المتوقعة سنوياً:

جدول رقم (١٥)
الايادات النفطية السنوية

السنة	الايارد النفطي المتوقع (مليار دينار)
٢٠٠٥	٢٧,٧٢٠
٢٠٠٦	٤٠,٥٠٠
٢٠٠٧	٦٢,٨٠٠
٢٠٠٨	٧٨,٣٩٠

٢٠٠٩	٩٦,١٢٠
٢٠١٠	١٢٦,٠٠
٢٠١١	١٦٠,٦٥٠
المجموع	٥٩٢,١٨

الا ان المهمات التي تتحملها الحكومة الحالية او الحكومة المقبلة ستكون مهمات كبيرة ولاسيما ما يتعلق منها بالمديونية والتعويضات والاعباء الوطنية داخل العراق كمسؤولية الدولة عن تأييد البطاقة التموينية ورواتب العاملين في اجهزة الدولة المختلفة ومشاريع التنمية الوطنية.

ثانيا- المديونية والتعويضات:

تقدر مديونية العراق ب (١٢٠) مليار دولار من بينها ديون تطالب بها كل من السعودية والكويت ودول خليجية اخرى وهي عبارة عن مساعدات قدمت للعراق لادامة استمرار الحرب مع ايران اصبح يطالب بها كديون، اضافة الى التعويضات البالغة (٣٥٠) مليار دولار وهي كما وصفها استاذ الماني، رهن لاجيال لم تولد بعد وهذه تحتاج الى عشرات السنين لكي يتم تسديدها فكيف يجري التصرف معها. في حين ان الديون التي تترتب على بلد معين ليست لشعبه يد فيها تسقط هذه الديون بسقوط النظام الذي كان سببا في وجودها وهذا تقليد جرى اعتماده مرجعه الى وزير القيصصر الثاني (نعوم) رغم ان التعامل جرى بتعسف عند حساب التعويضات من العراق سواء كان من قبل منظمة الامم المتحدة وهذا بتأثير كبير من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ومن تعاون معها ام من هاتين الدولتين بشكل مباشر كما يرجع جزء من هذه الديون الى جدولة الديون بفوائد عالية بحيث تراكمت واصبحت ان لم تزد على اصل الدين فهي مساوية له، وعليه يجب ان تنظر الحكومة العراقية باسقاط هذه الديون وهذه التعويضات وتخصيص الايرادات النفطية لتغطية الاعباء المالية المطلوبة لتأمين احتياجات الشعب العراقي من غذاء وادوية وخدمات كالكهرباء والمياه والهاتف وتأهيل مؤسسات الدولة التي تم تدميرها ونهبها وهي بعدد يزيد على ١٥٠ شركة، ثم التوجه نحو المشاريع التنموية وتوزيعها بشكل عادل على المناطق الجغرافية دون استثناء، واشاعة العدل والمساواة والانصاف بين الجميع، وفي حالة اصرار بعض الدول على المطالبة بالمديونية يجري التفاوض مع الدول الدائنة لجدولة الديون بأجال بعيدة ومحاولة ان يكون ذلك بدون فائدة او بفائدة بسيطة.

ثالثا- مجالات الاستثمار لتفعيل التنمية:

أ- القطاع النفطي: يقدر الخبراء ان القطاع النفطي يحتاج الى (٣٠) مليار دولار لاعادة تأهيلية وربما ان هذا الرقم مبالغ فيه لان بعض الخبراء النفطيين العراقيين رفضوا ذلك في ندوة عقدت في بغداد عن ادارة العوائد النفطية وقال هؤلاء الخبراء ان ما مقداره (٥ - ٦) مليار دولار يكفي لاعادة تأهيل القطاع النفطي العراقي لاسيما ان هذا القطاع فيه من الخبرة والكفاءات ما يكفي لصيانة وادامة هذا القطاع، نعم هناك حاجة للاستعانة بالخبرات الاجنبية ولكن هذه الخبرات يمكن تعويضها

بالدريب الناجح للخبراء العراقيين في الخارج ، لدى المؤسسات النفطية العالمية المرموقة وفي اطار مد يد المساعدة للعراق بعد خروجه من سلسلة من الحروب بدءاً من الحرب العراقية الايرانية وليس انتهاءً باحتلاله من قبل القوات الامريكية البريطانية.

ان هذا القطاع تشكل ايراداته اكثر من ٩٠٪ من الايرادات العراقية ولذلك فان الاعتماد يكاد يكون كلياً على النفط رغم ان العراق فيه نهراً وفيه اراضي صالحة للزراعة ولكن التراجعات التي حصلت في الاقتصاد العراقي هي التي كانت سبباً في تأخر القطاع الزراعي وذلك وكما اشير سابقاً هو عسكرة الاقتصاد العراقي.

ب- القطاع الصناعي : ان التوجه نحو القطاع الصناعي واعادة تأهيله يقع في سلم الاولويات بعد القطاع النفطي في الاهمية لان هذه المؤسسات المدمرة والمنهوبة فيها كادر عراقي جيداً في كفاءته وقدراته ويحتاج فقط الى اعادة تأهيل الشركات الصناعية واطلاق روح المبادرة لهذه الكفاءات فرغم حروبه المتعددة المستمرة كان العراق يقوم ببعض الصناعات التي لها سمعة في السوق العراقية واثبتت قدراتها في الاداء اضافة الى ان هذه المؤسسات ستعمل على تشغيل الموظفين الذين يتقاضون رواتب دون ان يكون هناك عمل يقومون به بسبب نهب ممتلكات شركاتهم وكل المستلزمات التي كانت موجودة فيها من قدرات ومكائن ومعدات ، ولو توفرت هذه الامكانيات وسخرت الجهود لاعادة التصنيع بعد ان يتم توفير الامان والاستقرار سيبدع العراقيون فيما يقدمونه من صناعات فاخرة بعد ان كانت الجهود مسخرة للتصنيع العسكري والتي استنزفت مليارات الدولارات ضاعت في ظروف ما بعد حرب الكويت وهذا يدخل ضمن المخطط الصهيوني الامريكي البريطاني لاجهاض قوة العراق وقدراته العسكرية ومن ثم احتلاله عسكرياً واشاعة الفوضى في كل المجالات. العراق الان يحتاج الى عشر سنوات لاستعادة عافيته ولو ترك العراق في ظروف امنية ومستقرة لربما يتجاوز هذه المدة ويعيد عافيته باقل من ذلك لان العراقيين اصحاب مبادرات وتضحيات تجعلهم يعملون ليل نهار لاعادة بلدهم الى حاضره التاريخي.

ج- القطاع الزراعي : في تقرير منظمة الغذاء والزراعة الدولية سنة ١٩٩٦ اشارت فيه ان العراق كاد ان يصل الى الاكتفاء الذاتي لولا مذكرة النفط مقابل الغذاء والدواء ، وهذا التقرير شهادة من المنظمة الدولية ان في العراق امكانيات زراعية مؤهلة ان تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي في الغذاء. فالعاملون في القطاع الزراعي يشكلون نسبة كبيرة من القوى العاملة وربما يتجاوز ٥٠٪ منها وتعلموا اساليب الزراعة ومقوماتها مع وجود اراضي صالحة للزراعة ومياه مصدرها نهري دجلة والفرات رغم تعرض النهرين الى القسمة العشرية من قبل الدول المشاطئة على نهري دجلة والفرات ، لكن يبقى ان العراق فيه هذان النهران يؤهلانه للزراعة لاسيما فيه مساحات واسعة للزراعة تقدر بـ (٤٨) مليون دونم تتوزع في مختلف مناطق العراق وستعمل هذه المساحات التي تعرضت الان الى مشكلة الملوحة بسبب اهمال القطاع الزراعي عند تحليلتها والاهتمام بها بشبكات المبالز وصيانة الشبكات من قبل دوائر الزراعة والري على تقديم انتاج وفير ، وهذا يتطلب اهتمام الدوائر الزراعية بالجوانب الزراعية الاتية :-

- ١- متابعة الدوائر الزراعية للاراضي الصالحة للزراعة والتأكيد على زراعتها من قبل اصحابها حسب المواسم الزراعية.
- ٢- تقديم البذور والاسمدة المدعومة للمزارعين والفلاحين ولمدة خمس سنوات ثم بعدها يتم استيفاء الاجور كاملة.
- ٣- تقديم تسهيلات ائتمانية للفلاحين والمزارعين لمساعدتهم في زراعة ما لديهم من اراضي ربما يحتاجون الى المال لزراعتها.
- ٤- اعتماد التقنية الحديثة وتسهيل الحصول عليها.
- ٥- الاهتمام من قبل الدوائر الزراعية ودوائر الري بالتحديد بتنظيف شبكات المبالز وتصريفها اذ يبدو ان هذه الشركات متوقفة الان.
- ٦- دعم اسعار المحاصيل لمدة لا تزيد عن (٢-٣) سنة من اجل تشجيع المزارعين على الاهتمام بالزراعة، وبعد ذلك يرفع الدعم من اجل الشعور بالاعتماد على الذات.
- د- قطاع السياحة الاثرية والدينية: في العراق اثار تاريخية واسلامية تنتشر في مختلف مناطق العراق والطلب السياحي يخلق من قبل الجهات المختصة فدوائر السياحة واهتمامها بالاماكن الاثرية والسياحية يمكن ان يكون مدعاة وتحفز سواء للمواطنين بطلب الخدمة السياحية ام لمواطنين من خارج القطر، فهناك العتبات المقدسة في مدن عراقية مختلفة من الشمال حتى الجنوب وهناك اثار تاريخية يمكن ان تقام فيه منشآت سياحية خدمية تشجع الزبائن على القدوم والسفر اليها من مختلف دول العالم مع اعداد نشرات وكراسات سياحية تعريفية تصبح دليلاً ومرشداً للسائح سواء كان عربياً او اجنبياً، وعدم تركها معرضة الى الاهمال وبالتالي عدم الاستفادة من الثروة السياحية المتوفرة في بلدنا.

رابعاً: مقومات نجاح تفعيل التنمية:

- لنجاح التنمية وتفعيلها يتطلب ان تكون هناك مجموعة من مقومات وابرز هذه المقومات:
١. توفر الامن والاستقرار بعد انفلات امني تجاوز الستين عقب سقوط النظام.
٢. الاستقرار السياسي والاقتصادي ووضوح الرؤية السياسية والاقتصادية للحكومة العراقية القادمة.
٣. الافصاح والشفافية في ادارة الموارد الاقتصادية سواء منها النفطية ام غير النفطية والاعلان عن تخصيصات كل وزارة وأوجه هذا التخصيص ومجالاته.
٤. تشكيل لجان للاشراف على الانفاق في مجالات الاستثمار او الاعمار او أي مجال للصرف واخضاع اعمال هذه اللجان الى الاشراف والمراقبة والتدقيق.
٥. تشجيع الاستثمارات العربية والاجنبية وفق شروط لا تخل بسيادة ومصلحة البلد كالاغفاءات الضريبية الكلية او الجزئية والسماح بتحويل المتحقق من الارباح خارج البلد وفق حدود متفق عليها.

الافاق المستقبلية للجامعة المستنصرية

في ضوء موقعها الجغرافي

أ. د. عباس علي التميمي

أ. م. مؤيد جواد بهجت

الافاق المستقبلية للجامعة المستنصرية

في ضوء موقعها الجغرافي

أ. د. عباس علي التميمي

أ. م. مؤيد جواد بهجت

مقدمة :

تعد الجامعة المستنصرية المؤسسة الاكاديمية الثانية التي اعقبت في نشأتها جامعة بغداد، وقد ظهرت في البداية تلبية لمتطلبات التوسع في فرص التعليم وكنشاط علمي لنقابة المعلمين بهدف تمكين متابعة التحصيل العلمي للراغبين في ذلك، وبشكل خاص المعلمين الذين يريدون متابعة دراساتهم. واختيرت مدينة بغداد للجامعة المستنصرية كونها الاكثر كثافة سكانية و لموقعها المركزي وهو ما يجعلها قادره على توفير الاعداد الكافية من الراغبين للدراسة ولتطوير مهاراتهم العلمية، والقادرين على دفع الاجور الدراسية اللازمة لتغطية نفقات الجامعة .

واصبحت الجامعة المستنصرية صرحا رئيسيا في البناء العلمي في العراق، فقد أهلت الكثير من المعلمين والموظفين الذين نالوا الشهادات الجامعية الاولى، كما فتحت ابواب الدراسات العليا للمتابعين والمهتمين، مما جعلها تسهم في توفير الكادر العلمي سواء للحصول على حاجتها، او لتوفير حاجة الجامعات العراقية الاخرى، كما اهلت الكثير من الموظفين لتبوء مراكز مهمة في الدولة او في مؤسساتها او مؤسسات القطاع الخاص .

ورغم الاخفاقات الي حصلت في التعليم العالي وعموم التعليم في العراق التي رافقت سنوات الحروب الطويلة وما رافقها من انقطاع التواصل العلمي مع جامعات العالم، وقد نبهت الى ذلك وثيقة التعليم العالي والبحث العلمي عام ١٩٨٩ "١" حيث اشارت وثائق الندوة التي عقدت انذاك في رحاب جامعة بغداد لهذا الغرض الى المأزق الذي جابهه التعليم العالي وادى الى ضعف دوره في

قيادة المجتمع وفي تطوره وتقدمه وشارت الوثيقة ايضا الى ضرورة دخول العراق القرن الواحد والعشرين من بابه الواسع ولا يمكن ذلك اذا بقي التعليم والعلم يراوح في مكانه وبقي التدريس مزعزعا في ذاته والطالب حائرا في مصيره "٢".

ومع صدق هذه الرؤيا وقوة الدفع التي جاءت بها مناشات الندوة، الا ان حرب الخليج الثانية التي حدثت بعد ان اجتاحت القوات المسلحة العراقية دولة الكويت عام ١٩٩٠ ثم الهزيمة التي منيت بها بعد ذلك وما اعقبها من فرض الامم المتحدة الحصار الاقتصادي، جعل العراق يدخل القرن الواحد والعشرين من اضيق ابوابه العلمية، بل في اسوء احواله، فلا بعثات او زمالات، ولا كتب ودوريات، ولا علاقات اكايمية مع الجامعات الاخرى، ولا اجهزة ومختبرات جديدة، كما عرقل النظام الاستفادة من شبكة الاتصالات الدولية، مما ادى الى تخلف التعليم بشكل مأساوي.

والجامعة المستنصرية من اكثر الجامعات العراقية التي تأثرت بذلك، كونها اصبحت مرتعا مستباحا للاجهزة الامنية المتعددة، حتى قل الاهتمام بالطالب ومستقبله او بما يستوعبه من معرفة وعلم او مهارة مقابل الاهتمام بالانتماء السياسي و التدريب العسكري، وامتد ذلك الى هيئة التدريس.

و تيسرت بعد تغيير النظام فرصة فريدة في تاريخ الجامعات العراقية، حيث تعهدت العديد من الجامعات في اوربا وامريكا لفتح ابوابها امام طلبة العراق ومساعدة الجامعات العراقية، كما تعهدت الكثير من المؤسسات والجمعيات العلمية وكذلك اساتذة عراقيون عاشوا في المهجر سنوات طويلة للاسهام في التطوير العلمي للجامعات العراقية، الا ان هذه الدعوات تأثرت بالوضع الامني الداخلي للعراق وبمحاولة المتطرفين نشر فكرة معادات الاجانب، مما اضعف حماس تلك الجهات لتقديم المساعدة وتاخرت الاعانات والمنح الدراسية والمالية والاستثمار في مجال التعليم كما في غيره من المجالات الاقتصادية.

وعلى الرغم من ذلك كان لرغبة وحماسة العراقيين والترسيين في مجال التعليم للتطوير والتقدم وضرورة استمرار التعليم في بلدهم بمراحله المختلفة دافعا قويا لاستمرار الجامعات والمراكز العلمية في اداء مهامها في الظروف الصعبة التي حدثت اثر تغيير النظام ووقوع البلاد تحت الاحتلال. وتعد هذه الندوة - كما نراها - صرخة في اتجاه اعادة التعليم للسير على سكة الاصلاح والتغيير ووضع استراتيجية للمستقبل. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل العوامل الموقعية للجامعة المستنصرية، وفيما اذا كانت هذه العوامل تؤثر في تحديد موقعها الجغرافي انطلاقا من التطور الجديد الحاصل في بلادنا والتغيرات ذات البعد المكاني للجامعة المستنصرية.

وتبرز مشكلة البحث عبر التساؤل الاتي : هل للتغيرات الجديدة في واقع العراق تأثير على موقع الجامعة المستنصرية ؟ وما مدى قدرة الجامعة لخدمة اكبر محيط مكاني يمكن ان تقدم خدماتها فيه ؟

ولا بد من الاشارة هنا الى ان اي جامعة محلية كانت ام اجنبية قادرة على تقديم خدماتها العلمية لفائدة الطلبة او المجتمع وان اكتشافاتها واختراعاتها يمكن ان تشمل رقعة جغرافية غير محدودة. ان هذه الحقيقة لا تتعارض مع القول ان الجامعة ذات تأثير كبير وفاعل ضمن منطقة توطنها.

اعتمد البحث على بيانات واحصاءات دائرة الاحصاء والتطوير في الجامعة المستنصرية وعلى سجلات الطلبة مباشرة باخذ عينة من طلبة كلية التربية بواقع ٤٠ طالبا لكل قسم من المراحل الدراسية الاربع، واعتمد خريطة بغداد وناقش موقع الجامعة الحالي في ضوء التغيرات التي تشهدها، وتوصل البحث الى نتائج قدمت بناء عليها عدد من التوصيات.

تطور الجامعة المستنصرية :

من المعروف ان الجامعة المستنصرية فتحت ابوابها عام ١٩٦٣، ارتبطت في البداية بجامعة بغداد بقصد منحها الصفة العلمية المعتمدة للجامعات الرسمية ولكنها سرعان ما انفصلت عنها عام ١٩٦٥ لتأخذ استقلاليتها، ثم حولت الى جامعة رسمية في العام الدراسي ١٩٧٤ / ١٩٧٥ وعندها كانت تضم كليات الاداب، والادارة والاقتصاد، والعلوم، والقانون والسياسة، والتكنولوجيا "٣".
لكنها تخلت عن كلية القانون والسياسة الى جامعة بغداد وعن التكنولوجيا الى الجامعة التكنولوجية في وقت افتتحت كلية الطب العام في عام ١٩٧٥ وكلية التربية عام ١٩٧٦ ثم كلية طب الكوفة عام ١٩٧٧. وبلغ عدد طلاب الجامعة للعام الدراسي ١٩٧٩ / ١٩٨٠ من الاناث والذكور ١٠٥٥١ طالبا

ومع ان ظروف السياسة لم تدع التطورات الاعتيادية تسير طبقا للعوامل الاقتصادية الاجتماعية، وان الحروب المتواصلة الداخلية والخارجية، ونظام توزيع الطلبة مركزيا حدد من حرية حركة الطلبة، وهوما يؤثر في التحليل، لكن ذلك لا يمنع من القول ان اعداد طلبة الجامعة المستنصرية اخذت بالزيادة المطردة فقد ارتفع من ٢٤٩٧ الى ٣٤٩٤ طالبا خلال الفترة ١٩٨٠ / ١٩٩١ ثم وصل العدد الى ٢١٠٥٤ طالبا في العام الدراسي الحالي ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ (لاحظ جدول ١). اى ازداد العدد خلال الفترة بمقدار ١٧٥٦٠ طالبا اي ان عدد الطلبة تضاعف بمقدار ٨.٤ مرة. كما حصلت خلال الفترة تغيرات اخرى بفك ارتباط كلية طب الكوفة واكمية الفنون في بابل، واضيفت كليات الهندسة وطب الاسنان والصيدلة والمعلمين اليها.

توجه طلبة الجامعة المستنصرية نحو الكليات العلمية :

بعد ما لاحظنا من تغيرات في هيكلية الجامعة رافقتها تغيرات في اعداد الطلبة المنتسبين لكليات الجامعة من العلوم الانسانية الى العلوم الصرفة يمكن رؤيتها بالتغير في الاهمية النسبية لطلبة الكليات الانسانية والكليات العلمية "٤" ويعطي الشكل رقم ١ ملامح تلك التغيرات ومنها ما يأتي :
١- اشغل طلبة كليات العلوم الانسانية النسبة المرتفعة في ثمانينات القرن الماضي اذ بلغت النسبة ٨١٪ في العام الدراسي ١٩٨٠ / ١٩٨١ لكن هذه النسبة هبطت الى حوالي ٥٧٪ في العام الدراسي الاخير ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ (جدول ٢) ويتضح من (الشكل ٢) الارقام القياسية لطبيعة التغير خلال نفس الفترة اذ بلغ الرقم القياسي لطلبة الكليات الانسانية ٥٣٤٪ في حين وصل الرقم القياسي لطلبة الكليات العلمية ١٧٤٤٪ على الرغم من ان العدد المطلق لطلبة الانسانيات لازال هو الاكبر.
ان التغيرات اعلاه تتطابق مع اتجاهات التطور الاقتصادي والاجتماعي للبلاد، ولا بد من ان تطور الصناعة والبناء وتصنيع الزراعة والقطاعات الخدمية سيدفع دون شك الى اهتمام اكبر في العلوم الصرفة والتطبيقية من هندسية وطبية ومعلوماتية.

٢ - انعكست التغيرات ايضا على اتجاه طلبة محافظة بغداد في الجامعة المستنصرية من العلوم الانسانية نحو العلوم الصرفة والتطبيقية، فقد ارتفعت نسبة طلبة الكليات العلمية من ١٨٪ الى ٢٤٪ للفترة ١٩٨٠ - ١٩٩٦ ويتضح ذلك من الارقام القياسية (شكل ٣). حيث وصل ١٣٧٪ للاولى مقابل ٢٠٩٪ للثانية (جدول ٣). وهو ما يتطلب اتخاذ قرارات جريئة في اختيار موقع اضافي يضم الكليات التي تعتمد المختبرات العلمية والمعامل في تدريساتها.

الجامعة المستنصرية من الاقليمية الى منطقة التوطن :

ادت الجامعة المستنصرية خدمات اقليمية منذ قيامها فقد اشرفت على اقسام علمية مسائية في البصرة ثم قامت بفتح كليات خارج محافظة بغداد مثل " طب الكوفة " واكاديمية الفنون الجميلة في بابل والاشراف على كلية التربية في ديالى. لكنها تمحورت الان في محافظة بغداد بعد ان تخلت عن الكليات الاقليمية الى الجامعات الجديدة التي قامت في محافظات العراق المختلفة. كما اخذت باتجاه خدمة طلبة بغداد ويظهر ذلك من التناقص الحاد في الاعداد المطلقة والنسبية لطلبة المحافظات مقارنة بما يشغله طلبة محافظة بغداد فيها. ويظهر ذلك واضحا في كليات التربية والاداب والطب (جدول ٤). وعموما فان متوسط طلبة بغداد ارتفع من ٦٣٪ الى ٦٩٪. "٥" وقد انعكست هذه التغيرات على انحسار عدد الطلبة المقبولين من المحافظات وهو ما يتضح من الجدول (رقم ٥) حيث يلاحظ تغير كبير في عدد المقبولين فقد اشغل طلبة محافظة بغداد ٤٥,٦٪ في العام الدراسي ١٩٩٠ / ١٩٩١ ارتفعت هذه النسبة الى ٧٩,٣٪ للعام الدراسي ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥. اي ان نسبة التغير بلغت ٣٣,٧٪ لصالح محافظة بغداد كما ان ثلاث محافظات هي السليمانية واربيل ودهوك لم ترسل طلابها للجامعة للظروف المعروفة التي مر بها العراق.

هذا ولازال طلبة اقسام العلوم الانسانية يشغلوا النسبة الاكبر في اعداد الطلبة وبمقدار ٥٤٪ وهذا ناجم عن عدم وجود بعض الاقسام في الجامعات الاقليمية، ومع توسع الجامعات الاقليمية ستبقى الجامعة المستنصرية تستقطب الباحثين لاقسام علمية متميزة وكذلك طلبة الدراسات العليا الذين يبحثون عن الخبرة المميزة في هذا الشأن.

المشكلات المكانية للجامعة المستنصرية :

انشأت الجامعة المستنصرية خارج ما كان يعرف بالسدة الشرقية او منطقة(خلف السدة) والتي كانت لا تبعد كثيرا عن معمل القطن الطبي حاليا، وقد انشأ الطريق السريع مكان تلك السدة، وتم ذلك بعد درء خطر الفيضان عن بغداد باقامة مشروع التثاثر على نهر دجلة واصبح بالامكان توسع مدينة بغداد نحو الشرق بفتح قناة الجيش وتوزيع الاراضي في شرق بغداد بأسعار زهيدة حيث تراوح سعر المتر الواحد بين ٥٠ - ١٠٠ فلسا على جانبي القناة، ولذا اخذت الجامعة المستنصرية سعتها الكاملة بالبناء واحتجزت اراضي اخرى قريبة منها واحيطت بطرق واسعة حيث صار الوصول اليها يسيرا بالنقل العام او الخاص. ومع ان بناياتها الاولى كانت محدودة لمحدودية كلياتها واقسامها، الا انها سرعان ما اخذت بالتوسع وانشأت العديد من المباني الجديدة وتمحورت مبان اخرى وازيدت الى مبانيها قواطع من الخشب او الالمنيوم لاستيعاب متطلباتها المتنامية مع زيادة عدد كلياتها واقسامها وخدماتها وعدد طلبتها. وبعد ان صار موقعها مركزيا في مدينة بغداد المتوسعة.

ان تطور الجامعة، دفع بعض الكليات الى البحث عن مواقع جديدة ولذا انتقلت الى مباني بعيدة عن المركز ومن بينها كليات الادارة والاقتصاد، والهندسة، والمعلمين، وطب الاسنان، والصيدلة، والقانون، كما اخذت ببناء كلية للتربية في شمال بغداد بعيدة عن مركز الجامعة الحالي. ومع هذا الابتعاد لعدد من الكليات، الا ان مركز الجامعة لا زال يعاني من الاكتظاظ ويتمثل ذلك في عدة امور لعل منها :

١. قلة عدد القاعات الدراسية مقارنة بالعدد الكبير للطلبة مما زاد نسبة الطلبة للقاعات ويتضح ذلك من تحرك الكراسي بين القاعات بين محاضرة واخرى.

٢. تقلص غرف التدريسيين وصار بعضها لا يليق بهم فاكثرت قطوعات للغرف او للممرات بقواطع من الألمنيوم.

٣. احتشاد غرف الاساتذة بالمناضد الصغيرة حتى ان بعضها صارت لا تسمح للتدريسيين من اداء مهامهم في البحث والاحتفاظ بالكتب والمراجع او اجهزة الاتصال، كما انها لا تتسع لاستقبال الطلبة ومناقشة متطلباتهم العلمية والاجتماعية.

٤. ومن المشكلات المكانية الاخرى الاكتظاظ الطلابي الذي عمل على حصول اختناقات مرورية كبيرة على جوانب الجامعة وشوارعها المحيطة التي اصبحت كراجات مكتظة على جانبي الشوارع القريبة واصبح ضجيج وضوضاء الزحامات المرورية تؤثر على سير العملية التدريسية.

وتعد المشكلة المرورية في غاية الاهمية فقد تجاوز عدد الطلاب في مركز الجامعة الـ ٣٠ الف طالبا للمرحلتين الصباحية والمسائية اضافة الى العدد الكبير من الموظفين وطلبة الدراسات العليا والعمال والتدريسيين مما يجعل الزحام شديدا وبشكل خاص في فترة انتهاء الدوام الصباحي وبداية الدوام المسائي وهو ما يتطلب اعادة تقييم الموقع الذي تشغله الجامعة المستنصرية حالياً. وهو ما سنتطرق اليه بعد ذلك.

التحولات المكانية لخدمات الجامعة المستنصرية :

لقد تطرقنا الى اتجاه الجامعة المستنصرية من تقديم الخدمات الاقليمية خارج محافظة بغداد الى منطقة توطنها داخل محافظة بغداد. وهي تتجه حالياً باتجاه التخصص المكاني لاجزاء محددة ضمن اقليم بغداد الكبرى لعوامل كثيرة منها عوامل موضوعية كبناء الجامعات الاقليمية وصعوبات النقل وزيادة تكاليفه ومنها عوامل ذاتية كتقليص الخدمات كخدمات الاقسام الداخلية وصعوبات النقل والاختناقات المرورية، كما لم تصبح المسافات الهندسية هي السائدة بين مركز الجامعة ومناطق سكن الطلبة. ويبرز ذلك واضحاً من العينة الدراسية المنوه عنها سابقاً ومنها يظهر ما يلي :

- ١ - يشغل طلبة بغداد ٧٩٪ وتتراوح النسبة في الاقسام العلمية بين ٦٨٪ و ٩٠٪
- ٢ - ان حوالي ٦٩٪ هم من سكنة شرق بغداد، على الرغم من ان القبول يتم مركزياً، من احياء مدينة الثورة (الصدر) وبغداد الجديدة، والامين، واحياء اخرى من الجانب الشرقي لمدينة بغداد.

ان التوسع السريع لمدينة بغداد يجعل هناك ضرورة لتأكيد اتجاه الجامعة المستنصرية لتحويل خدماتها الى سكان المناطق المحيطة بها وهي اساسا المناطق الشرقية من بغداد ففي حالة رسم نطاقات حول موقع المستنصرية ومراكز الجامعات الاساسية في بغداد . ومن ملاحظة الخرائط ٣، ٢، ٤ يظهر لنا ما ياتي :

١. ان الجامعة المستنصرية تقع الى الشرق من المجمع لكليات جامعة بغداد الواقعة في باب المعظم كالترية والاداب واللغات والصيدلة.
٢. يظهر نطاق ١٥٠٠ مترا الذي يحيط بالجامعة المستنصرية يمتد شرق دجلة في جانب الرصافة.
٣. اما نطاق ٢٥٠٠ مترا فهو يتقاطع مع نطاق مجمع كليات جامعة بغداد في باب المعظم.
٤. في حالة رسم نطاق ٥٠٠٠ مترا نجده يتقاطع مع نطاق جامعة بغداد والجامعة التكنولوجية
٥. اما نطاق ٧٥٠٠ مترا فهو يحيط تماما بمجمع كليات بغداد في باب المعظم ويحتويه ، في حين يتقاطع مع مركز جامعة بغداد في الجادرية ومع مركز الجامعة التكنولوجية في جنوب شرق بغداد ، اضافة الى الكليات الاهلية كالمنصور والرافدين .
٦. ومن ملاحظة الخارطتين (٣، ٤) نجد ان احياء عديدة في بغداد وذات كثافة سكانية عالية ومن ابرزها جنوب شرق بغداد لاتغطيها الخدمات الجامعية في حين تتقاطع الخدمات الموقعية لكافة الجامعات فيها. في وقت تحتاج الاحياء المذكورة الى دراسات واسعة ومستمرة في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية. التي يتطلب تطويرها.
- وطبقا للنقاط اعلاه وللحاجة الى ايجاد توازن بين التوزيع السكاني والتوسع الذي شهدته مدينة بغداد وحلا للمشاكل الموقعية التي تواجه الجامعات وبشكل خاص الجامعة المستنصرية يرى الباحثان ان حل المشكلات المكانية التي تواجه الجامعة المستنصرية تكمن باختيار **بناية الامن العامة** السابقة الواقعة الى جنوب شرق بغداد حيث تتوافر في موقعها الخصائص الاتية :
- أ - ان الموقع الجديد يرتبط بشوارع واسعة ترتبط بطرق سريعة تخترق بغداد وترتبط بالمدن والمحافظات الاخرى فضلا عن جانب الكرخ.
- ب - سعة الينابيع حيث تتكون من ثمان عمارات كبيرة كل منها تضم ثمان طوابق اضافة الى الطوابق تحت الارض وبنائات خدمية ملحقة بها.
- ج - احاطة البنايات بالمساحات الفارغة التي يمكن ان تستغل كملاعب رياضية ومساحات خضراء او اقسام داخلية وخدمات اخرى.
- د - ان البناية غير مشغولة حاليا وهي بحالة جيدة كونها لم تتعرض لاي عمل تخريبي.
- ه - حاجة المنطقة الجنوبية الشرقية من بغداد الى دراسات معمقة في كل المجالات البيئية والانشطة البشرية ، كونها تضم شرائح سكانية مختلفة وكثافة عالية.
- وحتى يمكن اعطاء تصور اوسع لمواقع الجامعات في بغداد من ملاحظة موقع مراكز الجامعات ومناطق تقديم خدماتها الاساسية تظهر ان خدماتها متداخلة بشكل كبير (خارطة ٥) مما يجعل خدماتها متركزة في اماكن محددة ومتداخلة في حين ان هناك اماكن اخرى تفتقر الى الخدمات الجامعية

المباشرة. ويظهر من الخارطة ايضا ان الدوائر التي نصف قطرها ستة كيلومترات تتداخل مع بعضها وتترك اماكن واسعة من احياء وضواحي بغداد.

وحتى يمكن فك الارتباط في حالة اتخاذ مباني مديرية الامن العامة السابقة جنوب شرق بغداد وتحويله الى صرح اكاديمي للجامعة المستنصرية او جزء منها وشمول المركز على مجمع كليات بغداد في الباب المعظم من جانب ومن جانب اخر اقامة مجمع اكاديمي في شمال غرب بغداد تابع للجامعة بغداد او مستقل عنها ليؤدي خدماته المباشرة الى الاحياء الشمالية الغربية كالكاظمية والحرية والشعلة والغزالية ومنطقة التاجي ويضم الكليات القائمة في ذلك النطاق. (خارطة ٦)

نتائج البحث وتوصياته :

١. ان ابرز النتائج التي توصل اليها البحث عبر النهج الجغرافي يمكن اجمالها بما يلي :
١. ان الموقع الجغرافي للجامعة المستنصرية لم يقتصر على موقعها المركزي الذي تأسست فيه، بل ظهرت لها عدة مواقع لخدماتها امتدت لتضم مواقع خارج محافظة بغداد لكليات او اقسام علمية.
٢. ان موقعها في بغداد لم يتحدد في موقعا الحالي وانما انشأت او ضمت كليات خارج مركزها في اماكن عديدة من بغداد.
٣. اخذ مركزها الحالي يضيق بكلياتها لزيادة طلابها وكادرها العلمي والاداري واثّر ذلك في ظهور اختناقات مرورية شديدة حوله ولم تعد الشوارع المتسعة التي تحيط بها كافية لاستيعاب المركبات والسيارات، وبشكل خاص في السنتين الاخيرتين وامتلاك اعداد كبيرة من الطلبة والموظفين السيارات الخاصة. كما اصبح ضجيجها يؤثر في عملية التعليم مباشرة.
٤. ان موقع الجامعة الحالي اخذ يكتظ من الداخل حيث ازدحمت القاعات بالطلبة واكتظت غرف التدريس وصارت المختبرات لا تواكب حاجات الطلبة الحقيقية .
٥. اتسمت اتجاهات الطلبة بالتحول من العلوم الادبية الى العلوم التطبيقية وازدادت المتطلبات الى المختبرات والتطبيقات العملية، وبالتالي ازدادت الحاجة الى التوسع فيها وما يتطلبه ذلك من ابنية وفضاءات جديدة.
٦. جرت تغيرات مهمة في طبيعة المواقع التي تقدم فيها الجامعة خدماتها فقد تخلت عن الكليات خارج محافظة بغداد. لكنها ضمت كليات في مواقع عديدة خارج مركزها.

وطبقا للمشكلات الموقعية اعلاه التي تضمنتها نتائج البحث والتي اخذت بالتفاهم يتطلب حلها اتخاذ قرارات جريئة وكلية.

ولذا يوصي البحث بما ياتي.

- أ- اعادة تقييم الموقع الحالي ومواقع الكليات التابعة لها خارج مركزها .
- ب- يوصي البحث بشطر الجامعة المستنصرية الى شطرين الاول للعلوم الانسانية ويشغل البناية المركزية للجامعة ويمكن ان يضم اليه مجمع الكليات التابعة للجامعة بغداد في باب المعظم، والقسم الثاني ويضم الكليات العلمية ويتحول الى بنايات الامن العامة السابقة والتي لها قدرة استيعاب كبيرة سواء لعدد الطلبة او المرافق العلمية المختلفة من مختبرات ومعامل تطبيقية. و بذلك تصبح قادرة على حل كافة المشكلات المكانية التي تعاني منها الجامعة.

ت - ان الموقع الجديد بخصائصه المكانية وما يشغله من مباني تشجع على اقامة مجمع سكني للتدريسين ومتطلبات الحاجات الاجتماعية من نواد وملاعب ومنتزهات.

أ. يوصي البحث بربط الجامعة في مجتمع المنطقة المحيطة بالموقع الجديد كونها بامس الحاجة الى الدراسات العلمية المعمقة لكي بواكب سكانها التطور العلمي والصحي والثقافي والاجتماعي.

ب. ان الخناقات المروية يصعب حلها الان اذا بقيت الجامعة تضم الاعداد الكبيرة من الطلبة اضافة الى الدراسات المسائية لذا فان شطر الجامعة يعد الطريق الاصبوب لحل هذه المشكلة.

ت. اعادة توزيع الكليات والجامعات طبقا للخارطة رقم (٥) من هذا البحث وتجدد الاشارة ان هذه الحلول ممكنة الان ما دام القطاع العام هو الذي يدير الجامعات ويمتلك منشآتها.

الجداول والخرائط

السنة الدراسية	عدد الطلبة	معدل الزيادة السنوية
١٩٨١/١٩٨٠	٢٤٩٧	- - - -
١٩٨٦/ ١٩٨٥	٥١١٢	٥٢٣
١٩٩١/١٩٩٠	٢٨٨٤	- ٤٤٥
١٩٩٦/١٩٩٥	٣٣٩٤	١٠٢
٢٠٠٢/٢٠٠١	١٦٨٠٨	٢٢٣٥
٢٠٠٣/٢٠٠٢	١٩٠٤٠	٢٢٣٢
٢٠٠٥/٢٠٠٤	٢١٠٥٤	- - - - -

المصدر: الجامعة المستنصرية، الاحصاء والتطوير، جداول غير منشورة.

- بما فيهم ١٩ طالبا من كليتي الفقه وطب الكوفة الملغات.
- بما فيهم ٦٧٢ طالبا من كليات الفقه وطب الكوفة وفنون بابل.

جدول رقم (٢)

تغير الهيكل النسبي لطلبة الكليات الانسانية والعلمية
للفترة ١٩٨٠ - ٢٠٠٤ والارقام القياسية

السنة	طلبة الكليات الانسانية	%	طلبة الكليات العلمية	%	الارقام القياسية الانسانية / العلمية
١٩٨٠	٢٠٢٦	٨١	٤٧١	١٩	١٠٠
١٩٨٥	٤٢٤٦	٨٣	٨٦٦	١٧	٢٠٩
١٩٩٠	٢١٠٩	٧٣	٧٧٥	٢٧	١٠٤
١٩٩٦	٢٤٢٠	٧٢	٩٧٤	٢٨	١١٩

١١٥٥	٥٦١	٣٢	٥٤٣٩	٦٨	١١٣٦٩	٢٠٠١
١٧٤٤	٥٣٤	٤٣	٨٢١٥	٥٧	١٠٨٢٥	٢٠٠٤

المصدر : الارقام الاولى، الجامعة المستنصرية، المصدر السابق، "بيانات غير

جدول (٣)

تغير اتجاهات طلبة محافظة بغداد

من الكليات الانسانية الى الكليات العلمية

السنة	الانسانية	%	العلمية	%	الارقام القياسية الانسانية العلمية
١٩٨٠	١٣٦٠	٨٢	٢٨٦	١٨	١٠٠
١٩٨٥	٢٦١١	٨١	٥٧٩	١٩	١٩١
١٩٩٠	١٣٠٥	٧١	٥٣٧	٢٩	٩٥
١٩٩٦	١٨٧٣	٧٦	٦٠٠	٢٤	١٣٧

المصدر : الملحق الاحصائي رقم (١)

جدول (٤)

الاهمية النسبية لطبة محافظة بغداد في الجامعة المستنصرية

١٩٨٠ - ١٩٩٦ / حسب الكليات

السنة	التربية	الاداب	الادارة والاقتصاد	المعلمين	الطب	الهندسة	المعدل الحسابي
١٩٨٠	٥١	٦٧	٧٧	-	٦١	-	٦٤
١٩٨٥	٦٠	٦٦	٧٠	-	٧٢	-	٦٧
١٩٩٠	٤٥	٦٣	٧٠	-	٧١	٦٣	٦٢
١٩٩٦	٦٠	٧٤	٧٣	٨٥	٧٢	٥٦	٧٠

❖ لا تتوفر بيانات عن السنوات الاخيرة.

المصدر : البيانات الاساسية : دائرة التطوير والاحصاء، مصدر سابق، "بيانات غير

مشورة"

جدول (٥)

التغير النسبي لطلبة المحافظات في كلية التربية

بين سنتي الدراسة ١٩٩٠ / ١٩٩١ و ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥

المحافظات	١٩٩٠ / ١٩٩١	٢٠٠٤ / ٢٠٠٥	نسبة التغير %
ديالى	٦,٩	٣,٢	٣,٧

٠,٣	١,١	١,٤	صلاح الدين
١,٤	٠,٧	٢,١	الرمادي
٧,٧	١,٤	٩,١	الكوت
٤,٥	٣,٢	٧,٧	الحلة
٢,٤	٠,٤	٢,٨	النجف
٥,٣	٠,٧	٦,٠	كربلا
٢,٣	٠,٤	٢,٧	كركوك
٠,٤	١,٤	١,٨	الديوانية
٢,٠	- -	٢,٠	الثنى
١,٠	٥,٠	٦,٠	الناصرية
- -	٠,٧	٠,٧	العمارة
(١,٩) +	٢,١	٠,٢	البصرة
(٠,٤) +	٠,٤	- -	الموصل
(٣٣,٧) +	٧٩,٣	٤٥,٦	بغداد
١,١	- -	١,١	اربيل
٣,٩	- -	٣,٩	السليمانية
- -	- -	- -	دهوك

المصادر : ١- الجامعة المستنصرية كلية التربية، النشرة الاحصائية لكلية التربية، ١٩٩١/١٩٩٠

٢- الجامعة المستنصرية، كلية التربية، دائرة التطوير والاحصاء " ارقلم غير

منشورة.

العدوانية وعلاقتها بتقدير الذات

أ.م.د. ناجح كريم السلطاني

العدوانية وعلاقتها بتقدير الذات

أ.م.د. ناجح كريم السلطاني

الفصل الأول

أولا - مشكلة البحث

ثانيا - أهمية البحث والحاجة إليه

ثالثا - أهداف البحث

رابعا - حدود البحث

خامسا - مصطلحات البحث

أولا - مشكلة البحث :

إن العدوانية ظاهرة منتشرة وقد تكون عامة بين الافراد يمارسها البعض بأساليب وحالات متعددة قد تختلف من فرد إلى آخر حيث ان لها صورا مختلفة ايضا باختلاف حالات ظهورها وهي ما ان تكون حالة مرضية نفسية او لها علاقة مباشرة بالعدوان البدني المباشر واما ان تكون ذو سمة لفظية لا اكثر عند البعض ، وقد يعبر عنها بعدة حالات لايزداع البشر التي تقع عليهم وذلك هو احدى مظاهر السلوك الإنساني كتعبير فردي او جماعي ومثالا لذلك فان العدوانية قد تقع بين فردين او قبيلتين او دولتين وهكذا هي حقيقة ازلية الوجود وجاءت مع وجود الانسان على وجه الارض وذلك ما فعله [قابيل بأخيه هابيل] وهو ما جاء في الآية الكريمة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ [المائدة / ٣].

إن العدوانية لا تقتصر على القتل فقط بل لها عدة حالات كما ورد ذكره وكالاتي :-
العدوان اللفظي - ﴿ إِنَّ يَتَفَوَّكُم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَاهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ [المتحنة / الآية (٣)].

وفي التهكم والسخرية - ﴿نَرَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة ٢١٢/]

وجاء في الشماتة - ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَتَنَلَّوْنِي﴾ [الأعراف ١٥٠/].
وهناك العدوان الخفي - ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف ٨/].
وجاء في الحسد - ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف ٥/].

وفي الكراهية - ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران ١٢٠/ (١)].

إن ذلك السلوك بكل أنواعه تلازمه حالة من دافعية السلوك العدواني المخفي وذلك ما يتطابق مع مفهوم (العداوة **Hostility**) الدال على المشاعر العامة بالكراهية والاستياء (٤: ص ٢٢٤).
وإن هذا المفهوم لا يمت بصلة إلى مفهوم الاحباط فهذا شيء وذلك شيء آخر حيث إن هناك سلوكا يمثل على سبيل المثال بطلب المساعدة من الآخرين ولكن بطرق مختلفة وهو لا يشابه العدوانية في شيء، وعند الرجوع إلى نظرية (فرويد) نرى أن العدوان هو نتاج الاحباط ولكن في جزء منه وليس الكل، وأن الغضب ينشأ نتيجة لعائق لحركة الانسان في تحقيق رغباته وأن الطاقة الزائدة تتحول إلى انفعال وهو ما يسميه علماء النفس مبدأ (النقل والازاحة **Displacement**) مثل تحطيم زجاج المبنى من احد الافراد الغاضبين (٨: ص ١٥٣).

وفي ذلك نرى أن فرويد رأى أن العدوان ميل فطري ويأتي نتيجة لطاقة بايولوجية عامة عند البشر لأن الانسان يكره اخاه بالفطرة (قابيل وهابيل) وهذا رأي لفرويد قد يكون غير صحيح على الاطلاق.

ولكن عند الرجوع إلى نظريات أخرى^(*) عاجلت ذات الموضوع نرى أن اتفقت على امكانية التحكم بالعدوان من شروط بيئية معينة وهو ما سيقوم البحث الحالي بمعالجته للأسباب الآتية :

١. أن الشحنة العدوانية غالبا ما يكون من الممكن تفريغها لتحول عن السلوك العدواني.
٢. أن الآلية النفسية للفرد لا تتشابه عند كل الافراد.
٣. اذا ما تم السيطرة على العدوان في النفس البشرية فانه سيتحول إلى حالة مدمرة.
٤. أن العدوان ذات علاقة مباشرة بمواقع الضبط وتقدير الذات لدى الانسان وهذا بالتحديد ما سيتم التحقق منه في البحث الحالي وهو ما كون مشكلة البحث الحالي.

(*) النظرية الاجتماعية ، نظرية التعلم .

ثانيا - أهمية البحث والحاجة إليه :

إن دافع العدوان يلعب دورا كبيرا في نمو وتطور بعض اضطرابات الشخصية، وفي كثير من المشكلات النفسية والمشاكل التي تواجه الفرد في العصر الحاضر كالحروب والتعصب العنصري وجناح الأحداث والقسوة على الأطفال، وإضافة إلى ذلك أنه نزعة ضرورية للحفاظ على بقاء الإنسان وحياته ويحتاجه في أثناء تفاعله مع الآخرين.

يقول (Anthony Storr) أن الحقيقة الواضحة هي أن الإنسان لم يكن يستطيع أن يحقق سيطرته الحالية ولا حتى أن يبقى على قيد الحياة كجنس ما لم يهبه الله قدرا كبيرا من العدوان (٧:ص ١٠).

لقد زاد اهتمام علماء النفس بدراسة العدوان وحاولوا وضع النظريات لتفسيره من أجل معرفة أهم الشروط البيئية والشخصية التي يمكن أن توجه النزعات العدوانية المقبولة واللازمة والتي لها دورها في الهدم والتخريب وتأثيرها في سلوك الفرد.

وإن البحث الحالي يتناول العدوانية وعلاقتها بمتغيرين هامين من متغيرات الشخصية وهما (موقع الضبط وتقدير الذات)، وقد اختار الباحث هذين المتغيرين للأسباب الآتية :

١. يتوقف تكوين كل من المتغيرات المذكورة في البحث على عوامل التنشئة الاجتماعية وخاصة ما يرتبط بها من ثواب وعقاب كما يجمع بينها عملية واحدة هي عملية التوقع (Epectancy) إذ تمثل مفهوما أساسيا في نظرية التعلم الاجتماعي التي اشتق منها مفهوم موقع الضبط، ويمثل التوقع أيضا عنصرا مهما في تحديد نوع السلوك العدواني وشكله وقوته، كما أن الفرد قبل قيامه بالسلوك العدواني لابد أن يعيد النظر في ذاته وما لديها من إمكانيات.

٢. توصلت الدراسات أن كثير من متغيرات الشخصية تتبلور حول متغير موقع الضبط بصورة واضحة ومتسقة منطقيا إلى درجة أنه يمكن التنبؤ بصفات ذوي موقع الضبط الداخلي أو ذوي موقع الضبط الخارجي.

وفي ضوء ذلك يقول (روتر Rotter) أن هذا المتغير يعد مدخلا للتنبؤ بالسلوك الحادث والتوقعات العامة في أي موقف.

ويذكر (ليفكورت Lefcourt) أن موقع الضبط مفيد للغاية في التنبؤ بقدر كبير بالسلوك والخصائص النفسية التي يمكن أن تؤثر على مستوى الأداء (٦: ص ١٧، ٥).

وإن تقدير الذات يعد عاملا مهما في تحديد السلوك الاجتماعي، بل في نمو الشخصية باعتبارها كلا متكاملًا، فهو يؤثر في الطريقة التي يحكم بها الفرد على الأشخاص الآخرين ويقومهم بها، ويؤيد ذلك ما لاحظته (أدلر Adler) من أن من يشعرون بالنقص يحطون من أقدار غيرهم.

وكذلك ما قرره (هورني Horney) من أن من لا يحب نفسه لا يحب غيره.

وكذلك ما وجده (روجرز Rogers) من أن هناك ارتباطا موجبا مرتفعا بين تقبل الفرد لذاته وتقبله للآخرين (٣: ص ١١٢).

وفي ضوء ما تقدم وجد الباحث أن العلاقة بين العدوانية وتقدير الذات وموقع الضبط علاقة لها أهمية ولا بد من تناولها بالبحث للوقوف على الحقائق التي نتوصل إليها في نتائج البحث.

وقد رأى الباحث انه اجريت دراسات عديدة في البيئات الاجنية حول علاقة كل من موقع الضبط وتقدير الذات بالعدوانية ولم تدرس هذه العلاقة في البيئة العربية، إضافة لذلك لم يحصل الباحث على دراسة واحدة حاولت بحث الاثر المشترك لهذين المتغيرين في العدوانية، لذلك وجد الباحث اهمية دراسة هذا الموضوع والاطلاع على نتائجه.

ثالثاً - أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين العدوانية كسلوك ومتغيرات موقع الضبط وتقدير الذات ومدى علاقتهما وتأثيرهما بالعدوانية. وذلك من خلال الأهداف الآتية :-
الهدف الأول : هل هناك علاقة ارتباطية وثيقة بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها لدى طلبة المراحل الثانوية.
الهدف الثاني : هل هناك علاقة ارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات من جهة والعدوانية المرتفعة والمنخفضة من جهة أخرى لدى طلبة المراحل الثانوية.

رابعاً - حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على طلبة المدارس في المرحلة الثانوية في الصف الخامس من البنين والبنات في محافظات كربلاء - النجف - بابل - القادسية للعام الدراسي ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م.

خامساً - مصطلحات البحث :

أولاً - العدوانية Aggressiveness :

يعرفه طلعت منصور وآخرون.. العدوان انه (السلوك الذي يقصد منه إيذاء او اطلاق شخص اخر وليس السلوك الذي يكون فيه الإيذاء عرضياً بالنسبة لتحقيق هدف من الأهداف) (١١: ص ١٣١).

ويعرفه دولارد **Dollard , 1944** بأنه تلك الاستجابة التي تلي الاحباط او ذلك الفعل الذي تعتبر استجابته الهادفة هي ان يلحق فرد الاذى بكائن او من يقوم مقامه (٧: ص ٨).
 اما الباحث يعرف العدوانية بانها (السلوك الذي يهدف إلى ايقاع الاذى بالغير او الذات او ما يؤثر على الغير او الذات من اذى وقد يكون السلوك عدواناً صريحاً او مضمراً [عدائية] او رمزاً وهو ميل لسلوك عدواني خفي).

ثانياً - موقع الضبط Locus of Control :

يرى روتر **Rotter , 1966**.. إن موقع الضبط " يشير إلى الاسباب المدركة للنتائج السلوكية فعندما يحصل الفرد على تدعيم نتيجة سلوك معين ويعتقد ان الحظ او المصادفة او تأثير الاشخاص ذوي الالهية او الظروف التي لا تدخل تحت سيطرته هي المسؤولة عن هذا السلوك فانه يقع في نمط الضبط الخارجي، وفي الطرف الاخر عندما يحصل الفرد على التعزيز ويعتقد انه حصل عليه نتيجة

مهاراته او صفاته الشخصية فانه يقع في نمط الضبط الداخلي، ويتحرك الافراد على خط متصل احد طرفيه النمط الداخلي والطرف الثاني النمط الخارجي لموقع الضبط " (٢: ص ٤٧٤). ويرى ليفكورت 1976 , Lefcourt.. ان موقع الضبط الداخلي - الخارجي هو توقع معمم، وان التوقع المعمم للضبط الداخلي يشير إلى ان الحوادث، سواء كانت ايجابية او سلبية فانها نتيجة افعال الشخص وسيطرته الشخصية، اما التوقع المعمم للضبط الخارجي فيشير إلى ادراك الحوادث الايجابية والسلبية على انها لا ترتبط بسلوك الشخص وهي على ذلك تقع خارج سيطرته الشخصية (16:P:29).

اما الباحث يعرف موقع الضبط انه " ما يشعر به الفرد من نتائج سلوكه الايجابية التي تنال النجاح ويعتقد ان قوى خارجية ساعدته في الوصول إلى النجاح كالصدفة والحظ فان ذلك يقع في نمط الضبط الخارجي، اما عندما يشعر الفرد ان نتائج سلوكه وتصرفاته الايجابية التي تنال الرضا والقبول هي نتيجة مهاراته وقواه الذاتية الشخصية التي يتصف بها فان ذلك يقع ضمن نمط الضبط الداخلي.

ثالثا - تقدير الذات :

ويرى الباحث ان تقدير الذات هو (التقييم الوجداني للشخص لكل ما يملكه من خصائص وصفات عقلية ومادية وقدرة الفرد على الاداء ويعتبر حكما شخصيا للفرد على قيمته الذاتية في اثناء تفاعل الفرد مع الآخرين، ويعبر عن ذلك من خلال اتجاهات الفرد نحو تصرفاته ومعتقداته ومشاعره كما يدركها الان في اللحظة الراهنة).

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولا - الإطار النظري

المبحث الأول : مفهوم العدوانية في نظرية التعلم

المبحث الثاني : مفهوم العدوانية في نظرية التحليل النفسي

ثانيا - الدراسات السابقة

أولا - الإطار النظري :

المبحث الأول: مفهوم العدوانية في نظريات التعلم

ترى هذه النظرية ان العدوان يكتسب في ظل البيئة التي يعيش فيها الفرد نتيجة احتكاكه بالجماعة التي يعيش بينها، فهي تفسر العدوان على انه نشاط متعلم يدعم بصفة دائمة في المجتمعات البشرية بتركيبها الحالي لانه يكافأ في صورة تملك او مديح او مركز اجتماعي او اقتصادي.

ويمكن ان نفهم كيف يتعلم بعض الافراد السلوك العدواني ويصبحون عدوانيين تماما مثل هؤلاء الافراد وجدوا انهم باتخاذ هجوم مباشر ومحدود على ما قد يعترض طريقهم من عوائق تحول بينهم وبين اهدافهم يحرزون نجاحا ولا يلقون عقاباً يذكر على من يعتدون عليهم، واذا امتد هذا النوع من

السلوك إلى المواقف المشابهة فإن الفرد يكون قد اكتسب اتجاهها إلى القوة فالإنسان يفضل الوسائل التي تكفل له النجاح وتشبع حاجاته (٨: ص ١٧٠ - ١٧٣). ويقول (سيرز **Sears**) أن الاحباط لا يؤدي إلى العدوان إلا إذا كان العدوان يلقي من الوالدين في اثناء عملية التنشئة الاجتماعية شيئاً من الاثابة والتدعيم، أي انه إذا حدث ان الام كانت مصدراً للاحباط بالنسبة للطفل، ثم ترتب على هذا الاحباط ان ظهر عند الطفل ميل إلى العدوان على الام وقام الطفل بالعدوان فعلا عليها فوجد من الام تساهلاً او ترحيباً بهذا العدوان، فان الميل إلى العدوان يتدعم ويقوى عند الطفل (٥: ص ٩٧).

المبحث الثاني: مفهوم العدوانية في نظرية التحليل النفسي

يرى اصحاب هذه النظرية بوجود حافز عدواني فطري ولكنهم يفترضون ان هذا الحافز موجه اصلاً بصورة تدميرية نحو الذات ولا يتجه إلى الخارج او ضد الافراد الاخرين او ضد العالم عموماً الا كظاهرة ثانوية فقط (٧: ص ١٣ - ١٤).

وان (فرويد **Freud**) يرى ان دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة تنقسم إلى نزعات بنائية (دوافع الحياة) واخرى هدامة (دوافع الموت). وتعتبر دوافع الموت عن نفسها في صورة دوافع عدوانية موجهة نحو الذات كما توجه نحو الاخرين، وهذه الدوافع قد تأخذ صورة الاعتداء والتجني والحقن والقتل او الانتحار.. ومقر دوافع الموت هو اللاشعور ويمثلها (الهو) (١٢: ص ١٣١ - ١٣٢).

وفي نفس الاتجاه قال (أدلر **Adler**) في مرحلة من مراحل تفكيره بان الانسان حيوان عدواني ودعاه ذلك إلى قبول فكرة العدوان على انها محرك اساسي لسلوك الانسان بدلا من الجنس الذي قال به فرويد (١٠: ص ٥٤١).

وكذلك قدمت (ميلاني كلين **Melaine Klein**) وهي من ابرز خلفاء فرويد في ميدان التحليل النفسي اهتماماً خاصاً بالعدوان الذي كانت ترى انه (يتولد داخل الطفل منذ بداية الحياة وكانت تعتقد ان قدرة الفرد على ان يخبر كلا من الحب والنوازع الهدامة هي قدرة جبلية [فطرية] إلى حد إما) (٧: ص ٢٣ - ٢٤).

ويرى (فرويد) ان العدوان ميل فطري في الانسان وان المجتمع هو المسؤول عن تهذيب ميول الفرد العدائية وجعلها قادرة على التوافق مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الانسان.

يرى (فرويد) ان العدوان فطري، وينبع من طاقة بيولوجية عامة. ويقول (سكوت) انه لا يوجد دليل فسيولوجي على وجود مثير تلقائي للعدوان ينبعث من الجسم فالشخص الذي يوجد في بيئة خالية من مثيرات القتال لا يعاني أي ضرر او اذى فسيولوجي او عصبي لانه لا يقاتل (٧: ص ٣٢). ويمكن القول ان طبيعة الانسان البيولوجية ليست بذاتها خيرة ولا شريرة وليست عدوانية او خائفة وليست جائحة للحرب ولا جائحة للسلم ولكن الانسان ذاته يمتلك آلية نفسية محايدة قابلة لان تكون خيرة وقابلة لان تكون شريرة.

ان هذا الرأي يتفق مع ما جاء في القرآن من ان في طبيعة الانسان استعدادا لكل من الخير والشر.. كما في قوله تعالى [[وهديناه النجدين]][البلد / ١٠] .

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان / ٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس / ١٠] . (١)

ثانيا - الدراسات السابقة :

دراسة قام بها (سادويسكي ووينزل Sadowski and Wenzel ، ١٩٨٢م) كان الهدف منها فحص العلاقة بين موقع الضبط وكل من العدوان والعداثية وطبق فيها مقياس موقع الضبط (لريد ووير Reid – Ware). كما طبق مقياس العدوان والعداثية. كانت العينة (٦٢) طالبا و (٩٦) طالبة من طلاب الجامعة. وكانت من نتائج البحث ان متوسط درجات الافراد ذوي الضبط الخارجي في العدوان والعداثية اكبر من متوسط درجات الافراد ذوي الضبط الداخلي بفارق دال احصائيا، وتدل هذه النتائج ان موقع الضبط الخارجي يرتبط جوهريا بالعداثة والعدوان وهذا الارتباط اكثر وضوحا في حالة العداثية منه في حالة العدوان (17. P.227).

اما في دراسة (ديمان وجرين ١٩٨٨ Demanand Green) هدف الدراسة تحديد العلاقة بين سمات الشخصية وكل من الحزم والعداثية. استخدام الباحثان مقياس العدوانية / الحزم الذي اعده (بكر وآخرون ١٩٧٨) وقائمة الشخصية (لأيزنك ١٩٦٨م) وقائمة التفاعل الاجتماعي (لروتر ١٩٦٨م) لقياس موقع الضبط. وكانت العينة (٣٨ طالبا) و (٧٤ طالبة) من طلاب الجامعة. وكانت نتائج الدراسة ان هناك علاقة سالبة بين العدوانية وموقع الضبط الخارجي (ر = ٠,٢١) وهي دالة احصائية (14: P.672).

وجاء في تقرير (لهثرتون وبوليفي ١٩٩١ Heatherton, T., Polivy, J) عرضا فيه خمس دراسات لتصميم وحساب صدق مقياس لتقدير الذات كحالة. وجد ان العدوانية ارتبطت ارتباطا سالبا بتقدير الذات، ففي احدى الدراسات كانت (ر = ٠,٣ -) (ن = ١٠٢)، وفي دراسة اخرى كانت (ر = ٠,٢٧ -) (ن = ١٢٢) (15. P.900 , 902).

وفي دراسة اخرى (لبص ويري ١٩٩٢ Buss, A., Perry M.) وكان الهدف منها تصميم اختبار لقياس العدوانية ووجد ان معامل الارتباط بين العدوانية وتقدير الذات (ر = ٠,٣٥ -) وكان عدد افراد العينة (٦١٢ رجلا) و (٦٤١ امرأة) (13: P.456).

الفصل الثالث: إجراءات البحث

أولاً - مجتمع البحث

ثانياً - عينة البحث

ثالثاً - أدوات البحث

رابعاً - الأساليب الإحصائية المستخدمة

أولاً - مجتمع البحث.. طلبة المدارس الثانوية (بنين - بنات) في العراق.
ثانياً - عينة البحث.. تكونت عينة البحث من (٣٦٠) طالبا وطالبة في الصف الخامس الثانوي موزعة على أربعة محافظات هي (كربلاء - بابل - النجف - القادسية) والجدول (١) يبين أعداد الطلبة موزعة حسب المحافظات وحسب الجنس.

جدول (١)

يبين توزيع أفراد العينة حسب التخصص والجنس موزعين على المحافظات

المحافظات	بنين	علمي	أدبي	مهني	بنات	علمي	أدبي	مهني	%
كربلاء	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٢٥%
بابل	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٢٥%
النجف	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٢٥%
القادسية	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٤٥	٢٠	٢٠	٥	٢٥%

ثالثاً - أدوات البحث :

- تم استخدام الأدوات الآتية كلا حسب مناسبتها للقياس المطلوب وكالاتي :-
١. مقياس متغير العدوانية إعداد د. عبد الله سليمان إبراهيم و د. محمد نبيل عبد الحميد (٩: ص ٤٧ - ٤٨).
 - نظرا لعدم وجود مقياس مناسب لهذا المتغير فقد اعتمد الباحث (مقياس متغير العدوانية) والذي تم تصميمه من قبل الباحث د. عبد الله سليمان أستاذ علم النفس بجامعة الزقافيق لكونه يناسب قياس ظاهرة البحث الحالي.
 - يتكون هذا المقياس من (٤٥) فقرة تدور حول العدوانية بأشكالها المختلفة حيث تم اعتماد الخطوات الآتية من قبل الباحث وصمم المقياس لجعله حاضرا للتطبيق.
 - الطلب من المفحوص عدم كتابة أية معلومات شخصية.
 - جاء المقياس وفق (٥) بدائل هي (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، أبداً) أعطيت الدرجات الآتية حسب الترتيب (٥، ٤، ٣، ٢، ١) وبذلك تدل الدرجة العالية على العدوانية العالية والدرجة الواطئة على العدوانية المنخفضة.
 - طبق المقياس على عينة عشوائية مكونة من (١٥٠) طالب وطالبة.
 - بعد التصحيح تم ترتيب درجات افراد العينة ترتيبا تنازليا حسب الاتي :
 - أعلى من ٢٧% عدوانية عالية.

- أدنى من ٢٧٪ عدوانية منخفضة.

الصدق الظاهري : عرضت فقرات هذا المقياس على لجنة من المحكمين خبراء في التربية وعلم النفس^(*) وأبدوا ملاحظاتهم حول فقرات المقياس وتم الأخذ بها.

الثبات : تم حساب الثبات للمقياس بطريقة إعادة الاختبار (Test-Retest) على عينة مؤلفة من (٨٠) طالب وطالبة وبعد مرور (١٠ أيام) على التطبيق الأول أعيد التطبيق الثاني على العينة وبعد حساب معامل الارتباط باستخدام (معادلة بيرسون Pearson correlation) تبين أنه يساوي (٠,٥٩) وهو دال عند مستوى ٠,٠١.

٢. مقياس موقع الضبط : إعداد علي بداري، ومحمود الشناوي (٢: ص ٤٧٤). وهو مقياس مترجم ومعرب على مقياس (ليفكورت ١٩٨١) ويهدف إلى قياس درجة تحكم الافراد في الاحداث المتصلة بحياتهم.

وصمم على اساس طريقة (ليكرت) ويحتوي على مقياسين. يحتوي كل منهما على (٢٤) عبارة وعدد عبارات النجاح مساو لعدد عبارات الفشل، والعبارات موزعة بالتساوي على الابعاد الاربعة (القدرة، الجهد، البيئية، الحظ).

الصدق الظاهري : عرض الباحث الفقرات على الخبراء^(*) وبعد عرضها وتعديل بعضها حسب رأي الخبراء أعد الباحث العبارات بصيغتها النهائية.

الثبات : قام الباحث بتطبيق المقياسين على عينة مكونة من (٨٤) طالبا وطالبة (٤٢) طالبا من اعدادية كربلاء للبنين و (٤٢) طالبة من اعداد النجاح للبنات من طلاب وطالبات الصدف الخامس وقد بلغ معامل الثبات بطريقة إعادة التطبيق بعد فاصل زمني (١٠ أيام) ٠,٨٦.

وعند تصحيح المقياس تقدر الدرجة بالنسبة لكل عبارة كالآتي (موافق (٤)، موافق إلى حد ما (٣)، غير متأكد (٢)، غير موافق إلى حد ما (١)، غير موافق (صفر)، وتدل الدرجة العالية على الافراد من نمط الضبط الخارجي، ويمكن الحصول على سبع عشرة درجة فرعية لكل مقياس، وان الباحث استخدم الدرجة الكلية فقط.

(*)

١	د. عبد عون عبد علي	استاذ	علم النفس	جامعة بابل
٢	د. مكي عمران	استاذ	تقنيات فنية	جامعة بابل
٣	د. ثامر مهدي	استاذ	فلسفة	جامعة الكوفة
٤	د. خولة عبد الوهاب التميمي	استاذ	علوم تربوية	جامعة بغداد
٥	د. كاظم مرشد	استاذ مساعد	تكنولوجيا تعليم	جامعة بابل
٦	د. جاسم محمد القصير	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة
٧	د. حسين نعمة الحسيني	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة

(*)

١	د. عبد عون عبد علي	استاذ	علم النفس	جامعة بابل
٢	د. مكي عمران	استاذ	تقنيات فنية	جامعة بابل
٣	د. ثامر مهدي	استاذ	فلسفة	جامعة الكوفة
٤	د. خولة عبد الوهاب التميمي	استاذ	علوم تربوية	جامعة بغداد
٥	د. كاظم مرشد	استاذ مساعد	تكنولوجيا تعليم	جامعة بابل
٦	د. جاسم محمد القصير	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة
٧	د. حسين نعمة الحسيني	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة

٣. مقياس تقدير الذات (The Self-Esteem Scale) (15. P. 895) تأليف Heath-J- Polivy. F.T. 1991. وهو مأخوذ عن مقياس تقدير الذات (لروزنبرج ١٩٦٥، ١٩٧٩).

وقد وضع هذا المقياس بهدف التعرف على أي تغير قد يحدث في تقدير الفرد لذاته عندما يتعرض لتأثير الاحداث الطبيعية او يتعرض لفشل تجريبي او للعلاج الاكلينيكي ويتكون من عشرين عبارة منها سبع عبارات موجبة وثلاث عشرة عبارة سالبة، ويستجاب لكل منها باختيار واحد فقط من البدائل (قليلة جداً، قليلة، في بعض الأحيان، كثيرة، كثيرة جداً) وتقدر بـ (١، ٢، ٣، ٤، ٥) في حالات العبارات الموجبة والعكس في حالات العبارات السالبة. يطلب من المفحوص ان يستجيب لعبارات المقياس وفقاً للتعليمات التي اعدت لهذا المقياس مثلاً (ما حقيقة شعورك نحو نفسك في هذه اللحظة ؟) وبإجراء التحليل العاملي وجد ان العبارات تتوزع على ثلاثة ابعاد هي المظهر (٦ عبارات)، الاجتماعي (٧ عبارات)، الأداء (٧ عبارات) وتدل الدرجة العالية على تقدير الذات الايجابي. بلغ معامل ثبات المقياس باستخدام معامل ألفا ($\alpha = 0.92$).

حصل الباحث على نسخة مترجمة ومعربة للمقياس وسبق ان طبق على دراسات واكدت هذه الدراسات انه صادق وقام الباحث بعرض فقرات المقياس على لجنة من الخبراء في التربية وعلم النفس^(٨) وأبدوا ملاحظاتهم وتم الأخذ بها.

الثبات : قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة مكونة من (٨٠) طالب وطالبة من إعدادية كربلاء للبنين (٤٠) طالبا ومن إعدادية النجاح للبنات (٤٠) طالبة من طلاب وطالبات الصف الخامس وقد بلغ معامل الثبات بطريقة إعادة التطبيق بعد فاصل زمني (١٠ أيام) ٠.٨٠.

تم تطبيق ادوات البحث في عشرة لقاءات وفي كل لقاء طبقت الادوات بالترتيب الاتي [مقياس متغير العدوانية ثم مقياس موقع الضبط ثم مقياس تقدير الذات وكان كل لقاء يستغرق ما بين ٥٠ و ٦٠ دقيقة. وبعد التصحيح حسب كل من المتوسط والوسيط والانحراف المعياري للمتغيرات الثلاثة والنتائج موضحة في جدول (٣) وجدول (٤) I.

رابعا - الأساليب الاحصائية المستخدمة :

١. تم استخدام الوسائل الاحصائية طبقا لاستخدام ادوات البحث اينما وردت في البحث الحالي.
٢. استخدم المتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري للمتغيرات الثلاثة، الجدول (٢).
٣. ولغرض التحقق من صحة الفروض تم استخدام معامل ارتباط بيرسون. جدول (٣) للهدفين الأول والثاني.

٤. استخدم معامل الارتباط الجزئي والمتعدد للمعالجات الرقمية في هذا الهدف. جدول (٤).

(*)

١	د. عبد عون عبد علي	استاذ	علم النفس	جامعة بابل
٢	د. مكي عمران	استاذ	تقنيات فنية	جامعة بابل
٣	د. ثامر مهدي	استاذ	فلسفة	جامعة الكوفة
٤	د. خولة عبد الوهاب التميمي	استاذ	علوم تربوية	جامعة بغداد
٥	د. كاظم مرشد	استاذ مساعد	تكنولوجيا تعليم	جامعة بابل
٦	د. جاسم محمد القصير	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة
٧	د. حسين نعمة الحسيني	استاذ مساعد	علم النفس	جامعة الكوفة

الفصل الرابع :

النتائج ومناقشتها

التوصيات

المقترحات

النتائج :

الهدف الأول : هل هناك علاقة ارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها لدى عينة البحث.

جدول (٢)

يبين العلاقة الارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها لدى عينة البحث

المحافظات	الوسيلة الاحصائية المستخدمة	موقع الضبط	تقدير الذات	العدوانية الصريحة	العدوانية المضمرة	الميل إلى العدوان	العدوانية الكلية
البيروت	المتوسط الحسابي	٨٠,١٠	٧٠,٥٠	٢١,٤٠	١٧,٠	٢١,١٤	٥٩,٥٤
	الوسيط	٨٠,٠٠٠	٦٩,٦٣	١٧,٩٠	٢٩,١٧	١٨,١٧	٦٥,٢٤
	الانحراف المعياري	٨٠,١٥	٦٩,٦٣	٢١,٠	٣٢,١٤	٢٠,٩٧	٧٤,١١
		٨٠,١٢	٦٨	١٧,٠	٢٤,١٤	١٢,٩	٥٤,٠٤

يتضح من الجدول (٢) ان المتوسط الحسابي لموقع الضبط لعينة البحث بلغ (٨٠,١٠) وتقدير الذات بلغ (٧٠,٥٠) والعدوانية الصريحة (٢١,٤٠) والعدوانية المضمرة (١٧,٠) والميل إلى العدوان (٢١,١٤) والعدوانية الكلية (٥٩,٥٤). أما بالنسبة للوسيط لعينة البحث بلغ موقع الضبط (٨٠,٠٠٠) وتقدير الذات (٦٩,٦٣) والعدوانية الصريحة (١٧,٩٠) والعدوانية المضمرة (٢٩,١٧) والميل إلى العدوان (١٨,١٧) والعدوانية الكلية (٦٥,٢٤). أما بالنسبة للانحراف المعياري لعينة البحث بلغ موقع الضبط (٨٠,١٥) وتقدير الذات (٦٩,٦٣) والعدوانية الصريحة (٢١,٠) والعدوانية المضمرة (٣٢,١٤) والميل إلى العدوان (٢٠,٩٧) والعدوانية الكلية (٧٤,١١) وكان المعدل العام لموقع الضبط بالنسبة إلى المتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري بلغ (٨٠,١٢) اما المعدل العام لتقدير الذات بالنسبة للمتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري بلغ (٦٨,٠). أما بالنسبة للمعدل العام للعدوانية الصريحة بالنسبة للمتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري بلغ (١٧,٠). أما العدوانية المضمرة بلغ المعدل العام بالنسبة للمتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري هو (٢٤,١٤). أما بالنسبة للمعدل العام للميل إلى العدوان بالنسبة للمتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري بلغ (١٢,٩) والمعدل العام للعدوانية الكلية بالنسبة للمتوسط الحسابي والوسيط والانحراف المعياري بلغ (٥٤,٠٤).

ويتضح من الجدول (٢) إن الهدف الأول قد تحقق حيث أن هناك علاقة ارتباطية واضحة بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها لدى عينة البحث.

جدول (٣)

يبين علاقة العدوانية بموقع الضبط وتقدير الذات حسب معاملات الارتباط

المتغيرات	العدوان الصريح	العدوان المضمّر	الميل إلى العدوان	العدوانية
موقع الضبط	٠,٢٣	٠,٢٨	٠,٢١	٠,٢٤
تقدير الذات	- ٠,٤٦	٠,٦٩	٠,٤٣	- ٠,٥٢

يتضح من الجدول (٣) إن موقع الضبط بلغ في العدوان الصريح (٠,٢٣) وفي العدوان المضمّر (٠,٢٨) وفي الميل إلى العدوان (٠,٢١) وفي العدوانية (٠,٢٤). أما بالنسبة لتقدير الذات لقد بلغ العدوان الصريح (- ٠,٤٦) وفي العدوان المضمّر (٠,٦٩) وفي الميل إلى العدوان (٠,٤٣).
وتبين من الجدول (٣) إن علاقة العدوانية بموقع الضبط وتقدير الذات واضحة وحسب ما جاء من نتائج معاملات الارتباط وعلاقتها بموقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها وهذا تأكيد آخر إن الهدف الثاني في الدراسة الحالية قد تحقق وحسب ما جاء في الجدول (٣).

الوسط الحسابي =

الوسيط =

الانحراف المعياري =

معامل الارتباط الجزئي

معامل الارتباط المتعدد

جدول (٤)

الهدف الثاني : هل هناك علاقة ارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية المرتفعة والمنخفضة لدى طلبة المدارس الثانوية.

العدوانية	العدوانية المنخفضة	العدوانية المرتفعة	تقدير الذات	موقع الضبط	المتغيرات المحافظات
١٢,٤٥	٥,٦٤	٦	٧٠,٥٠	٨٠,١٠	كربلاء
١٢,٦٦	٧,١٤	٥,٥٢	٦٩,٦٣	٨٠,٠٠	بابل
١٥,٦٩	٧,١٥	٨,١٤	٦٩,٦٣	٨٠,١٥	النجف
١١,٢٦	٥,٢٤	٦,٠٢	٨٠,١٢	٦٨ -	القادسية

أما في نتائج البحث جاء في جدول (٤) تبين العلاقة الارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية بأنواعها وهذه النتائج جاءت متقاربة بعضها مع البعض الآخر حسب كل محافظة وشكلت النتائج الكلية لعينة البحث وارتباط العدوانية بأنواعها بمتغيرات البحث وهي تقدير الذات وموقع الضبط بالنسبة إلى محافظة كربلاء كانت درجة موقع الضبط (٨٠,١٠) وتقدير الذات (٧٠,٥٠) والعدوانية المرتفعة (٦,٠٢) والعدوانية المنخفضة (٥,٦٤) والعدوانية بشكل عام (١٢,٤٥).
أما بالنسبة إلى محافظة بابل كانت درجة موقع الضبط (٨٠,٠٠) وتقدير الذات (٦٩,٦٣) والعدوانية المرتفعة (٥,٥٢) والعدوانية المنخفضة (٧,١٤) والعدوانية بشكل عام (١٢,٦٦).
أما بالنسبة إلى محافظ النجف كانت درجة موقع الضبط (٨٠,١٥) وتقدير الذات (٦٩,٦٣) والعدوانية المرتفعة (٨,١٤) والعدوانية المنخفضة (٧,١٥) والعدوانية بشكل عام (١٥,٦٩).
أما بالنسبة إلى محافظة القادسية كانت درجة موقع الضبط (٦٨,٠٠) وتقدير الذات (٨٠,١٢) والعدوانية المرتفعة (٦,٠٢) والعدوانية المنخفضة (٥,٢٤) والعدوانية بشكل عام (١١,٢٦).
ومن خلال ما جاء في الجدول (٤) نبين إن الهدف الثاني في البحث الحالي قد تحقق وأكدته النتائج على العلاقة الارتباطية بين موقع الضبط وتقدير الذات والعدوانية المرتفعة والعدوانية المنخفضة والعدوانية بشكل عام وفي كل محافظة من المحافظات المذكورة في عينة البحث الحالي وظهرت النتائج إن هناك تقارب في النسب التي جاءت في الجدول (٤) بين المحافظات.

جدول (٥)

يبين معاملات الارتباط الكلي والمتعدد بين المتغيرات لكامل عينة الدراسة

المتغيرات	معاملات الارتباط	الارتباط	الدلالة
-----------	------------------	----------	---------

	الجزئي	متعدد	جزئي	بسيط	
دالة	٢,٧٨	-	٠,١٩	٠,٢٩	العدوانية وموقع الضبط
دالة	١١,٠٥	-	٠,٦١ -	٠,٦٤ -	العدوانية وتقدير الذات
دالة	١٥,٠١٥ -	-	٠,٠٧ -	٠,٢٤ -	العدوانية المرتفعة والمنخفضة

أما في الجدول (٥) جاءت النتائج توضح العلاقة بين العدوانية وموقع الضبط حسب معاملات الارتباط البسيط حيث بلغ (٠,٢٩) والجزئي حيث بلغ (٠,١٩) والمتعدد سالب والارتباط الجزئي لكامل عينة البحث (٢,٧٨) وهي دالة احصائية.

اما بالنسبة إلى العدوانية وتقدير الذات جاءت نتائج البحث حسب الجدول (٥) بالنسبة إلى معاملات الارتباط (- ٠,٦٤) وهي سالبة والجزئي (- ٠,٦١) وهي سالبة والمتعدد سالب والنتائج سالبة ومعامل الارتباط الجزئي لكامل عينة البحث بلغ (١١,٠٥) وهذه النتيجة دالة احصائية.

اما بالنسبة إلى العدوانية المرتفعة والمنخفضة جاءت نتائج البحث حسب الجدول (٥) كانت معاملات الارتباط كالاتي وهي البسيط (- ٠,٢٤) والجزئي (- ٠,٠٧) والمتعدد سالب والارتباط الجزئي لكامل عينة البحث بلغ (- ١٥,٠١٥) وهي سالبة وكانت كل النتائج حسب الجدول (٥) دالة احصائية.

هذا مما يبين قوة العلاقة بين العدوانية وموقع الضبط وتقدير الذات وعلاقة هذه المتغيرات بالعدوانية المرتفعة والمنخفضة.

النتائج ومناقشتها :

نجد في نتائج الفرضية الاولى ان معاملات الارتباط بين موقع الضبط والعدوانية وبابعادها المختلفة تشير إلى دلالة احصائية وكما اشارت النتائج المدونة في جدول (٢) حيث ان متوسط الدرجات العدوانية اكبر من متوسط درجات الافراد بفارق ذي دلالة احصائية بابعاد العدوانية المختلفة. وبذلك تحققت صحة الفرض الأول اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (ديمان 1988) و (دراسة بوليفي 1991).

يرى الباحث تفسيراً لتلك النتائج وفي ضوء خصائص الافراد عينة البحث ان هناك علاقة ارتباطية بين مستوى (ذوي الضبط الخارجي والعدوانية) وهو مفهوماً سلبياً عند تقدير الذات لانهم اقل طموحاً ومثابرة ودافعية حيث يرتفع لديهم مستوى العدوانية بارتفاع المؤثرات الخارجية.

ومن هنا يتضح لنا ان سمات الافراد ذوي الضبط الخارجي تنم عند شخصية غير متوافقة احياناً عن المجتمع وحسب تقديرهم لذاتهم. ويعتقد ان القوة الخارجية للعدوانية تكون غامضة مما يشعرهم في بعض الاحيان بالاحباط هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى ان الاحباط كثيراً ما يؤدي إلى العدوانية باشكالها المختلفة الصريحة ومنها الغامضة على حد سواء.

ان الشخصية التي تتميز بالعدوانية غالبا ما تعوزها القدرة على مواجهة الآخرين في مواقف كثيرة دون اظهار هذه العدوانية باشكالها وكذلك عن المشاعر بصراحة وذلك كفيل بالعمل على زيادة وتنمية النزعات العدوانية والتي تؤدي في نهاية الامر إلى الشعور بالنقص وخيبات الامل وعدم الشعور بالامن وبذلك تكون هذه الشخصية معتمدة على الغير وان هذا متصل بالعدوانية حيث كلما اعتمد الانسان على الغير كلما زادت عدوانيته المضمره.

ومن هنا تأتي العدوانية للدفاع عن الذات، وان هذه العلاقة هي ارتباطية وليست سببية فهي تزيد معا وتتناقص معا واحدهما هو مسبب للآخرى.

اما في نتائج الفرضية الثانية نرى عدم وجود علاقة رابطة حقيقية بين تقدير الذات الايجابي والعدوانية لدى الطلبة وحسب الجدول (٤) نجد ان معاملات الارتباط بين تقدير الذات والعدوانية بابعادها المختلفة سالبة، وان متوسط درجات الطلبة ذات التقدير الذاتي السلبي اكبر من متوسط درجات الطلبة ذوي التقدير الذاتي الايجابي وبذلك تحققت صحة الفرض الثاني حيث تتفق هذه النتيجة مع الدراسات التي تناولت هذا الجانب في دراسة هذين المتغيرين.

يرى الباحث ان ذلك يعود إلى الخصائص الشخصية للأفراد ذوي التقدير الذاتي المنخفض حيث ان ذكائهم اقل من ذكاء الآخرين. ومن هنا يتضح ان سمات الشخصية على ارتباط وثيق بالعدوانية. حيث يؤدي ذلك احيانا إلى الاحباط والحذف والقلق الذي يهدد الذات.

ومن خلال ذلك يمكن خلاصة ما يأتي :

١. ان العدوانية بابعادها المختلفة لا يقدر الا عند شخصية ضعيفة غير متوافقة اجتماعيا.
٢. ان القرآن الكريم قد اكد هذه النتيجة منذ آلاف السنين ومن خلال الآية الكريمة في سورة آل عمران / الآية (١١٨) ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

٣. إن الدراسات السابقة التي ذكرت في هذا البحث كانت نتائجها مقاربة لنتائج الدراسة الحالية وهذا ما يدعم ويؤكد نتائج هذه الدراسة التي طبقت على عينة عراقية وحسب علم الباحث لم يجد دراسة تناولت هذا الموضوع من قبل.

التوصيات :

١. نجد ان هناك تأثيرا مشتركا بين موقع الضبط الداخلي وتقدير الذات الايجابي في درجة العدوانية ولكن هذا الاثر قوي فيما يتعلق بتقدير الذات لذلك ضرورة مراعاة تنشئة الفرد واعداده لكي يكون اقل عدوانية وايجابي في تعامله مع الآخرين.
٢. ان العدوانية بابعادها المختلفة لا تصدر الا عن شخصية ضعيفة عاجزة منهارة من الداخل لا سوية في تكوينها شخصية غير متوافقة اجتماعيا وان المسؤول عن نمو هذه الشخصية التنشئة الاجتماعية للفرد والظروف البيئية والنفسية والاسرة التي ينتمي اليها الفرد، ولا بد من مراعاة هذه

الاسباب وجعل الفرد ينمو في مجتمع وبيئة أسرية صالحة قادرة على مساعدة الفرد في التغلب على المشاكل والصعاب التي يواجهها.

المقترحات :

يوصي الباحث بالقيام بالدراسات والبحوث الآتية :

١. دراسة مقارنة لمعرفة علاقة النجاح والفشل في الدراسة بالعدوانية لدى طلبة الثانوية.
٢. دراسة مقارنة لمعرفة علاقة المستويات الاقتصادية والاجتماعية بالعدوانية لدى طلبة الجامعات.
٣. علاقة نوع معاملة الوالدين وارتباطها بالعدائية وموقع الضبط.

المصادر

المصادر العربية :

١. القرآن الكريم.
٢. بداري، علي ومحروس، الشناوي، المجال النفسي للضبط وعلاقته بالسلوك التوكيدي وأساليب مواجهة المشكلات، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، ع٢، ص٤٧٤، ٤٩٩، ٩٨٦.
٣. راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، بيروت، دار العلم، بدون سنة نشر.
٤. الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، ط٧، دمشق، جامعة دمشق، بدون سنة نشر.
٥. سلامة، احمد عبد العزيز، وعبد السلام عبد الغفار، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
٦. سالم، سالم حسن، مركز التحكم وعلاقته بمفهوم الذات البدنية والمستوى الرقمي لدى متسابقين الميدان والمضمار، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان، القاهرة، ١٩٨٥.
٧. ستور، انتوني، ترجمة (محمد أحمد غالي، الهامي عبد الظاهر)، العدوان البشري، ط١، الاسكندرية، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، ١٩٧٥.
٨. الشعيبي، محمد مصطفى، مقالات في علم النفس، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٦٣.
٩. عبد الفتاح، كاميليا، علم النفس، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، غ٣٠، القاهرة، ١٩٩٤.
١٠. غنيم، سيد محمد، سيكولوجية الشخصية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٥.
١١. منصور، طلعت، وآخرون، أسس علم النفس العام، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٨.
١٢. المليجي، حلمي، علم النفس المعاصر، ط٤، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢.

المصادر الأجنبية :

13. Buss, H. perry, K, " The Aggression questionnaire " J. of personality and social psychology, Vol. 63, N, 3, P. 452-45, 1992.
14. Deman, A, Green, e. " Selected personality correlates of assertiveness and aggression " psychological reports, 62, P. 672-674, 1988.
15. Heatherton, T., poliy, K. " development and validation of a scale for measuring state selfesteem ". J. of personality and social psyche., Vol. 60, No.6, P. 895-910. 1991.
16. Lefcourt, H.M. Locus of controli Current trends in theory and Research. Jhon willy & sons, New york, 1976.
17. Sadowski, C., wnezel, D., " the relationship of Locus of control dimension's to reported hostility and aggression " J-of psyche., 112, P. 227-230. 1982.

آل البيت عليهم السلام ، في شعر

دعبل الخزاعي

قراءة فنية جديدة

الدكتور فاروق محمود الحبوبي

آل البيت عليه السلام في شعر دعبل الخزاعي

د. فاروق محمود الحبوبي

تقديم:

دأبت في كتابتي أن اختار الموضوع الجديد الأنسب البكر ولا أرغب في اجترار النتائج والمعلومات المطروحة لئلا أكون تابعاً تقليدياً يعتاش على فتات الآخرين. ورصد ومحاكاة أفكارهم فالقراءة المتأملّة الدقيقة الفاحصة لها اثر صائب في الوصول إلى خيوط جديدة للمعرفة ونوافذ هامة على الموضوع المطلوب دراسته.

ودعبل بن علي الخزاعي واحد من أولئك الشعراء الأفاضل الذين يتطلب منا دراستهم دراسة تفصيلية واعية جديدة ناقدة.

ولا أريد هنا في هذا البحث أن اصف شعر الخزاعي من الخارج وانزع عليه آراء الآخرين الجاهزة غير الدقيقة، بل سأقوم بإجراء قراءة جديدة لقصائده والتجوال بين أبياتها لمعرفة ما بين السطور وما يربط ذلك من قنوات وروابط اتصال ورسائل التعبير اللغوي والدلالي المشبوب بشحنات من العواطف البليغة الصادقة.

ولغرض تحديد ثوابت الدراسة لابد لنا من تصنيف القصائد وفرز أغراضها والاحاطة بأسوار حدودها.

وما دام ابن النديم قد ذكر في فهرسته بان الشاعر (دعبل) ديوان شعر جله في أهل البيت عليه السلام. فحينئذ سنمد الخطى بهذا الاتجاه لمعرفة حجم ذلك القول وبيان تفاصيله في النصوص التي بين أيدينا. ولان هذا الشاعر الكبير لم يأخذ حقه في مجمل عملية البحث، ولم تعطه الدراسة استحقاقه بالدرس والاستفاضة، قررت أن اكتب هذا البحث الموجز ليكون باكورة عمل مستفيض آخر. وبداية لدراسات تفصيلية.

يتذكر (دعبل) أيام الصباية والشباب حين كان يرفل في أثواب لذاته إذ كان غصنه رطيباً وهو يصبو إلى جاراته، في هذه اللحظات الجميلة من الذكريات التي تمر بخاطر لا شريطاً سيمياً مصوراً، تنهافت على ذهنه أفكار العقلانية والتميز. فينكر على نفسه ذكريات ذلك الزمان الذي مضى مطلبه وتقطعت حباله وعاد إلى نفسه يطلب منها الكف عن تكرار سريان ذلك الشريط المحفوف

بالجهالات، وطالباً من قريحته الفياضة أن تتوجه بكل ثقلها لمدح أهل البيت (عليه السلام) الهداة بني الكرامات إذا قال^(١):

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ
أَيَّامَ أَرْفَلُ فِي أَثْوَابِ لِدَاتِي
أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٌ، مِنْ لِدَوْتِهِ
أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَاتٍ
دَعَّ عَنْكَ ذَكَرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ
وَأَقْذِفْ بِرِجْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَالَاتِ
وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
نَحْوَ الْهُدَاةِ بَنِي بَيْتِ الْكَرَامَاتِ

والبيت الرابع في المقطوعة هو المعول عليه في النص. وهو بيت القصيد الذي عليه تدور طاولة البحث، حيث أهل البيت (عليه السلام) هم هداة الأمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهم حملة سنته الحقيقين بلا منازع، وأهل الكرامات على الأرض.

وفي نص آخر يرفض فيه مشاغل اللذات والنفائات، ويتوجه إلى حب آل بيت المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) ووصيه المرتضى (عليه السلام)، ليصبح هذا الحب شغله الشاغل ونشيد العذب والحاصل الأنفع لأخرته من كل شيء، ولكي يفرغ هذا الحب المنقطع النظير في قصائده. أن حبه لآل البيت يسير في دمائه، ويتحصن في شغاف قلبه. وبهذا كانت صورة قلبه المتحصن بحب آل البيت وقد نزع منه هوى اللذات، وكأنه ينزع ثوباً خرقاً بأخر متشيب نافع. عاملاً بهداية الآية ﴿أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢)، وهذا التبدل يستفاد من الآية الكريمة: ﴿وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٣).

إذا قال^(٤):

فِي حُبِّ آلِ الْمُصْطَفَى وَوَصِيهِ
شُغْلٌ عَنِ اللَّذَاتِ وَالْقِنَاتِ
أَنَّ النَّشِيدَ بُحْبُ آلِ مُحَمَّدٍ
أَزْكَى وَأَنْفَعُ لِي مِنَ الْقُنِيَاتِ
فَأَحْشُ الْقَصِيدَ بِهِمْ وَفَرَّغْتُ فِيهِمْ
قَلْباً حَشَوْتُ هَوَاهُ بِاللَّذَاتِ
وَأَقْطَعَ حِبَالَهُ مَنْ يُرِيدُ سِوَاهُمْ

١ — ديوان دعبل بن علي الخزاعي . جمع وتحقيق عبدالصاحب الدجيلي . ط ٢ . بيروت . دار الكتاب اللبناني . ١٩٧٢م / ١٤٦ .

٢ — سورة هود / ١١٤ .

٣ — سورة الرعد / ٢٢ .

٤ — الديوان / ١٤٦ — ١٤٧ .

في حبه تحلل بدار نجاة

وفي هذه الأبيات يستخدم الشاعر ميزانه السويّ المتلزم بكفتين ترجح أحدهما على الأخرى، فالراجحة حب آل المصطفى ووصيه بما فيها من نزوع إيماني وأريج زكي ونفع أخروي. في حين تنكمش الكفة التي تراهن على الدرب الدنيوي المكفول بالذات المؤقتة والناتج الجهنمي. وفي بيتين من نص آخر يمتطي الشاعر لسانه البليغ ليرسم صورة ملونة بديعة من المجاز البياني. حيث تحدث عن الظلم والجور الذي لحق بال أحمد وما الم بهم من قهر وتشديد ونفي، من دون جناية يعاقبون عليها سوى أنهم المحافظون على دين هذه الأمة ودعائه وناصريه إذ قال^(٥):

لا أضحك الله سنّ الدهر أن ضحكت
وآل أحمد مظلومون قد قهروا
مُشردون نفوا عن عُقر دارهم
كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفر

وقد صور لنا العصابة الباغية التي ظلمت أهل البيت عليهم السلام وقهرتهم وشردتهم وفتهم عن ديارهم ضاحكة مستبشرة، فاعرة الفم وبارزة الأسنان، فالشاعر يلعن الأيام التي دفعت بتلك العصابة، ويدعو على الدهر الذي جاء بها لتفتك بالطهر الطاهر المطهر. والشاعر الخزاعي يصورها بهيئة الحيوان المفترس للدهر، ثم جعل للدهر أسنانا، وهذا من التجسيم والتشخيص البلاغي. وقد تمكن الشاعر من اختيار ألفاظه وعباراته حين قال: (لا أضحك الله سنّ الدهر) فجعل نصه خصبا متعدد الرؤى، وأعطى لنصه ايجابية فنية ملموسة من خلال دلالة وإيحاء المفردة المختارة. وله قصيدة رائية يتحدث في مطلعها عن أسف جارتها ورأيها في الشيب، وفي ثانيها عن رأيها في العودة للصبا وقد شابت ذوائبها وهي تجري في حلبة الكبر. وفي ثالثها يخاطب تلك الجارة ويخبرها بان شيب رأسه قد دفع عنه ذكر الغواني وأرضاه بما جرى عليه من الأقدار. ثم يدخل إلى حيز القصيدة وجوها العام من خلال ركائز واسعة مترابطة بقنوات فكرية وسياسية ملتزمة، يقارن فيها بين الخاص والعام، القريب الشخصي والبعيد المرتبط بحركة الأمة وديمومتها وأئمتها من أهل البيت الكرام. فيراهن في البيت الرابع على خيار الآخرة رافضا الركون للدنيا وزخرفها إذ قال^(٦):

لو كنت أركنُ للدنيا وزينتها إذن بكيتُ على الماضين من نفري

٥ _ الديوان / ١٨٦ .

٦ _ الديوان / ١٩٥ .

وهو الإنسان الفاقد المتصدع بأهله وولده نتيجة داعي المنية. وهذا ما جاء في الأبيات من الخامس حتى الثامن من القصيدة^(٧). وهذا الأمر متعلق بأحاسيسه وبجزنه على أهل بيته، جاعلاً ذلك مقدمة للحزن العام والحقيقي لأحزان الدين الحنيف، وليدخل من خلاله إلى بؤرة الحدث المؤلم المتمثل بقتل أهل بيت رسول الله بحادثة الطف وقد قطعت الرؤوس والأجساد وعقرت بالتراب إذ قال:

لولا تشاغل نفسي بالألئي سلفوا
من أهل بيت رسول الله لم أقر
وفي مواليك للمحزون مشغلة
من أن تبیت لمفقود على أثر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة
وعارض، من صعيد التربة، منعير

إلى آخر القصيدة الواقعة في أربعة وعشرين بيتاً، حيث يذكر مقتل الحسين (عليه السلام) وأهله وأصحابه ويخاطب بني أمية (أمة السوء) بسوء فعلتهم وتنكيلهم بأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) من قتل واسر وإحراق ونهب. ثم يذكر عذر أبناء حرب ومروان وأسرتهم بني معيط وما اضمروه من حقد وغيظ وكفر على الإسلام ورسالته ودعائه. ولا يرى عذراً لبني العباس:

أرى أمية معذورين أن قتلوا
ولا أرى لبني العباس من عذر
أبناء حرب ومروان وأسرتهم
بنو معيط ولالة الحقد والوعر

ويختتم قصيدته:
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداؤه، فخذ ما شئت أو فذر.^(٨)

مستفيداً من الآية القرآنية الحكيمة: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾...^(٩)
وللشاعر بيتان من فائية من مجزوء الكامل، يقول فيهما: ...^(١٠)

فلو أن أيديكم تُمدَّ إلى أناء لأكفا

٧ _ الديوان / ١٩٥ - ١٩٦ .

٨ _ الديوان / ١٩٨ .

٩ _ سورة الطور / ٢١ .

١٠ _ الديوان / ٢٣٧ .

وثب الزمان بكم فشتت منكم ما ألفا

فالشاعر في هذا يميل إلى أن الله تعالى قد كتب على أهل بيت النبوة ومهبط الرسالة قد كتب عليهم طريق الجهاد. ولا بد لكل واحد منهم أن قد مشاها مادامت قد كتبت عليه. وعن ممتلكات أهل البيت المهذورة. أشار دعبل ببيته إلى (فدك) قائلاً^(١١) من قصيدة:

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمانِ قد ضَحَكا بردُ مأمون هاشمٍ فدكا

و(فدك)^(١٢) بستان لرسول الله ﷺ انخله ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وقد سحبت منها بعد وفاته. وقد أقطعها الخليفة عثمان بن عفان لمروان بن الحكم وبقيت تندوا لها آل مروان حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي أعادها إلى آل البيت عليه السلام. ولما مات عمر عاد الحقد ليستولي عليها مرة أخرى. وبقيت هكذا حتى سنة (٢١٠ هـ) حيث أمر المأمون العباسي بردها إلى أهلها من ولد فاطمة وكتب إلى عامله على المدينة بذلك ولما جاء المتوكل سلبها مرة ثالثة واقطعها عبدالله بن عمر البازيار. فالشاعر في هذا البيت قد جسم وشخص الزمان. وجعل له وجهاً ضاحكاً مستبشراً برد الخليفة المأمون ذلك البستان إلى أصحابه الشرعيين. وسرعان ما انتهك وسلب مرة أخرى على يد المتوكل العباسي. ولا نريد أن ندخل في تلك المساجلات والأحداث. وللشاعر دعبل بيتان في شفاعته الرسول ﷺ وأهل البيت البررة. حيث يعترف بشفاعتهم له يوم القيامة. إذ قال^(١٣):

شفيعي في القيامة عند ربي محمد والوصي مع البتول
وسبطا احمد وبنو بنيه أولئك سادتي آل الرسول

وإذا ما فارق دعبل ابنه احمد بالموت. شعر بالحزن عليه وكادت عيناه تسبلان الدموع لولا التأسي بالنبي وأهله. بما جعله يكفكف دمه لأجلهم على الرغم من أن ابنه يشكل نفسه وحيه. ولكن الحزاعي قد وضع حب آل البيت في قلبه حيث مشاعره ولواعجه إذ قال في البيتين الثالث والرابع من قصيدته بعد رثاء ابنه

ولولا التأسي بالنبي وأهله لأسبل من عيني عليه شئون
هو النفس، ألا أن آل محمد لهم دون نفسي في الفؤاد كمين^(١٤)

١١ _ الديوان / ٢٤٧ .

١٢ _ ولغرض الاستزادة. أنظر أيضاً: مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦هـ) - ٢٥٢/٣ . والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم - لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) - ٧/٧ . وجواهر العقدين في فضل الشرفين - للمسعودي (ت ٩١١هـ) - ج ٤٤٣/٢ .

١٣ _ الديوان / ٢٦٢ .

١٤ _ الديوان / ٢٨٨ .

وفي البيت الخامس، ذكر مقارنة العلاقة بين ارث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار وملاحقة الغواة الضالين لهم. فهم عليهم السلام حماة الدين وورثة الأرض وأهل الحق، وهذا من دواعي الانقضاض عليهم والتخلص منهم بعيداً عن صوتهم الإيماني الهادر. إذا قال: ^(١٥)
أضر بهم أرث النبي فأصبحوا يساهم فيهم ميتة ومنون

وأشار في البيت السادس إلى ذئاب الأمويين قائلاً ^(١٦):
دعتهم ذئاب من أمية وأنتحت عليهم دراكا أزمة وسنون

ومن الأفكار التي ذكرها في القصيدة: ظلم العباسيين، وما عانوه في الدين والمؤمنين وما نشره من غواية ومجون إذ قال:

وَعَائَتْ بَنُو الْعَبَّاسِ فِي الدِّينِ عَيْثُهُ	تَحَكَّمُ فِيهِ ظَالِمٌ وَظَنِينُ
وَسَمَّوْا رَشِيداً لَيْسَ فِيهِمْ لِرَشِيدِهِ	وَهَا ذَاكَ مَأْمُونٌ وَذَاكَ أَمِينُ
فَمَا قَبِلْتُ بِالرَّشْدِ مِنْهُمْ رِعَايَةً	وَلَا لَوْلِي بِالْأَمَانَةِ دِينَ
رَشِيدَهُمْ غَاوٍ، وَطِفْلَاهُ بَعْدَهُ	لِهَذَا رَزَايَا دُونَ ذَاكَ مَجُونُ ^(١٧)

ثم يختتم قصيدته بستة أبيات في حق الإمام الرضا عليه السلام، وهو ما سنذكره في محله من هذا البحث. كما أشار هذا الشاعر إلى مسألة اضطهاد الموالين لآل البيت، ويقارن ذلك بما هو عليه عند اليهود والنصارى، إذ قال ^(١٨):

إِنَّ الْيَهُودَ مَحَبَّهَا لِنَبِيِّهَا	أَمَنْتَ بِوَأَثِقَ دَهْرُهَا الْخَوَّانِ
وَكَذَا النَّصَارَى حُبُّهُمْ لَنَبِيِّهِمْ	يَمْشُونَ زَهْواً فِي قَرْىِ نَجْرَانَ
وَالْمُسْلِمُونَ بِحُبِّ آلِ نَبِيِّهِمْ	يَرْمُونَ فِي الْأَفْأَقِ بِالنِّيرَانِ

فدواهي الدهر عن اليهود لا يمكن أن ينال الاضطهاد الموالين لآل نبيهم وكذلك النصارى الذين يمشون بزهو في محاليف اليمن من قرى نجران ولكن حب آل بيت محمد صلى الله عليه وآله يعد جرمًا عند أهل الضلالة من المسلمين.

أن التأسي بمعاناة آل البيت للمحن والمآسي من اولويات مشاعر الخزاعي، لأنه يسكن غليل أحزانه ويهون عليه عزاءه، إذ قال ^(١٩):

١٥ _ الديوان / ٢٨٩.

١٦ _ الديوان / ٢٨٩.

١٧ _ الديوان / ٢٨٩.

١٨ _ الديوان / ٢٩٦.

تَعَزَّ فكم لك من أسوة
إذا عظمت محنة عن عزاء
وأعظم من ذاك قتل الوصي
تُسَكِّنُ عنك غليل الحزن
فَعَادِلُ بها صلب زِيد تهن
وذبح الحسين وسم الحسن

وقال في آل البيت الكرام أيضاً:

بابي وأمي سبعة أحببتهم
بابي النبي محمد ووصيه
لله لعطيته أعطاهما
والطيبان وبنته وآبناها.^(٢٠)

ومهما كان عدد الذين أحبههم الشاعر، خمسة أم سبعة، فهو قد أحبههم لوجه الله تعالى لا لعطية أو طمع مادي، وفداهم بابيه وأمه، حيث فدى بابيه النبي ﷺ ووصيه على المختار وبنته الزهراء وابنيها الحسن والحسين ﷺ.

وأجدني تاركاً ما أصاب آل البيت من كوارث ورزايا تمخضت في القصيدة التائية الخالدة لدعبل في نهاية المطاف وفي الفصل الأخير من هذا البحث. وسأتناول شخصيات آل البيت ﷺ التي ذكرها هذا الشاعر الفحل:

١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

حيث مدحه دعبل في العديد من قصائده. ومن وجوه مختلفة فذكر خصائصه: الطهر المطهر، الزكي، السريع إلى الخيرات والبركات، أي انه أول القوم إسلاماً وأثبتهم إيماناً وأبسطهم كفاً وأشجعهم قلباً وأصدقهم أخاً لرسول الله ﷺ وأعظمهم مجداً في العلم والحكم. صهر المصطفى (زوج البتول) ووصيه. إذ قال.^(٢١):

ألا انه طهر زكي مطهر
غلاماً وكهلاً خير كهل ويافع
وأشجعهم قلباً وأصدقهم أخاً
أخو المصطفى بل صهره ووصيته
كهارون من موسى على رغم معشر
سريع إلى الخيرات والبركات
وأبسطهم كفاً إلى الكربات
وأعظمهم في المجد والقربات
من القوم والستار للعورات
سفال لئام شقق البشرات

١٩ _ الديوان / ٣٠٣ .

٢٠ _ الديوان / ٣٠٧ .

٢١ _ الديوان / ١٤٧ - ١٤٨ .

فقال :

ألا من كنتُ مولاهُ مُنكمُ
أخي ووصيي وأبن عمي ووارثي
فهذا له مولى بعيد وفاتي
وقاضي ديوني من جميع عداتي

فتجد البلاغة الفنية متجسدة في النص فالبديع الرفيع ينساب فيه انسياباً مما أضفى عليه شيئاً من الزخرفة والتلوين بين طباق وجناس فمن الطباق: (غلاماً وكهلاً) فالغلام والكهل متضادان في المعنى ويتعاونان في إيضاح الخير في شخصية المقصود بالمدح. كما أن هنالك العظيم المجيد في قبالة السافل واللئيم. وهذا من المحسنات المعنوية.

وأما الحالة الأخرى التي وردت فيها كلمات (طهر، مطهر)، (البركات، الكربات)، (الكربات، القربات)، فترى ما يجري من تبدل في مواقع حروف (ط، هـ، ر) و (ب، ر، ك، ا، ت)، في حين ترى في المثال الثالث (كربات وقربات) أن الاختلاف قد جرى في حرف واحد هو الكاف الذي يقابله القاف. إن هذا التشابه الحرفي من الجناس الجميل الذي أدى إلى نوع من النغم الموحي لتيسير السمع وتسهيل النطق، بعفوية طبيعية. وهذا من المحسنات اللفظية.

وهناك الترادف اللغوي في كلمتي (قوم، ومعرش) وهي من الأمور الأسلوبية. وهنالك اقتباس في النص من الحديث الشريف.

أ. في البيت الخامس: كهارون من موسى.... وهو اقتباس من حديث المنزلة الوارد "عن سعد بن أبي وقاص (رض) أن الرسول ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً (رض) فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي" (٢٢)، ونص الحديث متأثر ببعض من آيات سورة طه... (٢٣).

ب. أما البيتان السادس والسابع: ففيهما اقتباس واضح من حديث الغدير وقرار التنصيب في حجة الوداع، إذ قال الرسول ﷺ: ".... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...." (٢٤).

وقال في قصيدته الدالية من الكامل مشيراً في مقدمتها إلى بيعة التنصيب من قبل النبي ﷺ للوصي والولي الذي نصر الرسول وكانت لشجاعته في الحروب معاني، وهو الموحد الذي لم يسجد لصنم قط، ونام في فراش النبي عند الهجرة من مكة للمدينة واقياً بنفسه كيد قريش. إذ قال: مشيراً إلى بعض خصائص الإمام (عليه السلام)، ومنها:

سقياً لبيعة أحمدٍ ووصيه
أعني الإمام ولينا المحسودا

٢٢ — التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لابن المبارك، ج ٢/٩٢، صحيح البخاري ١٢٩/٥، وصحيح مسلم ٣٦٠/٥، وسنن الترمذي ٣٠٤/٥، ومسند الإمام أحمد ٥٠/٣.

٢٣ — انظر أيضاً: سورة طه / ٢٩ - ٣٠.

٢٤ — انظر: تاريخ دمشق - لابن عساکر - ج ٢/٨٦، وأسباب النزول - للواحدي - ١١٥/، والغدير - للاميني ٢٦/١ - ، ومسند الإمام أحمد ٣٢/٥، وصحيح الترمذي ٢٩٧/٥، وغيرها... وهنالك نص لغدير خم، انظر: الديوان / ٣١٩.

أعني الذي نصر النبي محمداً قبل البرية ناشئاً ووليداً
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن في الحرب عند لقاءها رعديداً..^(٢٥)
ومما جاء في قصيدة دالية أخرى ومن الكامل أيضاً مشيراً فيها إلى نطق القرآن بولاية
عليه السلام وأنه خير الناس بعد النبي ﷺ. وكيف تصدق المختار بخاتمه وهو في الصلاة وكيف اختصه
الله تعالى في التنزيل. إذ قال دعبل:

طق القرآن بفضل آل محمد	وولاية لعلهم لم تُجحد
ولاية المختار من خير الوري	بعد النبي الصادق المتودد
ذ جاء المسكين حال صلاته	فامتد طوعاً بالذراع وباليد
تناول المسكين منه خاتماً	هبة الكريم الأجود بن الأجود
اختصه الرحمن في تنزيله	من حاز مثل فخاره فليعدد.. ^(٢٦)

وفي الأبيات اقتباس من الآية القرآنية الكريمة "﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصلاة وَيُؤْتُونَ الزكاة وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾...^(٢٧)

حيث نزلت أية الولاية هذه في أمير المؤمنين عليه السلام وهو راكع...^(٢٨)
وقد اعترف هذا الشاعر بهذه الولاية ابتداءً من الله تعالى. ومن رسوله ﷺ ومن وصي
الرسول عليه السلام. إذ قال: جاعلاً نفسه مكان الغائب من النص من المتسرح:
الله مولاه والنبي ومن بعدهما فالوصي مولاه..^(٢٩)

ومن فضائل الإمام علي عليه السلام أنه شارك مع النبي ﷺ في قلع وتكسير الأصنام التي فوق الكعبة.
حيث صعد على منكب الرسول ليصعد على البيت الحرام الذي عليه التمثال. إذ قال الخزاعي من
الطويل:

علي رقى كتف النبي محمد فهل كسر الأصنام خلق سوى علي..^(٣٠)

٢٥ _ الديوان / ١٧٢.
٢٦ _ الديوان / ١٧٣ - ١٧٤.
٢٧ _ سورة المائدة / ٥٥.
٢٨ _ انظر: أسباب النزول - للواحدي / ١٤٨. وتفسير الطبري - ٢٨٨/٦ - ٢٨٩. والكشاف للزمخشري / ١/ ٦٨٢. وتفسير
ابن كثير ٧١/٢. وتفسير الفخر الرازي ٢٦/١٢.
٢٩ _ الديوان / ٣٠٦.
٣٠ _ الديوان / ٢٧٢. والقصة مثبتة في: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى - للطبري / ٨٥ وخصائص أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب. للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) / ٣٠.

ومما قاله الخزاعي في مدح الإمام علي (عليه السلام) في منعه الأعداء من الوصول لحوض النبي (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة، إذ قال من المتقارب:

يذود عن الحوض أعداءه فكم من لعين طريدٍ وكم
فمن ناكثين ومن قاسطين ومن مارقين ومن مجترم.^(٣١)

وفي هذا النص اقتباس من حديث النبي (صلى الله عليه وآله).
(يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض).^(٣٢)
وقال الرسول (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (انك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين).^(٣٣)
وهذه الإحداث سجلها هذا الشاعر في شعره، فأشار إلى الناكثين من أمثال طلحة والزبير ومن تبعهما يوم الجمل، كما أشار إلى القاسطين المتمثلين بمعاوية ومن كان معه في حرب صفين، وكذلك أشار إلى المارقين من الخوارج في النهروان.

وفي نص آخر للخزاعي، نجد مدحا للإمام علي (عليه السلام) يائياً من الوافر، نختار منه بعض الأبيات:

سلام بالغداة وبالعشي علي جدت باكناف الغري
وصي محمد، بأبي وأمي وأكرم من مشي بعد النبي
وأول من يجيب إلى برائز إذا زاغ الكمي عن الكمي
لئن حجوا إلى البلد القصي فحجي - ما حييت - إلى علي..^(٣٤)

إن الشاعر استخدم في نصه لغة جميلة بدأها بالسلام الملون بالمحسن المعنوي (الغداة والعشي) على قبر علي. وحقيقة الأمر أن السلام ليس موجهاً للقبر وإنما لصاحب القبر. وهذا المجاز البياني العقلي قوامه أسناد المعنى إلى غير صاحبه الأصلي، ولكن مفردة الغري أعطت التوضيح اللازم لصاحب القبر.
وان عبارة (وصي محمد) و (أكرم من مشي بعد النبي) و (أول من أجاب إلى المبارزة) في يوم الخندق، فهذه كناية عن الإمام علي (عليه السلام).
وهناك صورة زيغان (الكمي عن الكمي) من الجناس البديعي المذكور.

٢- الإمام الحسين (عليه السلام):

بكى الشاعر دعبل الإمام الحسين (عليه السلام) في تائيه من الطويل. والقصيدة خطاب رثاء موجه إلى النفس، وتساؤل عن العبرات التي أسبلها، ومقاساته لشدة الزفريات بما مر على آل البيت الكرام في كربلاء مما جعل صدره يضيق بالحسرات. ويعود ليطالب نفسه بالبكاء المستمر بسبب تلك النوائب

٣١- الديوان / ٢٨٥.

٣٢- ذخائر العقبى - الطبري / ٩١. والحديث مروي عن أبي سعيد الخدري.

٣٣- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد / ١٠٦٧.

٣٤- الديوان / ٣١٤ - ٣١٥.

والدواهي والنكبات والمصائب لكي يبقى مصابهم عالماً في ذهنه في ذلك اليوم العاشورائي الذي قضوا فيه النجباء عطاشى وهم قرب شاطئ الفرات بعد أن منعهم من الاقتراب منه جيش عبيد الله بن زياد الذي قاده عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي الجوشن بإيعاز من يزيد بن معاوية، وكيف استشهد الحسين عليه السلام وبقي هو وأبناءؤه وأصحابه طريحي الفلوات ظلماً وعدواناً. وهو يؤكد بأنه لا يمكن أن ينسى ظامناً قتيلاً مظلوماً والنهر يطفح بالماء قربهِ. والشاعر في قصيدته يوجه دعاءً على ابن سعد اللعين وكيف سيلقى عذاب النار واللعنات مدى الدهر. ويجاهر بأنه سيبقى في قنوت دائم صباحاً ومساءً في لعن تلك العصابة التي قاتلت الحسين وشايعت وتابعت على قتله وإنهم على ضلال وكفر. وقد أضاعوا قول الرسول الكريم ﷺ في آل بيته البررة عليهم السلام، إذ قال دعبل^(٣٥):

وَبْتَ تَقَاسِي شِدَّةَ الزَّفَرَاتِ ؟	أَسْبَلْتَ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعَبَرَاتِ
وَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ الصَّدْرُ بِالْحَسَرَاتِ	وَتَبَكَّى عَلَى أَثَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
عَيُوناً لَرِيبِ الدَّهْرِ مِنْسَكِبَاتِ	أَلَا فَاكِهَهُمْ حَقّاً وَأُجْرَ عَلَيْهِمْ
بِدَاهِيَةٍ مِنْ أَعْظَمِ النِّكَبَاتِ	وَلَا تَنْسَ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ مَصَابَهُمْ
مَرَابِعَ أَمْطَارٍ مِنَ الْمَزْنَاتِ	سَقَى اللَّهُ أَجْدَاثاً عَلَى طُفِّ كَرْبَلَا
طَرِيحاً لَدَى النَّهْرِ مِنَ الْفَلَوَاتِ	وَصَلَّى عَلَى رُوحِ الْحُسَيْنِ وَجَسَمِهِ
قَتِيلاً وَمَظْلُوماً بِغَيْرِ تَبَرَاتِ	أَنْسَى - وَهَذَا النَّهْرُ يَطْفَحُ - ظَامِئاً
سَتَلْقَى عَذَابَ النَّارِ وَاللَّعْنَاتِ	فَقُلْ لِابْنِ سَعْدٍ - أَبْعَدَ اللَّهُ سَعْدَهُ -
وَأَقْنَتِ بِالْأَصَالِ وَالْغِدَوَاتِ	سَأَقْنَتِ طَوْلَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
مَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ بِالشَّبَهَاتِ	عَلَى مَعْشَرٍ ضَلُّوا جَمِيعاً وَضَيَعُوا

فانك تشتم رائحة الرثاء الصادق من خلال لغة القصيدة ومفرداتها ودلالاتها:

الدمع والعبرات والزفرات، تقاسي، تبكي، ضيق الصدر، الحسرات، إجراء العيون، انسكاب الدمع، ريب الدهر، يوم الطفوف، المصاب، الداهية،

النكبات، الإحداث، طف كربلاء، روح الحسين وجسمه طريحاً و ظامئاً، قتيلاً، ومظلوماً.

وقال من قصيدة عينية من الكامل رثى بها الإمام الحسين عليه السلام ومنها: ..^(٣٦) (١)

رَأْسُ ابْنِ بَنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ	يَا لِلرَّجَالِ، عَلَى قَنَاءٍ يُرْفِعُ
وَالْمُسْلِمُونَ بِمَنْظَرٍ وَمَسْمَعٍ	لَا جَاذِعَ مِنْ ذَا وَلَا مَتَخَشِعَ
أَيَقْضَتْ أَجْفَانًا وَكُنْتُ لَهَا كَرِي	وَأُثْمْتُ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجَعُ

٣٥ - الديوان / ١٥٠ - ١٥١.

٣٦ - الديوان / ٢٢٥ - ٢٢٦.

كُحِلَتْ بِمَنْظَرِكَ الْعُيُونُ عِمَايَةً وَأَصَمَّ نَعْيُكَ كُلَّ أُذُنٍ تَسْمَعُ
ما روضة إلا تَمَنَّتْ أَنَّهَا لك مضجع ولخط قبرك موضع

في النص التماع عاطفي واضح. ورفض قاطع لما آلت إليه حالة الظلم والقمع اللا إنسانية والتي تمخضت عن رفع رأس الحسين بن فاطمة بنت النبي ﷺ وابن علي (عليه السلام) على الرماح بعد قطعه عن جسده الشريف، دون رادع ديني ولا قلب خاشع. فلم تهجع العيون بمصابه بل أصم الأسماع. وأعمى الإبصار فما من روضة إلا وتتمنى أن تكون مضجعا للحسين (عليه السلام) وموضعا لقبره الشريف. ففي هذا البيت الخامس تشخيص بلاغي رفيع، فجعل للروضة تمنا كما يكون للمرء ذلك.

٣- الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) :

قال الشاعر الخزاعي الكثير من القصائد في مدح ورثاء علي الرضا، لمعاصرتة له وللقائه به. ونختار له أبياتا من قصيدة رائية من الطويل يمدحه فيها ذاكرا بعض سجايه :

إمام هدى لله يعمل جاهداً ذخائره التقوى ونعم الذخائرُ
إمام سما للدين حتى أناره وقد مح عنه الرسم والرسم دائرُ
عليم بما يأتي، أبي، موفق مبر لأهل الجور، للحق ناصر...^(٣٧)

وأما الرثاء، فللشاعر قصيدة ثائية من الطويل يقول فيها :...^(٣٨)
ألا ما لعيني بالدموع أستهلّت ولو فقدت ماء الشؤون لقررتُ
على من بكته الأرض واسترجعت له رؤوس الجبال الشاخات وذلت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده وأنجمها ناحت عليه وكلّت
رزينا رضي الله سبط نبينا فأخلفت الدنيا له وتولّت
فنحن عليه اليوم أجدر بالبيكا لمرزئة عزت علينا وجلت
وما خير دنيا بعد آل محمد ألا لا نباليها إذا ما اضمحلت
تجلّت مصيبات الزمان ولا أرى مصيبتنا بالمصطفين تجلت

إن عيني دعبل لم تهدأ مدامعها ولم يتوقف سيلها، فكيف وقد بكت الأرض ورؤوس الجبال، والسماء كما ناحت أنجمها على ذلك الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كانت مصيبتة قد أحمّلت الدنيا وأفقدتنا الكثير مما نحن بصددده من عز وخير وعدل.

٣٧_ الديوان / ١٨٧.

٣٨_ الديوان / ١٤٩.

وفي النص تشخيص بليغ، فجعل الأرض تبكي، ورؤوس الجبال الشامخات تسترجع له في البيت الثاني، وإن السماء قد أجهشت بالعويل والبكاء لفقده، وإن الأنجم قد ناحت عليه وكلت في البيت الثالث، وإن الدنيا قد ألمحت له في البيت الرابع.

وهناك الجناس في مفردات (بكته، تبكي، البكا). في حين ينتشر الترادف في مفردات (أعولت، تبكي، ناحت).

وفي أبيات دالية ساكنة من المجتث، يقول دعل راثياً:

يا حَسْرَةً تَتَرَدَّدُ	وَعَبْرَةً لَيْسَ تَنْفِدُ
على علي بن موسى	بن جعفر بن محمد
قضى غريباً بطوس	مثل الحسام المجرّد... ^(٣٩)

وفي نص آخر في الرثاء من الوافر، يذكر فيه الخزاعي بعض خصائص الإمام الرضا من التقوى والرأي المحكم الحاذق والكرم الممدود، والذي قضت عليه المنيا في ارض (طوس) التي هي مدينة (مشهد) في مقاطعة خراسان الإيرانية.

وفي النص جناس (سكناته، وسكونه)، وفيه ترادف في كلمتي (سمحاء، ونائل) بمعنى الكرم إذ قال^(٤٠):

وقد كنا نؤمل أن سيحيا	إمام هُدًى له رأيٌ حصيفُ
تري سكناته فتقول غر	وتحت سكونه رأيٌ ثقيفُ
له سمحاء تغدو كل يوم	بنائله، وسارية تطوفُ
فأهدأ ريحه قدر المنايا	وقد كانت له ريح عصفُ
قام بطوس تلحفه المنايا	مزار، دونه ناي قذوفُ

والشاعر دعل، وهو في حالة محزنة لفقده ولده (احمد) الذي فارقه وفجع به، ورثاه بقصيدته النونية من الطويل:

على الكره ما فارقتُ أحمد وانطوى عليه بناء جندل ورزين...^(٤١)

٣٩ — الديوان / ١٨٥ .

٤٠ — الديوان / ٢٣٥ — ٢٣٦ .

٤١ — الديوان / ٢٨٨ .

والخزاعي وهو بهذه الحال يتأسى بالنبي وأهل بيته. ويتذكر قبر المدفون بأرض (طوس) الرضا (عليه السلام) فيخاطبه وهو المتوفى بالسم. فيقول^(٤٢):

ألا أيها القبر الغريبُ محلُّهُ
شككتُ ! فما أدري أمسقي شربة
أيا عجباً يسمونك الرضا
أتعجب للأجلاف أن يتخيفوا
لقد سبقت فيهم بفضلك آية
بطوس، عليك السارياتُ هتونُ
فأبكيك ؟ أم ريبُ الردي فيهنونُ
وتلقاك منهم كلمة وغضونُ
معالم دين الله وهو مبين ؟!
لدي ولكن ما هناك يقينُ

التائية الخالدة: تمثل هذه القصيدة^(٤٣) العصماء أروع ما قاله الشاعر الخزاعي في آل البيت البررة وما أصابهم من كوارث وحوادث. وألم بهم من رزايا وأحزان ولست معنياً في هذا البحث بتاريخ أدب هذه القصيدة اعتباراً من كتابها وروايتها وقصتها. فذلك الأمر يمكن للمطالع الكريم أن يتابعه في ديوان دعبل الخزاعي...^(٤٤).

والذي يهمني هنا القراءة النقدية الجديدة لها ومصافحة جوها وسبر أغوارها للوصول إلى معالمها وأفكارها التي تؤدي بنا إلى القيم الموضوعية التي يتشكل منها بناؤها. وتتعمد فيها هيكليتها وتتواصل معها قيمها الفنية ولا يمكن أن ننسى المنهجية التي كتب بها الخزاعي قصيدته هذه. والأسلوب الذي عالج فيه مفردات وتراكيب أبياتها.

فمن خلال القراءة الواعية والشاخصة للقصيدة. وجدنا ما يأتي:
أ. إن هيكل النص قد امتد أفقياً بحيث جسد أفكار النص في مائة وعشرين بيتاً أو يزيد على مختلف الروايات. ونص الديوان الذي حققه الدجيلي بلغ مائة وخمسة عشر بيتاً.
ب. يتميز الهيكل بموسيقى خارجية تمثل وزناً واحداً يعطي روحية الشعر وأنغامه المتلاحقة الموحدة من بحر الطويل المتميز بأنه أكثر البحور حروفاً:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ج. إن المتوازيات الداخلية للعبارة هي موسيقى داخلية. وهي كثيرة في النص:
تراث بلا قربي، وملك بلا هدى وحكم بلا شورى، بغير هداة^(٤٥)
وأين الألى شطت بهم غربة النوى أفانين في الآفاق مفترقات^(٤٦)

٤٢_ الديوان / ٢٨٩ - ٢٩٠.

٤٣_ الديوان / ١٢٤ - ١٤٥.

٤٤_ الديوان ٥٨ - ٦٥.

٤٥_ الديوان / ١٢٧.

٤٦_ الديوان / ١٣٣.

د. إن القافية (التاء) التي تؤدي دوراً كبيراً في موسيقى النصّ، لأنّها المنبع والمصب للبيت، وليست قيداً، فهي تعطي إحياءات نغمية وموارد وحي للشاعر ليصب بها مجراه الطبيعي. وهي قوية بما تؤديه من معناها ومجراها.

هـ. وجود الصور الشعرية المعتمدة على البناء الشعري، ومالها من جماليات تخدم النصّ.

و. القيم الفنية التي تجعل النصّ مشرقاً بمبناه ومعناه.

ز. بروز عواطف النصّ.

ح. بؤر النصّ وظلال الألفاظ والكلمات.

ولنحاول الآن الدخول في عالم النصّ لاستكشاف كنهه وأجواءه ونباشر في تلمس محاوره وقيمه، بعد أن تلمسنا من خلال القراءة الأولى بعض الشواخص القريبة منا. وحان لنا حينئذٍ الدخول للنصّ من خلال الموصلات الداخلية وعبر الخطوط الإيحائية التي تتناغم معها من خلال التحليل المنهجي المتكامل وما دامت القصيدة نوعاً أدبياً، والأدب مجموعة من القيم، فلا بد لنا من معرفة هذه القيم. فللنص قيمة اجتماعية تمثل العلاقة بينه وبين الفرد أو المجتمع الذي يبحثه أو يتعامل معه وتصوير حالته التي يمر فيها ويعانيها ويقاسي إبعادها من غربة وظلم وقسر وتمزيق صف لآل البيت الأطهار.

أما القيم الفكرية :

فالنص يمثل فلماً سيمياً من الإحداث الدامية التي مرّت على أهل البيت (عليه السلام)، واستثمره الشاعر أفضل استثمار، مزاجاً بين الأفكار والعواطف وموصلاً بينهما، بحيث كان النص وحدة واحدة، لا فصل فيها ولا تعارض. ويمكن اختزال تلك الأفكار واختصارها بما يأتي :-

١. تذكّر ديار أولئك الناس من أهل البيت (عليه السلام). (من البيت الأول - البيت التاسع).
٢. الأيام وجورها، والظالم ومأربه. (من البيت العاشر - البيت الحادي عشر).
٣. وصف آل البيت (عليه السلام) ومناقبهم. (من البيت الثاني عشر - البيت الثالث عشر).
٤. وصف آل أمية ورزاياهم. (من البيت الرابع عشر - البيت العشرين).
٥. وصف حق علي (عليه السلام) وفضله. (من البيت الحادي والعشرين - البيت السابع والعشرين).
٦. البكاء وتذكّر أهل البيت (عليه السلام) وبيوتهم وقبورهم والتفجع بهم. ومكانتهم عند الله تعالى والنبي (صلى الله عليه وآله) وجبريل (عليه السلام). (من البيت الثامن والعشرين - البيت التاسع والثلاثين).
٧. الرسول وأهل بيته، وما بينهم من حب ومودة وذكرىات ودين. (من البيت الأربعين - البيت الثاني والخمسين).
٨. دعوة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لبكاء الحسين (عليه السلام). (من البيت الثالث والخمسين - البيت التاسع والخمسين).

٩. وصف معركة الحسين (عليه السلام). (من البيت الستين - البيت السابع والستين).

١٠. تمسك الشاعر بآل البيت قربة إلى الله تعالى. وترك أعدائهم. (من ب ٦٨ - ب ٩٠).

١١. ثم البكاء عليهم، ووصف حالهم وحال أعدائهم (من ب ٩١ - ب ١٠١).
 ١٢. قائم آل البيت (عليه السلام). (من ب ١٠٢ - ب ١٠٣).
 ١٣. الدعوة للصبر على المكاره، وتحمل أعباء وأهواء الأعداء. (من ب ١٠٤ - ب ١١٥).
- إن هذه القصيدة تجربة صادقة فريدة من تجارب الخزاعي الكثيرة والمماثلة في موضوعها وأصولها. ولكن أفكار هذه التجربة لم تكن عقلية جافة، بل هي معجونة بالعواطف الفياضة، التي جعلت من النص صياغة فنية ونسجاً بارعاً من المطلع حتى الخاتمة. فالشاعر ناقد موهوب أمعن النظر في أفكار تجربته ومزجها بخلجاته ومشاعره الوجدانية، فأثمرت هذه اللوحة الفنية.

وأما القيمة العاطفية :

فالنص تغذية الحواس التي لها الأثر البالغ في الحياة النفسية، فالتلقي عند مواجهته للنص المرسل من المبدع، فلا بد له من الإحساس بالمشاعر والعواطف التي تصاحب الأفكار وترتفع بين مفردات محتوى النص ووراء كلماته، هذا الإحساس الذي له علاقة وثيقة بالحالة النفسية لكلا طرفي المنفعة التي تتركها الرسالة من عوامل التهيج النفسي المرتبطة بعالم الجمال (الستائيقا). والأخيلة الوجدانية هي التي تعكس جوانب الإحساس بالجمال، وهي المحرك الحقيقي لتذوق النص والشعور بحركته وصلته بالحياة والبقاء والمثل الروحية العليا والانتساب الإنساني الرفيع البعيد عن الظلم والجور.

وعاطفة النص تتراوح مقاييسها قوةً وضعفاً واستمراراً وانقطاعاً، والتأدية مرتبطة بالشاعر. فهي في هذا النص قوية سامية مستمرة. لأن الباعث جدير بالسمو والإخلاص والصدق، فجاءت مطبوعة غير مكلفة.

إن عاطفة (الحزن) تستغرق القصيدة بكاملها وتستوعب دفعات خلقها لتخزن في بؤرها.

فالقصيد تواجهاك بصوت البكاء والزفرات والنوائح : نوائح عجم اللفظ والنطق (ب ١).

تجاوبن بالإرنان والزفرات

وتتوالى الحسرات :

فكم حسراتٍ هاجها بمحسرٍ وقوفي يوم الجمع من عرفاتٍ (ب ٩).

وبعد هذا السرد المتواصل المؤلم، يبكي رسم الدار ويذري دمع العين بالعبرات، وقد تفككت ركائز صبره وهاجت صبابته لرسم الديار المقفرة الوعرة :

بكيّ لرسم الدار من عرفاتٍ وأذريت دمع العين بالعبرات
وفك عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديارٍ أقفرت وعراتٍ (ب ٢٨ و ٢٩)

ثم تسمو العاطفة مشبوبة بالحزن العميق، لأن مدارس الآيات وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف قد خلت من التلاوة، لأنها قد خلت من أهلها.

وان منزل الوحي أقفر من ساكنيه الذين كانوا يشكلون أنواره الساطعة وقممه الجامعة المانعة في العلم والمعرفة الواسعة، والذين شغفهم رسول الله ﷺ بحبه فجعلهم آله وأصفىاءه :

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصاتِ (ب ٣٠)
ديار عليٍّ والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجاد ذي الشفقات (ب ٣٢)

تلك الديار والمنازل التي كان الناس يهتدون بهدى أهلها وهي مسكونة بالصلاة والصوم والتقوى والتطهير:

منازلٌ كانت للصلاة وللتقوى وللصوم والتطهير والحسنات (ب ٣٦)
إلى أن يصل بأفكاره وأحاسيسه إلى فاطمة الزهراء (ع) لينقل لها صورة مصرع الحسين (ع) مجدلاً عطشاناً قرب شاطيء الفرات، وهو يندبها ويؤكد لها بأنها ستلطم خدّها عنده وستجري دموعها لمقتله ومقتل آل بيته وأصحابه :

أفاطمُ لو خِلتِ الحُسَيْنَ مُجْدِلاً وقد ماتَ عطشاناً بِشَطِّ فُرْتِ
إِذْنٌ لِلطَّمِ الخَدَّ فاطمَ عنيدِهِ وأجريتِ دَمْعَ العينِ في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يا أبنَةَ الخيرِ واندي نجومِ سماواتِ بِأَرْضِ فِلاةِ (ب ٥٣ - ٥٥)

وقد تفرقت قبورهم هنا وهناك.
وقد أشار الخزاعي إلى وفاتهم بالعطش وهم قرب ماء الفرات، ويتمنى لو إن المنية قد وافته فيهم ويتوجع لمصائبهم ويشكو لوعته عند ذكرهم وكأنه قد سقي كأس الثكل والفظعات :
توفوا عطاشاً بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم سقتني بكأس الثكل والفظعات (ب ٦١ - ٦٢)

وهكذا تجد العاطفة مسيطرة في النص إضافة إلى انفعال الشاعر في مشاعره واختيار منتخبات ألفاظه.

وفي أبيات النص عواطف أخرى، كعاطفة (التحسر) على لوعة أهل البيت (ع) (ب ٩) كما مر. وفي (ب ٩٠، ٩١):

الم ترأني من ثلاثين حجةً أرواح وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفراتِ

فعاطفة التحسر في البيت الأول مباشرة، في حين أنها في البيت الثاني إيجائية وغير مباشرة لان الشاعر يتحسر فيها عندما يجد خراج أهل البيت متقسماً ظلماً وان أيديهم لم تنل حقوقهم. وكذلك (ب ١٠١) الذي يعانق تلك العاطفة :

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ تقطع قلبي إثرهم حسراتٍ

وإذا ما تحولنا إلى عاطفة (الرغبة والإحساس بالجمال) تطالعنا عاطفة الحب الروحي المتمثل بآل البيت، كما في (ب١٣)، (ب٤٠)، (ب٤٣)، (ب٧٢)، (ب٧٤)، وإذا ماتنا ولنا (ب٧٩) الذي يقول:

مَلَأَمَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَانْهَمِ أَحِبَّائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي

وكذلك (ب٨٠، ب٨١)، إلى أن يقول:

فِيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ جِبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي (ب٨٢)

والشاعر يجعل من زيادة هواء لآل البيت معادلاً موضوعياً لزيادة بصيرته وحسناته، وهذا غاية الحب والتفاني والفن.

وكذا الحال في (ب٨٦):

أَحِبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وَأَهْجُرُ فَيْكُمُ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي

فحبّه هذا غير متناوّل، وعاطفته قوية بحرارةٍ تسري كما يسري الدم في العروق والشرابين، وهي متوهجة متوقدة دائمة الأثر والصدى.

وجاء في (ب١٠٨):

فَإِنِّي مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْجُو بِحُبِّهِمْ حَيَاةً لَدَى الْفَرْدُوسِ غَيْرَ بَنَاتٍ

فالشاعر هنا، جعل من حبه لآل البيت معادلاً ومطلباً لدخول الجنة في الآخرة.

وفي مقابل ذلك نجد عاطفة (الغضب) المتمثلة ببغض أعداء أهل البيت من الأمويين وأتباعهم وأشياعهم، وهي ماثلة في النص (ب١٤ - ب١٥)، (ب٤٥)، (ب٤٨)، (ب٧٥)، ونجد الخزاعي في (ب٩٢ - ب٩٣) يقول:

كَفَيْكَ أَدَاوِي مِنْ جَوِيٍّ لِي وَالْجَوِي أُمِّيَّةُ أَهْلِ الْفَسْقِ وَالتَّبَعَاتِ

بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَأَلْ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْفُلُوتِ

لقد حملت تلك العواطف من الصدق في أعماق الوجدان واغترفت من معين الفواجع التي مرت بآل البيت الكثير، ما جعل النص سلوى لفؤاد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وقد وضع فيه الخزاعي يده على الجرح، ما جعل الإمام يفعل مع النص مراراً عند إنشاده بين يديه في خراسان، لدرجة أن بعض أبياته قد أبكاه حتى الإغماء ثلاث مرات^(٤٧).

وعلى المستوى الدلالي: يمكننا أن نتعرف على التعبير اللغوي للنص مع خصائص أسلوبية، للوصول إلى القيم المخزونة فيه من خلال العلاقات التي تشكلها تلك اللغة. وينظر إليها عن طريق الفم والأذن...^(٤٨).

٤٧- ألاغاني.. لأبي الفرج الاصفهاني. ج ١٨/ ٤٢.

٤٨- لغرض الاستزادة، انظر أفكار دي سوسير @ يسبرسن، حول اللغة: في فقه اللغة. د. عبدة الراجحي / ٦١.

وهذا يتطلب منا معرفة القيم المعجمية والتركيبية البنائية. وما يلي ذلك من قيم بنيوية تخص المستوى الصوتي. كاشفين عن رأينا في التأثير بآراء تشومسكي التوليدية^(٤٩) في التحليل إضافة إلى المدرسة البنيوية ليكون عملنا تكاملياً.

وما دامت اللغة: أداة للتعبير وترجماناً للتفكير بين أفراد المجتمع فهي إذن كائن اجتماعي تفاعلي حي. وهذا ما يجعلنا نتعرف على مفردات معجم الخزاعي في التعبير عن أحاسيسه وأفكاره التي مر ذكرها. وإن المفردات هي أدوات المعاني وعوامل وأجزاء الأسلوب. فلا بد من دراستها ومعرفة مدى تأثيرها على المتلقي.

ونبدأ بلغة القصيدة التي تخص وصف معاناة آل البيت (عليهم السلام).

فاستعمل الخزاعي ألفاظ الحزن والرثاء في بكائياته الخالدة هذه. وهي ألفاظ متخصصة غير مشتركة مع ألفاظ الأغراض الأخرى. وقد أفرزتها القراءة النقدية. وجعلتها مرتبة هجائياً:

- ١- أدماء النحور: (البيت / ٩٧).
- ٢- ارنان (صوت البكاء): (ب/ ١).
- ٣- البكاء: (ب/ ٢٨ + ٨٣ + ٨٨ + ٩٤ + ٩٥).
- ٤- تقطع القلب: (ب/ ١٠١).
- ٥- الجزع: (ب/ ١٠٥).
- ٦- الجور: (ب/ ١٠ + ٣٩ + ١٠٣).
- ٧- الحسرات: (ب/ ٩ + ٩٠ + ١٠١).
- ٨- الدموع: (ب/ ٢٨ + ٥٤).
- ٩- الرزايا: (ب/ ١٨ + ١٠٧).
- ١٠- ريب الزمان: (ب/ ٦٤).
- ١١- زفرات: (ب/ ١ + ١١٥).
- ١٢- سبي الحرير: (ب/ ٩٨).
- ١٣- شكوى: (ب/ ٦٢).
- ١٤- الصبر: (ب/ ٢٩).
- ١٥- العبرات: (ب/ ٢٨ + ٤٦ + ٨٨ + ١١١).
- ١٦- العطش المؤدي للموت: (ب/ ٥٣).
- ١٧- قبر: (ب/ ٥٦ + ٥٧ + ٥٨).
- ١٨- اللطم: (ب/ ٥٤).
- ١٩- لوعة: (ب/ ٦٢).
- ٢٠- مجدلاً (مقطع الأوصال): (ب/ ٥٣).
- ٢١- الموت: (ب/ ٥٣ + ٧١ + ١٠٦).

٤٩- انظر: المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبدالتواب / ١٨٧.

- ٢٢ - النوائج: (ب/١ + ٨٣).
- ٢٣ - الوفاة: (ب/٦١).
- وأما المفردات الأساسية التي ضمّتها القصيدة وتأثرت بها من خلال أنساق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهي الأخرى أوردتها هجائياً:
- احمد: (ب/٣٤).
- الإسلام: (ب/١٤).
- الله: (ب/١٢ + ٣٧ + ٥٠ + ٥٢ + ٦٢ + ٨٣ + ١٠٢ + ١٠٩).
- أي (آيات): (ب/٢٤).
- الآيمان: (ب/٣٥).
- الباطل: (ب/١٠٣).
- البركة: (ب/٥٠ + ١٠٢).
- التقى: (ب/٣٦ + ٧٤).
- تلاوة: (ب/٢٤ + ٣٠).
- جبريل الأمين: (ب/٢٧ + ٣٧).
- الجزء: (ب/١٠٣).
- الحج: (ب/٨٣).
- ١ - الحسنة: (ب/٣٦)
- الحق: (ب/٨٧ - ١٠٣).
- خاتم الرسل: (ب/٢٢).
- الخيرات: (ب/٨٠ + ٩٤).
- الرب: (ب/٨٢).
- الرحمن: (ب/٥٨ + ١٠٦).
- الرحمة: (ب/٣٧).
- ٢ - رسول الله: (ب/٣١ + ٣٣ + ٩٣ + ٩٦ + ٩٧ + ٩٨ + ٩٩)
- سبيل الرشاد: (ب/٣٨ + ٨٠).
- السور: (ب/٣٤ + ٧٢).
- شورى: (ب/١٧).
- الصلاة: (ب/١٢ + ٣٦ + ٤١ + ٥١ + ٥٢ + ٥٦ + ٩٤).
- الصوم: (ب/١٢ + ٣٦ + ٤١).
- ضلال: (ب/١٦).
- الطهارة: (ب/٣٦).
- الفجور: (ب/١٤).

- الفردوس : (ب/١٠٨).
 الفرض (الواجب) : (ب/١٥).
 الفرقان : (ب/٧٢).
 القران : (ب/٢٤).
 الكتاب (القران) : (ب/١٥).
 الكفر : (ب/١٤).
 محمد : (ب/٧٨ + ٧٢ + ٤٩).
 المليك : (ب/٥١).
 المنكر : (ب/١١٠).
 النبي ﷺ : (ب/١٣ + ٤٠ + ٤٣ + ٤٧ + ٥١ + ٧٩).
 النعمة : (ب/١٠٣).
 النعمة : (ب/١٠٣).
 الهدى : (ب/١٧ + ٣٥ + ٥١ + ٧٤).
 الهوى (الشهوة) : (ب/١٣).
 الوحي : (ب/٣٠).
 وحي الله (جبريل) : (ب/٣٤).
 اليقين (الآيمان) : (ب/٨٢).
 لقد كان اختيار الشاعر الخزاعي لألفاظه مناسباً ودقيقاً ومؤدياً لمعانيه حيث عانقت تلك المفردات غرض النص وتجاوبت معه تجاوباً تطابقياً وإيجابياً. ولم تتنافر أو تتصادم أو تتقاطع معه. لأنها عربية أصيلة ومأنوسة بعيدة عن الغرابة. فصيحة لا عامية، صحيحة الاستعمال غير مخالفة للغة، لا تنافر بين حروفها.

ومن الظواهر الدلالية في النص :

أ- الترادف^(٥٠) : وهو من متعلقات دراسة المعنى المرتبط بتعدد الألفاظ من حيث وحدة دلالتها.

ومن خلال القراءة وجدنا ترادفاً في المفردات آتية مع الإشارة للآيات :

الكتاب / ١٥	القران / ٢٤	الفرقان / ٧٢
خلال / ٢٥	مناقب / ٢٥	
القلبي / ٦	البغض / ١٣	
ديار / ٣٢	منازل / ٣٤	

٥٠- لغرض الاستزادة، انظر : الترادف في اللغة. حاكم مالك الزيايدي.

مُضْطَغِن/ ٤٥	ذو إحنة/ ٤٥	الأحقاد/ ٤٨
آل/ ٩٦	أهل/ ٤٣	رَهْط/ ٤٧
مات/ ٥٣	تُوفِي/ ٦١	
الأهواء/ ١١٣	الشهوات/ ١١٣	
المودة/ ٨١	الحب/ ٨٢	
جبريل الأمين/ ٢٧	الوحي/ ٣٤	
الله/ ١٢ المليك/ ٥١	الرحمن/ ٥٨ الرب/ ٨٢	
النبي/ ١٣ رسول الله/ ٣١	احمد/ ٣٤ محمد/ ٤٩	

ولا أريد الدخول في تفصيل الترادف وتمييز الأفراد ووحدة الاعتبار. فهذا غير محله.

ومن الترادف المذكور في القصيدة ما كان قد أتضح من خلال السياق مثل:

بكيّت/ ٢٨	وأذريت دمع العين بالعبرات/ ٢٨
وخلت/ ٣٠	وخف أهلها/ ٤١

والترادف بصورة عامة سبيل للتوسع الأسلوبي في اختيار مفردات التعبير وتسهيل سيرورتها في منهجية إغناء النص وصفات معانيه.

ب- التكرار: لقد ذكر الشاعر بعض المفردات ثم أعادها بعينها، فمنها وهو الغالب: اتفاق المعنيين الأول والثاني وهو ما يعرف باتحاد الألفاظ والمعاني ففائدته تأكيد الأمر وتقريره في النفس.

وذكره أستاذنا الدكتور احمد مطلوب تحت مصطلح (الإطناب بالتكرير)^(٥١).

أما مفردات التكرار التي وردت في القصيدة فهي كما يأتي مع أغراضها:

مناقب/ ٢٥ مناقب/ ٢٦	زيادة للتطرية والتجديد
ديار/ ٣٢ - ٣٣ ديار/ ٣٩	تأكيد الملازمة
منازل/ ٣٤ - ٣٨	زيادة التنبيه على الكثرة
هم/ ٤٣ وهم/ ٤٣	زيادة الإيضاح
خير سادات/ ٤٣ وخير حماة/ ٤٣	زيادة الصفة
أذريت دمع العين/ ٢٨ وأجريت دمع العين/ ٥٤	زيادة التنبيه الأولى للمتكلم والثانية للمخاطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)
بشط فرات/ ٥٣ بشط فرات/ ٦٠	تأكيد المكان
لهم كل حين/ ٦٧ لهم في نواحي الأرض/ ٦٧	زيادة التنبيه

٥١- معجم الصطلحات البلاغية وتطورها. ج ١ / ٢٣٦.

الأولى مع الزمان والثانية مع المكان	
أهل النبي / ٧٩ وأهل ثقاتي / ٧٩	تأكيد لزيادة التنبيه
فيا نفس / ١٠٤ ثم يا نفس / ١٠٤	تأكيد النداء في الترغيب. وفي (ثم) دلالة على أن حالة الترغيب الثانية ابلغ وأقوى
العبرات / ٢٨ العبرات / ١١١	للتطرية والتجديد
على العرصات / ٤ على العرصات / ٤	للتطرية والتذكر
عفاها جور / ٣٩ مدة الجور / ١٠٥	جاء بها على سبيل التفصيل
وقبر / ٥٧ وقبر / ٥٨	للتطرية بالكثرة والتفرق
الرحمن / ١٠٦ الرحمن / ١٠٨	تأكيد الخضوع والتعلق
الصوم / ٣٦ الصوم / ٤١	للتهويل والتعظيم
	الأولى منازل للصوم والثانية سؤال عن زمان عهدا بالصلاة

أما إذا كان المعنيان مختلفين، فالأمر يختلف، وتصبح اللفظتان المتفتقتان في حالة (اشتراك) في المعنى، نحو:

مدة الجور / ١٠٥ قَرَبَ.... مُدَّتِي / ١٠٦
فالأولى بمعنى (وقت الجور)، والثانية بمعنى (الموت) أو نهاية الحياة. وكذلك الحال في:
نجوم الليل / ٥٢ واندبى نجوم سماوات / ٥٥

فالأولى هي النجوم الحقيقية: في حين أن (نجوم) الثانية التي على الزهراء (عليها السلام) أن تندبها وتبكيها فهي نجوم مجازية: وتعني أجساد الشهداء المجزرين الذين افترشوا القلاة. فهنا جرى تطويع لبعض المفردات التي تم اختيارها لتوائم السياق بما تمتلكه من استعداد لنقل المضمون الشعري الجديد الذي يخدم الأداء الفني والتطور الدلالي.

وعلى مستوى التركيب: فانه تميز بالإيجاز في تأليف العبارات التي برز أسلوبها على الاهتمام بالمسند والمسند إليه كأهم عنصرين من عناصر علم المعاني والابتعاد عن كثرة الروابط من حروف عطف وجر وضمائر. كما تميز أسلوب الخزاعي بالرمز والإشارة دون التفسير والتصريح (ب) ١٩ - ٢٣، ٧٦ - ٧٨، ٩١) وكانت جمل النص متنوعة بين الثابت والمتحرك من القواعد النحوية والتي تصب في جانب الأسلوب الموحى المؤثر الحي. ولا نريد تفصيلها في هذا البحث الموجز. والمسند هو العنصر البارز في المعاني، وجاءت الأفعال الماضية متقدمة على المضارعة والطلبية والمبنية للمجهول. كما أن الغائب متقدم على المخاطب والمتكلم. هذا بالإضافة إلى ظاهرة التقديم والتأخير وهي واضحة في النص.

وأما تراكيبها وهيكلتها: فيمكن دراستها من خلال تزاوج جملها وتجاوز ألفاظها وانسجام عباراتها وأتلاف مخارج حروفها واكتناز عوامل القوة في نسجها ونظمها. وجودة الصياغة لا بد أن تتم بالتزاوج المتوافق بين الدال والمدلول أو الشكل والمضمون لاختيار التراكيب لمعرفة ملاءمتها لما يوصف.

وأما المستوى الصوتي: فيعنى بموسيقى النص التي تنفعل بها نفس المتلقى مع وحدة النغم الموسيقية، ذلك المتلقى الذي يستلهم القيم الفكرية والمضامين الانفعالية والعواطف الجياشة عبر توصيلات اللغة تحت رقابة وقيادة سلم موسيقي موزون وقافية موحدة ملائمة مرتبطة بالمعجم اللغوي الذي يمتلكه المرسل المبدع الموهوب برؤية إيقاعية. وهذه القصيدة التائية ذات البحر الطويل، قد نسق أبياتها وجاور بينها بوحدة عضوية ملتزمة الأجزاء مترابطة فيما بينها بالوزن الواحد والقافية الموحدة والروي. انك تعيش تحت تأثير هذه التائية الخالدة بسردي شعري عاطفي عميق، وأسلوب حوار متفرد، ولحن متذوق تسكنه الدموع والحسرات والزفريات، وتتحرك بين أنغامه لوعة جور الزمان. وأنت تقرا مقاطع ولوحات النص يتجاذبك وعي الحقيقة المتمثل بالأسلوب الواقعي الأخاذ. ولو حاولنا معرفة الموازنة والمزاوجة بين المفردات والعبارات في بعض الأبيات، فقال الشاعر دعبل:

بكيْتُ لرسم الدار من عَرَفاتٍ وأذريتُ دمعَ العين بالعبراتِ (ب ٢٨).
فالتوازن بين (من عَرَفات) و (بالعبرات).

وكذلك البيت:

إذن للطمثِ الخدَّ فاطمُ عندهُ وأجريتُ دمعَ العين في الوجناتِ (ب ٥٤).
فالتوازن حاصل بين الفعلين: (وأذريت) ب ٢٨ و (وأجريت) ب ٥٤.
وكذلك في التقابل الحاصل بين مفردتي: (قوتي) ب ١٠٥ و (مدتي) ب ١٠٦.
و (حياتي) ب ١٠٦ و (قناتي) ب ١٠٧ و (هوى) ب ٢ و (نوى) ب ٤٢.
إن هذا التوازن والتقابل يقع في النثر الفني أكثر من الشعر. ومع هذا فإنه يمنح الصوت جرساً موسيقياً إضافة إلى موسيقاه الخارجية - كما بينا - في مقدمة التائية. وبذلك يكون جو القصيدة ممتعاً ولذيذاً وملائماً لعواطف وأحاسيس الشاعر.

وأما المستوى الفني: فيمكن أن نسلط الضوء من خلاله على بؤر الخلق والإبداع المكنونة في النص، وليبيان حالات الانزياح فيه.

فإذا ما استوضحنا البديع البلاغي فإننا نجده في فن الجناس فيما يأتي، وهو أوفر حظاً في القصيدة. وهذا الجناس الذي هو من المحسنات اللفظية موجودة بأنواعه في أسلوب الشاعر.

١ - **الجناس التام:** وهو اتفاق اللفظين المتجانسين في نوع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها، مع اختلاف المعنى، نحو:

فان قَرَّبَ الرحمنُ من تلكِ مُدَّتِي وأُخِرَ من عُمري بطولِ حياتي /ب١٠٦
فاني من الرحمن أرجو بحبهم حياة لدى الفردوس غير بتات /ب١٠٨
ف (حياة) في البيت الأول هي الحياة الدنيا. و (حياة) في البيت الثاني تعني الحياة الآخرة يوم القيامة.

- ٢- الجنس غير التام: وهو اختلاف اللفظين المتجانسين بزيادة حرف واحد:
 - أ- يقع في البداية، نحو: بالغاً.... مبالغاً /ب٥٩ وهذا هو الجنس المردوف. فالأولى تعني: واصلاً، والثانية تعني: أماكنها.
 - ب- يقع في الوسط، نحو: جر جور /ب١٠ وهو الجنس المكتنف. فالأولى (جر) بمعنى: جرى وامتد، والثانية (جور): أي ظلم.
 - ج- في النهاية، نحو: مد /ب١٠٠، ومدة /ب١٠٥ وهو الجنس المطرف. فالأولى (مد): أي قدم، والثانية (مدة) أي زمن وفترة.
- ٣- الجنس المزيد بحرفين:
 - أ- ما زيد في أوله وبعد أوله، نحو: عهد.... معاهد /ب٥.
 - ب- ما زيد في أوله وبعد ثانية، نحو: نفس /ب١٠٤ أنفاس /ب٢
 - ج- وهو ما زيد حرفان بعد ثانية، نحو: زم.... زمام /ب٢١ فالأولى بمعنى: شد، والثانية بمعنى: المقود والمسؤولية.
- ٤- الجنس المقلوب: وهو وقوع اختلاف في ترتيب اللفظين المتجانسين، نحو: السروات /ب٦٨، والشورات /ب٧٢.
- ٥- جناس التصريف: وهو أن تنفرد اللفظة عن الأخرى بإبدال حرف واحد:
 - أ- في البداية، نحو: شتات /ب١٠٥، بتات /ب١٠٨. حيث تم إبدال الشين باء.
 - ب- في الحرف الثاني، نحو: فرات /ب٥٣، فلاة /ب٥٥. فأبدلت الراء لاماً.
 - ج- في الحرف الثالث، نحو: الغدرات /ب٧٨، الغدوات /ب٩٥. فأبدلت الراء واواً.
- و كذلك: الحجرات /ب٩٦، الحجلات /ب٩٨. فأبدلت الراء لاماً.
- د- في الحرف الأخير، نحو: تراث... ترات /ب٢٠. فأبدلت التاء تاءً.
- ٦- جناس الاشتقاق: وهو أن يجمع بين اللفظتين الاشتقاق، نحو: هدى.... هداة /ب١٧، يهتدي /ب٣٥، هدي /ب٧٤. تخير.... خيرة الخيرات /ب٨٠، خير /ب٧٤.
- ٧- الجنس المغاير: وهو أن تكون إحدى اللفظتين اسماً والأخرى فعلاً، نحو: منازل..... ينزل /ب٣٤.

تَوْفِي..... وَفَاةُ / ب ٦١

أَحِب..... حَبُّ / ٨٦

٨- جناس التماثل: وهو أن تكون اللفظتان أما اسمين أو فعلين. نحو:

عفا.... تعفو / ب ٣٩ (فعلان).

وارث / ب ٤٠ ميراث / ب ٤٣ (اسمان).

فن الطباق:

كما نجد البديع أيضاً في الطباق الذي يعني أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده. وهو من المحسنات المعنوية حيث يزيد هذا التضاد النص حسناً وطرافة. لاستحالة وجود اللفظين في شيء واحد وأن واحد ولكن تقابلهما ممكن.

وحالات الطباق لدى الشاعر في هذه القصيدة:

١- **الطباق الحقيقي:** وهو ما كان بألفاظ الحقيقة وكما يأتي:

أ- إذا كانا اسمين، نحو:

ماضٍ.... آتٍ / ب ٢، الوصال.... الغربة (النوى والبعد) / ب ٦، النور.... الظلمة / ب ١١،

حب.... بغض / ب ١٣، الكفر.... الإسلام / ب ١٤، ضلال / ب ١٦، هداية / ب ١٧،

الليل.... الغدوة (النهار) / ب ٩٥، نحف.... غلظ / ب ٩٩، حق... باطل / ب ١٠٣، النعمة....

النقمة / ب ١٠٣، مُدَّتِي (موتي).... حياتي / ب ١٠٦.

ب- إذا كانا فعلين، نحو:

أروح... وأغدو / ب ٩٠، قَرَّبَ.... أخرَّ / ب ١٠٦.

ج- إذا كانا ظرفين، نحو:

بعد / ب ١٢ قبل / ب ٦١.

٢- **الطباق المجازي:** وهو ما كان باللفظ المجاز. نحو:

رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة وردت أجاجاً طعم كل فراتٍ / ب ١٨.

فخضرة الأفق تعني الأمل والأمان، في حين أن حمرة تعني الجور والخطر. وقد ذكر الشاعر بان آل (رزايا) هي التي جعلته يرى ذلك. وهذا الأمر ساعدنا فيه السياق.

كما ذكر الخزاعي بان تلك المصائب العظام قد أحالت طعم الماء العذب إلى مالح مرّ.

إن الرزايا ليس فيها تجسيم حي ومتحرك ليفرض علينا أن نرى ذلك، فالكفار من ذوي الشر والضلال هم وراء تلك المصائب، وهم الذين يحيلون الأمل إلى أداة قلق ومضايقة وهلاك.

وقال دعبل:

وكيف يُحبّون النبي ورهطه وهم تركوا أحشاءهم وغراتٍ / ب ٤٧

لقد لاینوه في المقال وأضمروا قلوباً على الأحقاد منطوياتٍ / ب ٤٨

فهو يتساءل عن حقيقة حب أولئك الحاقدين على أهل البيت، للنبي ﷺ وآله، وهم الذين قتلوههم وجزروا أجسادهم وأحرقوا قلوب ذويهم، فكيف يكون حب مع حقد ولا حب؟! وإن بقيادهم وملاءمتهم باللسان تتنافى مع ما أضمره في قلوبهم المنطوية على الأحقاد.

٣- **الطباق المختلف**: وهو الطباق الجاري بين لفظين متقابلين في المعنى ومختلفين في الإسناد،

فاحدهما: اسم والأخر: فعل، نحو:

جَمِيَ لَمْ تَزِرْهُ الْمَذْنِبَاتِ، وَأَوْجِهَ تُضِيءُ لَدَى الْأَسْتَارِ فِي الظُّلُمَاتِ / ب ٧٠
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ، وَبِالْغَدَوَاتِ / ب ٩٥

ففي البيت الأول: الفعل (تضيء) والاسم (الظلمات).

وفي الثاني: كان الفعل (طلع) والاسم (غروب).

أما البيان البليغ، فيمكن الإشارة إلى بعض صوره في الاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز. فالتشبيه يمكن رصده في البيت ٧٥:

أُولَئِكَ لَا أَشْيَاخُ هِنْدٍ وَتَرْبَهَا سُمِيَّةٌ، مِنْ نَوَكَى وَمِنْ قَدِرَاتٍ
فيصف أهل البيت (أولئك) بأنهم ليسوا كأشياخ هندٍ وربيتها سمية ممن يوصفون بالحمق والقدارة.

وهذا تشبيه مؤكد حذف منه أداة التشبيه، وإن وجه الشبه موجود ويؤكد حالة التناقض بين المشبه (أهل البيت) والمُشَبَّه وبين الطرف الثاني المشبه به المسبوق بـ (لا) النافية.

في حين ذكر الشاعر صدر البيت ٩٦:

ديار رسول الله أصبحن بلقعا.

فالتشبيه بليغ لأنه حذف منه الأداة ووجه الشبه وأما البيت ١١٥:

كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا لِمَا ضُمَّتْ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

فهذا تشبيه ضماني: فالشاعر يشبهه بالحزون الذي حذف من النص، وأبقى اللوازم والقرائن التي تدل عليه، وهي: الأضلاع التي تعنى الصدر الذي ضاق جوفه لشدة وحرقة وحرارة الأنفاس. فهو لم يصرح بالتشبيه وإنما فهم ذلك من السياق.

وكذلك الاستعارة يمكن رصدها من خلال الانزياحات آلتية، ويمكن أن نختار مثالا واحدا لها، إذ يقول دعبل: / ب ٣

فَأَسْعَدَنَ أَوْ أَسْعَفَنَ حَتَّى تَقْوَضَتْ صُفُوفُ الدُّجَى بِالْفَجْرِ مُنْهَزِمَاتٍ

فالسَّهَادُ جَعَلَ الشَّاعِرَ فِي أَرْقٍ دَائِمٍ، مِمَّا حَمَلَهُ عَلَى تَحْمِلِ طَوِيلِ اللَّيْلِ الدَّامِسِ بَعْدَ أَنْ تَهْدَمَتْ وَاضْمَحَلَتْ صُفُوفُ الظُّلْمَةِ مِنْهَزِمَةً أَمَامَ زُحُوفِ الْفَجْرِ.

وهنا شبه الخزاعي الدجى بالجيش الزاحف الذي له ألويته وصفوفه وقد انهزمت أمام قوى الردِّ المقابل (الفجر). وترك للوهم أن يصور الحالة بساحة معركة وجيش منهزم. واخترع له صفوفاً استعارها للخيال والإيهام. فوقع تجسيم وتشخيص للظلمة.

وهناك حالة انزياح في البيت ٦٢: إذ يقول الشاعر:

إلى الله أشكو لوعةً عند ذكرهم سَقَتْنِي بِكَأْسِ الثَّكْلِ وَالْفُطْعَاتِ
فهنا جرى تشخيص للوعة وحولها إلى شيء محسوس له من الأيدي القذرة التي تسقي الموت
والشناعة بكؤوسها. فاستعار السقاية والكأس.

وأما الكناية في النص، فهي كلام تفوه به الشاعر ويريد غيره من المعاني ولذلك ترك التصريح به.
ففي ب ٢١ ذكر دعبل (الموصى إليه) كناية عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) وقال: (ولو
قلدوا... زمامها). فالمكنى عنه نسبة أسندت إلى ماله اتصال به. ولكن الآخرين منعه من تقلده حقه.
فنسب إليه ضياع الحق. وهذا ما يعرف بك ناية النسبة.

وفي ب ١١١ (سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم) كناية عن انه في حيرة من أمره لما يلقاه من
المللمات والأحزان، لذلك فهو سيركن إلى السكوت. والموصوف في هذا البيت مذكور باللفظ
(نفسى). ولهذا تسمى هذه الكناية بـ (الكناية عن صفة).
وفي ب ٦٦:

قليلة زوَّارٍ، سوى بعض زوَّارٍ من الضَّبْعِ والعقبان والرَّخِمَاتِ
وهذا دليل على ندرة الزوار وكناية عن عدم الزيارة للموصوف سوى ما كان من بعض الطيور
الجارحة والحيوانات الوحشية. وهذه هي كناية الموصوف المختصة بالمكنى عنه ولا تتعداه. وذلك
ليحصل الانتقال منها إليه.

وإذا ما انتقلنا إلى المجاز وجدناه كثيراً في النص:
فجاء في البيت ٤١: (نسال الدار) أي: أهل الدار فالدار مجاز مرسل علاقته (المجاورة). وقد
ارتحل عنها أهلها مسرعين.

وفي ب ٤٨: (واضمروا قلوباً على الأحقاد منظويات)، فالقلوب لا تضمر محسوسة ولكن الذي
يضمهر هو الحقد الذي تنويه وتكتمه.

أما ب ٨٩: الذي يقول فيه الشاعر (حَقَّتْ الأيام حولي...) فالأيام لا تحف وإنما الذي حف
حوله هو: غدر وظلم الطغمة الحاكمة في تلك الأيام.

وأما الصور فهي كثيرة منها:

صورة الأنفاس الحائرة التي تبثها الأنفس الاسارى بحب أهل البيت بين ماضٍ وات. / ب ٢.
صورة تلاشي وانهازام صفوف الدجى أمام زخوف الفجر. / ب ٣.
صورة الأحشاء المتناثرة في حر الصحراء الهجير. / ب ٤٧.
صورة الحسين (عليه السلام) وهو مقطع قرب شط الفرات مع إخوانه وأفراد عائلته وصحبه من الشهداء
الأبرار / ب ٥٣ - ٥٥.

صورة معركة الطف / ب ٧١.

صورة آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصورة آل زياد / ب ٩٣ - ٩٩.
صورة صدر الإمام الرضا (عليه السلام)، وما كان يعانيه من شدة الزفرات التي تدك أضلاعه التي ضاق
رحبها.

١. أما البيت ١١٢ الذي يقول فيه دعبل:
أحاول نقل الشمس من مستقرها وإسماع أحجار من الصلداًت
فهي صورة بليغة للحالة التي وصل إليها الشاعر عندما قرر لنفسه السكوت عن الجدال لما لقيه من متابعة الأعداء له وتعنيفه (ب ١١١). فهو في هذا البيت يقدم لنا صورة الطرف الثاني من المعادلة (الأعداء) وهم يرون المستحيل من سماعه والتأثر بأفكاره وكأنه (أي: دعبل) يحاول نقل الشمس من مستقرها. وإن كلماته لأتسمع الأحجار الصلدة الصامدة.
وهذه المبالغة المستحيلة عقلاً هي الصورة لجهالة الأعداء وأهوائهم وتعنتهم.
وارغب هنا في خاتمة البحث أن اذكر بالإيجاز ظاهرة معنوية بليغة منتشرة في أجواء القصيدة وهي (ظاهرة القصر) التي تعني تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوص. أما طرقه التي استخدمت في النص، فهي:

١. النفي والاستثناء، نحو:
ولم تك إلا محنة كشفتهم بدعوى ضلالٍ من هنٍ وهناتٍ / ب ١٦.
٢. العطف بـ: لا، نحو:
أولئك لا أشياخ هندٍ وتربها سميةٌ من نوكى ومن قذراتٍ / ب ٧٥.
٣. تقديم ماحقه التأخير، نحو:
على العرصات الخاليات من آلهها سلامٌ شجٍ صبَّ على العرصاتٍ / ب ٤.

وخاتمة البحث:

ازعم أنني تناولت بالتحليل القصائد الوجدانية التي قالها الشاعر الخزاعي في حق آل البيت الأطهار مؤكداً على القصيدة الثائية الخالدة وقد أوليتها اهتماماً وتحليلاً وفقاً للمنهج التكاملي موضحاً أنساقها بنيوية وأسلوبية وعارضاً ما فيها من انزياحات بلاغية.
ولم أجد من سبقني في ذلك، ولهذا وجدت من المفيد أن أقدم هذه الثمرة نتيجة للقراءة النقدية الجديدة في ديوان دعبل بن علي الخزاعي.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. أسباب النزول للواحدي (ت ٤٦٨ هـ). القاهرة. مط. مصطفى البابي الحلبي. ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
٣. ألاغاني. لأبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ). بيروت. دار الثقافة. ١٩٥٥ - ١٩٦١ م.
- تاريخ دمشق الكبير. لابن عساكر الشافعي (ت ٥٧١ هـ). دمشق. مط. روضة الشام. ١٣٣١ هـ.
٤. التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. لابن المبارك. القاهرة. مط مصطفى البابي الحلبي. ١٣٤٧ هـ.
٥. الترادف في اللغة. حاكم مالك الزيايدي. بغداد. وزارة الثقافة. ١٩٨٠ م.
٦. تفسير القرآن العظيم. لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ). القاهرة. مط. مصطفى البابي الحلبي. (د. ت).

٧. التفسير الكبير. للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ). القاهرة، المطبعة البهية. (د. ت.).
٨. جامع البيان عن تأويل القرآن. للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ). تح. محمود محمد شاكر. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٧ م.
٩. جواهر العقدين في فضل الشرفين. للسهمودي (ت ٩١١ هـ). تح. د. موسى بناي العليلى.
١٠. بغداد، مط. العاني، ١٤٠٥ - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٤ - ١٩٨٧ م.
١١. خصائص أمير المؤمنين على بن أبي طالب. للنسائي (ت ٣٠٣ هـ). القاهرة، مط. التقدم، ١٣٤٨ هـ.
١٢. ديوان دعبل بن علي الخزاعي. تح. عبدالصاحب الدجيلي. ط ٢. بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢ م.
١٣. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى. للطبري احمد بن عبدالله (ت ٦٩٤ هـ) القاهرة، مط. القدسي، ١٣٥٦ هـ.
١٤. سنن الترمذي (ت ٢٧٩ هـ). القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٣١ م.
١٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ). القاهرة، المطبعة الميمنية، ١٣٢٩ هـ.
١٦. صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ). شرح الكرمانى. القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٣٢ م.
١٧. صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ). القاهرة، مط. محمد علي صبيح، ١٣٣٤ هـ.
١٨. الغدير في الكتاب والسنة والأدب. للاميني. طهران، مط. حيدري، ١٣٧٢ هـ.
١٩. فقه اللغة. د. عبده الراجحي. بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢ م.
٢٠. الكشف. للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ). تح. عبدالرزاق المهدي. ط ٢. بيروت، دار احياء التراث العربي: (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).
٢١. المدخل إلى عالم اللغة. د. رمضان عبدالنواب. ط ٢. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥ م.
٢٢. مروج الذهب. للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ). تح. محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة، م. السعادة، ١٩٤٨ م.
٢٣. مسند الإمام احمد بن حنبل. (ت ٢٤١ هـ). القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ هـ.
٢٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. د. احمد مطلوب. بغداد، مط. المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) بغداد، الدار الوطنية، ١٩٩٠ م.

مصطلح الحرف

د. محمد عامر

مصطلح الحرف

د. محمد عامر

المبحث الأول: الحرف في المعجمات العربية

صار من الطبيعي عند الباحثين أنهم إذا أرادوا أن يدرسوا مصطلحا أو ظاهرة ما، بدأوا بدراسة تسمية هذه الظاهرة أو المصطلح في ضوء المعجمات (في اللغة)، ثم ينطلقون منه إلى المعنى الاصطلاحي؛ لكي تتضح لهم جوانب الدراسة كافة، فعند دراسة (المدارس النحوية) على سبيل المثال، فلا بد للدارس في بحث المعنى اللغوي لكلمة (مدرسة) ثم المعنى الاصطلاحي الذي وضعت له هذه الكلمة... ولذا صار لزاما علينا أن نعرف ما هو المعنى اللغوي لمصطلح (الحرف) من خلال مراجعة أهم المعجمات العربية المتقدمة والمتأخرة - ما دمنا ندرس مصطلح الحرف في كتاب سيبويه - قبل أن نتجه لفهم المصطلح في كتاب سيبويه؛ ليكون ذلك عدة لنا في بحثنا هذا

لقد أجمع المعجميون العرب ومنهم الخليل والأزهري وابن فارس وابن دريد والصاغاني وغيرهم على معانٍ معينة جاءت بها كلمة (الحرف)، فاتفقوا أن المعنى الأصلي له هو الطرف والجانب والحد والشفير^(١)، فحرف الجبل جانبه^(٢)، وحرف السيف حده^(٣)، وحرف السفينة جانب شقها^(٤)، وحرفا الرأس شقاه^(٥). والحرف الناقة، فليل الضامرة^(٦)، وقيل الضخمة^(٧) ولذلك صلة بأصل المعنى، وإنما قيل للناقة الضامرة حرفا تشبيها لها بحرف السيف^(٨)، وإنما قيل للناقة الضخمة حرفا تشبيها لها بحرف الجبل^(٩). قال عدي بن الرقاع^(١٠):

(١) ينظر: الصحاح: ١٣٤٢/٤، ومقاييس اللغة: ٤٢/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: العين: ٢١٠/٣.

(٥) ينظر: المحكم: ٢٢٩/٣.

(٦) ينظر مقاييس اللغة: ٤٢/٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.

حرف تشذر عن ريان مغتمس مستحقب رزاته رحمها الجملا
وقال الراجز^(١١):
وتحت رحلي زفيان ميلع حرف إذا ما زجرت تبوع

والحرف: اللغة، وكذا جاء حديث الرسول ﷺ مصداقا لهذا المعنى في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف^(١٢).

والحرف القراءة في القرآن^(١٣) كقولهم: هو يقرأ على حرف ابن مسعود. أي على قراءة ابن مسعود^(١٤).

ولكن أحدا من المعجمات العربية المتقدمة لم يشر إلى أن مفهوم (الحرف) هو ما اصطلاح عليه الكوفيون بـ(الأداة) باستثناء عدد من المعجمات وهي العين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، وأغلب الظن أن ما جاء في هذه المعجمات بهذا المفهوم ليس من الحقيقة في شيء باستثناء المحكم لابن سيده، وسنفصل القول فيه وفي صاحبيه وكالاتي:

١ - كتاب العين:

أكبر الظن أن النص الذي في كتاب العين الذي يذكر هذا المعنى لكلمة (الحرف) هو ليس من صلب كتاب العين، وإنما هو نص دخيل عليه، يقول الخليل أو لنقل: يقول النص ((وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفا وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل حتى وهل وبل ولعل))^(١٥).

أغلب ظني أن هذا النص إنما وضعه الوراقون والنساخون، أو أن أحد النحاة أو اللغويين من نقلة هذا الكتاب (من رواته) قد حاول أن يضع شرحا لبعض المشاكل فيه أو بعض التعليقات عليه، فلما وضع هذه التعليقات أو الشروح ضاعت في صلب الكتاب، ولم يميز الصواب من الدخيل. والذي دعانا إلى مثل هذا الكلام أمور منها:

أ - أن هناك شكوكا في نسبة كتاب العين أو بعض نصوصه للخليل^(١٦)، وقد كتب في هذه الشكوك والآراء الشيء الكثير فلا فائدة لحديثنا عنها في هذا الموضع.

ب - أن سيبويه - وكما سنفصل بعد حين - استعمل كلمة (الحرف) ليس بالمعنى الذي ذكره الخليل؛ ولكنه استعمل هذه المفردة للدلالة على الجنس العام للكلمة. فمرة يقصد بها الكلمة، ومرة الاسم، وثالثة الفعل، وقد يريد بها الجملة، وقد يريد بها أيضا الأداة، وكثيرا ما أراد بها حرف

(١٠) الديوان: ٧٧.

(١١) ينظر: النوارذ في اللغة: ٦٩.

(١٢) ينظر: تهذيب اللغة: ١٤/٥، والمحكم: ٢٢٩/٣.

(١٣) ينظر: العين: ٢١٠/٣، وتهذيب اللغة: ١٢/٥.

(١٤) ينظر: المصدر نفسه.

(١٥) المصدر نفسه: ٢١٠/٣.

(١٦) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: ٢٣٥ - ٢٤٥.

الهجاء. ولو كان المعنى الذي في كتاب العين من صلب ما جاء به الخليل لكان من الجدير بسيويته أن يكون أول الآخذين به.

ج - إن مصطلح (الحرف) لم يستقر حتى عند المبرد وتلاميذه، فالمبرد في كتابه (المقتضب) يقول: ((فالكلام كله: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى))^(١٧) فكما أن سيويته قرن الحرف بجملة ((جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل))^(١٨)، فقد قرن المبرد المصطلح نفسه بجملة ((جاء لمعنى) المختصرة من جملة سيويته، فإن كان المصطلح لم يستقر عند المبرد وتلاميذه على المفهوم الذي جاء في كتاب العين. فكيف استقر عند الخليل وهو قبلهم بثلاث أو أربع طبقات من النحاة.

ولما كان كتاب سيويته قد ثبت يقينا أنه لسيويته وليس هنالك شكوك حول ذلك، ولما كان كتاب العين مشكوك النسبة في بعضه أو في كله إلى الخليل فقد دعانا ذلك إلى القول بعدم أصالة هذا المفهوم للحرف، وإنما هو نص دخيل على كتاب العين.

٢ - كتاب تهذيب اللغة للأزهري:

أما بالنسبة للمفهوم الذي جاء به كتاب الأزهري فلا يؤخذ به أصلا؛ لأن المؤلف أخذه من كتاب العين ونقله نقلا حرفيا، ونحن قد فصلنا القول في الأخير.

٣ - كتاب المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده:

وهذا الكتاب لا يخفى أنه جاء بالمفهوم وهو نفس المفهوم الذي جاء به كتاب العين، ولكن هذا النص لا اعتراض عليه، لأنه ذكر هذا المفهوم بعدما استقر وأخذ به النحاة، فوفاة ابن سيده كانت سنة ٤٥٨ هـ كما تذكر كتب التراجم^(١٩).

المعجمات المتأخرة

أما المعجمات المتأخرة فقد جرت على مسار المعجمات المتقدمة ونقلت منها حرفيا ولم تذكر معنى جديدا لهذه المفردة (الحرف) فقالوا: الحرف هو القراءة وهو اللغة وهو الناقة وهو الطرف والشفير والحد وهو واحد حروف الهجاء، وهو الوجه والطريق، وفصلوا القول في ذلك كله نقلا عن اللغويين الأوائل كأبي عبيد والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد والسجستاني وغيرهم إلا أن أحد المعجمات المتأخرة يذكر شيئا عن عبارة سيويته، إذ قال الفيروزآبادي في قاموسه المحيط: ((الحرف من كل شيء... وعند النحاة: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد))^(٢٠)، فالفيروزآبادي فهم المعنى المتأخر للحرف ولم يرتض له تعريفا إلا تعريف سيويته وعد ما سواه من التعريفات فاسدا.

وعند إقائنا النظر في (لسان العرب) نجد أن ابن منظور قد أعاد الجملة التي جاءت في كتاب العين^(٢١)، فقد نقلها نقلا نصيا - إن صح التعبير - وهنا لا يعترض عليها؛ لأننا كما قلنا قبل قليل نقلت

(١٧) المقتضب: ٣/١.

(١٨) الكتاب: ١٢/١.

(١٩) ينظر: طبقات الأئمة: ٨٨.

(٢٠) القاموس المحيط: ١٢٦/٣.

(٢١) ينظر: لسان العرب.

حرفيا من كتاب العين، كما أن المصطلح قد استقر وثبت عند النحاة ليس في عهد ابن منظور ولكن قبله بقرون.

المبحث الثاني: الحروف قبل سيبويه

١ - عند المفسرين

من المعلوم أن مفهوم الحرف عند المفسرين منطلق من وجود هذه المفردة في القرآن الكريم؛ ولذا نقول أن مفردة (الحرف) وردت في القرآن الكريم مرة واحدة^(٢٢) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(٢٣) واختلف المفسرون في دلالة هذه المفردة ضمن الآية، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره بإسناد طويل أن ابن عباس (رض) قال عن هذه الآية: ((كان الرجل يقدم المدينة، فان ولدت امرأته غلاما وتنجت خيله، قال: هذا دين صالح. وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء)) ثم يسند إلى ابن عباس (رض) خبرا آخر يقول فيه: ((كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا لصالح. وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير، فانزل الله على نبيه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(٢٤) ومن هاتين الروايتين يتضح أن الحرف في حديث ابن عباس (رض) هو الوجه أو الحالة، فمن نزلت فيه الآية في هاتين الروايتين يعبد الله في حالة الخصب والخير.

أما الحسن فان له رأيا آخر إذ أنه يرى ((أن المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان فهما حرفا الدين فإذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل في الدين وإذا أظهر بلسانه الدين لبعض الأغراض وفي قلبه النفاق جاز أن يقال فيه على وجه الذم يعبد الله على حرف))^(٢٥)، أي أن الحسن يرى أن الحرف هو الجزء أو البعض، فهو حين يفسر الآية يقول إن المسلم إذا آمن بلسانه دون قلبه فهو على حرف لأن الحرفين هما اللسان والقلب فكأنما آمن بجزء منهما أو ببعضهما، ولم يكن الحسن قد قال ذلك إلا انه يعرف جيدا بأن الجزء أو البعض أو القلب أو اللسان كل منهم له أطراف وحدود.

وفي تفسير مجاهد وقتادة لهذه الآية يتفقان أن الحرف هنا إنما معناه الشك ويفسر قتادة هذا الشك بذكره الرواية التي رواها ابن عباس (رض)^(٢٦).

وتوافق الروايات التي جاء بها الضحاك ما رواه ابن عباس (رض) لتفسير هذه الآية^(٢٧)، وذلك طبعيا، فهم إنما ينقل الواحد منهم عن الآخر رواياته.

(٢٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٥٠.

(٢٣) الحج: ١١.

(٢٤) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٣.

(٢٥) تفسير الفخر الرازي: ١٤ / ٢٣.

(٢٦) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٣، وتفسير الطبري: ١٢٢/١٧.

(٢٧) ينظر: المصدر نفسه.

أما الروايات التي تنقل لنا عن أبي سعيد الخدري (رض) فتقول إنه (رض) كان يفسر هذه الآية بقوله: ((إن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقلني، فقال: إن الإسلام لا يقال فنزلت))^(٢٨).
ويذكر رواية عن ابن زيد يقول فيها: ((هذا المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، انقلب))^(٢٩).

من هذه الروايات يتضح لنا أن المفسرين قبل سيبويه فسروا هذه الآية بكيفيات مختلفة، فمنهم من فسرها ناقلاً للرواية في سبب نزولها، كما جاء في رواية ابن عباس وأبي سعيد الخدري والضحاك (رض)، ومنهم من فسر الآية بذكر من نزلت بحقه الآية وذكر أفعاله، كما روي عن ابن زيد، ومنهم من فسر الآية بذكر الصفة التي يتصف بها من نزلت بحقه الآية، وجعل دلالة هذه الصفة دلالة لكلمة (الحرف) في الآية كما في روايات مجاهد وقتادة والحسن.

وسواء كان التفسير في سبب نزول الآية أو في من نزلت بحقه الآية أو في ذكر صفة هذا المقصود بالآية فإن دلالات الحرف في هذه الآراء والروايات يقترب بعضها من البعض الآخر، فإن كانت دلالة الحرف الحالة أو الوجه أو أن كانت البعض والجزء أو إن كانت الشك فهي إنما تقترب من معناها اللغوي وهو الطرف.

وبعد هذا نرى أن الحرف عند المفسرين قبل سيبويه لم يكن مستقراً وإن كانت دلالة بينهم متقاربة.

٢ - عند المحدثين

أما عند المحدثين فقد كانت للحرف مدلولات مختلفة انطلقت من وجود هذه المفردة في الحديث النبوي الشريف، وسنورد هذه المدلولات في هذا الموضع:

أ - فقد ذكرت كتب الصحاح ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف بطرق مختلفة وبنصوص مختلفة، منها: ((حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا شيبان عن عاصم عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل، فقال: يا جبرئيل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف))^(٣٠) وجاء في رواية أخرى ((وحدثني حرمله بن يحيى... حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أقراني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته، فلم أزل استزيد فيزيديني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. قال ابن شهاب: إن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام))^(٣١) ونقلت روايات مثل هذه كلها تشير إلى نزول القرآن الكريم بسبعة أحرف، ومما ما نقل عن أبي بن كعب

(٢٨) الكشف: ٧/٣.

(٢٩) الطبري: ١٧/١٢٢، وينظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٣.

(٣٠) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: ٢٦٣/٨.

(٣١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٠١/٦.

وأخرى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وملخصهما أن كلا منهما لقي رجلا في المسجد يقرأ بقراءة أخرى غير قراءته فيذهب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخبره أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف^(٣٢).

اختلف في مفهوم الحرف في متن هذه الأحاديث وما شابهها، ففريق قال إن الأحرف هنا المقصود بها القراءات السبعة^(٣٣)، وفريق قال إن المقصود هنا هو اللغات^(٣٤)، وقول ثالث ورابع حتى بلغ الحد بهم أن وصلت آراؤهم خمسة وثلاثين وجها وبلغ آخرون أربعين وجها^(٣٥).

ب - وذكرت كتب الحديث أيضا قول الرسول ﷺ بأن ثواب قراءة الحرف من القرآن عشر حسنات ((حدثنا محمد بن بشار... سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف))^(٣٦)، ومفهوم من هذا الحديث أن الحرف هنا يراد منه حرف الهجاء في القرآن الكريم.

ج - ونجد في حديث آخر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستخدم هذه المفردة بمعناها الأصلي، إذ يقول في قصة مع موسى (عليها السلام) بإسناد الخبر عن ابن عباس (رض) يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خبر طويل: ((...كانت الأولى من موسى نسيانا قال: وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر...))^(٣٧)، ولا يخفى أن مفهوم الحرف في هذا الحديث الشريف إنما هو المعنى الأصلي للمفردة وهو الطرف أو الحد أي أن العصفور وقع على طرف من السفينة أو على حدها.

د - وجاء في سنن ابن ماجه حديث قد وردت فيه مفردة الحرف في رواية من الروايات وهذا الحديث هو: ((حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر... عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جرف جهنم...)) وروي أيضا ((...على حرف جهنم...))^(٣٨) والحرف هنا جاء على الأصل وهو الطرف أو الجانب، أي على طرف جهنم أو على جانب منها.

هـ - وجاء في الصحاح أيضا: ((وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار... عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقرأ هذا الحرف (فهل من مدكر))^(٣٩)، والحرف هنا معناه - على أغلب الظن - هو الموضع أو الجملة أو الآية.

و - وقد وردت هذه المفردة في أحاديث أخرى^(٤٠) بمعنى حرف الهجاء

(٣٢) ينظر: صحيح البخاري: ١٨٥/٣.

(٣٣) ينظر: تفسر ابن كثير: ٢١ - ١١/١.

(٣٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٥: ١٤.

(٣٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ١٠٣.

(٣٦) تحفة الأحوذى: ٢٢٦/٨.

(٣٧) صحيح مسلم: ٣٤٨/٢.

(٣٨) سنن ابن ماجه: ١٣١١/٢.

(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٠٨/٦.

(٤٠) ينظر: صحيح مسلم: ٣٢٧/١، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٩١/٦.

يتضح لنا من كل ذلك أن مفهوم الحرف كان يحيل إلى معان عديدة منها الطرف أو الجانب، ومنها القراءة ومنها اللغة، ومنها الوجه، ومنها الموضع والجملة، ومنها حرف الهجاء، بل إن أهل الحديث اختلفوا في مفهوم الحرف في الحديث الواحد، كما مر ذكره. ونستدل من كل ذلك أن مفهوم الحرف كان غير مستقر في الحديث الشريف وعند أهل الحديث.

٣ - عند اللغويين

لقد كان اللغويون العرب يستمدون علمهم باللغة من خلال كلام العرب وأشعارهم؛ لذا خرجوا إلى البوادي لجمع الأشعار وسماع الأعراب للإفادة من هذا الكلام، وهذه الأشعار في العلوم التي تخدم القرآن الكريم ولغته سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة؛ ولأن اللغويين كانوا يستمدون لغتهم على الأغلب من أشعار العرب، فقد حاولنا جمع بعض الشواهد الشعرية التي وردت فيها مفردة (الحرف) ذلك أن النصوص اللغوية التي وردت فيها مفردة الحرف قبل سيبويه قليلة جداً، وسنورد في هذا الموضع هذه الشواهد ثم نذكر النصوص اللغوية التي استطعنا جمعها. جاء في كتاب سيبويه قول الشاعر^(٤١) وقيل إنه ابن قاصد^(٤٢):

ورد جازرهم حرفاً مصرمة
وقال عدي بن الرقاع^(٤٣):

حرف تشذر عن ريان مغتمس
وقال الراجز^(٤٤):

وتحت رحلي زفيان ميلع
وروى الخليل قول الشاعر^(٤٥):

جمالية حرف سناد يشلها
وروى صاحب مقاييس اللغة قول أوس^(٤٦):

حرف أبوها أخوها من مهجنة
وعمها خالها قوداء مئشير

إن القارئ المتمعن في هذه الأبيات يجد أن الحرف لم يأت إلا بمعنى الناقعة، وإذا قرأنا ما جاء من كلام اللغويين الذي شمل بين طياته مصطلح الحرف نجد أن الحرف لديهم كان أيضاً الناقعة، فأبو عمرو بن العلاء حين يسأل عن الحرف، كان يقول: ((الحرف الناقعة الضامر...))^(٤٧)، وكان الخليل يقول: ((الحرف الناقعة الصلبة...))^(٤٨)، أما الأصمعي فكان يقول: ((الحرف الناقعة المهزولة...))^(٤٩).

(٤١) الكتاب: ٢٩٩/٢.

(٤٢) ينظر: شواهد الكتاب: ٢١/.

(٤٣) الديوان: ٧٧.

(٤٤) النوادر في اللغة: ٦٩/.

(٤٥) العين: ٢١٠/٣.

(٤٦) مقاييس اللغة: ٤٢/٢.

(٤٧) تهذيب اللغة: ١٤/٥.

(٤٨) العين: ٢١٠/٣.

(٤٩) الصحاح: ١٣٤٢/٤.

إذا فأقوال اللغويين في الحرف كانت تجمع أن الحرف هو الناقّة، ولكن هذا الاتفاق لم يدم في وصف هذه الناقّة، فمنهم من قال إنها الناقّة الضامرة، ومنهم من قال إنها الصلبة، ومنهم من قال إنها المهزولة، وآخر قال إنها الضخمة. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الحرف لم يستقر أيضاً عند اللغويين.

٤ - عند النحاة

من المعروف أن النحاة الأوائل قبل سيبويه هم أبو الأسود الدؤلي في طبقته، وتلاميذه أمثال نصر بن عاصم وعنبسة الفيل ويحيى بن يعمر وطبقته، ثم تلامذتهم كابن أبي اسحق وطبقته، ثم تلامذتهم كالخليل ويونس وطبقتهما، وهؤلاء جميعاً، ومن الصعب الحصول على أقوالهم في (الحرف) لأن كتبهم لم تصل إلينا. إن كانت لهم كتب - إلا كتاب العين للخليل، وهو كتاب لغوي لا نحوي، أي أن عدم وصول كتبهم إلينا جعل من الصعب علينا أن نعرف مفهوم الحرف لديهم، ولذا استعنا بالروايات التي نقلت عنهم في هذه المسألة سواء كانت الرواية في صلب قضية الحرف ومسألة تقسيم الكلام، أو بورود مفردة الحرف في كلامهم، وفي الحقيقة أن الروايات في ذلك لم تكن إلا روايات قليلة، ولكنها قد تفي لهذا الموضع.

كانت أولى الروايات التي وردت فيها قضية الحرف ما نقل عن أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) في كلامه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ يقول ((دخلت على أمير المؤمنين علي - عليه السلام - فرأيت مطرقاً مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم هذا الحنا فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت له: إن فعلت أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم أتيت بعد أيام، فألقى إلي صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل))^(٥٠).

عند إتمام النظر في الرواية يتضح أن هناك تقسيماً منطقياً وتعريفاً منطقياً في وقت مبكر من حياة العرب الفكرية، وهذا لا يستبعد عن عقلية فذة كعقلية الإمام علي (عليه السلام)، ولكن فلننعم النظر ثانية في تعريف الحرف، نجد أن مفهوم الحرف في هذه الرواية إنما هو مفهوم متأخر، فالحرف عند سيبويه غير مستقر على حال - وهذا ما سنتكلم عنه تفصيلاً في البحث القادم - ولكنه في تقسيم الكلام يقول: ((... وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل))^(٥١) وهو عند المبرد في تقسيم الكلام ((حرف جاء لمعنى))^(٥٢)، أي أننا نجد أن الحرف لم يستقر مفهومه عند المبرد؛ ولكنه بدأ يستقر في القرن الرابع الهجري - وسنذكر ذلك في موضعه - فكيف أن الحرف لم يستقر إلا منذ القرن الرابع، وهو مستقر في رواية نقلت عن القرن الأول بل في نصفه الأول، لذا نرى من الحري بنا أن نقول إن هذه الرواية - على الظن الغالب - هي رواية ضعيفة، مع القول إن الإمام علي (عليه السلام) إن كان

(٥٠) أنباه الرواة: ٤/١ .

(٥١) الكتاب: ١٢/١ .

(٥٢) المقتضب: ٣/١ .

هو الذي أسس هذا العلم - وهذا هو الظاهر في أكثر الروايات - أو لا، فإن ذلك لا ينقص من فضله وزن جناح ذبابة.

وفي كتاب (أخبار النحويين البصريين ومراتبهم) لأبي سعيد السيرافي ترد رواية تخبرنا أن أبا الأسود لقي ابن صديق له فسأله عن أبيه ثم قال له: ((...فما فعلت امرأته التي كانت تزاره وتمازى وتشاره وتضاره؟ قال طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت وبطيت، قال أبو الأسود: فما معنى بطيت؟ قال حرف من اللغة لم تدر من أي بيض خرج ولا من أي عش درج...))^(٥٣) فمفردة الحرف التي وردت في كلام الرجل جاءت بمفهوم الكلمة المطلقة، ومع ذلك فأبو الأسود يتقبلها ويفهم ما يرمي إليه القائل، ويتضح من هذا أن أبا الأسود كان يعرف أن مفردة الحرف لا يقتصر مفهومها على الأدوات التي في النحو، وإنما كان مفهومها عاما شاملا لمطلق الكلمة، فما أطلق (الحرف) في هذه الرواية إلا على الفعل الذي هو (بطيت).

وهناك رواية أخرى تحملها لنا كتب الطبقات والكتب المؤرخة للنحو، ومفادها أن أبا الأسود لما أراد إعراب القرآن اختار رجلا من عبد القيس ليساعده على هذه المهمة، وقال له: ((خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله...))^(٥٤)، ومفهوم أن الحرف هنا إنما عني به حرف الهجاء.

وجاء في طبقات فحول الشعراء ((أخبرني يونس بن حبيب، قال الحجاج لابن يعمر: أسمعني ألحن؟ قال: الأمير أفصح الناس - قال يونس وكذلك كان - ولم يكن صاحب شعر - قال: تسمعني ألحن؟ قال: حرفا. قال: أين؟ قال: في القرآن. قال: ذلك أشنع له! فما هو؟ قال: تقول ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم... أحب إليكم من الله ورسوله)) قرأها بالرفع... والوجه أن يقرأ ((أحب إليكم)) بالنصب...))^(٥٥) فقد أتى ابن يعمر بمفردة الحرف في كلامه وعنى بها الموضع فكأنما قال له (في موضع واحد) أو (في مقولة واحدة).

وفي الكتاب نفسه (طبقات فحول الشعراء) نجد ما يأتي: ((...فكان سراة الناس يلحنون ووجوه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم))^(٥٦)، ويبدو هنا أن الحروف جاءت في هذا الموضع لتدل على الحركات، أي حركات الرفع والنصب والجر والجزم؛ إذ إن الحركات أبعاد الحروف، وكما أن الحروف قد حددت وأظهرت وميزت فإن الحركات حددت وأظهرت وميزت.

وروى أبو عبيدة عن يونس قوله: ((كان أبو عمرو يقول في واحد (الهدى): هدية، تقديرها جدية السرج، والجميع الجدي مخفف. قال أبو عمرو: ولا أعلم حرفا يشبهه))^(٥٧).

(٥٣) أخبار النحويين البصريين ومراتبهم: ١٥.

(٥٤) نزهة اللب: ٢٠.

(٥٥) طبقات فحول الشعراء: ١٣/١.

(٥٦) المصدر نفسه: ١٢/١.

(٥٧) مجاز القرآن: ٦٩/١.

والظاهر من كلام أبي عمرو أن الحرف هنا أراد به كلمة من اللغة، وكأنه قال: لا اعلم كلمة تشبه ما ذكرت.

وجاء في مقدمة كتاب العين للخليل: ((قال الخليل: اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة (...))^(٥٨) والمقصود بالحرف في كلام الخليل هذا وفي مواضع كثيرة من مقدمة العين هو الصوت، وسنذكر ذلك عند سيبويه أيضا فيما بعد.

وجاء في كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي أن الكسائي قد عاد عيسى بن عمر الثقفي في علمته، فقال له عيسى: ((أنت الكسائي؟ فقال له: نعم. فقال له كيف تقرأ هذا الحرف: (أرسله معنا) ماذا؟ فقال له (يرتع ويلعب) فقال له عيسى: لم لم تقرأها يرتعي ويلعب (...))^(٥٩) وهنا في كلام عيسى بن عمر - وهو أحد شيوخ سيبويه - جاء الحرف بمعنى الموضع أو الجملة أو الآية.

وفي النهاية نجد أن مفهوم (الحرف) لم يكن مستقرا أيضا عند النحاة قبل سيبويه، فهو مرة يراد به الفعل كما في رواية أبي الأسود مع الرجل، ومرة يراد به حرف الهجاء كما في رواية أبي الأسود في إعراب القرآن الكريم، وثالثة يراد بها الموضع أو الجملة أو المقولة كما في رواية ابن يعمر مع الحجاج ورواية عيسى بن عمر مع الكسائي، ورابعة يراد بها الكلمة المطلقة كما في رواية أبي عبيدة عن أبي عمرو، وخامسة يراد به الصوت كما في كتاب الخليل.

المبحث الثالث: مصطلح الحرف عند سيبويه

لقد كان كتاب سيبويه ولا يزال قبلة الدارس وملاذه في النحو العربي، فهو أول كتاب يصل إلينا في النحو، ومع ذلك فقد كان الغاية في هذا العلم، لم يأت كتاب بعده إلا كان دونه، وقد يستفهم عن ذلك الكثيرون، فيقولون: كيف كان كتابا كافيا وافيا شافيا وهو لا يزال الكتاب الأول فيه؟ والقول في ذلك أن كتاب سيبويه كان حصيلة علم الخليل والعلماء الذين سبقوه والذين عاصروه، فضلا عن آراء سيبويه، أي أن الكتاب الذي عرف بين الدارسين باسم سيبويه كان الصيغة النهائية لنظرية النحو العربي التي تدارستها طائفة كبيرة من العلماء الأوائل كان الخليل أبرزهم.

فإذا كان هذا الكتاب حصيلة جهود علماء متعددين ومنهم سيبويه، فإن هذا الكتاب لا يعد الكتاب الأول في موضوعه، وإنما يعد التدوين الأول الذي جمع كل هذه الجهود.

إن الدارس لهذا الكتاب والباحث المتخصص يجد أن سيبويه في كتابه هذا كان دقيقا كل الدقة في عباراته، لم يأت بشيء اعتباطا، فكمّل الكتاب منهجا ومصطلحا وتعبيرا ومادة، ومن هذه العبارات التي كان فيها سيبويه دقيقا دقة قد تصل إلى حد الإبهام وعدم الفهم، فجاء العلماء بعده فقصروا في هذه العبارة وبدلوا وغيروا، وفهموها فهما خطأ هذه العبارة هي: ((الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل))^(٦٠).

(٥٨) العين: ٥٧/١.

(٥٩) مجالس العلماء: ٣٩.

(٦٠) الكتاب: ١٢/١.

إن سيوييه حينما قال ((...وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)) قد يكون قصد بالحرف هنا الأداة التي نعرفها حتى يومنا هذا - وهي أنواع الحروف العاملة - ولكنه قصد الأداة حينما ذكر الجملة بكاملها، أي أنه جعل جملة (حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل) بمنزلة الكلمة الواحدة للدقة التي يتوخاها ولكنه قصد بالحرف جنس الكلمة العام، ثم استثنى من هذا الجنس العام الاسم والفعل بقوله ((... ليس باسم ولا فعل))، فقد يذكر سيوييه هذا المصطلح (أي الحرف) في كتابه ويريد به اسما لا أداة، وقد يريد به فعلا في مرة أخرى، وقد يريد به جملة أو أداة أو حرف هجاء أو اسم فعل في بعض الأحيان.

إن الجملة التي لحقت بكلمة (حرف) في عبارة سيوييه ما جيء بها إلا ليؤكد أن هناك نوعا ثالثا من الكلم هو ليس اسما ولا فعلا، بدليل أنه عندما فصل الكلام بعد ذلك قال:

((فأما الاسم ...

وأما الفعل ...

وأما ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل مثل ...))^(٦١).

ويقول بعد ذلك: ((...وللحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال، ولم تجيء إلا لمعنى))^(٦٢)، ويقول أيضا: ((والفتح في الحروف التي ليست إلا لمعنى وليست بأسماء ولا أفعال ...))^(٦٣)، فهو في النص الأول لا يذكر اسم الحرف، وفي الثاني والثالث يأتي بالجملة وكأنه يأتي بكلمة واحدة، لا يمكنه اختصارها لثلاث تفهم خطأ.

ولكن الذين جاءوا بعد سيوييه بدأوا يفهمون هذا المصطلح وهذه العبارة فهما خطأ، وحتى إن كانوا فهموا ما أراد سيوييه فإنهم بدأوا يقصرون من جملة سيوييه هذه فجاء المبرد وقال عن الحرف ((...وحرف جاء لمعنى))^(٦٤) وجاء غيره علماء تباينوا في هذه المسألة فمنهم من قال ((...وحرف جاء لمعنى في غيره))، ومنهم من قال إن الكلام اسم وفعل وحرف، وستعرض لذلك تفصيلا في المبحث القادم، كما أن النحاة العرب المتأخرين عند نظرهم في كتاب سيوييه، وجدوا أنه يقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ولم ينتبهوا إلى الجملة التي تبعت كلمة (الحرف) وفعلوا مثل ذلك في كتب النحو التي بعد سيوييه كالمقتضب، وظل اهتمامهم منصبا هل أن الحرف له معنى في نفسه أم في غيره. بل إن الدارسين العرب المحدثين قد فهموا ذلك فهما خطأ كما حدث للمتأخرين، ودليل ذلك أن محقق كتاب (المقتضب) للمبرد، حينما عرض إلى قضية تقسيم الكلام في كتاب المقتضب همش لها وقال: ((في كتاب سيوييه: الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى))^(٦٥)، أي انه ركز على الاسم والفعل والحرف، وأغفل الجملة - ولو أنه ذكر بعضها - ولكن عدم ذكره للجملة بتمامها يدل على عدم تفهم هذه العبارة وهذا المصطلح (الحرف) بوجه كاف، وكذا فعل محقق كتاب (الأصول في

(٦١) الكتاب: ١٢/١ .

(٦٢) المصدر نفسه: ١٥/١ .

(٦٣) المصدر نفسه: ١٧/١ .

(٦٤) المقتضب: ٣/١ .

(٦٥) المقتضب: ٣/١ تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة .

النحو) لابن السراج، حيث قال في الهامش ((في الكتاب ج ١ / ٢)) (فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى)^(٦٦)، وهذا يدل على الفهم الخطأ لهذه العبارة وهذا المصطلح.

لقد أراد سيويوه بالحرف الكلمة على وجه العموم من دون تحديد هل كانت هذه الكلمة اسماً أو فعلاً أو أداة أو اسم فعل أو قد تأتي بمعنى الجملة في بعض الأحيان وهو عندما يأتي في كتابه إنما يريد بها أحد تلك الأصناف، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١ - قال سيويوه: ((ومثل قولهم: من كان أخاك، قول العرب: ما جاءت حاجتك، كأنه قال: ما صارت حاجتك، ولكنه ادخل التأنيث على ما، حيث كانت الحاجة، كما قال بعض العرب: من كانت أمك حيث أوقع من على مؤنث، وإنما صير (جاء) بمنزلة (كان) في هذا الحرف وحده لأنه بمنزلة المثل))^(٦٧) حيث أراد بالحرف هنا الجملة.

٢ - قال سيويوه: ((فأما سميت وكنيت... فهذه الحروف كان أصلها في الاستعمال...))^(٦٨) فإنما أراد بالحرف هنا الفعل وهو الفعل (سمى) أو الفعل (كنى).

٣ - قال سيويوه: ((...فمن تلك الحروف: حسبك وكفيك وشرعك وأشباهها))^(٦٩) إذ أراد بالحرف هنا اسم الفعل.

وهناك مواقع أخرى كثيرة ليس هذا موضعها، وقد أفردت لمعاني مصطلح الحروف الذي ورد في ثانيا الكتاب موضعاً خاصاً بها وجعلتها ملحقة للبحث.

لا بل أننا عندما نقرأ باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها... في كتاب سيويوه نكاد لا نجد فرقاً بين مصطلحي (الحرف) و(الصوت) عند سيويوه في هذا الموضع فهو يذكر الحرف ويريد به الصوت في أكثر من مرة كقوله ((فاصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً))^(٧٠) فهذه العبارة قد يفهم منها أن الحرف هنا هو حرف الهجاء ولكنه عندما يقول ((وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع... وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي النون الخفيفة والهمزة التي بين بين...))^(٧١)، ثم يقول ((وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف...))^(٧٢) فهو بهذا كله يقصد الأصوات لا حروف الهجاء، وهذا ما كان قد جاء به الخليل في مقدمة كتاب (العين) فقد كان يذكر الحرف ويقصد به الصوت.

إن البون الذي حصل بين المصطلح ودلالته عند سيويوه، بل وتعدد هذه الدلالات لمصطلح واحد هو الذي دفع المتأخرين من العلماء إلى فهم هذا المصطلح فهماً خطأ، وكذا كان الحال بالنسبة للباحثين المحدثين.

(٦٦) الأصول في النحو: ٣٨/١ تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي .

(٦٧) الكتاب: ٥٠/١ - ٥١ .

(٦٨) المصدر نفسه: ٣٨/١ - ٣٩ .

(٦٩) المصدر نفسه: ١٠٠/٣ .

(٧٠) المصدر نفسه: ١٣١/٤ .

(٧١) الكتاب: ٤٣٢/٤ .

(٧٢) المصدر نفسه .

بل إنني أزعّم أن سيبويه ما ذكر مصطلح الحرف إلا وأراد به جنسا عاما، وإن كان قد ذكر في كتابه مصطلح (حرف الجر) أو (حرف الإضافة) أو (حرف الإعراب) أو (حرف المد) أو (حرف المد واللين) وما إلى ذلك، فانه عنى بالحرف جنسا عاما ثم خصص هذا الجنس بإضافته إلى اسم آخر، فهو عند قوله (حرف جر) إنما أراد بها الكلمة التي تجر الاسم بدليل أنه لم يستقر على هذا المصطلح، فمرة يقول (حرف جر) ومرة أخرى يقول (حرف إضافة).

المبحث الرابع: مصطلح الحرف بعد سيبويه

١ - عند النحاة

أما عند تجاوزنا لسيبويه وكتابه، نجد أن المصطلح ما زال باقيا على المفهوم الذي كان عليه، سواء كان هذا المصطلح عند البصريين أو عند الكوفيين، فها هو الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) يأتي بالمصطلح في عدة مواضع من كتابه (معاني القرآن) كقوله: ((...إلا انه يجوز في (هيئات) أن تكون جماعة، فتكون التاء التي فيها تاء الجميع التي لتأنيث، ويجوز ذلك في (اللات)؛ لان (اللات) و(كيت) لا يكون مثلهما جماعة؛ لان التاء لا تزداد في الجماعة إلا مع الألف، فان جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد))^(٧٣)، وكقوله ((...ومن العرب من لا يصرف المؤنث إذا كان وسطه ساكنا نحو: هند وجمل ودعد. قال الشاعر:

وإنني لأهوى بيت هند وأهلها على هنوات قد ذكرن على هند

وهو يجوز في هذه اللغة أو يكون سماها بالحرف والحرف مذكر...))^(٧٤)، وكقوله: ((وقد قرئ (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم) جزم ... وقال ((وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم) جزم ورفع على ما فسر. وقد يجوز في هذا وفي الحرف الذي قبله نصب...))^(٧٥)، وكقوله ((وهذا الحرف قد قرئ نصباً ورفعاً: ((وأما ثمود فهديناهم))^(٧٦)، وكقوله: ((وقد قرئ هذا الحرف ((إنكم لذائقو العذاب الأليم...))^(٧٧) وكذا في مواضع أخرى من هذا الكتاب^(٧٨). فهو في هذه المواضع لم يقصد الحرف بما نفهمه نحن في هذا العصر (أي الأداة)، وإنما قصد به اسما أو فعلا أو جملة أو غير ذلك، فهو في المثال الأول قصد به الكلمة جنسا عاما، وفي الثانية أراد به الفعل، وفي الثالثة أراد بالحرف الآية أو الموضع من الآية كذا الحال بالنسبة للمثال الرابع والخامس.

أما عند أبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وهو تلميذ الأخفش لكنه إمام من أئمة النحو الكوفي - فالمصطلح عنده كما كان عند سيبويه، ويظهر ذلك في مواضع كثيرة في كتابه (معاني القرآن) وهاك بعض الأمثلة:

(٧٣) معاني القرآن للأخفش: ١٢/١ .

(٧٤) المصدر نفسه: ٢٠/١ .

(٧٥) المصدر نفسه: ٦٣/١ .

(٧٦) المصدر نفسه: ٧٧/١ .

(٧٧) المصدر نفسه: ٨٧/١ .

(٧٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧/١، ١٤٤، ١٥١، ١٦٣، ١٧٨، ٢٣٧ .

- ١ - قوله : ((وقوله (ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) رفعه حمزة والكسائي، وجعلا الحق هو الله تبارك وتعالى، لأنها في حرف عبد الله (ذلك عيسى بن مريم قال الله ...) ^(٧٩) فهو هنا يذكر الحرف ويريد به القراءة. وهو يريد ذلك في مواضع أخرى ^(٨٠) .
- ٢ - قوله ((ولو قال: بمن مررت؟ لم تقل: زيد؛ لان الخافض مع ما خفض بمنزلة الحرف الواحد)) ^(٨١)، وأراد بالحرف هنا الكلمة كونها جنسا عاما.
- ٣ - قوله ((...وأشياء في موضع خفض لا تجرى. وقد قال فيها بعض النحويين: إنما كثرت في الكلام وهي (أفعال) فأشبهت (فعلاء) فلم تصرف، كما لم تصرف حمراء، وجمعها أشاوى - كما جمعوا عذارى عذارى، وصحراء صحارى - وأشياوات - كما قيل حمراوات ولو كانت على التوهم لكان أملك الوجهين بها أن تجرى؛ لان الحرف إذا كثر به الكلام خف...)) ^(٨٢) وإنما أراد بالحرف هنا الكلمة أيضا.
- ٤ - قوله ((قلت: قبله ضمير يرفعه بمنزلة قوله تعالى: (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المعنى والله أعلم: هذه براءة من الله. وكذلك (سورة أنزلناها) وكذلك كل حرف مرفوع مع القول...)) ^(٨٣) لقد أراد بالحرف هنا جنس الكلمة، كما أن الضمير هنا مقصود به المبتدأ.
- ٥ - قوله ((وقوله (والمحصنات من النساء...) المحصنات: العفاف... وقد روى علقمة: (المحصنات) بالكسر في القرآن كله إلا قوله (والمحصنات من النساء...) هذا الحرف الواحد؛ لأنها ذات الزوج من سبايا المشركين)) ^(٨٤)، وهنا قصد بالحرف الموضع.
- ٦ - قوله ((...)) (وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) فأخذ بذلك الكسائي فأجراها في النصب. ولم يجرها في الخفض ولا في الرفع إلا في حرف واحد، قوله: (أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لثَمُودَ...) ^(٨٥)، وإنما قصد بالحرف هنا الموضع أو الآية أيضا.
- ٧ - قوله ((ويجوز في ليس خاصة أن تقول: ليس أحد إلا وهو هكذا؛ لان الكلام قد يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة...)) ^(٨٦) وإنما أراد بالمصطلح هنا الاسم.
- وهناك مواضع كثيرة أخرى وردت في معاني القرآن للفراء ذكر فيها الحرف وأريد به غيره ^(٨٧).
- هذا في ورود مصطلح الحرف عند الفراء، ولكننا عند نظرنا إلى تقسيم الكلام عند الكوفيين - ومن أئمتهم الفراء - سنرى أنهم كانوا يقسمون الكلام إلى اسم وفعل وأداة، أي أنهم لم يعرفوا الحرف قسما من أقسام الكلام بل عرفوه جنسا عاما للكلمة.

(٧٩) معاني القرآن للفراء: ١٥٥/١.

(٨٠) المصدر نفسه: ١٢/١، ٣١٨.

(٨١) المصدر نفسه: ١٩٦/١.

(٨٢) المصدر نفسه: ٣٢١/١.

(٨٣) المصدر نفسه: ٣٦٩/١.

(٨٤) معاني القرآن للفراء: ٢٦٠/١.

(٨٥) المصدر نفسه: ٢٠/٢.

(٨٦) المصدر نفسه: ٨٣/٢.

(٨٧) المصدر نفسه: ٢١٧/٢، ٢٢٢، ٣٥٠.

فلتنظر إلى المصطلح عند الأخفش والفراء فيما سبق، الم يكن قد جاء على وفق ما جاء في كتاب سيبويه وهما معاصران له فالأول تلميذه، والآخر رآه وعاصره وناظره، ولكن فلنر كيف كان المصطلح بعد الأخفش والفراء.

جاء عن المازني أنه سئل عن بيت شعر:

أظلم أن مصابكم رجلاً أهدى السلام إليكم ظلم

ف قيل له: أين خبر (إن)؟ فقال: ((ظلم: الحرف الذي في آخر البيت))^(٨٨) ومن المعروف أن (ظلم) اسم، ولذا فقد ذكر المازني الحرف وأراد الاسم.

أما المبرد فقد كان المصطلح عنده كما كان قبله، ولكننا نلاحظ تغيراً بسيطاً عند المبرد في قضية تقسيم الكلام، وإذا أردنا الدقة فإنه لم يغير في أقسام الكلام نفسها ولكنه قصر أو اختصر الجملة التي قالها سيبويه ليبين بها مفهوم الحرف فقال المبرد: ((فالكلام كله: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى))^(٨٩) قد يكون هذا التغير بسيطاً، ولكنه قد يؤدي إلى شيء من عدم الفهم.

وجاء في المقتضب أيضاً: ((وتقول: هذا ابوه، فاعلم (فألقي موسى عصاه) ... وإن شئت ألحقت الياء والواو على الأصل؛ لأن الهاء حرف متحرك في الحقيقة، وذلك قولك على قول العامة: عليهي مال، وعلى قول أهل الحجاز: عليهو مال ...))^(٩٠)، فالهاء التي قال عنها أنها حرف إنما هي ضمير، والضمائر من الأسماء، ومع ذلك قال إنها حرف.

وجاء أيضاً: ((فأما ما كان من هذه الحروف التي جاءت لمعان، فهي منفصلة بأنفسها مما بعدها وقبلها ...))^(٩١) والمبرد هنا وصف الحروف بأنها (جاءت لمعان) كما قال في تقسيم الكلام حيث وصف الحرف بأنه (جاء لمعنى) وكأنه يجعل عبارة (حرف جاء لمعنى) ككلمة واحدة لا يمكن الاستغناء عن بعضها لثلاث تفهم خطأ، وقد كرر ذلك عدة مرات^(٩٢)، وهو بذلك يذكرنا بسيبويه حينما جعل عبارة (حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل) جعلها كالكلمة الواحدة.

وجاء أيضاً: ((ومن الحروف ما يستجمع فيه معان: فمن ذلك (من) لها أربعة مواضع ...))^(٩٣) ومن المعروف أن (من) هي اسم دائماً، فأما أن تكون اسم استفهام، أو أن تكون اسم شرط، ومع ذلك قال عنها حرفاً.

وجاء أيضاً: ((... وما تصرف منه إذا كان قبلها حرف من حروف الإطباق.

وحروف الإطباق الصاد والضاد والطاء والظاء. وذلك قولك مصطبر ومضطهد ومظلم وهو مفتعل من الظلم ... وما تصرف منه إذا كان قبلها حرف مجهور من مخرجها ...))^(٩٤) والمبرد هنا

(٨٨) طبقات النحويين واللغويين: ٩٢.

(٨٩) المقتضب: ٣/١.

(٩٠) المصدر نفسه: ٣٧/١.

(٩١) المصدر نفسه: ٣٩/١.

(٩٢) المصدر نفسه: ٤٢/١.

(٩٣) المصدر نفسه: ٤٧/١.

(٩٤) المصدر نفسه: ٦٤/١ - ٦٥.

يقصد بالحرف الصوت، فالصوت هو الذي يوصف بالجهر أو الهمس وهو الذي ينعت بالإطباق أو عدمه، وليس سواه.

وجاء أيضاً: ((واعلم أن حروف الاستفهام مختلفة المعاني مستوية في المسألة ...))^(٩٦) ومن المعروف أن أدوات الاستفهام ليس فيها من الحروف إلا حرفين الهمزة وهل، فالمبرد ذكر الحروف وأراد الأسماء.

١ - قوله ((والعرب تشبه الحرف بالحرف وان خرجوا عن بابه))^(٩٧) والمراد هنا أن العرب تشبه الشيء بالشيء.

٣- قوله: ولو خفّض فقال: (قال فالحق والحق) لجاز بجعله قسما ... ولا يجوز النصب إلا في حرفين:

والحرف الآخر: قضاء الله قد شفع القبور))^(٩٩) وهنا يذكر ثعلب الحرف ويأتي بالبيت الشعري، أي أنه يذكر الحرف ويريد الموضع أو المقولة.

٥ - قوله: ((فتحت مستقبلات وضع يضع، ووهب يهب. وأشباههما؛ لأنها من حروف الخلق))^(١٠١)، والمقصود بالحرف الصوت.

(٩٥) المقتضب: ١/٦٤-٦٥.

(٩٧) المجالس : ٢٤٩/١ .

(٩٩) المصدر نفسه: ٣٢٣/١.

(١٠١) المجالس : ٣٦٠/٢ .

والمقدار...))^(١٠٢)، وفي هذا الموضع يذكر الحرف ويأتي بالجملة أي أن للحرف دلالة الجملة في هذا الموضع.

٧ - قوله في باب حروف منفردة، تقول: أخذت لذلك الأمر أهبتة. وأبعد الله ذلك الآخر قصيدة الألف. والشيء منتن...))^(١٠٣)، فتعلب هنا يضع عنوانا يقول فيه (حروف منفردة) ويذكر فيه جملا، فالحرف هنا معناه الجملة.

أما ما جاء عن أبي بكر ابن السراج في المصطلح، فكالآتي:

١ - عند تقسيمه للكلام يقول: ((يأتلف من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف))^(١٠٤)، من كلام ابن السراج هذا، ومع تدرجنا وكتب النحاة نجد أن ابن السراج كان أول من أسقط الجملة التي وضعها سيويه لتبين قسم الحرف عن غير قصد منه.

٢ - قوله في باب نعم وبئس: ((نعم وبئس فعلا كان أصلهما نعم وبئس، فكسرت الفاء منهما من أجل حرفي الخلق وهما العين في (نعم)، والهمزة في (بئس)... ولذكر حروف الخلق إذا كن عينات مكسورات...))^(١٠٥)، والمقصود بالحرف في هذين الموضعين هو الصوت.

٣ - وقوله أيضا: ((فتقول: علم الرجل زيد، وضربت اليد يده... وقد حكى عن الكسائي أنه يقول في هذا: قضا الرجل، ودعو الرجل. وهو عندي قياس، وذكروا أنه شذ مع هذا الباب ثلاثة أحرف سمعت وهي: سمع وعلم وجهل))^(١٠٦). ومن الواضح أن ابن السراج هنا ذكر الحرف وأراد الفعل.

٤ - قوله: ((... ما جاء مع أحرف الجر نحو: عليك زيدا... وذكر سيويه أن أبا الخطاب حدثه أنه سمع من يقال له: (إليك) فيقول: (إلي) في هذا الحرف وحده...))^(١٠٧)، وهنا ذكر الحرف وقصد اسم الفعل.

وإذا أمعنا النظر في كتب الزجاج (ت ٣١١هـ) لوجدنا المصطلح مستخدما بالمعنى نفسه، وهاك بعض الأمثلة:

١ - قوله: ((ومما جاء فيه الاشمام عن أبي عمرو في سورة البقرة ينقسم إلى قسمين مضموم ومرفوع: فالحروف المضمومة ثمانية: قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك)، (حيث شئتما)، (حيث شئتم)، (ونحن له مسلمون)، (ونحن له عابدون)...))^(١٠٨)، وقد ذكر الزجاج في هذا النص الحرف ثم ذكر آيات من القرآن الكريم، أي أنه ذكر الحرف وأراد الموضع أو الآية.

٢ - قوله: ((... والحروف المرفوعة خمسة: قوله تعالى: (واسماعيل ربنا...))، و(شهر رمضان)...))^(١٠٩).

(١٠٢) المصدر نفسه: ٥٩٠/٢.

(١٠٣) التلويح في شرح الفصح: ٩٠.

(١٠٤) الأصول في النحو: ٣٨/١.

(١٠٥) المصدر نفسه: ١٣٠/١.

(١٠٦) المصدر نفسه: ١٣٦/١.

(١٠٧) الأصول في النحو: ١٦٨/١.

(١٠٨) إعراب القرآن: ٢٢٠/١.

(١٠٩) المصدر نفسه.

وفي هذا النص نجد أنه يريد بالحرف الموضع أو الآية أيضا، كما في النص السابق. وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع^(١١٠).

ولنر هل أن مفهوم الحرف الذي نحن بصدد ما زال باقيا حتى عند تلامذة الزجاج وابن السراج وطبقتهم أم لا.

في الحقيقة وإذا ما تصفحنا كتب هذه الطبقة من النحاة مثل الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني، فسنجد أن مفهوم الحرف ما زال تأثيره مستمرا، فها هو أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) يذكر في كتابه (حروف المعاني) ما نصه: ((...فإنك سألتني أن أضع كتابا أشرح فيه جميع معاني الحروف وعلى كم وجه يتصرف الحرف منها...))^(١١١)، فقد صرح الزجاجي أنها حروف، وعند تصفحنا لهذا الكتاب نجد أنه أدرج ضمن هذه الحروف أسماء وأفعال ومن بين الأسماء التي وردت أسماء الاستفهام مثل أيان ومن ومتى وكم وكأين وأنى، ومن بين الأفعال الواردة كان وأخواتها ونعم وبئس وحبذا وكاد، كما أنه ذكر ضمن الحروف أسماء أفعال مثل رويدا وصه ومه ولبيك وسعديك وحيه وهلم وهات.

ومع ذلك فقد كان الزجاجي يتحدث عن الأفعال كونها أفعالا، وعن الأسماء كونها أسماء، وعن أسماء الأفعال كونها كذا، ولكنه سماها جميعا بالحروف وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن الزجاجي استخدم مصطلح الحرف في كتابه هذا كما استعمله سيبويه في كتابه.

أما ابن جني فقد كان المصطلح يدور في كتبه بالمعنى الذي ذكرنا، وكان من أهم كتبه (كتاب الخصائص) الذي ورد فيه مفهوم الحرف مرات عديدة، وهذا يثبت أن المصطلح بمفهومه الذي ذكرنا ما زال مستعملا حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ومن النصوص التي ورد فيها المصطلح بهذا المفهوم:

١ - قوله: ((...ومنه أن عدلوا فعلا عن فاعل في أحرف محفوظة وهي ثعل وزحل وغدر وعمر وزفر وجشم وقثم...))^(١١٢)، وهو في هذه العبارة يقصد بالحرف الكلمة جنسا عاما.

٢ - قوله: ((...ولم يحفل بالحرف الشاذ من هذا، وهو قولهم (يئس) مثل يعس، لقلته))^(١١٣)، وهنا أيضا يريد بالحرف الكلمة.

٣ - قوله: ((...فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص، وطس وظث وئظ وضش وشض... وكذلك حروف الحلق: هي من الائتلاف ابعده، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني حروف الفم...))^(١١٤) فهو يأتي بالحرف هنا ويريد به الصوت.

٤ - قوله ((ودع هذا كله، ألم تسمع إلى ما جاءوا به من الأسماء المستفهم بها، والأسماء المشروط بها كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول، فمن ذلك قولك: كم مالك... وكذلك: أين بيتك...))^(١١٥) وهنا ذكر الحرف وأراد به اسم الاستفهام.

(١١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢١/١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

(١١١) حروف المعاني: ١.

(١١٢) الخصائص: ٥٢/١.

(١١٣) المصدر نفسه: ١١/١.

(١١٤) المصدر نفسه: ٥٤/١.

- ٥ - قوله: ((قال أبو الحسن: فان قلت: إنما جاء هذا في حرف واحد - يعني شنوءة - وتفسيره أن الذي جاء في فعولة هو هذا الحرف...))^(١١٦) وهذا قول أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش إذ قصد بالحرف الكلمة.
- ٦ - قوله: ((...ألا ترى أن الواو لا توجد منفردة في ذوات الأربعة إلا في ذلك الحرف وحده وهو (ورنتل)...))^(١١٧) والمقصود بالحرف هنا هو الكلمة.
- ٧ - قوله: ((قيل: قد زادوا الهمزة وسطا في أحرف صالحة، شمأل وشأمل وجرائظ وحطائظ...))^(١١٨) وكذا قصد بالحرف الكلمة في هذا الموضع.
- ٨ - قوله: ((...وما أظن الشجري إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح...))^(١١٩)، والمعنى بالحرف هنا هو الصوت وليس حرف الهجاء.
- قسم ابن جني الكلام إلى اسم وفعل وحرف^(١٢٠)، فاكتفى بكلمة (حرف) ولم يتبعها بشيء. وهنا بدأ المصطلح بمفهومه النحوي بالثبات بعد أن كان ابن السراج قد قسم الكلام أيضا إلى اسم وفعل وحرف.
- وقد ورد هذا المفهوم لمصطلح (الحرف) عند ابن خالويه المتوفى (٣٧٠هـ)، فقد جاء في كتاب (ليس في كلام العرب) قوله: ((ليس في كلام العرب المصدر للمرة إلا على فعلة، نحو: سجدت سجدة واحدة، وقمت قومة واحدة إلا حرفين: حججت حجة واحدة بالكسر، ورأيت روية واحدة بالضم وسائر الكلام بالفتح))^(١٢١)، فالحرف هنا أطلق على الفعل كما هو ظاهر. وقوله: ((ليس في كلام العرب فعل يفعل، مما ليس فيه حرف الحلق عينا أو لاما إلا عشرة أحرف: أبى يأبى، وقلى يقلى، وجبى يجبى ... ولم يحك سيبويه إلا حرفا واحد وهو: أبى يأبى...))^(١٢٢) وهنا أراد بالحرف الفعل أيضا.
- ومن خلال هذا التطرق لأكثر من نحوي والتصفح لأكثر من سفر نحوي وجدنا أن المصطلح ومفهومه كان منتشرًا لا في كتاب سيبويه حسب، وإنما ظل يتسع على رقعة واسعة بعده فظل تأثيره مستمرا، حتى لنجد ذلك التأثير في كتب المتأخرين كابن عصفور وابن هشام وحتى عند السيوطي.
- فعندما نقرأ في كتب ابن عصفور نجد عبارات كقوله ((...لا تقول: ((تراك زيد))، فان اتصلت به كاف مخاطبة نحو قولهم: (رويدك زيدا)، كانت حرف خطاب بمنزلتها في (ذلك))^(١٢٣)، والحرف

(١١٥) المصدر نفسه: ٨٢/١.

(١١٦) الخصائص: ١١٦/١.

(١١٧) المصدر نفسه: ١٤٠/١.

(١١٨) المصدر نفسه: ١٤٢/١.

(١١٩) المصدر نفسه: ٩/٢.

(١٢٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤١/١.

(١٢١) ليس في كلام العرب: ٣١.

(١٢٢) المصدر نفسه: ٢٨ - ٢٩.

(١٢٣) المقرب: ١٤٧.

هنا يراد منه الضمير، وكقول ابن هشام في كتابه (أوضح المسالك): ((المختار أن الضمير نفس (أيا) وإن اللواحق لها حروف تكلم وخطاب وغيبة))^(١٢٤)، ويبدو أن المراد من الحرف هنا هو العلامة. ومن هذا كله يتضح أن مصطلح الحرف بعد سيبويه كان له مفهوم معين هو جنس الكلمة، وهذا المفهوم ينطبق مع المفهوم الذي جاء به في الكتاب، وظل هنا مستمرا إلى قرون بعد سيبويه. أما المصطلح بوصفه قسما من أقسام الكلام الثلاثة فقد تطور عبر مراحل إلى أن بدأ بالثبات في القرن الرابع الهجري، فقد ذكرنا أن سيبويه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وجاء بعده المبرد فقسم الكلام أيضا إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وجاء ابن السراج فقسمه أيضا إلى اسم وفعل وحرف، وكذا الفارسي قسمه إلى اسم وفعل وحرف^(١٢٥)، وكذا ابن جني قسمه إلى اسم وفعل وحرف وكذا الجرجاني فقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف^(١٢٦)، وكذا فعل الزمخشري فقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف^(١٢٧)، وكذا ابن عصفور^(١٢٨) (ت ٦٦٩هـ)، وابن مالك^(١٢٩) (ت ٦٧٢هـ)، وابن هشام^(١٣٠) (ت ٧٦١هـ) وابن عقيل^(١٣١) (ت ٧٦٩هـ). وإذا فهذا المصطلح النحوي بدأ من غير مواضعة أو اصطلاح وقد حاول سيبويه أن يحدد هذا الصنف من الكلام فتطورت عبارته التي وضعها حتى أصبح مصطلحا يعرف به هذا الصنف. وهناك نصوص تثبت أن استخدام المصطلح كان يتصل بمفهومين هما المعنى الذي استقر عليه وهو الأداة، والاستعمال المجازي، وأول هذه النصوص لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) إذ يقول عن الأفعال الناقصة: ((لم يذهب أحد إلى أنها حروف، ومن عبر عنها بذلك فهو متجاوز كالزجاجي))^(١٣٢)، إذ إن بعض النحاة قبل العكبري سمى هذه الأفعال حروفا، فما كان من أبي البقاء إلا أن يعلل هذه التسمية، وأما إشارته إلى تجوز الزجاجي فهو ما ذكرناه في موضع متقدم في تطرقنا لكتاب الزجاجي (حروف المعاني)^(١٣٣).

وقال ابن عصفور الأشبيلي في شرحه الكبير لجمال الزجاجي في باب (الحروف التي ترفع ما بعدها بالابتداء والخبر وتسمى حروف الرفع): ((...فإن قيل: فقد ذكر في هذا الباب حروفا وغير حروف، والترجمة تقتضي أن كل ما يقع في الباب إنما هو من جنس الحروف. فالجواب عن هذا أحد شيئين: أما أن يكون أخذ الحرف بمعنى الكلمة فيقع إذ ذاك على الاسم والفعل والحرف. وأما أن يكون جعل أين وكيف ومتى حروفا مجازا لتضمنها معنى الحرف، وكذلك

(١٢٤) أوضح المسالك: ٦٤/١.

(١٢٥) ينظر: المقتصد: ٦٨/١.

(١٢٦) ينظر: المصدر نفسه.

(١٢٧) ينظر: شرح المفصل: ١٨/١.

(١٢٨) ينظر: المقرب: ٤٥.

(١٢٩) ينظر: الفية ابن مالك: ٩/.

(١٣٠) ينظر: أوضح المسالك: ١١/١، وقطر الندى: ١٢.

(١٣١) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٥/١.

(١٣٢) الغرة المخفية: ٤٢٠/٢.

(١٣٣) ينظر: هذا البحث: ٢٧.

بينما وينا أطلق عليها لفظ الحرف لشبهها به فيما ذكرناه من وقوع المبتدأ والخبر بعد ولزوم الصرية^(١٣٤). وقال أيضا في باب آخر هو باب الجزاء: ((قوله: وحروف الجزاء كذا... إلى آخره. سمي أدوات الجزاء حروفا ومنها ما هو اسم ومنها ما هو حرف؛ لأحد أمرين: إما لأنها قد تضمنت معنى الحروف، وإما أن يكون قد أخذ الحرف لغة، والحرف لغة يقع على الاسم والفعل والحرف))^(١٣٥).

عند اللغويين

وكان استعمال اللغويين كما كان عند النحاة فكان أنفسهم هم لغويون كذلك، فمن المعلوم أن العلوم عند العرب كانت تختلط في حلقات الدرس، ولكن هناك بعض العلماء اشتهروا باللغة، وعرفوا بها أكثر من النحو وما سواه من العلوم كالأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي بكر ابن الأنباري وغيرهم، وسنعرض لبعض الكتب اللغوية أو لأقوال بعض اللغويين التي يرد فيها المصطلح. لئر كيفية استخدامه وما هي دلالة عندهم، فقد ورد في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة: ((يخادعون في معنى يخدعون، ومعناها: يظهرون غير ما في أنفسهم ولا يكاد يجيء (يفاعل) إلا في حروف هذا أحدها، قوله (قاتلهم الله...) ^(١٣٦) فالحروف هنا المواضع، وروي أن أبا اسحق إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي ككان يقرئ المأمون القرآن بدل أخيه محمد بن أبي محمد اليزيدي، فقال مرة للمأمون: ((يا أمير المؤمنين (إنما أنا رسول ربك ليهب لك) فقال يجي: لا أحب أن تقرأ بهذا الحرف. قال: فلم؟ قال: لانه مخالف لما في المصحف. فقال اخي للمأمون: ما ليحيى ولهذا، هذا حرف قد قرا به جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين))^(١٣٧) والملاحظ أن الحرف في كلام أبي عبيدة وفي رواية ابن أبي اليزيدي جاء بمعنى الموضع أو الجملة كما كان ذلك عند النحاة. ويحتمل أيضا أن يكون المراد بالحرف في الرواية هي القراءة ولو نظرنا في كتب أبي بكر الأنباري كونه أحد كبار اللغويين في عصره نجد أن المصطلح يرد في كتبه كثيرا، ففي كتابه (الأضداد) ترد نصوص تتضمن المصطلح كقوله: ((وقال بعض أهل اللغة: رجوت حرف من الأضداد يكون بمعنى الشك والطمع، ويكون بمعنى اليقين))^(١٣٨)، فالحرف هنا جاء بمعنى الكلمة، وكقوله: ((وقال سهل السجستاني: معنى قوله: (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يخاف لقاء ربه. وهذا عندنا غلط لان العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع حروف الجحد))^(١٣٩)، أي مع أفعال الجحد. وكقوله: ((وعسحس حرف من الأضداد))^(١٤٠) أي كلمة من الأضداد.

(١٣٤) ٤٠٣/٢.

(١٣٥) شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير: ١٩٥/٢.

(١٣٦) مجاز القرآن: ٣١/١.

(١٣٧) طبقات النحويين واللغويين: ٧٦.

(١٣٨) الأضداد: ١٦.

(١٣٩) المصدر نفسه: ١٧.

(١٤٠) الأضداد: ٣٢.

إن ابا بكر ابن الانباري في كتابه هذا إنما يذكر ثلاثمائة وسبعة وخمسين من الأضداد ويذكر مع مئة وسبعة وخمسين منها كلمة (الحرف) فمرة يقول: حرف من الأضداد، وأخرى يقول: ومن حروف الأضداد أيضا... وثالثة يقول: ومن الحروف أيضا، علما أن الأضداد التي ذكرها كان منها ما هو اسم وما هو فعل أو أداة أو حتى جملة.

وجاء في كتابه (الزاهر) عن مادة استكان: ((... فكان اصل الحرف على هذا الجواب: استكن الرجل...))^(١٤١) والحرف هنا بمعنى القول أو الجملة.

وجاء أيضا: ((... ويقال أيضا: اصل وصلل، فأبدلوا من اللام الثانية صادًا، وإنما يفعلون هذا فيما كان فيه حرف مشدد، ولم يسمع هذا التكرير فيما ليس فيه حرف مشدد إلا في حرف واحد يقال في مثل للعرب: تعظي ثم عطي... هذا حرف شاذ لا يقاس عليه))^(١٤٢) فالحرف الأول يراد به القول أو الجملة، والحرف الثاني يراد به الكلمة، وكذا قد ورد المصطلح في مواضع أخرى^(١٤٣).

ومما يدل على تأخر تأثير المصطلح على اللغويين وروده في بعض كتب ابن سيده الأندلسي المتوفي ٤٦٠هـ، إذ جاء في كتابه (المخصص): ((اللحج - غار العين الذي تنبت عليه حروف الحاجب...))^(١٤٤) فكلمة (الحروف) هنا جاءت بمعنى الطرف، وهو المعنى الأصلي للمفردة.

وقد ذكر بعض اللغويين أمرا لطيفا في معنى الحرف فقال ((والحرف يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة، والكلمة المختلف في قراءتها، وعلى مطلق الكلمة...))^(١٤٥)، ومعاني الحرف هذه هي التي وردت في كتاب سيبويه.

الحرف عند المناطق

وما كنا لتتطرق للمصطلح عند أهل المنطق إلا لأننا نعلم كم كان تأثير النحاة بهذا العلم سواء في ذلك المذهب الكوفي والمذهب البصري، وقد يعترض معترض بالقول: إن المنطق لم يؤثر إلا في المذهب البصري، إذ كانت الكتب البصرية تتميز بالروح المنطقية، وكذا كان رأس المدرسة البصرية في عصره المبرد كان يدير حلقات درسه ومناظراته بالمنطق، حتى مال إليه جل تلامذته ثعلب نتيجة هذه الميزة، فنجيب: نعم، كان المذهب البصري كذلك، ولكن المذهب الكوفي مزج بين منهجه ومادته وبين الأسلوب الفلسفي والمنطقي لاسيما عند الفراء. ولذا تأثر المذهبان بالمنطق، وإن اختلف نوع هذا التأثير أو تباين مظهره عند المدرستين، فقد تأثرت المدرسة البصرية بروح المنطق، فسأقت دراستها من خلال هذا العلم، أما المدرسة الكوفية فقد تأثرت بأسلوب المنطق الكلامي، ولاسيما عند أبي زكريا الفراء.

من خلال ما تقدم يتضح لنا كيف أن المنطق كانت له الصلة الكبيرة بعلم النحو، ولذا كان من الضرورة أن نرى - من خلال دراستنا - ما هو مفهوم الحرف عند أهل المنطق.

(١٤١) الزاهر: ٣١٠/٢.

(١٤٢) المصدر نفسه: ٢٨٨/١.

(١٤٣) المصدر نفسه: ٥٤٦/١، ٥٤٨، ٤٣١.

(١٤٤) المخصص: مج ١/ج ٩٢.

(١٤٥) تحفة الأحوذى: ٢٢٦/٨.

لم يكن للمصطلح مكان عند المناطقة مثل وجوده عند النحاة، وإنما كانوا يتعاملون بمصطلح آخر هو (الأداة) فهم يقسمون الكلام إلى اسم وفعل وأداة وقول^(١٤٦). فالأداة عندهم هي ((اللفظة التي لا تدل وحدها على معنى يتمثل بل على نسبة وإضافة بين المعنى لا تحصل إلا مقرونة بما أضيفت إليه مثل (في) و(لا)...)).^(١٤٧) أي أن مصطلح (الأداة) لديهم يقابل مصطلح (الحرف) عند النحاة البصريين فعلاً؛ ولكننا عند بحثنا عن مصطلح الكوفيين الذي يقابله نجد أن الكوفيين استخدموا المصطلح نفسه وهو (الأداة) وقد وجد ذلك في أكثر من كتاب نحوي كوفي.

الختامة ونتائج البحث

لقد تحصل عن هذه الدراسة نتائج عامة، وأخرى خاصة، وهاك النتائج التي توصل لها البحث أو الدراسة:

النتائج العامة:

- ١ - تبين من خلال البحث أن مفهوم الحرف لم يكن مستقراً على حال قبل سيبويه لا عند المفسرين ولا عند المحدثين ولا اللغويين ولا النحاة.
- ٢ - عرفنا من خلال البحث مدى تأثير الاختلاط في العلوم في ثبوت مصطلح أو عدم ثبوته.

النتائج الخاصة:

- ١ - النتيجة الأولى المتحصلة هي أن سيبويه في كتابه كان يقصد بمصطلح (الحرف) مدلولات متعددة انطلقت من أن المصطلح كانت دلالاته الأصلية جنس الكلمة العام، وقد أثبتنا ذلك عند اللغويين والنحاة قبل سيبويه وبعده.
- ٢ - هناك مفهومان للحرف: (المفهوم اللغوي) وهو الذي كان سائداً قبل سيبويه وبعده حتى نجد بعض آثاره عند المتأخرين، و(المفهوم النحوي) وهو مستقى من المفهوم اللغوي وقد استقاه سيبويه، ولم يكن موجوداً قبله، وهذا هو الذي تطور مفهومه حتى وصل عند المتأخرين إلى إطلاقه على الأداة فقط.
- ٣ - إن النحاة البصريين استمر عندهم المفهومان اللغوي والنحوي في كتبهم، وذلك مفصل في ثنايا البحث.
- أما الكوفيون فقد كان سائداً عندهم المفهوم اللغوي أما المفهوم النحوي فقد أوجدوا مصطلحاً آخر غير الحرف هو (الأداة).
- ٤ - إن ابن السراج كان مرحلة بدأ بها المصطلح بمفهومه النحوي بالثبوت.

(١٤٦) ينظر: منطق المشرقيين: ٥٧.

(١٤٧) المصدر نفسه.

الجديد في البحث :

- ١ - تبين لدينا من خلال البحث ومن خلال دراسة مفهوم الحرف قبل سيبويه أن الرواية التي نسبت إلى أبي الأسود الدؤلي التي يذكر فيها حديثه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) تبين أن هذه الرواية لا ترقى إلى الصحة، وقد تكون الحادثة واقعة فعلا كما أكدت ذلك كتب الطبقات وتاريخ النحو العربي، ولكن ليس بهذه الصيغة ولا بهذه الرواية.
- ٢ - تبين أيضا من خلال دراسة مفهوم الحرف في المعجمات العربية أن النص الذي وجد في كتاب العين للخليل الذي يذكر أن الحرف له مفهوم الأداة، تبين أن هذا النص هو نص دخيل على الكتاب.

المصادر والمراجع

- ١ . القرآن الكريم
- ٢ . أخبار النحويين البصريين ومراتبهم لأبي سعيد السيرافي، تحقيق : طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.
- ٣ . الأصول في النحو لأبي بكر ابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٣م.
- ٤ . الأضداد لأبي بكر ابن الانباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠ م.
- ٥ . إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.
- ٦ . إنباه الرواة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٧ . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط٤، ١٩٥٦م.
- ٨ . تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي لأبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ضبط ومراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية في المدينة المنورة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- ٩ . التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي، نشر وتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.
- ١٠ . تهذيب اللغة للأزهري تحقيق د. عبد الله درويش ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت.
- ١١ . حروف المعاني للزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الامل، الاردن، ط١، ١٩٨٤م.
- ١٢ . الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ١٣ . الدراسات اللغوية عند العرب، د. محمد حسين آل ياسين، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

١٤. ديوان عدي بن الرقاع عن ثعلب، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، ود. حاتم الضامن، بغداد ١٩٨٧ م.
١٥. الزاهر لأبي بكر ابن الانباري، تحقيق د. حاتم الضامن، بغداد، ط ٢، ١٩٨٧ م.
١٦. سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، د.ت.
١٧. شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١٣، ١٩٦٢ م.
١٨. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
١٩. شواهد الكتاب، جمع ونشر محمد عبد المنعم خفاجة، القاهرة، طبعة بولاق، ١٣١٦ هـ.
٢٠. الصحاح للجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٥٦ م.
٢١. صحيح البخاري، دار الفكر، بغداد ١٩٨٦ م.
٢٢. صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٢٣. صحيح مسلم بشرح النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤ م.
٢٤. طبقات الأمم، لأبي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي، مطبعة محمد محمد مطر، مصر، د.ت.
٢٥. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة.
٢٦. طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د.ت.
٢٧. العين للخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨١ م.
٢٨. القاموس المحيط للفيروزآبادي، بيروت، دار الفكر ١٩٨٣ م.
٢٩. كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت ١٩٧٥.
٣٠. الكشف للزمخشري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٣١. لسان العرب لابن منظور، طبعة بولاق.
٣٢. ليس في كلام العرب، لابن خالويه، مكة المكرمة، ط ٢، ١٩٧٩ م.
٣٣. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٦٥ م.
٣٤. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، عارضه باصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، دار الفكر، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٧٠ م.
٣٥. مجالس ثعلب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٠.
٣٦. مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٢ م.
٣٧. المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده الاندلسي، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، القاهرة، ط ١، ١٩٥٨ م.

٣٨. المخصص لابن سيده الاندلسي، دار الفكر، د.ت.
٣٩. معاني القرآن للأخفش، تحقيق د. فائز فارس، الكويت، ط٢، ١٩٨١.
٤٠. معاني القرآن للفراء، تحقيق احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٤١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
٤٢. مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
٤٣. المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان.
٤٤. المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتب، بيروت، د.ت.
٤٥. المقرب لابن عصفور، تحقيق د. احمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط٣، ١٩٨٦م.
٤٦. منطق المشركين لابن سينا، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٩١٠م.
٤٧. نزهة الالباء لأبي البركات ابن الانباري تحقيق د. إبراهيم السامرائي، الاردن، ط٣، ١٩٨٥م.
٤٨. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، بيروت، ١٩٨٤م.
٤٩. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) لابن عصفور الأشبيلي (٥٩٧ - ٦٦٩هـ)، تحقيق د. صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨٢م.
٥٠. الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية لابن الخباز المتوفى (٦٣٩هـ) تحقيق حامد محمد العبدلي، دار الانبار، بغداد ١٩٩١م.

اخلاقيات العمل الصحفي /

المفهوم والممارسة

د. محمد عبود مهدي

أخلاقيات العمل الصحفي، المفهوم والممارسة

د. محمد عبود مهدي

المقدمة:-

تعد وسائل الاتصال الجماهيرية أحد الأركان المهمة لتطور المجتمعات ومقياساً للتقدم والحضارة فيها.

ويفترض بهذه الوسائل أو المؤسسات الإعلامية أن تحافظ على أصالة المجتمع وثقافته وأخلاقياته. وقد أهتم المتخصصون بالعلوم الإنسانية المختلفة بإعطاء أهمية كبيرة للأخلاقيات المهنية على أساس أن لكل مهنة أخلاقياتها، وتأتي في مقدمة هذه المهن مهنة الصحافة. لذلك فقد وضعت النظم السياسية المختلفة في العالم سياسات إعلامية متنوعة تنسجم مع أهدافها وتوجهاتها وتطلعاتها، إدراكاً منها لأهمية الإعلام وما يؤدي من وظائف كبيرة وخطيرة في المجتمع.

وسواء أكانت تلك السياسات الإعلامية موضوعة من الدولة ليكون الإعلام موجهاً أم لم تتدخل الدولة أو الحكومات في وضعها فإن واقع الحال يؤكد وجودها أصلاً في الحالين وحسب نوعية المجتمعات ليبرالية كانت أم اشتراكية أم غير ذلك.

ان موضوع بحثنا هذا يقع ضمن هذا الإطار الذي يعطي فكرة مختصرة أولاً عن الاطار المنهجي للبحث وهي: مشكلة البحث وهدفه وأهميته ومنهجه.

ثم بحثان رئيسيان، فقد تناول البحث الأول (مفهوم اخلاقيات المهنة) فيما يخص البحث الثاني (الممارسة الصحفية).

الإطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث

لا حظ الباحث من خلال عمله في الصحافة منذ سنوات عديدة أن هناك ابتعاداً عن الأخلاقيات في الممارسة والتطبيق.

وتندرج هذه الملاحظات في قائمة الممارسات الخاطئة التي تشكل خرقاً للقوانين والمواثيق الأخلاقية الخاصة بالشرف الإعلامي.

هدف البحث:

التعريف بمباهية أخلاقيات العمل الصحفي وممارساتها من أجل النهوض بواقع عمل هذه المهنة والتمسك بأخلاقياتها.

منهج البحث

لغرض إجراء هذا البحث استخدم المنهج الوصفي لأنه يساعد في ((دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأوضاع))^(١).

أهمية البحث

أن أخلاقيات العمل الصحفي أصبحت مشكلة عالمية في عالم الصحافة، ذلك لأن هناك عدداً كبيراً من العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية لا يراعون الأخلاقيات المهنية السليمة خلال مزاولتهم لأعمالهم لأسباب كثيرة ومعقدة، ويعد هذا الوضع خروجاً على ما يتعارف عليه المجتمع من قيم ومعايير ومثل تربوية سليمة.

المبحث الأول: مفهوم أخلاقيات المهنة

يجمع المتخصصون بوسائل الاتصال الجماهيرية على أن لكل مهنة في المجتمع أخلاقيات وسلوكيات تعبر في مضمونها عن ((العلاقات بين ممارسيها من ناحية والعلاقات بينهم وبين عملائهم من ناحية ثانية، وبينهم وبين المجتمع الذي ينتمون إليه من ناحية ثالثة وهذه الأخلاقيات والسلوكيات قد تكون متعارفاً عليها، وقد تكون مبادئ ومعايير يضعها التنظيم المهني للمهنة))^(٢).

ونعني بالأخلاقيات المهنية، أن على العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية ومنها الصحافة ((أن يلتزموا في سلوكهم تجاه أنفسهم وتجاه الأخوين وتجاه جماهيرهم بمبادئ وقيم أساسية. والالتزام بهذه المبادئ والقيم الأساسية نوع من الواجبات الشخصية، أي أنه التزام شخصي يقع على كل واحد منهم بصفة شخصية ليكون سلوكاً سليماً وأخلاقياً))^(٣)، وتعرف الدكتور سامية محمد أخلاقيات المهنة (قيم الممارسة) بأنها ((مصطلح يشير إلى القواعد الواضحة للسلوك المهني في مؤسسات الوسائل الاتصالية، وكذلك الاتجاهات الفعالة والدعاوى المتصلة بكل ما هو ملائم في أسلوب العمل والإنجاز. ومن الأمثلة على قيم الممارسة: الفكرة النموذجية التي تتمثل في - الالتزام بالموضوعية- في أعداد الأنباء، والدعاوى المتصلة بأكثر الصور التكنولوجية ملائمة لتحقيق مهام اتصالية ذات نوعية خاصة، والدعاوى الخاصة بتحديد مقاييس المسلسلات التلفزيونية الجيدة))^(٤).

١- غريب محمد سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٤٣.

٢- د. محمد محمد البادي، الإطار التربوي لقضية الأخلاقيات المهنية في وسائل الاتصال الجماهيرية. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة العدد الأول ١٩٩٧، ص ٢٠٨.

٣- المصدر نفسه ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٤- د. سامية محمد جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٤، ص ٢٧٥.

وإذا كان ثمة فرق ما بين الأخلاقيات والممارسة، فإن الأخلاقيات عبارة عن قواعد موضوعية تعبر عن السلوك المهني المطلوب من القائمين بوسائل الاتصال الجماهيرية الالتزام بها، وتبقى هذه الأخلاقيات عديمة الفائدة ما لم تترجم إلى واقع عملي ملموس خلال الممارسة المهنية للصحفيين أو تأدية الواجبات المناطة بهم، مثل إجراء المقابلات الصحفية أو تغطية المندوبين للمؤتمرات الصحفية وإعداد الرسائل الإخبارية وفي هذا الجانب يقول الدكتور حسن عماد مكاوي ((أن أخلاقيات الممارسة المهنية تأتي عن طريق حق التعبير والكلام، وحق طباعة الأخبار ونشرها.. وتصبح عديمة الجدوى بدون حق الحصول على المعلومات))^(٥).

فيما يرى محمد سيد فهمي المتخصص في الإعلام والاجتماع أساساً أخلاقياً قيماً للممارسة الصحفية تعبر عن ((وجود معايير سلوكية وقواعد أخلاقية تنبع من قواعد المهنة ذاتها، ومن متطلبات نجاح العمل المهني التزام الممارس بهذا النظام الأخلاقي أو الدستور المهني المتفق عليه صراحة))^(٦).

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن الكثير من الصحفيين العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية توجه إليهم انتقادات مختلفة أساسها أنهم يفتقدون الاهتمام بالسلوكيات الأخلاقية، ومن ثم يفتقدون التزاماتهم المعنوية نحو السلوكيات الأخلاقية والتمسك بها على الرغم من أن هناك إستثناءات تشمل الكثير من العاملين في ميدان الصحافة لا تنطبق عليهم هذه الانتقادات مما يتطلب الاهتمام بهذا الجانب.

أ. المهن وأخلاقياتها:

إذا كان لكل مهنة وكما أسلفنا مهما تعددت أنواعها وأشكالها أخلاقياتها وقيمها الخاصة بها، فلا بد من معرفة أولاً ماذا تعني مفردتا - الأخلاق والقيم - ثم مفهوم المهن وأنواعها. فالخلق عند الإمام الغزالي ((عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة التي هي المصدر خلقاً حسناً، وأن كانت صادرة عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً... ثم قال: الخلق أذن هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة))^(٧)، ويعرف الغزالي أيضاً ((الضمير)) بأنه: ((صوت ينبعث من أعماق الصدور، أمراً بالخير أو ناهياً عن الشر، وأن لم ترج مثوبة أو يخشى عقوبة))^(٨).

ويشكل مفهوم - القيمة - أهمية كبيرة لدى الباحثين لكثرة استخدامها في الكتابات الصحفية الإعلامية، فالقيم تعرف بأنها: ((عبارة عن مجموعات مركبة من المعايير نستخدمها كمقياس أو مستوى نستهدفه في سلوكنا، ونسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه.. ويتضمن مفهوم القيمة اتخاذ

٥- د. حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الاعلامي، دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤، ص ١٧٢.

٦- محمد سيد فهمي، الإعلام من المنظور الاجتماعي، دار المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٤، ص ٨٢.

٧- الإمام الغزالي: احياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ج/٣، د.ت، ص ٥٦.

٨- المصدر نفسه، ج/١، ص ٨٢.

الإنسان قراراً أو حكماً يتصرف بمقتضاه في موقف ما، ويمكن تمييز القيمة عن الدوافع أو الاتجاه أو غير ذلك من المفاهيم الدالة على السلوك الإنساني من خلال أن القيمة مفهوم ينطوي على تلك المفاهيم جميعاً ويزيد عليها بالعنصر أو الشرط المعياري^(٩).
مفهوم المهنة أو الحرفة :-

تعرف المهنة بأنها ((النشاط الذي يؤدي))^(١٠)، أما ((الحرفة)) فلم يتفق الباحثون على تعريفها وإنما لجأوا إلى تحديد خصائصها بدلاً من تعريفها بسبب ((سيطرة المثالية الاحترافية على أفكار الباحثين، إلا أن علماء الاجتماع والمختصين بدراسة المهن اتجهوا لاقتراح بعض الخصائص التي تتميز بها بعض الحرف المثالية كالأهوت والطب والمحاماة بدلاً من تعريفها منطلقين من أن هذه الحرف تظهر خصائص مركبة وأن المهن الأخرى تتقدم نحوها وبدرجات متفاوتة وهي في طريقها للاعتراف))^(١١).

ومن خلال معرفة الخصائص التي تتمتع بها هذه المهن يمكننا معرفة بعض الأساسيات الأخلاقية للمهن الأخرى، فقد حدد المتخصصون بالمهن ثماني خصائص عدوها عناصر أساسية للحرف النموذجية، وتتفاوت هذه الخصائص من مهنة لأخرى وقد لا تمتلك بعضها أي خاصية من هذه الخصائص وهي:^(١٢)

النظرية أو الخط الفكري - الإطار المعرفي للعمل المهني الذي يستمد في الغالب من البحث العلمي.

١. درجة الارتباط بالقيم الأساسية.
 ٢. مرحلة التدريب المهني وتشمل أربعة أبعاد وهي :-
 - أ- مدة التدريب. ب- المدى المتخصص بالتدريب. ج- الهدف الذي يرمي إليه التدريب.
 - د- الأفكار الجيدة التي تكتسب من التدريب.
 - ٤- الدافعية (دوافع إنجاز العمل المهني).
 - ٥- الاستقلالية أو الحكم الذاتي: حرية واستقلالية المحترفين في العمل.
 - ٦- الشعور بالالتزام برسالة المهنة.
 - ٧- الشعور بالجماعة المحلية، وهو المدى الذي تعكس فيه المهن خصائص المجتمع المحلي.
 - ٨- الرموز الأخلاقية (الميثاق الأخلاقي).
- ومما يزيد المهنة رصانة أخلاقية هو أن يحسن المرء اختيار مهنته لكي يحقق النجاح فيها وفقاً لما نسميه (التوافق المهني الذي يضيف على الفرد شعوراً بقيمته الاجتماعية في المجتمع... وأن العكس

٩- عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع الصناعي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٤٥.
١٠- د. محمد أحمد العربي: دليلي المهن كمرحلة أولى نحو التصنيف العربي الموحد، منظمة العمل العربي، ندوة خبراء التصنيف المهني، طنجة، ١٩٨٢، ص ١٠٥.
١١- د. لؤي مجيد حسن: الخصائص المهنية للصحفيين العراقيين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٤٨.
١٢- المصدر نفسه، ص ٥٩ - ٦٠.

يؤدي إلى مهاوي التبرم والضجر والانهيار^(١٣) لذا فإن الاختيار غير الصحيح للمهنة يؤثر سلباً في أخلاقياتها.

ب :- مهنة الصحافة وأخلاقياتها

لمهنة الصحافة خصوصية كبيرة تختلف عن باقي المهن الأخرى كونها تخاطب العقول بمختلف مستوياتها، فهي الكلمة المطبوعة الموثقة والمقرؤة التي تطالع القراء كل يوم بمختلف أنواع المقالات والأعمدة والتحقيقات والأخبار، فضلاً عما تحتويه الجريدة من أبواب ثابتة وغير ثابتة وترجمة وتقارير وغيرها من الفنون الصحفية المختلفة.

وتؤدي مهمة الأعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص خدمة اجتماعية كبيرة لكونها تتضمن شروطاً وخصائص عدة أتفق عليها عدد من العلماء والدارسين المتخصصين، وهي: -^(١٤)

١. للمهنة أهداف مجتمعية، أي بمعنى أنها تقوم من أجل إشباع أو مواجهة احتياج مجتمعي وتستمد شرعية وجودها من إحساس الناس بضرورة القيام بنشاط معين من شأنه أن يشبع لهم احتياجاتهم.

٢. تستند المهنة إلى أسلوب علمي ومواكبة التقدم العلمي.

٣. للمهنة قاعدة معرفية تستند إلى العلم، أي قاعدة من المعرفة العلمية والنظريات والقوانين والمبادئ العلمية لفهم المشكلة وتحديد الحل المناسب لها.

٤. يمارس العمل المهني متخصصون مهنيون، وتعني أنه في ممارسة المهنة يقع العمل الأساسي على عاتق أفراد وهيئات متخصصة لها من الصلاحيات والكفاءة والقدرة العلمية ما يمكنها من فهم المشكلة والتعامل معها.

٥. وجود أساس أخلاقي قيمى للممارسة، كالمواثيق والقواعد الأخلاقية والسلوكية المتفق عليها.

٦. اعتراف المجتمع بالمهنة وتحملها لمسؤولياتها تجاه الأفراد والجماعات والنظم في المجتمع الأمر الذي يضيف عليها شرعية وجودها وممارستها.

ويشارك العاملون في الصحافة بأخلاقيات متعارف عليها في جميع أنحاء العالم، وتدعمها دساتير أخلاقية تضعها التنظيمات المهنية في كل مجتمع.

ويضع خبراء الإعلام لأخلاقيات المهنة خمس دوائر أخلاقية يعمل في إطارها الصحفيون تسمى دوائر المتغيرات الأخلاقية الخمس^(١٥) التي تتطلب منهم اتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة المواقف التي يتعرضون إليها.. كما يمكن أن نطلق على هذه الدوائر الأخلاقية القيم التي يحتكم إليها حارس البوابة في انتقاء الأخبار ويستند إليها في ممارسة المهنة.

١٣- د. عزت عبد الأمير الطويل، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد/٧، الرياض، ١٩٨٣، ص ٣٨٥.

١٤- محمد سيد فهمي، الإعلام في المنظور الإجماعي، م.س.ذ، ص ٨٢.

١٥- د. محمد محمد البادي، الإطار التربوي لقضية الأخلاقيات المهنية، م.س.ذ، ص ٢٠٨.

وتتمثل هذه المتغيرات بخمس دوائر متداخلة ومتتالية تبدأ بدائرة صغيرة في الوسط، وتتوالى الدوائر الأخرى المحيطة بها على مسافات متساوية، ويقف كل صحفي داخل هذه الدوائر جميعها، وعليه أن يخرج بسلام وأن يتخذ قراراً عقلانياً سليماً يحدث به التوازن المستهدف.

فالدائرة الأولى في الوسط تمثل الأخلاقيات الخاصة التي يتمسك بها كل صحفي على حدة، أما الثانية المحيطة بالأولى فتتمثل المبادئ الأخلاقية التي تضعها كل مؤسسة صحفية للعاملين فيها كإطار سياسي أخلاقي تحددها لنفسها، أما الدائرة الثالثة المحيطة بالثانية فأنها تعبر عن أخلاقيات المهنة ككل، أي أنها تعبر عن السلوكيات التي تحكم كل من المهن الاتصالية الجماهيرية كالنقابات الصحفية وجمعيات الناشرين وغير ذلك.

وتضم الدائرة الرابعة المحيطة بالثالثة المبادئ والسلوكيات التي تفرضها أنظمة الاتصال في المجتمع ككل، وهي أنظمة تفرضها الفلسفات السياسية والاقتصادية لكل مجتمع، ويضاف إلى ذلك القوانين والتشريعات التي تضعها الهيئات التشريعية. وأخيراً تأتي الدائرة الخامسة التي تحيط بهذه الدوائر الأربع جميعها، وهي تضم الحدود التي يضعها الناس في كل مجتمع على كل أنواع النشاط الإنساني ولا يستطيع أحد أن يتعداها.^(١٦)

ولعل من الأمور المهمة التي تتعلق بقضية الأخلاقيات المهنية هو ارتباطها بالمجال التربوي ويتضح هذا الارتباط من خلال الدور التربوي الذي يمارسه الإعلام كونه جزءاً من وظائفه العامة والشاملة التي تبين من خلال الآتي:^(١٦)

يمارس الاتصال الجماهيري ومنها الصحافة من خلال مؤسسات إجتماعية تربوية، ومن ثم فإن لهذه المؤسسات لها دوراً تربوياً مثل (الإعلام التربوي).

تمثل الأخلاقيات بصفة عامة أحد الأبعاد المهمة في مفهوم التربية.

ومن ثم فإن الأخلاقيات المهنية وقضاياها تدخل في اختصاص المجال التربوي الذي يستهدف غرس الأخلاقيات السليمة في المجتمع واستكمال هذا الهدف بترجمة الأخلاق إلى سلوكيات تمارس في الحياة.

وإذا ما انتقلنا إلى تحديد مدى خطورة المهنة الصحفية، فيمكن تأشيرها ببعدين أساسيين هما: خطورة المهنة على من يمارس الصحافة من الصحفيين أولاً كونها تتطلب القيام بمهام كبيرة وخطيرة قد يدفع الصحفي حياته من أجلها، والثانية ما تشكله الصحافة من خطورة على المجتمع عند ابتعاد من يمارسها عن أخلاقيات المهنة الصحفية وللواجبات المهمة والكبيرة المناطة بها. لذا يتطلب لمن يزاولها صفات خاصة وكثيرة.

لقد أجمع الكثير من الكتاب والصحفيين في العالم على أن مهنة الصحافة تعد من المهن الصعبة الشاقة، ووصفها بعضهم إنها: ((الشفاء اللذيذ والانتحار البديع))^(١٧).

١٦- المصدر السابق ص ٢١٨.

١٧- عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، العدد ٤، دار افاق عربية للصحافة والنشر، عمان، ١٩٩٥، ص ٨.

فمثلاً ((المخبر الصحفي يطارد الأيام بحثاً عن الخبر الذي يقدمه للجمهور وقد يذهب إلى جبهة حربية في أماكن بعيدة عن وطنه وقد يخترق تظاهراته سياسة ممنوعة أو حريقاً... واضعاً نفسه في التهديد الدائم لحياته وأمنه واستقراره وصحته))^(١٨) كما.. ((تغزو الأمراض الصحفيين من أمراض القلب والأعصاب وارتفاع الضغط وهبوطه، وضعف النظر، وارتعاش اليدين وعسر الهضم واضطرابات صحية مختلفة تسمى بأمراض الصحفيين خاصة أمراض القلب والأعصاب))^(١٩).

ولمهمة الصحافة مطالب خاصة لمن يريد أن يزاولها ((فالشخص الذي لا مبدأ له، لا يصلح أن يكون صحفياً، والشخص الذي لا أخلاق له يفسد المهنة، والصحفي عليه أن يتدرب على الأعمال التي يقوم بها، ويكون واسع الاطلاع، عارفاً كل ما يدور حوله. وعلى الشاب المبتدئ أن يضع نصب عينه أن الصحافة مهنة شاقة، مهنة لا تعرف الراحة ولا تعترف بها... ولا تكفي الشهادة الأكاديمية لأن يكون صحفياً ناجحاً لأن الصحافة استعداد قبل كل شيء))^(٢٠).

والصحافة ميدان واسع يمارس به الصحفيون أعمالهم كل بحسب كفاءته وما يتمتع به قلمه من مواصفات، وأنطلاقاً من هذه البيئة المهنية فإن الصحافة ((مهنة لا تقبل الضعفاء والبلداء وأن حدث وأن قبلتهم خطأ أسرعنا إلى نبذهم حتى لا يكونوا عالة عليها. أنها المهنة التي لا تعترف بالوساطة))^(٢١).

والصحافة رسالة قبل أن تكون مهنة ((فمنذ أن وجدت الصحافة وهي جزء من الجهاز السياسي للدولة. وهي في الوقت نفسه أداة هامة في بناء المجتمع عند كل أمة ومقياس لحضارة الأمم على اختلافها، ومرآة صادقة لنشاطها في شتى الميادين))^(٢٢).

وللصحافة دور كبير ومؤثر في الفرد والمجتمع يتمثل من خلال رسالتها التي تحملها وتكافح من أجل تحقيقها، ويتضح هذا الدور المؤثر باضطلاعها، بوظائف متعددة ومتنوعة، تلخص بالآتي :-

١. الصحافة مسؤولة عن ((تثقيف الشعب وعن الأخلاق العامة، والخاصة فهي المؤثر الحقيقي في السمو بالجانب الخلقي في الأفراد والمجتمعات أو الانحطاط بهذا الجانب إلى درجة الانهيار))^(٢٣). فالإعلام يسعى إلى ((تنمية الفكر والفكر الناقد ويزيد من المعرفة والاقتناع والتفاهم ويقدم المعلومات الجديدة ونشر الأفكار العصرية المتقدمة ومحو الأمية، فوسائل الإعلام تقوم مقام المؤسسات التربوية المكملة لدور المدرسة والمنزل ودور العبادة... الخ))^(٢٤).

١٨- المصدر نفسه ص ١٠.

١٩- فاسيليف رادي: الحالة الاجتماعية للصحفيين - ترجمة جورج يوسف شماس، بيروت ١٩٨٢، ص ١٦١ - ص ١٨٦.

٢٠- خليل صابات، الصحافة رسالة، استعداد، فن، علم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٠.

٢١- المصدر نفسه، ص ٣١.

٢٢- د. عبد اللطيف حمزة، أزمة الضمير الصحفي، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٤.

٢٣- المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥.

٢٤- محمد سيد فهمي، الإعلام من المنظور الاجتماعي، م.س.ذ، ص ١٣٣.

٢. الصحافة مسؤولة عن السلام، يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة في هذا الجانب: ((أن مسؤولية الحربين الأولى والثانية، ومسؤولية التوتر الدولي والبطالة والفقر والمرض والكرهية والبغضاء التي شاعت بين الشعوب وكانت السبب في إشعال نار هذه الحروب، ومسؤوليات التفرقة العنصرية وما تجره من الولايات على كثير من البلاد المتخلفة والمتحضرة على السواء، ومسؤولية القيم الأخلاقية التي انحطت هذه الأيام. كل هذه المسؤوليات الجسام إنما تقع على عاتق الصحافة))^(٢٥).

٣. الإعلام له أهمية وتأثير فيما يخص القيادة ((فالإعلام أداة اتصال ذات اتجاهين تنقل المعلومات من القيادة إلى القاعدة الشعبية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ترفع للقيادة تقارير دقيقة عن اتجاهات القاعدة الشعبية والجماهير وحاجاتهم ورغباتهم والرأي العام، وهكذا يربط الإعلام القيادة بالقاعدة، ويخلق الإحساس الجمعي وينمي الشعور بالتعاون من أجل تحقيق الأهداف الجماعية))^(٢٦).

٤. تؤكد الدكتور إجلال خليفة ضرورة مراعاة الأخلاق العامة عند صياغة الخبر أو جمعه وتعدده ((من أهم العناصر التي لا بد وأن تتوافر في الأخبار وفي كل ما ينشر أو يذاع في الصحافة بأنواعها، لأن هذا العنصر مرتبط بالحضارة الثقافية التي تسود المجتمع وبما يؤمن به الشعب من عادات وقيم أخلاقية وعرف وذوق ثقافي عام))^(٢٧).

والمعايير الأخلاقية الواجب توفرها في خبر من الأخبار هي: ((الصدق والدقة والحيادية أو الموضوعية))^(٢٨).

ويذكر الدكتور صالح خليل أبو إصبع في كتابه تحديات الإعلام العربي مجموعة عناصر مستنبطة من الحقوق التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة ووثيقة اليونسكو، وظائف ذات جوانب أخلاقية تتعلق بممارسة المهنة أهمها: قول الحق والصدق وعدم إخفاء الحقيقة وتوخي الأمانة فيما يكتبه الصحفي والحرص على عدم تشويه الحقائق أو السعي وراء منفعة شخصية واحترام آراء الآخرين وخصوصياتهم وثقافات الشعوب الأخرى والمساواة والأنصاف في تبادل المعلومات وتحمل المسؤولية الاجتماعية لتعزيز قيمها الإيجابية^(٢٩).

وإذا كان الاقتراب من الجماهير ومخاطبتهم بلغة سلسلة والاستجابة لحاجتهم من ضرورات العمل الصحفي وشروطه، فذلك لا يعني أبدا الانحطاط بمستوى الكتابة الصحفية سواء من حيث اللغة والأسلوب أم من حيث الموضوعات وما تتناوله إلى درجة التملق الرخيص والتزلف المفضي إلى تناول الموضوعات التافهة بدعوى أنها هي التي تثير انتباه الجمهور وتشده إلى الصحيفة، والصحفي

٢٥- د. عبد اللطيف حمزة، أزمة الضمير الصحفي، م.س.ذ، ص ٢٤.

٢٦- محمد سيد فهمي، ص ١٣٣ - ١٣٤.

٢٧- د. إجلال خليفة، علم التحرير الصحفي وتطبيقاته العلمية في وسائل الاتصال بالجماهير، ج ١، مكتبة الأنجلو، مصر، القاهرة، د.ت، ص ٧١.

٢٨- د. محمود أدهم، فن الخبر، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤٩٣.

٢٩- د. صالح خليل أبو إصبع، تحديات الإعلام العربي، ((دراسات الإعلام)) - المصادقة - الحرية - التنمية والبيئة الثقافية، ط ١، الإصدار الأول دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع - عمان ١٩٩٩ ص ٥٩.

إن فعل ذلك أساء إلى الجمهور وتحول برسالته من أهدافها السامية إلى مستوى التضليل والتعزير والإفساد.^(٣٠)

وإذا ما انتقلنا إلى تناول الأخبار في وسائل الإعلام الغربية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية فأنها تعاني مما يسمى (أزمة المصداقية بسبب إحساس الجمهور بأن المراسلين يهتمون بالحصول على قصة حية أكثر من معاملة الناس باعتدال، ويرجع هذا إلى الإفراط في تناول هذه الخاصية المجهولة التي تركز عليها وسائل الإعلام المطبوعة)^(٣١)، ويقصد بالخاصية المجهولة منح المصداقية والثقة بمصادر الأخبار على الرغم مما تنطوي عليه من إيجابيات أو سلبيات. ففي الجانب الإيجابي ((يمكن أن يساعد الصحفي على الحصول على المعلومات التي ربما تكون غير متوفرة... وتعطي الراحة إلى المصدر المتردد وتؤدي إلى محادثة مفتوحة ما بين الصحفي والمصدر، ويمكن أن تجعل القصة أكثر إثارة وتحقيقاً وذلك بخلق الانطباع بأن المراسل عنده مصادر خفية التي هي ليست في متناول الصحفيين الآخرين... أما في الجانب السلبي فإن منح الثقة إلى مصدر الأخبار يمكن أن يحدث ثقة للجمهور في دقة تقارير الأخبار وفي أخلاقيات المراسلين فيمكن أن يسمح لشخص واحد أن ينتقد الآخرين بدون أن يكون مسؤولاً عن اتهاماته))^(٣٢).

واستنتاجاً مما تقدم نصل إلى حقيقة أن كل قول وفعل وكل بحث ودرس في أي مجال من مجالات الحياة لا يمكن تحقيقه ما لم يتبع القول الحق، فهي أفضل طريقة لمجابهة المتاجرين بالكلمة وتشويه الحقيقة وبث السموم وممارسة التضليل الذين أصبحت لهم مؤسسات وسماسرة على مستوى عالمي حتى تحول إلى سلاح

خطير يستخدمه الحاقدون من الاستعماريين والعملاء لشل حركة الباحثين عن الحقيقة.

ج- مصادر أخلاقيات المهنة الصحفية:

أولاً: - السياسة الإعلامية

تتأثر أخلاقيات المهنة الصحفية أساساً بالسياسة الإعلامية السائدة في البيئة التي يعمل فيها الصحفيون والمؤسسات الإعلامية المختلفة والتي تتحدد بموجبها الأطر العامة لأخلاقياتها. وتختلف هذه السياسات من دولة لأخرى بحسب طبيعة الأنظمة الحاكمة والمجتمعات فيها. وبصورة عامة فإن قوانين المطبوعات والنشر تعمل على ((تنظيم المهنة الإعلامية من خلال مجموعة من الضوابط والتي تعتمد على تكريس مجموعة من المحظورات التي يجب أن تلتزم بها المؤسسات الإعلامية كما تحاول النقابات والروابط المهنية الإعلامية إلى وضع بعض الضوابط والمواثيق التي تسعى إلى ضبط المهنة وتأكيد مسؤولياتها الاجتماعية، وتلعب النقابات الصحفية دوراً هاماً في هذا المجال))^(٣٣).

٣٠- سلامة موسى، الصحافة حرفة ورسالة، دون مكان الطبع، القاهرة/١٩٥٨، ص ٤٩.

31- K.Tim Wulfemyer and Lori L- Mc Fadden, Journalism quarterly Autumn, University of South Carolina, College of Journalism, vol.63 NO.3 Autumn 1986,p468.

32- Ibid. Cit. P468.

٣٣- صالح خليل أبو أصبح. الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والتوزيع والنشر، عمان. ١٩٩٥. ص ٢٦٥.

أما الأخلاقيات المهنية فأن مبادئ الشرف أو مبادئ الأخلاق المهنية تعد ((مكملة للحقوق والضمانات المكفولة، إذ تعكس وتحدد الحقوق والضمانات التي يتعين توفيرها للمجتمع أو للبيئة التي تمارس فيها العملية الاتصالية ذاتها في مواجهة القائمين بالاتصال ومن ثم تبلور هذه المبادئ المسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية لرجال الإعلام حيال المجتمع الذي يعملون فيه، وحيال المجتمع العربي ككل، وحيال المجتمع الدولي ذاته، وتبنى على أساس أن الإعلام وإن كان حقاً للفرد، فهو أيضاً حق للمجتمع، وينبغي حماية حق المجتمع في الوقت الذي تحمي فيه حقوق الأفراد. وعلى ذلك فكلما نضج النظام الاتصالي والإعلامي، ارتفع المستوى المهني للعاملين فيه، وتزايدت الحاجة إلى تحديد هذه القواعد والالتزامات الاجتماعية لرجال الإعلام))^(٣٤).

وتعد التنظيمات المهنية الجهة المسؤولة عن تنفيذ هذه القواعد ومراقبة الالتزام بها، على الرغم من كونها قواعد اختيارية تمثل اختياراً ذاتياً لرجال الإعلام، وكما ضمنت هذه التنظيمات حقوقاً لهم فقد رتبته التزامات ومسؤوليات أيضاً حيال المجتمع ومن الطبيعي أن تكون مثل هذه الالتزامات هي مهنية وإخلاقية غالباً.

ثانياً: المؤسسة الصحفية

لكل مؤسسة صحفية تقاليداً وسياساتها الخاصة بها التي تضعها لنفسها وتحكم آليات العمل لتحقيق أهدافها ومن ثم المطلوب من العاملين فيها الالتزام بتلك السياسة، لذا تنعكس آثارها سلباً أو إيجاباً على طبيعة العلاقات السائدة فيها.

لذلك فإن سياسة المؤسسة تحدد ((القيم التنظيمية)) التي تسير عليها فهي تعرف بأنها: ((القيم التي يؤمن بها العاملون في نطاق المنظمة... وأن عملية خلق قيم مشتركة بين القيم الشخصية والقيم التنظيمية تعد غاية كل منظمة لغرض تنظيم العلاقات الإنسانية سواء بين العاملين والمنظمة على أساس السلطة والنفوذ أو بين العاملين مع بعضهم كعلاقات الزمالة، وهذا يتأتى من العلاقات التبادلية بين هذين الطرفين - العاملين والمنظمة - ونجاحها يعتمد بدرجة كبيرة على تفهم كل طرف وقناعاته بالطرف الآخر بغض النظر عن حجم المنظمة، وطبيعتها، ونشاطها، وأهدافها))^(٣٥).

وتؤدي الإدارة دوراً أساسياً في ترجمة سياسات المؤسسة إلى واقع عملي، فهي لا غنى عنها في هذا المجال إذ تعرف بأنها: ((عملية اتخاذ القرارات التي من شأنها توجيه القوى البشرية والمادية المتاحة لجماعة منظمة من الناس لتحقيق أهداف مرغوبة على أساس أحسن وجه وبأقل تكلفة في إطار الظروف البيئية المحيطة))^(٣٦).

٣٤- د. راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٥.

٣٥- إبراهيم الجزراوي وموسى المدهون، تحليل السلوك التنظيمي، ط ١، مطبعة جامعة الاسراء، عمان، ١٩٩٥، ص ٣٩٩.

٣٦- محمد بهجت كشك، الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٣٨.

والإدارة تمثل أحد المكونات الرئيسة للتدريب الفعال، وتكوين المدير الناجح لا سيما على مستوى تدريب القيادات والمستويات العليا في المجالات الإعلامية، وإذا لم يتبع المدربون نظامهم وعملهم ومسؤولياتهم الاجتماعية فأن الأمر يهبط لديهم إلى مجرد وظائف وتتركز أهدافهم على أنفسهم وتنفصل عن أهداف المنظمات التي يريدونها لحساب المجتمع وبذلك يقع الانفصال بين أهدافهم وأهداف المجتمع.^(٣٧)

وهنا يجب التفرقة ما بين القائد الإداري والمدير أو الرئيس الإداري، فالمدير أو الرئيس الإداري، إنما يعتمد أساساً على السلطة المفوضة إليه من أعلى والناجمة من مباشرته لوظيفته، وهو يكون بوضعه الرئاسي مفوضاً على الجماعة التي تتبعه وفقاً للأوضاع الرسمية المقررة في التنظيم، أما القائد الإداري، فيستمد سلطته من المجموعة نفسها، ويعتمد في مباشرة وظائفه على التأثير والنفوذ والاستجابة لينال رضا تابعيه ويحفرهم على العمل ويرفع روحهم المعنوية، أي يستمد قوته من الجماعة نفسها ولا يلجأ إلى إتباع أساليب الأوامر الإدارية إلا في الحالات التي تقتضي بذلك.^(٣٨)

لذلك فأن فكرة القيادة كتعبير مرادف للإدارة لا يكون سليماً تماماً، فالمدير الذي يعمل في مؤسسة حكومية هو الإنسان المسؤول والمؤتمن عن أداء بعض الوظائف كالخطيط والتنظيم والسيطرة، في حين أن القادة يكونون مؤثرين حتى في المؤسسات غير الرسمية، ويكون لهم تأثير في كل الأدوار التي تتطلبها العملية الإدارية داخل المؤسسة، فمثلاً دور المراقبة في الخط الأول من العمل ربما يكون دوراً تحتل فيه مسؤولية كبيرة في المستوى وكفاءة الإنتاج، وهذا ما يتطلب من القائد الإداري أن يعرف كيف يفوض المسؤولية للآخرين في العمل، فبعض مراقبي الخط الأول يعتمدون على سلطة الموقع لتأمين المطاوعة مع مقادير تمثيلهم لهذه السلطة، بينما يستخدم الآخرون وسائل أكثر مساهمة مثل صنع القرار بوصفه جزءاً من القيادة - المدير وأتباعه - المساندين.^(٣٩)

اذن جوهر الموضوع الإجابة عن تساؤل مفاده ما الذي يجعل القيادة مؤثرة؟ والجواب باختصار هو محصلة تفاعل القوة والقائد والقبول من الأتباع.

وتؤثر سياسة المؤسسة الصحفية في أوجه النشاط الإعلامي كافة لا سيما ما يتعلق بجمع الخبر، فالصحيفة التي تتبع أسلوب الإثارة في الإعلام والنشر تسعى إلى الحصول على الأنباء المثيرة للقارئ مثل الجنس والجريمة والصراع على المال والنساء... الخ مع العمل على تحريرها بأسلوب مثير يحوي كثيراً من التهويل والمبالغة في إخراجها، في حين هناك صحف أخرى تتبع أسلوباً محافظاً في جمع مادتها الصحفية فلا تنشر أو تذيب إلا ما يتفق مع سياستها الإعلامية في إشاعة القيم العامة والتراث الثقافي والمثل العليا للجماهير.^(٤٠)

ومن هذا نصل إلى حقيقة أن سياسة الصحيفة لها تأثير كبير في اختيار المادة الصحفية المراد نشرها وبما ينسجم مع سياستها والسياسة الإعلامية للدولة.

٣٧- د. سمير محمد حسن، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، ط ١، عالم الكتب القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٠٤.

٣٨- د. إبراهيم عبد العزيز شبحا، أصول الإدارة العامة، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص ٣٠٩.
39- James L. Gibson, et.al, organizations Behavior, Structure Processes, Business Publications, INC, Sussex, U.S.A, 1976, P 180.

٤٠- د. إجلال خليفة، علم التحرير الصحفي وتطبيقاته العلمية في وسائل الاتصال بالجماهير، م.س.د، ص ٦٩ - ٧١.

وتتبع على عاتق رئيس التحرير أو المدير المسؤول لأي مؤسسة صحفية مهمة خلق التقاليد وسياسات العمل التي تعد معياراً لنجاح سياسته الموضوعية أو فشلها، لأنه يعد ((اللوب السياسي والثقافي والحرفي للعملية الصحفية وهو الوجه والمنظم والمحيط بأبعاد الممارسة يومياً وبلا انقطاع. أي أنه قائد جميع ميادين الحياة الصحفية في الجريدة))^(٤١).

وانطلاقاً مما تقدم فإن سياسة المؤسسة وتقاليدها تعد أحد مصادر أخلاقيات المهنة، التي تنبع من الصفات القيادية التي يحملها رئيس التحرير والقرارات المختلفة التي يتخذها وتأثيراتها في العاملين فيما بينهم وما بين أقسام الجريدة المختلفة.

ويعد اتخاذ القرار في المؤسسات الإعلامية ((محور النشاط الإداري القادر على تسيير المؤسسات مهما كان نشاطها... وأن فهم طبيعة هذا القرار ومستوياته وأنماطه سوف يساعد المدير القائد فهم الدور الحقيقي للقرار وأهميته ومن ثم معالجة اتخاذ القرار كعملية أساسية في العملية الإدارية ومن ثم اتخاذ القرار المناسب))^(٤٢).

وإذا كانت القرارات التي تتخذ داخل المؤسسة الصحفية لها من الأهمية في تسيير أمور الصحيفة، فإن بعض الباحثين قسموها إلى ثلاثة أنواع استناداً إلى اعتبارات عدة ولتتضح على أساسها أنواعها المختلفة، فمثلاً هناك قرارات تتعلق بسياسة المؤسسة مثل الأهداف واللوائح الداخلية ومجلس الإدارة وطبيعة التمويل وكل ما يتعلق ببنية المؤسسة التنظيمية، أي تضع المبادئ لإدارة العمل وغالباً ما تكون هذه القرارات متوافرة من خلال لوائح وقوانين مكتوبة واستراتيجيات محددة ومترجمة إلى خطط عمل، أما القرارات الإدارية فيقصد بها الطريقة التي يجري وفقها تحقيق المؤسسة لأهدافها، أي ترجمة هذه السياسات ومبادئها إلى برامج عمل عامة وتكون هذه القرارات متاحة من خلال تعليمات إجرائية مدونة، والنمط الثالث من هذه القرارات هو ما يتعلق بالقرارات التنفيذية، التي تتخذ عند النقطة التي يشرع فيها تنفيذ العمل، وهي لا غنى عنها لمتابعة دورة العمل اليومي وتعمل على إنجازها وغالباً ما تكون هذه القرارات غير مدونة^(٤٣).

ويرى آخرون صعوبة البحث عن ((قوانين عامة للسلوك يمكن تعلمها وتطبيقها في الإدارة، ويشكك بعضهم الآخر في إمكان الكشف عن مثل هذه القوانين اعتقاداً منهم بأن القيادة الناجحة أمر فردي محض إلا أن فريقاً ثالثاً يرى إمكانية تقدير الحاجة إلى الوصول إلى قوانين عامة للسلوك، وأسس للقيادة الإدارية إلا أن تطبيقها يعد أمراً صعباً وشديداً التعقيد))^(٤٤).

وتتبع المؤسسات الإعلامية نظاماً خاصاً للحوافز والمكافآت التشجيعية وتوزيعها بين المنتسبين، إذ تمثل الحوافز والرضا الوظيفي ركنين مهمين من أركان تدعيم أخلاقيات المهنة والتمسك بالوظيفة والإقبال عليها، وفي هذا الجانب يرى عدد من المتخصصين بالإدارة أن ((الرضا العالي عن الوظيفة

٤١- عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، م.س.ذ، ص ١٥٩.

٤٢- د. صالح خليل أبو إصبع إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، دار ارام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧ - ١٣٩٧ - ١٣٠٠.

٤٣- المصدر نفسه، ص ١٣٠.

٤٤- د. لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة (الجزء الثاني) - أصول وأسس علم ديناميكيات الجماعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥٧٦.

سيحقق حالة نفسية وبدنية أفضل للمستخدمين. فالسعيد في عمله سيكون منتجاً، وعدم الرضا الوظيفي يؤدي إلى مجموعة من الأمراض مثل قلق الموظف وغيابه، والإهمال والتسرب في الوظيفة والتقاعد المبكر، وللتقليل من هذه الأمراض فأن تحقيق الرضا الوظيفي يرتبط بمجموعة العوامل ذات الطبيعة الحافزية مثل الرواتب المناسبة والترقية وظروف العمل من حيث أسلوب الإشراف والرقابة والعمل الجماعي^(٤٥).

ومعرفة أخلاقيات أي صحيفة ينظر أولاً إلى رئيس تحريرها إذ ((تفعل طبيعة رئيس تحرير القيادة فعلها في إشاعة تقاليد وأفكار ونماذج صحيحة، أو بالعكس، فيما تنشره من أفكار وتقاليد ونماذج رديئة... وكثيراً ما تتعرض صحف عديدة يتسبب مسؤولية رئيس التحرير فيها إلى أشخاص لا علاقة لهم بالصحافة))^(٤٦).

ويمكن تقسيم هؤلاء إلى ثلاثة أنماط من المشكلات الأساسية التي تواجه العمل الصحفي، فالأول هو من يقع تحت طائلة الأغراء المادي وقبول الرشاوى والهدايا، أما الثاني فيقع في حماة الرذيلة أو لديه الاستعداد لذلك مثل تعيين فتيات لأسباب غير صحفية أو نزوات لا أخلاقية، أما النمط الثالث فهو الذي يعتمد على زرع من ينقل له الأخبار بين أوساط العاملين في الصحيفة ويعتمد عليها في اتخاذ القرارات من دون التحقق من صحتها، ويكون رئيس التحرير بالاسم. والرجل الأول في الصحيفة هو الشرطي الأول^(٤٧).

ومن المسلم به أن العمل الصحفي هو عمل حيوي وديناميكي يتطلب المبادرة والابتكار، لكن الذي يحد من هذا النشاط هو إصابة بعض رؤساء التحرير بما يسمى (أمراض البيروقراطية) التي نعني بها، الصرامة وعدم المرونة التي تتسم بها البيروقراطية ومواجهتها للابتكار. ومما أكدته الباحثون أهمية التشخيص الدقيق للأمراض الوظيفية التي تصيب الإدارة العامة، وهي موضحة على ثلاثة أشكال^(٤٨).

١. البيروقراطية الإدارية كداء وظيفي أو مرضي، دالة على الإدارة السيئة المعوقة والمدير السلبي الذي يؤدي من العمل حده الأدنى بغية توقي الأخطاء، والخوف من المسؤولية.
٢. الانحرافات القيادية: إذ يعرف الفساد في مجال الخدمة المدنية بأنه إساءة استعمال السلطة الرسمية لأجل تحقيق مكاسب شخصية للموظف نفسه أو لأتباعه، وذلك بطريقة مخالفة للقوانين أو الأنظمة أو المعايير الأخلاقية.
٣. النفاق الإداري: ويصاحب هذه الظاهرة المرضية في الإدارة ((شلل الأصدقاء)) أو ((جماعات المنتفعين)) وتعد ظاهرة النفاق الإداري من أخطر الأمراض العصرية التي تصيب الأجهزة الإدارية فتجعلها كسيحة عن النهوض بأعبائها ومسؤولياتها.

٤٥- عبد الله الزامل ومحمد عبد المنعم خطاب، دراسة فعالية نظام الحوافز في الخدمة المدنية، مجلة الإدارة العامة، العدد ٣٩، تصدر عن معهد الإدارة العامة- الرياض ١٩٨٣، ص ٢٦.

٤٦- عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، م.س.ذ، ص ١٥٩.

٤٧- المصدر السابق، ص ١٦٠.

٤٨- د. إبراهيم عبد العزيز شبحا، أصول الإدارة العامة، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت. ص ١٣.

وفحوى هذه الظاهرة أن تنبيري جماعة من المرؤوسين ضعفاء النفوس بالظهور أمام القيادات أو الرؤساء بمظهر الأبناء المخلصين الغيورين على مصلحة العمل والنهوض بمستواه.

ويرى المتخصصون بعلم الإدارة والقيادة أن هناك أشكالا عدة للقوة يستخدمها القائد للتأثير في عملية الإقناع ودفع التابعين للتمركز حول القوة وفطنة القائد وهي: ^(٤٩)

١. المكافأة: هي القوة التي تتركز على عنصر المفاجأة للتابع وذلك عن طريق تقديم هدية له أو توجيه شكر أو زيادة في دخله.

٢. القانونية: القوة المستخلصة من قوة الفرد في المجموعة أو في النظام الإداري المتسلسل في المؤسسة الحكومية، فالذي يتمتع بمستوى أعلى من غيره بقربه من المراكز العليا يكون أكثر قوة من البعيد عنها، لأن القائد هنا يتمتع بالسلطة القانونية العليا.

٣. المهارة الفنية (الثقة): هنا تتمركز القوة على مهارة خاصة هي الثقة بالنفس أو المعرفة العليا، إذ يدرك الاتباع أن الشخص الذي يتمتع بالمهارة العالية هو المتفوق عليهم بها.

٤. الإعجاب: نعني به قوة الجاذبية وحب الآخرين له بشكل يثير إعجابهم لما يمتلك من نقاط قوة في سماته الشخصية مما يؤدي إلى تمتعه بشعبية بين أتباعه.

بعد أن أوضحنا فيما تقدم نقاط القوة في القيادة والضعف المتمثلة بأمراض البيروقراطية التي تصيب القيادات والإدارة في المؤسسات الصحفية لا بد لنا من تسليط الضوء على موضوع مهم إلا وهو خلق الولاء للمؤسسة الذي يعد أحد الضمانات الأساسية للتمسك بأخلاقيات العمل الصحفي إذ إن الصحفي الذي يشعر أنه يعمل لغيره وأن رئيس التحرير لا يحترمه ولا يفسح المجال لأبراز ابتكاراته وآرائه ينتهي به المطاف إلى الخروج عن قيم المؤسسة وأهدافها لا سيما إذا اقترن شعوره هذا بوقوع الظلم عليه ممن هو أعلى منه يومه بأنه هو الآخر عليه أن يتعدى الحدود ويتجاوز على القيم الأخلاقية ويخرج عنها بحجة أن من هو أعلى منه يستحوذ على المكافآت والهبات ويجحد حق العاملين فيسهل كل ذلك فساد ضمير من هو على إيمان ضعيف وخلق مهلهل.

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن المدير الفعال لأي مؤسسة يستطيع أن يربي لدى منتسبيه القيم والمثل العليا التي يدعم من خلالها اتجاهاتهم في الولاء للمؤسسة التي يعملون فيها ليكون قادراً على تحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح في قيادة مؤسسته التي يمكن إجمالها بـ: ^(٥٠)

الإهتمام بالإنتاج والعاملين في مؤسسته واستخدام أسلوب إشرافي عام على مرؤسيه والحرص على بناء الفريق الواحد وإيجاد مناخ تنظيمي يتميز بالدفء والمرونة والابتعاد عن الحرفيات الدقيقة وسماع مقترحات الآخرين وإبراز قدرته الفاعلة في التأثير في رؤسائه والحرص على ممارسة العمل بأفق متسع ونظرة شمولية.

49 - James L. Gibson , et.al. Organization Behavior, Structure, OP.Cit, P181.

٥٠- د. عبد الباري الدرة، من هو المدير العربي الفعال؟ نحو نظرة متكاملة لفعاليته، مجلة الإدارة العامة، العدد ٤٢ لسنة ١٩٨٤، الكويت، ص٨.

ثالثاً: فريق العمل

يعد فريق العمل الصحفي أحد مصادر أخلاقيات المهنة، إذ تحدد طبيعة العلاقات القائمة بين الصحفيين داخل المؤسسة الصحفية اتجاهها سلباً أو إيجاباً.

لذلك أكد الباحثون في الإدارة، قيم العمل وأخلاق العمل وعدوها واحدة من حيث الجوهر من خلال التعريف الذي وضعوه بأنها ((القيم السائدة التي تنظم العلاقات بين الأفراد في المجتمع الواحد، ثم تنتقل مع الفرد عند دخوله منشآت الأعمال وتؤثر في سلوك العاملين ومستوى أخلاقهم سواء كان ذلك بطريقة إيجابية أم سلبية))^(٥١).

كما أعطى هؤلاء الباحثون لدراسة السلوك المؤسسي أهمية كبيرة في بيان سبب إستمرارية وتماسك المجموعات أو بالعكس معللين ذلك إلى قضاء العاملين في المؤسسة يوماً كاملاً من العمل سوية كجماعة، لذا بات من الضروري على الإدارة أن تفهم صفات المجموعات الصغيرة لأسباب عدة هي:^(٥٢)

- ١- إن المدير هو الشخص الذي يقودهم.
- ٢- زمالة المجموعة تؤثر في سلوك وأداء أعضاء المجموعة.
- ٣- الجماعات التي في حالات صراع مع بعضها سوف تقيد إنجاز العمل كونه هدفاً للمؤسسة.
- ٤- إن محاولة تأثير المجموعة في الناس يختلف بصورة فردية بينما يتأثر الناس من خلال المجموعة وبعضهم لا يتأثر إلا بصورة قليلة أو لا يتأثر أبداً. وتؤثر الجماعات المتصارعة مع بعضها في سير العمل بسبب مقاطعتها تأثير أداء الآخرين بصورة فعالة، ويعزى نشوء مثل هذه الصراعات إلى أسباب عدة هي:^(٥٣)

- ١- الفروقات الفردية بين الأفراد: هي فروقات فيزيائية واجتماعية خاصة بين رئيس مجموعة شاب وآخر كبير في العمر وما يتضمنه الفرق بين العمرين من خواص.
 - ٢- المصادر المحدودة: المادية والمعنوية والتمتع بمركز القوة.
 - ٣- اختلاف الدور: يأتي من خلال دور عمل الموظف وقربه من الإدارة أو بعده عنها.
 - ٤- جو المؤسسة: إذ تؤثر بيئة المؤسسة على سلوك الموظف وتضم صفات مثل: الهيكلية والتحدي والمسؤولية والدفء والدعم ونظام العقوبة والتحذيرات.
- وتؤثر علاقات الزمالة في مقدار التفاعل داخل الجماعات في المؤسسة ومن ثم في الإنتاج والأبتكار ومستوى الروح المعنوية للعاملين، فقد وجد الباحثون أن قادة الجماعات المرتفعة في إنتاجها وفي روحها المعنوية يتلقون مساعدة من أعضاء جماعاتهم أكبر مما يتلقاه قادة الجماعات المنخفضة في إنتاجها وفي روحها المعنوية.
- ويؤكدون أيضاً أنماط الصداقة والعلاقات القائمة بين الموظفين ومستوى الإنتاج، فالجماعات المرتفعة في إنتاجها وفي روحها المعنوية تكون اتصالاتهم الاجتماعية أوثق والمشاركة في النشاط

٥١- زكي راتب غوشة، أخلاقيات الوظيفة في الإدارة العامة، ط١، مطبعة النوفيق، عمان، ١٩٨٣، ص ١٥٤.

52:- James L. Gibson, et.al. Organizations Behavior Structure, OP, Cit,P127.

53:- OP. Cit. Lbid, P 166.

الاجتماعي أكبر من الجماعات المنخفضة في إنتاجها... كما إن قادة الجماعات الأولى يتميزون بكثرة أصدقائهم وبعلاقاتهم الاجتماعية أكبر من قادة الجماعات الثانية.^(٥٤)

وفي المؤسسات الصحفية فأن آليات العمل تفرض على زملاء المهنة أخلاقيات مهنية تصبح بمرور الزمن جزءاً من متطلبات إنجاز العمل أو ما نسميه بتقاليد العمل.

وتعكس العلاقات التي تسود فريق العمل شكلها الإيجابي أو السلبي على إنجاز ما مطلوب من واجبات صحفية مختلفة، فالفريق المتعاون الإيجابي الذي تسوده الألفة والمحبة والصدقة يكون أداؤه أفضل وينعكس على الممارسة في التطبيق العملي والمضمون.

وتستطيع المؤسسة الصحفية أن تنمي علاقات إيجابية بين فريق العمل الواحد من خلال إتباعها أساليب عدة مثل: توفير الفرصة للعاملين للتفاعل الاجتماعي وخلق روح الفريق والصدقة والدعم وإجراء لقاءات معهم لمناقشة إنجازاتهم وتشجيع الأسهامات الجيدة للعاملين وزيادة كفاءة أداء الفريق بتقديم المساعدة لهم وتوفير الاحترام والتقدير للفريق المتميز وأعطائهم بعض الأمتيازات أو الألقاب الإدارية وتشجيع الابتكارات وتطويرها وتأمين الاستقرار الوظيفي والمرتبات الكافية لكي يشعروا بالأمن والأمان في المؤسسة:^(٥٥)

كل هذه العوامل إذا ما توافرت وأحسن استخدامها استخداماً جيداً سوف يتكون لدى المؤسسة، فريق عمل متفان ومنضبط لتحقيق أهدافها على أفضل وجه ويخلق روح الألفة والتعاون ويعزز أواصر العلاقة بين زملاء المهنة لتسود المحبة والاحترام التي هي روافد أساسية من أخلاقيات المهنة الصحفية.

وعلى الرغم من إن فريق العمل الصحفي هذا لا ينفصل عن الإطار الأخلاقي العام المجتمعي والمؤسسي والسياسي والمهني، فأنهم يشتركون بها جميعاً بما يحتم عليهم أن يكونوا على معرفة ودراية مسبقة بها، كالمواثيق والقوانين والدساتير التي تؤثر بالنتيجة في طبيعة عمل الفريق الواحد داخل المؤسسة الصحفية، فمثلاً: دستور اتحاد الصحفيين العرب حدد عدداً من الواجبات الأخلاقية، فقد جاء تحديداً في البند (٩ و ١٠ و ١١) على:^(٥٦)

١. الصحفيون ملزمون بالتعاون لرفع مستوى الصحافة العربية في توجيهها وفي الأشخاص القائمين بالعمل فيها، وأن ينبذوا من بينهم كل من يخل بشرف المهنة أو ينزل بمستواها فيما يكتب أو ينشر أو يعمل.

٢. الصحفيون يدافعون عن كرامة المهنة وحقوق الزملاء دفاعاً مشتركاً بمختلف وسائلهم الصحفية.

٣. كل صحفي أمين على أسرارته وأسرار زملائه المهنية.

٥٤ - د. لويس كامل مليكة: سيكولوجية الجماعات والقيادة، م.س.د، ص ٥٩٢ - ٥٩٣.
٥٥ - أنظر: د. صالح خليل أبو أصبع، إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، م.س.د، ص ٣٢١.
٥٦ - عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، م.س.د، ص ٢٧.

رابعاً: - المجتمع

من مصادر أخلاقيات المهنة المهمة أيضاً هي المجتمع، لأنه المنبع الرئيس الذي يستمد الصحفي أخلاقياته المهنية منه. ولكي تكون رسالته الصحفية الموجهة إلى الجمهور مؤثرة لا بد له من أن يعبر عن نبض الجماهير وإحساسها ومشاكلها وهمومها، والتطلع دوماً إلى عرض رسالته بموضوعية وشفافية واضعاً الحلول المقترحة وموجهاً ومعلماً وهادياً بمختلف القضايا التي تهم المجتمع، ذلك لأن ((الناس تميل إلى التطلع إلى وسائل الإعلام طلباً للمعلومات والتوجيه والعون المعنوي، وكلمات التشجيع والقصص الخيرية التي تشبع الأفكار المتعلقة بالتسامح والتفهم والحب والسلام والتي تولد الأمل)).^(٥٧)

ومن جانب آخر نجد في المناطق التي يحدث فيها الصراع أو يؤر التوتر أو الاحتلال غالباً ما تصدر أحكام تعسفية كتلك التي تتعلق بالإعدامات مثلاً... وتبرز هنا أهمية المهنة الصحفية من خلال أداء واجبها الأخلاقي في المساعدة في ((لفت انتباه الأمة إلى أحكام وتقييمات الأطباء الحساسين والعلماء اللاهوتيين، وهكذا يجري اختبار معايير المهن المشمولة بمعايير المجتمع الأكبر))^(٥٨)، ومن هذا يتضح بجلاء الربط بين أخلاقيات المهنة الصحفية بأخلاقيات المجتمع الأكبر.

وتشكل القيم الاجتماعية والأعراف والعادات والتقاليد السائدة وطبيعة التنشئة الاجتماعية أهمية كبيرة في استقاء الصحفي لأخلاقياته منها. ويدخل عامل الدين هنا مؤثراً رئيساً في تشكيل هذه القيم والأخلاقيات لا سيما في المجتمعات الإسلامية.

وتعد التربية الأخلاقية البذرة الأولى لعمليات التنشئة الاجتماعية في زرع القيم والأخلاق التي أوصى بها الإسلام لخلق مجتمع متماسك تسوده الألفة والمحبة والتعاون والابتعاد عن الغش والخداع والتضليل، لذلك فإنها تعد بصورة إجمالية الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة.

أذن يعد المجتمع الذي يتمسك بهذه المبادئ العظيمة مصدراً من مصادر الضبط الاجتماعي الذي يحدد سلوك الأفراد ويعتمد الثواب والعقاب، وقد وردت في هذا الجانب آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة كثيرة. ففي ميدان العمل قال رسول الله ﷺ: ((يحب الله العامل إذا عمل إن يحسن))^(٥٩) وهذا يفسر معني قول الرسول ﷺ في هذا الموضوع ((الإسلام حسن الخلق))^(٦٠)، وقوله أيضاً ((خيركم إسلاماً أحسنكم أخلاقاً إذا فقهوا))^(٦١) والإسلام بصفته خير مربٍ للأخلاق لدى الفرد والمجتمع فإنه يتشعب إلى جميع مفاصل الحياة لبناء نسيج اجتماعي متماسك ومنها:

٥٧ - ألبرت ل. هستر، دليل الصحفي في العالم الثالث. ترجمة كمال عبد الرؤوف. الدار الدولية للنشر والتوزيع. القاهرة. ١٩٩٨، ص ١٥٤.

٥٨ - روبرت شمول، مسؤوليات الصحافة، ترجمة: الفرد عصفور، مركز الكتب الأردني، دون مكان الطبع، ١٩٩٠، ص ٧٦.

٥٩ - الأمام السيوطي، الجامع الصغير، ج ٢، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفي، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٥.

٦٠ - الأمام البخاري، كتاب الأدب المفرد، ط ٢، المكتبة السلفية، ١٣٧٩ هـ القاهرة، ص ١٠٧.

٦١ - الأمام أحمد بن حنبل، منتخب كنز العمال في هامش مسند الأمام أحمد، ج ١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٣٢.

أولاً: تكوين روح الخير وتجنب سلوك الشر.. قال تعالى: ((ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون))^(٦٢).. وقال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت))^(٦٣).

ثانياً: تكوين روح الإنسانية: أي غرس الإنسانية في نفس الطفل منذ صغره أي أن ينظر إلى الناس كما ينظر إلى نفسه. قال رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٦٤).

ثالثاً: تكوين الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية.

قال رسول الله ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))^(٦٥).

وقال أيضاً: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً))^(٦٦).

رابعاً: تكوين روح التعلق بالمجتمع... قال رسول الله ﷺ: ((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ومن أراد مجبوحة الجنة فليلتزم الجماعة))^(٦٧). وشدد الإسلام على سلامة المجتمع ووحدته من التفكك والانحياز وذلك بعدم إثارة التفرقة والفتن فقال تعالى: ((ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم))^(٦٨).

إذن... مما تقدم نصل إلى حقيقة أن المجتمع العراقي بما يحمل من قيم وعادات وتقاليده وسلوك إنساني واعتناقه للدين الإسلامي الحنيف، يعد مصدراً رئيساً من مصادر أخلاقيات المهنة الصحفية.

والصحفي العراقي الذي يعمل داخل مجتمعه هو بالتأكيد ينحدر من البيئة المجتمعية نفسها التي كونت لديه السلوك والعادات والتقاليد وهو ابن البيئة نفسها التي عاش وترعرع بها أبناء جلدته. معنى هذا أنه سيضع بالحسبان كل القيم الأخلاقية التي اكتسبها من مجتمعه ودينه الإسلامي الحنيف وعاداته وتقاليده عندما يوجه رسالته الصحفية إلى جمهوره، وفي هذا الجانب يؤكد عدد من الباحثين أخلاقيات المهنة التي ينبغي أن يضعها الصحفي بالحسبان وهي أن تتضمن الرسالة الاتصالية ((القيم الاجتماعية والوظائف والأحتياجات الاجتماعية أي أن المجتمع هو الذي يحدد احتياجاته الاتصالية، وأن النظام الاتصالي هو الذي يحدد الوظائف والقيم الاجتماعية التي تشبع تلك الاحتياجات... وفي بعض الحالات يقوم النظام الاتصالي بتحديد الاحتياجات الاتصالية للمجتمع في ضوء تصوره

٦٢ - سورة الحجرات ((٧)).

٦٣ - الأمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم ((كتاب الإيمان))، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، د.ت، ص ٦٨.

٦٤ - محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج ١، من كتاب الإيمان، د.ت، ص ١٠.

٦٥ - صحيح مسلم ج ٤، كتاب الإيمان، د.ت، ص ٩٩.

٦٦ - المصدر نفسه.

٦٧ - السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ج ٥، بنغازي د.ت، ص ٣٨٠.

٦٨ - سورة آل عمران ((١٠٥)).

لمصلحته وبالتالي تحدد الوظائف والقيم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تشبع تلك الاحتياجات^(٦٩).

ومن الأهمية التي تحوزها الصحافة أيضاً في أنها: ((تؤدي دوراً مركزياً في عملية الانتقال الاجتماعي من المجتمع بصفته تجمعاً سكانياً إلى المجتمع بصفته رأياً عاماً مؤثراً. أي أن الصحف تسهم أسهاماً رائداً في التنقية النوعية للمجتمع وتحرره من الأمية المترسبة في واقعة بصورة وعي متخلف^(٧٠).

ويرى آخرون أن ((نجاح أي عملية اتصالية يرتبط أساساً بمدى معرفتنا بنوعية الجمهور الذي يستقبل الرسالة. ولذا فإن معرفة الخصائص الديمغرافية والخصائص الشخصية للجمهور أساسية، لتوجيه الرسائل الملائمة إليهم، والنوع الأول من الخصائص يشمل على متغيرات مثل: العمر، الجنس، الدخل، والوضع الاجتماعي والعرق، والانتماء الديني... الخ بينما تشمل الخصائص الشخصية والسيكولوجية على خصائص مثل: الذكاء، والسلوك، والآراء، والقلق، والانفتاحية، والثقة بالنفس وغيرها، ومثل تلك الخصائص تعتبر هامة في عملية الأقتناع^(٧١).

أذن نخلص إلى القول إن لوسائل الإعلام تأثيرات كبيرة في القيم والاتجاهات ونمط الحياة والذوق العام لا سيما نمط الحياة في الملابس والمأكل وأقتناء الحاجيات... الخ.

ويمثل الصحفي دور أختصاصي الجماعة في أثناء تأديته لمسؤولياته المهنية والاتصالية تجاه الأفراد والجماعات والمجتمعات لكي يحقق أغراضه المجتمعية ومن أهم هذه الأغراض ((مساعدة الأفراد على النضج وتنمية شخصياتهم ومقابلة حاجاتهم إلى أقصى حد ممكن، وكذلك إتاحة الفرصة للأفراد لاكتساب المهارات المختلفة التي تزيد من قدرتهم الإنتاجية وتنمية قدرتهم الابتكارية... كما تهدف إلى غرس القيم الاجتماعية كالعدل والأمانة ومراعاة آداب السلوك والقواعد العامة والقوانين في الأفراد ليتكيفوا مع المجتمع وكذلك تنمية القدرة على القيادة وتمسك الأفراد بحقوقهم والمطالبة بها^(٧٢).

لذلك يتوجب على الصحفي الناجح أن يضمن رسالته الاتصالية ما يتسم بالذوق الرفيع الذي ينمي ميول ورغبات الجماهير التي لا تخرج عن الأطار الأخلاقي للمجتمع لأن هذا الأسلوب ((يرفع المستويات وأنه تعليمي وملهم بشكل ما ويدخل تحت هذه الفئة على سبيل المثال، الموسيقى الجادة، والمناقشات السياسية والأفلام الفنية أو المجالات المتخصصة للتعليق السياسي^(٧٣). أذن، الرسالة الإعلامية الهادفة هي التي تضع جميع الاعتبارات المجتمعية والثقافية والسياسية والدينية التي تربي الأخلاق وتقوي السلوك القويم لدى جميع أفراد المجتمع.

٦٩ - د. راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، م. س. ذ.، ص ٤٨.

٧٠ - عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، م. س. ذ.، ص ١٣.

٧١ - د. صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، م. س. ذ.، ص ١٥٢.

٧٢ - أبو النجا محمد العمري، الاتصال في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ٢٦٧.

٧٣ - د. جيهان أحمد رشدي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، كلية الإعلام جامعة القاهرة، ط ٢، دون مكان الطبع، ١٩٧٨، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

المبحث الثاني: الممارسة الصحفية

أ- مفهوم الممارسة :

يقصد بالممارسة ((مزاولة العمل الصحفي وفق ما تحدده السياسات الاتصالية للقائمين بالاتصال من حقوق وواجبات ومجال الحركة، وكل ما يتعلق بذلك من ضوابط سياسية وتنظيمية وعقابية))^(٧٤).

وفي الوطن العربي فإن مجالات تطبيق السياسة الإعلامية تتضح من خلال وجود أنظمة إعلامية تنحو منحى ليبراليا بإطلاق حق ممارسة العمل الصحفي للمواطنين جميعاً، وأخرى ذات منحى اشتراكي (مركزي) والثالثة تأخذ بأسلوب القيد المسبق لدى الأجهزة الحكومية قبل مزاولة العمل الصحفي.

وتحدد سياسات الاتصال في جوانبها القانونية ((حدود الممارسة الصحفية ما هو مسموح وما هو محظور حفاظاً على تماسك النظام وأيديولوجيته ومكوناته ذاتها))^(٧٥).

ويؤكد الدكتور راسم محمد الجمال أن قادة نظم الاتصال القطرية ومديرية يفهمون حقوق الإعلاميين وممارستهم على أنها ((حقهم في التعامل مع الواقع بأدب))^(٧٦)، وأن أي خروج في التعامل المؤدب يقابل بما لا يحمد عقباه.

وفي الإطار الاختصاصي للمهنة فإن الممارسة العملية تشكل للصحفي المبتدئ أهمية كبيرة في كسب المعرفة، ليضع أولى خطواته على الطريق الصحيح، وتحديد نوع العمل المطلوب منه أو الاختصاص الذي يمارسه في تلك الصحيفة أو المجلة.

ويكتسب الصحفي فضلاً عن تأهيله الأكاديمي خبرة مهنية تتيح له ولوج ميدان الصحافة والاحتراف الصحفي مستقبلاً. ((المعرفة هي رأس المال الصحفي والمصدر الأساسي لطاقتها المتجددة وكلما نضبت معرفة الصحفي تقلصت حدود ممارسته وازدادت فقراً... ويتولى التأهيل تطوير مدارك الصحفي ومعارفه، كما أن التجربة العملية هي خير محرك فعال ومؤثر قوي لإمداد الصحفي بالمعارف الضرورية لنجاحه في عمله))^(٧٧).

وتعد معرفة الصحفي المهنية معرفة مركبة وموسوعية مما يميزها عن باقي المهن الأخرى كونها مستمدة أصلاً من الممارسة الصحفية بعدها المنطلق، وهذه الممارسة تأتي من المعرفة الدقيقة للاختصاص أي نوعيه النشاط الذي يزاوله الصحفي سواء كان أخبارياً أم تحريراً أم فنياً أم إدارياً.. الخ وتشمل ثلاثة جوانب، الأولى ما يتصل بالمزايا الشخصية المتمثلة بالعقلية والعاطفة والخبرة والعلاقات والديناميكية الاجتماعية.. الخ والثانية تأتي من تطوير الخبرة العملية في الممارسة الصحفية المحددة بالذات، إذ تتكون الخبرة في التكثيف النوعي وليس الكمي للممارسة اليومية

٧٤- د. راسم محمد الجمال، الاتصال والأعلام في الوطن العربي، م. س. د.، ص ٦٠.

٧٥- المصدر نفسه، ص ٣٨.

٧٦- المصدر نفسه، ص ٧١.

٧٧- عزيز السيد جاسم، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، م. س. د.، ص ٩٣.

والمستمرة بلا انقطاع، أما الثالثة فهي الاستفادة من خبرات الآخرين من العاملين المبدعين في الصحافة^(٧٨).

إذن نخلص إلى القول إن الممارسة الصحفية هي مزاولة الصحفي للمهنة الصحفية بكل ما تنطوي عليها من حقوق وواجبات... ويكتسب الصحفي خبرته فضلاً عن تأهيله الأكاديمي عن طريقين أو لهما كسب المعرفة من خلال الممارسة وثانيهما المعرفة الدقيقة بالاختصاص الذي يمارسه.

ب- محددات الممارسة:

ونقصد بمحددات الممارسة ((مجموعة القيود والكوابح السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمهنية التي تؤثر على إدارة المؤسسات الإعلامية في اتخاذ القرار سواء أكان القرار تحريراً يتعلق بالرسالة الإعلامية أم إدارياً بحتاً))^(٧٩). وهذه المحددات هي:-

١- ضغط الإدارة:

تمثل الإدارة بطبيعة الحال سياسة المؤسسة الصحفية، ولكونها تتعرض إلى مختلف الضغوط فأنها تنعكس بالنتيجة على أداء العاملين فيها تحريراً وإدارياً.

لذلك فإن ((أسلوب تنظيم المؤسسة ذاته وطبيعة العلاقات التي تحكم أفراد المؤسسة وتنظيم العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين ونوعية القيادة، كلها عوامل هامة في التأثير على فعالية المؤسسة الإعلامية))^(٨٠).

ولأجل أن تنفذ إدارة المؤسسة الإعلامية سياستها فأنها تمارس ضغوطها على منتسبيها مما يشكل ضغطاً مضافاً من ضغوط العمل الصحفي.

إذ تشير كلمة الضغط إلى ((مجموعة من التغيرات الجسمية والنفسية التي تحدث للفرد وردود فعله أثناء مواجهته لمواقف المحيط التي تمثل تهديداً له، ويحدث الضغط في المواقف التي يدرك فيها، إن قدراته لمواجهة متطلبات المحيط تمثل عبئاً كبيراً عليه))^(٨١).

ويؤكد الباحثون أهمية دراسة مصادر ضغط العمل ويقسموها إلى مجموعتين تنظيمية وشخصية، فالمصادر التنظيمية تتضح من خلال الاختلاف المهني مثل اتخاذ قرارات مهمة في ظل ظروف عدم التأكد وغموض الدور وصراع الدور وزيادة وانخفاض عبء الدور الذي نعني به الافتقار إلى المعلومات لإنجاز العمل ومطالبة المدير بتحسين الكفاءة من دون الاستغناء عن أي موظف وقيام الموظف بمهام لا يستطيع إنجازها في الوقت المتاح أو تتطلب مهارات عالية لا يمتلكها، كما أن مسؤولية الفرد عن أفراد آخرين يشكل ضغطاً آخر من ضغوط العمل وكذلك الافتقار إلى فرص الترقية وعدم المشاركة في اتخاذ القرارات وهيكل التنظيم الإداري الطويل والظروف المادية غير المريحة أو الخطرة على الصحة كلها عوامل ضغط تنظيمية كبيرة تؤثر في أداء العاملين في المؤسسة.^(٨٢)

٧٨ - المصدر نفسه، ص ٩٦ - ٩٩.

٧٩ - د. صالح خليل أبو إصبع، إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، م. س. د.، ص ٨٣.

٨٠ - المصدر السابق، ص ٩٤.

٨١ - د. سمير أحمد عسكر، متغيرات ضغط العمل، مجلة الإدارة العامة، العدد ٦٠، الرياض، ١٩٨٨، ص ٩.

٨٢ - المصدر نفسه، ص ١١.

ويقصد بظروف العمل ((الظروف التي يمكن أن تؤثر على مستوى جودة الإنتاج بصورة سلبية أو إيجابية))^(٨٣).

أما المصادر الشخصية لضغط العمل فأنها الأخرى تؤدي دوراً مهماً في تحديد مستوى المعاناة من الضغط، ذلك لأن الأفراد لا يستجيبون بالطريقة نفسها للمواقف الضاغطة ومن أهم هذه المؤثرات هي غط الشخصية التي تختلف من فرد لآخر فهناك من يكون أكثر عرضة للأمراض الناتجة من المواقف الضاغطة كأمراض القلب مثلاً في حين أن هناك من يتميز بالثقة والهدوء الذي يتيح له العمل باعتدال والقدرة على التحكم بالأحداث والسيطرة عليها بدرجة كبيرة، كما أن هناك فروقات فردية من ناحية مقاومة الضغوط التي تحصل من جراء العمل من شخص لآخر كما في الشخصية المنطوية والشخصية المنسطة، ومدى استجابتهم للمواقف الضاغطة، ويؤدي التوافق في قدرات الفرد مع متطلبات الوظيفة وحاجاته دوراً في تخفيف معاناته من ضغط العمل وبالعكس^(٨٤).

ويحدد الدكتور سمير أحمد عسكر تأثيرات الضغط في السلوك التنظيمي لا سيما إذا كان التعرض لضغط العمل حاداً ومستمرًا ومنها ما يأتي:^(٨٥)

١- **الضغط والأداء:** فكلما كان الضغط منخفضاً يحافظ الفرد على مستوى الأداء ويحفزه على زيادة مستوى الأداء، أما الضغط المعتدل فيمكن أن يكون مسؤولاً عن خلق النشاطات المبتكرة عند محاولة الفرد حل مشكلة صعبة ضاغطة، أما في المستويات العالية من الضغط فتبدأ التأثيرات السلبية بالظهور مثل الإجهاد والشعور بعدم الرضا.

٢- **الضغط وترك العمل والغياب:** هناك علاقة متوافقة بين الضغط وترك العمل والغياب ويعدون من الأشكال المناسبة للانسحاب من الوظائف التي يعاني فيها الموظف من مستوى عالٍ من الضغط.

٣- **العدوانية والتخريب:** يمكن أن يؤدي الإحباط الحاد إلى ظهور السلوك العدواني تجاه الأفراد والأشياء مثل الاعتداء والسب أو تعطيل الآلة.

وبشكل عام فإن إدارة المؤسسة الإعلامية تمارس ضغطها على منتسبيها لأنها تعدّ ((القائم بالاتصال أحد آليات المؤسسة الإعلامية، وسياسة المؤسسة هي أخذ بنود التعاقد الرئيسية مع القائم بالاتصال فيه، وهذا ما يؤكد الاتساق الكامل مع هذه السياسة التي تطبع سلوك القائم بالاتصال بطابعها الذي يتمثل في أهدافها ومراميها وعلاقتها بالقوى الخارجية في المجتمع وتؤثر السياسة بالتالي في تحديد الضوابط والقيود وأولويات النشر واختيار الصور التي تتفق مع السياسة وأهدافها))^(٨٦).

٨٣ - د. زكي راتب غوشة، قاموس الإدارة العامة، انكليزي - عربي، ط ١، مطبعة التوفيق، عمان، ١٩٧٥، ص ١٠.

٨٤ - د. سمير أحمد عسكر، متغيرات ضغط العمل، م.س.د، ص ١٤.

٨٥ - المصدر نفسه، ص ١٦.

٨٦ - صلاح الدين حافظ، شرف الكلمة وحرية الصحافة، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٨٩، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢١٩.

١- ضغط الفريق:

يُعدّ ضغط الفريق واحداً من محددات الممارسة الصحفية، ذلك لأن الصحفي نادراً ما يعمل بمفرده بل هناك زملاؤه في العمل بمختلف مستوياتهم ومسؤولياتهم وخبراتهم يؤثرون فيه لا سيما في اتخاذ قرارات النشر.

ويقصد بضغط الفريق أو ضغط الجماعة المناظرة ((القرارات التي تتأثر بزملاء المهنة))^(٨٧).

ويتضح هذا بجلاء من ممارسة حارس البوابة لأداء عمله إذ أنه يعمل ضمن محيط يوافر لدى بقية زملائه درجات وظيفية يشغلونها وبحسب خبراتهم وكفاءاتهم، فهناك المحرر والمحرر الأقدم ورئيس التحرير وسكرتير التحرير ومدير التحرير ورئيس التحرير، فعندما تبدأ سلسلة حراس البوابة بمحرر الخبر وانتهاء عند مدير التحرير أو رئيس التحرير يكون الخبر قد خضع إلى مرشحات عدة بعدها يبت اتخاذ قرار النشر وكيفية النشر أو عدم الموافقة على النشر.

ذلك لأن مسؤولية التحرير ((يشارك في تحملها الكثير من الأشخاص العاملين في الصحيفة... وأن مساعداً لرئيس التحرير أو أكثر هو الذي يقرر ما ينشر وما لا ينشر وهو الذي يقوم بالمراجعة النهائية لتحرير الدقة والجودة))^(٨٨).

وضغط الفريق بين العاملين في وسائل الاتصال ((يمكن أن يجعل حراس البوابة ينظرون بجدية إلى أعمالهم وإلى المدلولات التي ينطوي عليها بالنسبة للجمهور))^(٨٩).

فحارس البوابة هو الذي ((يقول نعم أو لا للرسائل التي تصله ويضع أولويات النشر أي يحدد للناس ما سيتحدثون عنه وكم هي هامة الموضوعات التي تركز عليها وسائل الإعلام))^(٩٠).

ويضطلع رؤساء الأقسام في الصحيفة بدور حارس البوابة من خلال أدائهم واتخاذهم لقرارات النشر بحيث ((يقدمون لرئيس التحرير المواد المرشحة للنشر ويوفرون بذلك فرصة له لاختيار محدود))^(٩١)، من الأخبار والموضوعات التي رشحوها.

من هذا نستنتج أن عملية اتخاذ القرار ضمن فريق العمل ليست مفردة بل تخضع لسلسلة حارس البوابة وانتهاء باتخاذ القرار الأخير من مدير التحرير أو رئيس التحرير.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن غياب ضغط الفريق أو ضغط الجماعة المناظرة ((يمكن أن يكون له اثر عكسي تماماً بما ينعكس على المعالجة الاخبارية الضيقة الأفق للقضايا... وقد يجد المخبر نفسه في ورطة عند غياب شخص آخر يساعده في جمع المعلومات وتغطية الأخبار))^(٩٢) بل حتى في اتخاذ قرارات النشر لأسباب تتعلق بالكفاءة أو تحمل المسؤولية في السلم الوظيفي أو انشغال المخبر بأمر ما يجعله بعيداً عن اقتناص الخبر فيكون زميله الآخر ضمن فريق العمل جاهزاً للمهمة بدلاً منه.

٨٧ - جون. ر. بيتنز، الاتصال الجماهيري، م.س.ذ، ص ٣٦٣.

٨٨ - ألبرت. ل. هستر، دليل الصحفي في العالم الثالث، م.س.ذ، ص ١٥٧.

٨٩ - جون. ر. بيتنز، ص ٣٥٨.

٩٠ - د. صالح خليل أبو إصبع، أداره المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، م.س.ذ، ص ٩٥.

٩١ - المصدر نفسه.

٩٢ - جون. ر. بيتنز، ص ٣٥٩.

ويؤكد المتخصصون في الإعلام وجود قوتين لهما تأثير ملحوظ في معالجة الأخبار ضمن ما يسمى بفريق العمل هما: ((مجموعة حراس البوابة وسلسلة حراس البوابة. فالثانية تسمح باتصال شخصي ضئيل بينهم ومن ثم تكون هناك فرصة أكبر لتشويه الأخبار، أما الأولى فأنها تسمح للحراس بمراجعة وإعادة مراجعة القرارات التي يتخذونها وبالتالي تقلل من احتمالية التشويه))^(٩٣). وبشكل عام فإن ضغط الفريق الذي يعمل فيه حارس البوابة يجعله يندفع في تطوير مهاراته وقدراته داخل المجموعة انطلاقاً من حقيقة أن مصدر ((الجزء الذي يناله العامل في الجريدة ليس القراء الذي يعتبرون عملاؤه ولكن زملاؤه من العاملين معه ورؤساؤه لذلك يعيد العامل في الجريدة تحديد وتشكيل قيمه بحيث تتحقق له أكبر منفعة))^(٩٤).

٣- ضغط القوى الخارجية

ويشتمل على:

- أ- الرأي العام.
- ب- جماعات الضغط.
- ج- الأحزاب السياسية.
- د- وسائل الإعلام.

أ- الرأي العام:

يعد الرأي العام أحد الضغوط الخارجية المؤثرة في الممارسة الصحفية لما له من أهمية وتأثير كبيرين في الكثير من القضايا التي تهم الدولة والمجتمع. ذلك لأن الصحفي يعمل ضمن محيط مجتمعه ويتأثر ويؤثر به من خلال عمله، إذ يؤثر الرأي العام في ((سلوك الأفراد وسلوك الجماعة وسياسة الحكومة. فالأفراد والجماعات تعمل على الانسجام مع الرأي العام، ويعمل الجميع على أن يتسق سلوكهم معه. فالأفراد والجماعات يرغبون في أن يكونوا مثل الجميع، وتسعى الحكومات أن تكون قراراتها منسجمة مع الرأي العام لأن ذلك يوفر لسياساتها النجاح، ومما يعمل على عدم إثارة القلاقل والاضطرابات))^(٩٥). وتشير الدراسات الإعلامية والنفسية إلى أن عدم تقبل الرأي العام للرسالة الإعلامية يعد أحد الضغوط التي يجب على الصحفي أن يأخذها بالحسبان لتعديل رسالته الإعلامية ومعرفة المسبقة بسلوكولوجية الجمهور المتلقي وميوله ورغباته تجاه قضية من القضايا التي تهم المجتمع^(٩٦). وللرأي العام رقابة تفرض نفسها في الكثير من مجالات الحياة منها رقابة الناخبين عند اختيار ممثليهم في المجالس النيابية والشعبية وفي اختيار رئيس الدولة بعده رئيس السلطة التنفيذية... وكذلك من خلال ممارسة النقابات والجمعيات الرقابة على الإدارة العامة عندما تعمل هذه النقابات على

٩٣ - المصدر السابق. ص ٣٦٠.

٩٤ - د. جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، كلية الاعلام جامعة القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٩٧.

٩٥ - د. صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، م. س. ذ.، ص ١٤٥.

٩٦ - أنظر: د. لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة، ج ٢، م. س. ذ.، ص ٤٣٣.

توجيه قرارات الإدارة نحو تحقيق المصالح المشتركة لها عن طريق تقديم المساعدة بالرأي في إنجاز بعض الأعمال ذات الصلة بالإدارة العامة^(٩٧).

ويبرز دور الرأي العام عندما تظهر عوامل رئيسة تعمل على إثارته مثل ظهور الأزمات السياسية والاقتصادية والثورات والحروب مثل كارثة فلسطين أو ظهور مشكلة الأجور بين العمال وأصحاب العمل، كما أن الناس غالباً ما يتأثرون بالزعماء والشخصيات المحبوبة والشجاعة مثل جمال عبد الناصر والطهطاوي والشيخ محمد عبدة وأحمد عرابي وغيرهم^(٩٨)، الذين كان لهم دور كبير في قيادة الرأي العام والتأثير فيه، وقد عملت هذه النخبة على إثارة العديد من القضايا التي تهم المجتمع من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم ومواقفهم الشجاعة في محاربة التخلف والامية والظلم والاستبداد والاحتلال وتوجيه انتقاداتهم التي ألهبوا بها مشاعر الجماهير ونبهتهم من غفلاتهم لا سيما منذ نشأة الصحافة العربية عام ١٨٢٨ م حتى بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م الذي سمي عصرهم عصر التنوير العربي.

ومن الكتب المهمة التي أثارت نقاشاً طويلاً داخل العقل المصري كتاب لـ((محمد أفندي عمر)) نشر عام ١٨٩٩ م وأسمه ((حاضر المصريين وسر تخلفهم)) الذي تناول العوامل التي أدت إلى تدهور الحضارة المصرية معللاً ذلك بتخلف النظام السياسي في مصر آنذاك الذي كان وراء تخلف المجتمع المصري.

إن كشف الكاتب للكثير من الحقائق والثغرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر آنذاك وبأسلوب صريح وحاد لا يجرؤ أحد إلى التطرق إليها، مما أثار غضب كثير من القوى السياسية والاجتماعية والثقافية والصحفية وشغلها لمدة طويلة بالتحدث عن هذه الطروحات والأفكار^(٩٩).

وفي العراق كانت لدعوات شاعرنا الكبير جميل صدقي الزهاوي من خلال قصائده في تحرر المرأة ونبذ الحجاب أثر كبير في غضب الرأي العام المحلي آنذاك والمجتمع بأسره لا سيما لدى رجال الدين وعدوه خروجاً عن تعاليم الدين الإسلامي والأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة وصدروا حكماً بإهدار دمه الأمر الذي حدا بشاعرنا إلى الفرار بجلده إلى أسطنبول^(١٠٠).

وقد تناولت الصحافة العراقية بإسهاب آراء ومقالات العديد من الكتاب والنقاد والمثقفين وعلماء الدين هذه الدعوات وعدوها باطلة لما تشكله من خرق فاضح لتعاليم الدين الإسلامي الخفيف وخروج عن الملة.

والحقيقة أن ما أثاره الشاعر من دعوات كانت سابقة لأوانها، إذ تحدثنا كتب الرأي العام بأن هناك مواقف أولية تبنى لدى الأفراد منذ التنشئة الاجتماعية لهم مثل الموقف من حرية المرأة أو تقييد حرية الطلاق أو التزام نهج سياسي معين، وثانياً الموقف الاجتماعي السائد الذي يتشكل باتفاق

٩٧ - د. إبراهيم عبد العزيز شيجا، أصول الإدارة العامة، م.س.ذ، ص ٤٣٥.

٩٨ - د. أحمد محمد أبو زيد، سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص ١٢٢-١٢٣.

٩٩ - د. فاروق أبو زيد، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ١١٥ - ١١٩.

١٠٠ - ديوان الشاعر جميل صدقي الزهاوي، المجلد الأول دار العودة، بيروت، ١٩٧٢، ص(ن).

أسفري فالسفور للناس صبح
لم يقل في الحجاب في شكله هذا
زاهر والحجاب ليل بهيم
نبي ولا ارضاء حكيم

مواقف الجماعة إزاء قضية أو قضايا معينة بحيث تشكل مفهوماً عاماً وتصبح هذه المفاهيم في نهاية الأمر من الأمور المستعصية على التغيير^(١٠١).

وهذا ما أوقع الشاعر جميل صدقي الزهاوي بمشكلة كاد أن يدفع حياته ثمناً لها. في الوقت الذي أصبحت قضية الأمس مؤلوفة في عالم اليوم نتيجة تغير الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة آنذاك بفعل التطور والمدنية التي رافقت المجتمع.

ب- جماعات الضغط:

ويقصد بجماعات الضغط القوى ذات المصالح المادية والمعنوية المختلفة الموجودة في المجتمع التي تتخذ أشكالاً متعددة مثل المتدييات الفكرية أو

التنظيمات السياسية أو الجماعات الدينية أو المصالح الاقتصادية على اختلافها من تجار أو صناعيين أو جماعات حماية البيئة أو حماية المستهلك أو جماعات مراقبة وسائل الإعلام كما يحصل في أمريكا وغيرها.

وهذه القوى على اختلاف مشاربها وثقافتها واتجاهها تكون عادةً قراء جيدين لما تنشره الصحف وما تذيعة وسائل الإعلام الأخرى، ومن خلال هذه المتابعة المستمرة فإنها تمارس دوراً رقابياً على الكثير من القضايا المجتمعية أو السياسية أو الاقتصادية المثيرة للجدل وتأخذها بالعرض والتحليل والاستنتاج وتحاول أن تمارس ضغوطاتها بوسائل شتى للتعبير عن آرائها^(١٠٢).

إذ تتخذ هذه الجماعات من وسائل الإعلام المنافسة، وأحياناً بريد القراء والصفحات المفتوحة للآراء الحرة، وسيلة لطرح وجهات نظرها المختلفة.

اذن جماعات الضغط تراقب مضامين وسائل الإعلام وتستخدم هذه الوسائل للضغط على الصحفيين والإدارات الصحفية وتحاطب الرأي العام وتؤثر في صناعات القرار.

فعندما تنشر الصحيفة مثلاً خبراً غير دقيق عن شخصية فنية يكون رد الفعل عادة انتقادات موجهة للصحيفة عن أسلوب التغطية والمعالجة الأخبارية، لا سيما إذا كانت هذه الشخصية مؤثرة وفعالة داخل الوسط الفني وتحظى بالشهرة الجماهيرية، مما قد يتطور الموقف إلى مقاضاة الصحيفة جراء نشرها لمثل هذه الأخبار.

وهناك أساليب أخرى تعتمد هذه الجماعات مثل الاتصال بالجهات المعنية كوزارات الإعلام وإبلاغ شكاويها إلى المسؤولين أو إلى مالكي الصحف ورؤساء التحرير وقد تستخدم منابر المساجد أو منتدياتها، وقد يبلغ الضغط من هذه الجماعات بصورة أكبر لا سيما إذا امتلكت قوة اقتصادية ذات قدرة إعلانية كبيرة فأن ضغطها يمكن أن يمر عبر الإعلان نفسه بحيث تفرض وجهات نظرها الفكرية أو السياسية^(١٠٣).

إن فرض مثل هذه الضغوط من هذه الجماعات تجعل من وسائل الإعلام المختلفة تخضع في الغالب لها ومن ثم تنعكس على طبيعة الممارسة الصحفية التي يكون محورها الصحفي نفسه، فمثلاً

١٠١ - د. إسماعيل علي سعد، الرأي العام بين القوة والأبديولوجية، دار النهضة العربية، ١٩٨٨، ص ١٥٠.

١٠٢ - أنظر: د. صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، م. س. ذ، ص ٩٣.

١٠٣ - المصدر السابق، ص ٩٤.

عندما يرن الهاتف على رئيس التحرير من وزارة الثقافة والإعلام بوجود شكوى من شخصية أدبية أو ثقافية معروفة بشأن حوار صحفي كان قد نشر على أحد صفحات تلك الجريدة مفادها أن هناك خطأ ما قد وقع فيه المحرر الذي أجرى اللقاء معه، والشخصية ذات نفوذ بحيث أوصلت شكواها بسرعة إلى الوزارة، فماذا يفعل رئيس التحرير إزاء ما حصل؟ إن كل الذي يفعله هو معاقبة المحرر واتهامه بعدم الدقة والمصادقية وثانياً التنويه في الجريدة بالاعتذار للشخصية عن الخطأ الذي حصل وإيضاح التصحيح المطلوب ونشره.

ج- الأحزاب السياسية:

تمثل الأحزاب السياسية شكلاً آخر من الضغوط الخارجية التي تدخل في إطار محددات الممارسة الصحفية.

إذ يحتل موضوع الرقابة دائماً مكان الصدارة في أي منافسة بين وسائل الاتصال، ((فالقوى التي تعمل باتجاه فريد من السيطرة على مضمون وسائل الاتصال وتلك التي تعمل ضد هذا الاتجاه هي قوى موجودة في كل المجتمعات وتشمل جميع وسائل الاتصال وجميع مضامين هذه الوسائل))^(١٠٤).

وتقوم الأحزاب السياسية المعارضة بدور رقابي مهم على نشاط السلطة التنفيذية من خلال مناقشتها لسياسة الحكومة ومتابعة تنفيذها، كما تقوم بمطالبتها بتصحيح الأخطاء وتقويم الانحرافات في أجهزة الدولة، وتتنصّح رقابتها هذه من خلال قيامها بانتقاد سياسة الحكومة عن طريق ممثليها داخل المجالس النيابية أو عن طريق الصحف ووسائل الإعلام المختلفة فتكشف عن أوجه القصور في خطط الدولة وتشير إلى أوجه الانحرافات التي تتخلل تنفيذها^(١٠٥).

وفي إطار الممارسة الصحفية نجد أن حارس البوابة مثلاً ينتقي الأخبار التي تنسجم مع ميوله السياسية أو تشكل أهمية لحزبه إذا كان منتصباً إليه، إذ تؤكد الدراسات الإعلامية أن حارس البوابة كلما كان ذا اتجاه سياسي أو عقائدي، سيؤثر ذلك في قراراته في انتقاء الأخبار ويقوم ((بإهمال كل ما يخالفه أو يتعارض مع مصالحه أو على الأقل سيعمل على التقليل من شأنه بحيث يأخذ صفحات داخلية أو أسطر قليلة))^(١٠٦).

وهناك صحف تمول حزبياً مثل ((تمويل جريدة الوفد والشعب في مصر، ومجلة النداء في لبنان، وجريدة الرباط وجريدة الأهالي في الأردن))^(١٠٧)، إن مثل هذه الصحف الممولة حزبياً من الطبيعي أن تكون منحازة إليها أو تمثلها في خطها السياسي ومن ثم تخضع ممارسات القائمين عليها لضغوطاتها.

وإذا كان للأحزاب السياسية صحف تمثلها فإن المنافسة ما بين هذه الصحف نفسها تجعل الممارسة الصحفية تتأثر من ناحية الركض وراء الأخبار والتنافس على سبق الصحفي أو حتى عندما تكون

١٠٤ - جون. ر. بيتتر، الاتصال الجماهيري، م. س. ذ، ص ٥١٨.
١٠٥ - د. إبراهيم عبد العزيز شبحا، أصول الإدارة العامة، م. س. ذ، ص ٤٣٥.
١٠٦ - د. صالح خليل أبو إصبع، إدارة المؤسسات في الوطن العربي، م. س. ذ، ص ٩٥.
١٠٧ - المصدر نفسه.

هناك مواجهات فيما بينها يكون رد الفعل الطبيعي للعمل الصحفي أن تكون الأعمدة والمقالات والافتتاحيات والتحقيقات الصحفية مكرسة للرد على هذه المواجهات بشكل أو بآخر.

وقد تمارس هذه الأحزاب ضغوطاتها أن لم تكن لديها صحف تمثلها أو تمولها من خلال ثقلها السياسي وتأثيرها داخل الدولة والمجتمع فكلما كان لها دور كبير من التأثير أصبحت ضغوطاتها قوية ومؤثرة أيضاً ومن ثم تخضع الممارسات الصحفية إلى محددات هذه الضغوط.

د. وسائل الإعلام:

تعد وسائل الإعلام المختلفة من محددات الممارسة الصحفية الخارجية، إذ يشير بعض الباحثين إلى إن هناك قيوداً داخلية وخارجية تؤثر في القائم بالاتصال، وتتمثل هذه القيود بالملل والتعب إما من الرسائل أو الوسائل الإعلامية التي تتبدى من الكم الهائل من المواد الإعلامية والدعائية والإعلانية في الوسائل الإعلامية كافة، مما يتطلب من القائم بالاتصال البساطة في تحرير الرسالة واختيار الوقت الملائم لنشرها وعرضها أو إذاعتها. كما أن هناك قيوداً خارجية تتمثل بمجموعة المثيرات المنافسة الموجودة في البيئة المحيطة بالجمهور، فهناك عوامل كثيرة تحاصر المتلقي وتجذب انتباهه، وهو ما يطلق عليه - التداخل والتشويش - الذي يؤدي إلى أحداث نوع من تشتيت الانتباه وعدم التركيز وعدم تكرار الفكرة أو الموضوع^(١٠٨).

إذن يتضح مما تقدم إن الممارسة الصحفية تتأثر بضغوطات كثيرة تنعكس على القوة الإقناعية للرسالة التي تتمثل بمصدقية المصدر أو الثقة في المصدر والثانية - نية المصدر - وقدرته على تغيير اتجاهات الجمهور.

على صعيد آخر، تقوم وكالات الأنباء بتقديم خدمات أخبارية ومصورة وفلمية إلى مشتركيها من الصحف وتحصل على نسبة كبيرة من الأخبار من خلال هذا الاشتراك لا سيما وكالات الأنباء الرئيسة في العالم.

وفي العراق تشترك جميع الصحف المحلية بوكالة الأنباء العراقية التي تُعد المرشحة الرئيسة لجميع الأخبار المحلية والعربية والدولية وتبث أخبارها إلى هذه الصحف بعد أن تخضع لسلسلة حراس البوابة لديها، مما يعني إن الخدمات

التي تقدمها الوكالة للصحف هي التي تقرر ما هو متاح من اختيارات أمام إدارة المؤسسة الإعلامية فيما يتعلق بالأخبار، ومن ثم فإنها تفرض قيوداً لما ينشر أو لا ينشر من خلال قراراتها الأولية كحارس بوابة للمواد التي ترسلها إلى مشتركيها^(١٠٩).

إن هذه القيود تؤثر في الممارسة الصحفية لحارس البوابة في اتخاذ قرارات النشر، لما تشكله وكالة الأنباء من سيطرة مباشرة على المعلومات التي تصل إلى الجمهور.

أما تأثير الصحف في بعضها فأن الصحفيين العاملين فيها يكونوا عادة قراء جيدين لما ينشر من أخبار وموضوعات مختلفة لدى الصحف الأخرى وهذا يعني أنهم يضعون في حساباتهم عدم تكرار الموضوعات التي سبق نشرها في إحداها، وهي أحد النقاط المهمة لما يتعلق بموضوع التغطية الخبرية.

١٠٨ - د. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال في الجماهير والرأي العام، م.س.ذ، ص ٧٩.

١٠٩ - أنظر: د. صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، م.س.ذ، ص ٩٧.

وفي السياق نفسه، فإن الموضوع المهم في الممارسة الصحفية هو القلق الصحفي المشروع من ((احتمال انفراد وسيلة أخرى بسبق صحفي))^(١١٠) يظل هاجساً ضاعطاً على المحرر أو المندوب أو المراسل محور العمل الصحفي في التسابق للحصول على الخبر والانفراد به. ومن محددات الممارسة أيضاً هو امتلاك الدول المتقدمة صناعياً لتكنولوجيا متطورة للاتصالات السريعة في نقل الأخبار وإذاعتها مباشرة من مواقع الأحداث بما يخلق نوعاً من الاختلال في التوازن في بث الأخبار بين الدول المتقدمة والمتخلفة التي لا تمتلك مثل هذه التقنيات وتشكل أيضاً ضغطاً على الممارسة الصحفية لها، وتسمى هذه العملية ((الهيمنة الاتصالية التي تعني تحكم نظم اتصالية من حيث المضمون كما وكيفاً والتقنية لدول معينة في المسار الاتصالي لدول أخرى))^(١١١).

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

أ. الكتب

- القرآن الكريم
- ابن الحجاج، الإمام أبي الحسين مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، دار أحياء الكتب العربية، ج ١، د.ت. بدون مكان وسنة الطبع.
- ابن حنبل، الإمام أحمد، منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد، ج ١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩.
- أبو زيد، أحمد محمد، سيكولوجية الرأي العام ورسائله الديمقراطية، عالم الكتب، القاهرة، بدون سنة طبع.
- أبو زيد، فاروق، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧.
- أبو إصبع، صالح خليل، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والتوزيع والنشر، عمان، ١٩٩٥.
- إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧.
- تحديات الإعلام العربي - "دراسات الإعلام" المصادقية - الحرية - التنمية ولهيمنة الثقافية، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
- أدهم محمود، فن الخير، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٧.
- البخاري، الإمام، كتاب الأدب المفرد، ط ٢، المكتبة السلفية، القاهرة، د.ت، بدون سنة طبع.

١١٠- المصدر نفسه.

١١١- محمد نجيب الصرايرة، الهيمنة الاتصالية: المفهوم والمظاهر، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٨، العدد ٢، ١٩٩٠، جامعة الكويت، ص ١٣٦.

- البكري، وائل عزت: تطور النظام الصحفي في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
- جاسم، عزيز السيد، مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥.
- الجزراوي، إبراهيم وموسى المدهون، تحليل السلوك التنظيمي، ط١، مطبعة جامعة الإسراء، عمان، ١٩٩٥.
- الجمال، راسم محمد، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١.
- حسن، عبد الباسط محمد، علم الاجتماع الصناعي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢.
- حسن، سمير محمد، الإعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤.
- خليفة، إجلال، علم التحرير الصحفي وتطبيقاته العلمية في وسائل الاتصال بال جماهير، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، بدون سنة طبع.
- رشتي، جيهان أحمد، الأسس العلمية لنظريات الإعلام - كلية الإعلام، ط٢، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٨.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ج٥، د.ت، بدون سنة طبع.
- الزهاوي، جميل صدقي، ديوان شعر، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢، ص(ن).
- سعد، إسماعيل علي، الرأي العام بين القوة والإيديولوجية، دار النهضة العربية، ١٩٨٨.
- سيد أحمد، غريب محمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣.
- السيوطي، الإمام، الجامع الصغير، ج٢، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفي، القاهرة، د.ت. بدون سنة طبع.
- شبحا، إبراهيم عبد العزيز، أصول الإدارة العامة، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، بدون سنة طبع.
- عبد الباقي، محمد فؤاد وآخرون، اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان، ج١ من كتاب الإيمان، بدون مكان وسنة طبع.
- عبد المجيد، ليلي، سياسات الاتصال في العالم الثالث، الطباعي العربي، القاهرة، ١٩٨٦.
- العمري، أبو النجا محمد، الاتصال في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٨٦.

- العويني، محمد علي، الإعلام الدولي، بين النظرية والتطبيق، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١.
- الغزالي، الإمام، أحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ج ٣، د.ت، بدون سنة طبع.
- غوشة، زكي راتب، قاموس الإدارة العامة، ط ١، مطبعة التوفيق، عمان، ١٩٧٨.
- أخلاقيات الوظيفة في الإدارة العامة، ط ١، مطبعة التوفيق، عمان، ١٩٨٣.
- فهمي، محمد سيد، الإعلام من المنظور الاجتماعي، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٤. شمه _
- مكاوي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤.
- مليكة، لويس كامل، سيكولوجية الجماعات والقيادة الجزء الثاني أصول وأسس ديناميت الجماعات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
- منظمة العمل العربية، مكتبة العمل العربي، نحو تصنيف مهني عربي موحد، (ندوة خبراء التصنيف المهني)، طنجة، ١٩٨٢.
- موسى، سلامة، الصحافة رسالة، بدون اسم المطبعة، القاهرة، ١٩٨٧.
- النعيمي، حازم، الحرية والصحافة في لبنان، ط ١، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
- ب- الكتب المترجمة
- بيتتر، جون. ر، الاتصال الجماهيري، ترجمة عمر الخطيب، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات، بدون سنة طبع.
- رادي، فاسيليف، الحالة الاجتماعية للصحفيين، ترجمة جورج يوسف شماس، بيروت، ١٩٨٢.
- شمول، روبرت، مسؤوليات الصحافة، ترجمة الفرد عصفور، مركز الكتب الأردني، بدون مكان طبع، ١٩٩٠.
- هاتلنج، جون، ل، أخلاقيات الصحافة، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣.
- هستر، البرت. ل واي لان. ج. تو، دليل الصحافة في العالم الثالث، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨.
- د- الأطروحات :-
- حسن، لؤي مجيد، الخصائص المهنية للصحفيين العراقيين، أطروحة دكتوراه، قسم الإعلام، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
- المجلات
- مجلة الإدارة العامة العدد، ٦٠، الرياض، ١٩٨٨.

- مجلة الدراسات الإعلامية، المركز العربي الأقليمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة، العدد، ٨٩، القاهرة، ١٩٩٧.
- مجلة الإدارة العامة العدد ٢، الكويت، ١٩٩٠.
- ثانياً: المصادر الأجنبية
- L, James. Gibson. et.al organizations Behavior structure processes, Business, publications, INC, Sussex. U.S.A 1976.
- Journalism quarterly, Autumn, University of south carolina, College of Journaliism vol 63 no.3 Autumn. 1986. P486.

من رسم التاء في القرآن الكريم

الدكتور محمد صنكور

من رسم التاء في القرآن الكريم

د. محمد صنكور

أولاً: مواضع رسم التاء المربوطة (القصيرة) تاءً مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم :

من الظواهر اللغوية الكتابية المحيرة في الرسم القرآني الشريف ، ظاهرة إبدال رسم ((التاء المربوطة (القصيرة))) ((تاء مفتوحة (طويلة))) على خلاف القياس المتبع في الكتابة العربية التي هي مهارة هامة من مهارات اللغة العربية ، فقد أبدل رسم ((التاء المربوطة)) ((تاء مفتوحة)) طويلة في خمس عشرة كلمة وردت في القرآن الكريم بالروايتين المعروفتين (حفص وقالون) وكان أغلبها برواية حفص في الرسم العثماني الشريف ، وتكرر الرسم في الإبدال المذكور آنفاً في خمسة و أربعين موضعاً في كلمات شريقات بآيات مقدسات سيرد ذكرها فيما يأتي .

و ظاهرة في مجال الكتابة العربية وردت بهذه السعة والعدد من التكرار في الرسم اللغوي الذي اعتاد عليه النشئ من الأجيال العربية الإسلامية ، تستوقف الباحث وتحته بإلحاح شديد إلى التأمل والاستفسار والدراسة في الوقوف على آراء بعض علماء السلف الصالح في هذه الظاهرة ، ثم التعليل والاجتهاد في إبداء الرأي بالقدرة البشرية المستطاعة التي وهبها الله تعالى للإنسان في إنعام نظره وتحكيم عقله وصحة برهانه فيما ذهب إليه ، وعلى الرغم من إيماننا بقداسة القرآن الكريم وأعجازه واعترافنا (بتوقيفاته وتوقيف رسمه) وكونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو دستور الحياة ومستودع القيم والفصاحة والبيان وقمة الأداء اللغوي الذي يحتذى به ، ولتأشير حدود الظاهرة وتحديد ما مطلوب منا أولاً القيام بإحصاء مواضع رسم التاء المربوطة (القصيرة) تاءً مفتوحة (طويلة) في الكلمات الشريقات الواردة في القرآن الكريم ، وذكر مواضع تكرارها بمقتضى ورودها في السور والآيات القرآنية المقدسة ، على وفق الترتيب الأبجدي في اللغة العربية والكلمات هي :

١_ (ابنة) :

وردت لفظة ((ابنة)) في موضع واحد في القرآن الكريم وُكِّبَتْ فيه ((ابنت)) بإبدال التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) في قوله تعالى ((ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...)) (١)

٢_ (امراة) :

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في أحد عشر موضعا (٢) كُتِبَتْ بإبدال التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) على خلاف القياس في سبعة مواضع هي، قال تعالى :
_ ((اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم)) (٣)

_ ((وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتها عن نفسه قد شغفها حبا...)) (٤)

_ ((وقالت امرات فرعون قوت عين لي ولك...)) (٥)

_ (... امرات نوح و امرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين)) (٦)

_ (... امرات فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة...)) (٧)

٣_ (بقية) :

وردت لفظة ((بقية)) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، كُتِبَتْ في موضعين (٨) على القياس، ورسمت في موضع واحد بإبدال التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) على خلاف القياس وذلك في قوله تعالى : ((بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين...)) (٩)

٤_ (جنة) :

ذكرت لفظة (جنة) في ستة وستين موضعا (١٠) في القرآن الكريم رسمت فيها التاء المربوطة على القياس إلا في موضع واحد ابدلت فيه التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) في قوله تعالى : ((فروح وريحان وجنت نعيم)) (١١)

٥_ (جمالة) :

وردت في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((إنها ترمي بشر كالقصر كأنه جملت صفر)) (١٢) وقد قرئت في رواية (قالون) بالجمع فلا إبدال في اللفظة، أما في رواية (حفص) فقد أبدلت التاء المربوطة في اللفظة المذكورة تاءً مفتوحة في الآية الكريمة المتقدم ذكرها آنفا.

٦_ (رحمة) :

وردت كلمة (رحمة) في القرآن الكريم في تسع وسبعين موضعا (١٣)، كتبت ((رحمت)) بإبدال تاء الكلمة المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) في كلمات شريفات بآيات مقدسات هي، قال تعالى :

- __ ((أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم ... ورحمت ربك خير مما يجمعون)) (١٤)
- __ ((... أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم)) (١٥)
- __ ((... إن رحمت الله قريب من المحسنين)) (١٦)
- __ ((قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد)) (١٧)
- __ ((ذكر رحمت ربك عبده زكريا)) (١٨)
- __ ((فانظر إلى ءاثر رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها)) (١٩)
- ٧ _ (سنة) :
- ذكرت لفظة ((سنة)) في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعا (٢٠)، كتبت التاء المربوطة في لفظة ((سنة)) تاء مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم في خمسة مواضع في الآيات المقدسات الآتية . قال تعالى :
- __ ((... فقد مضت سنت الأولين)) (٢١)
- __ ((... ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)) (٢٢)
- __ ((فلم يك ينفعهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده ...)) (٢٣)
- ٨ _ (شجرة) :
- ذكرت لفظة ((شجرة)) نكرة في القرآن الكريم في عشرة مواضع (٢٤)، ورسمت في موضع واحد على غير القياس المعتاد في الكتابة العربية بإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة في قوله تعالى : ((إن شجرت الزقوم)) (٢٥)
- ٩ _ (فطرة) :
- وردت لفظة ((فطرة)) في موضع واحد في القرآن الكريم، ورسمت فيه التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) على خلاف القياس المعتاد في الكتابة العربية، في قوله تعالى :
- __ ((فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها ...)) (٢٦)
- ١٠ _ (قرة عين) :
- رسمت لفظة (قرة) في موضع واحد في القرآن الكريم بإبدال التاء المربوطة (القصيرة) تاء مفتوحة (طويلة) في قوله تعالى : ((وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك ...)) (٢٧) وقد ذكرت الآية في موضع الاستشهاد برسم كلمة (امرأة) أيضا.
- ١١ _ (كلمة) :
- وردت لفظة (كلمة) في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعا (٢٨)، كتبت التاء المربوطة تاء مفتوحة في موضع واحد في قوله تعالى : ((... وتمت كلمت ربك بالحسنى ...)) (٢٩) واختلف (٣٠) في أربعة مواضع أخرى وردت في آيات شريفات من القرآن الكريم كتبت أيضا بإبدال التاء المربوطة تاء طويلة ((كلمت)) قال تعالى :
- __ ((وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا ...)) (٣١)
- __ ((كذلك حقّت كلمت ربك على الذين فسقوا ...)) (٣٢)

__ ((إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون...)) (٣٣)

__ ((وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا...)) (٣٤)

ولعل سبب الاختلاف في كتابة لفظة ((كلمت)) بالتاء المفتوحة راجع إلى اختلاف مصاحف الأمصار في رسم الكلمة فيها بالتاء المفتوحة مرة وبالمربوطة أخت الهاء أخرى واختلاف القراء في جواز قراءتها في الأفراد والجمع أي أن لفظة ((كلمت)) يمكن أن تقرأ مفردة وجمعا ((كلمت)) في الرسم القرآني الشريف قال (أبو عمرو الداني ت ٤٤٤ هـ) : ((وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر ((الكلمة)) على لفظ الواحد فهو بالهاء إلا حرفا واحدا في الأعراف (س ١٧ آ ١٣٧) ((وتمت كلمة ربك بالحسن)) فان مصاحف أهل العراق اتفقت على رسمه بالتاء ورسمه الغازي بن قيس في كتابه بالهاء ، فأما قوله في الأنعام (س ٦ آ ١١٥) ((وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا)) وفي يونس (س ١٠ آ ٣٣) ((كلمت ربك على الذين فسقوا)) وفيها (آ ٩٦) ((كلمت ربك لا يؤمنون)) وفي غافر (س ٤٠ آ ٦) ((حقت كلمت ربك)) فاني وجدت الحرف الثاني من يونس في مصاحف أهل العراق بالهاء وما عداه بالتاء من غير ألف قبلها وهذه المواضع الأربعة تقرأ بالجمع والأفراد...)) (٣٥)

١٢ _ (لعنة) :

وردت لفظة ((لعنة)) في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعا (٣٦)، كتبت فيها التاء المربوطة على القياس المعتاد في الكتابة العربية ما عدا الموضعين المذكورين فيما يأتي رسمت فيهما التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) وذلك في قوله تعالى : ((فنجعل لعنت الله على الكافرين)) (٣٧) وكذلك في قوله تعالى : ((والخمسة أن لعنت الله عليه أن كان من الكافرين)) (٣٨)

١٣ _ (مرضاة) :

ذكرت لفظة ((مرضاة)) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، كتبت فيها جميعا بإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) والآيات الكريمات التي وردت فيها قال تعالى :
__ ((من الناس من يشتري نفسه ابتغاء مريضات الله...)) (٣٩)
__ ((...ومن يفعل ذلك ابتغاء مريضات الله...)) (٤٠)
__ ((يايها النبي لم تحرم ما أحل الله ولك تبتغي مريضات أزواجك...)) (٤١)

١٤ _ (معصية) :

وردت لفظة ((معصية)) في القرآن الكريم في موضعين رسمت فيهما ((معصيت)) بإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) مثل ما جاء في قوله تعالى : ((ويتنجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول...)) (٤٢) وكذلك في قوله تعالى : ((يايها الذين آمنوا إذا تنجيتم فلا تنتجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول...)) (٤٣)

١٥ _ (نعمة) :

ذكرت لفظة ((نعمة)) في القرآن الكريم في أربعة وثلاثين موضعا (٤٤)، رسمت على القياس المعتاد في الكتابة العربية ، وأبدلت التاء المربوطة تاء مفتوحة في أحد عشر موضعا في الآيات المقدسات ، قال تعالى :

- __ ((... واذكروا نعمت الله عليكم...)) (٤٥)
__ ((اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء...)) (٤٦)
__ ((يايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم)) (٤٧)
__ ((ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا...)) (٤٨)
__ ((... وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها...)) (٤٩)
__ ((ألم تر إن الفلك تجري في البحر بنعمت الله...)) (٥٠)
__ ((يايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم...)) (٥١)
__ ((... أفتبطل يؤمنون وينعمت الله هم يكفرون...)) (٥٢)
__ ((يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها...)) (٥٣)
__ ((... واشكروا نعمت الله ان كنتم إياه تعبدون...)) (٥٤)
__ ((فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون...)) (٥٥)

ثانياً : تفسير ظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة (القصيرة) تاءً مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم :

لقد ذكرنا في صدر البحث ، أن ظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة (القصيرة) تاءً مفتوحة (طويلة) من الظواهر اللغوية المحيرة في مهارة الكتابة العربية لمخالفتها القياس المتبع عادة في الرسم العربي عامة والرسم القرآني الشريف خاصة ، وفي محاولة تفسير الظاهرة المذكورة نجد الحيرة نفسها تنتقل إلى محاولة تفسيرها أيضاً فقد أرجعها بعض الباحثين مثل ما سيأتي إلى أسباب عديدة منها :

أ- قداسة القرآن الكريم وتواتر نزوله وتوقيفاته وتوقيف رسمه ، تركت الظاهرة على حالها في رسمها الأول الذي نزلت به الكلمة التي كتبت بالتاء المفتوحة (الطويلة) بدلاً من التاء المربوطة (القصيرة) قبل خمسة عشر قرناً في كتاب الله العزيز كتاب الإعجاز والفصاحة ومستودع الدين والقيم ودستور الحياة في أمة البيان والإبانة ، ولعل هذا هو السبب الرئيس في بقاء رسم التاء المربوطة تاءً مفتوحة في بعض الكلمات الشريفة في القرآن الكريم مخالفة للقياس المتبع في الكتابة العربية في مواضع عديدة تقدم إحصاؤها في مبحث : "رسم التاء المربوطة (القصيرة) تاءً مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم" محافظة للأصل الذي رسمت به الكلمة أول نزولها في القرآن الكريم ، ولم تكن هذه الظاهرة في حرف التاء الوحيدة المخالفة للقياس المتبع في الكتابة العربية وإنما توجد ظواهر أخرى مخالفة في الرسم القرآني الشريف في حروف كثيرة منها : (الألف والهمزة والواو والياء والسين... الخ) ^(٥٦) والسؤال المهم فيما يتعلق برسم التاء المربوطة تاءً مفتوحة طويلة ، أكان كتبة الوحي الأوائل ومن جاء بعدهم من علماء السلف الصالح الذين برعوا في دراسة كل شاردة وواردة في التراث العربي الإسلامي الخالد قد شعروا بمخالفة هذه الظاهرة وأمثالها في التدوين العربي ولا سيما في القرآن الكريم الذي يقف فوق هذا التراث جميعاً بوصفه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أم لا؟ أم نحن الذين شعرنا بهذه المخالفة و أمثالها نتيجة تطور لغوي أصاب رسم بعض حروف العربية وحددناه في الوقت الحاضر ؟ و أرى انهم شعروا بهذه المخالفة الكتابية وتركوها على حالها لقداسة الكلمة في القرآن الكريم أولاً ولأمانتهم فيما نقلوه ودونوه

ثانياً، وترك تأشير ذلك لعلماء الأمة الأفاضل وأولي الأمر من المتخصصين والعارفين في المجامع والحوزات والمحافل والمؤسسات العلمية الإسلامية في المستقبل ثالثاً. ومن المحدثين ذهب عثمان صبري في كتابه: ((نحو أبجدية جديدة)) إلى إن ((...)) في القرآن الكريم نفسه أخطاء إملائية جرت إلى أخطاء نحوية. وقد تركت على حالها إلى اليوم بحجة أنها أثبتت بهذا الرسم في مصحف عثمان مع إن عثمان - الذي كان من كتاب النبي - وجد في رسمها بعض الشذوذ عما يقتضيه القياس وارتبك الكتبة في تداركه، فلم يسع عثمان ألا أن يتركها على مضض قائلاً لهم ((أرى فيه لحناً)) ولكن العرب ستقيمه بألسنتها ولكن أين اليوم السنة العرب هذه ؟ ((...)) (٥٧) ولا تتفق مع الباحث المذكور فيما ذهب إليه من إن (أخطاء إملائية) في رسم القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة (القصرية) تاء مفتوحة (طويلة) هي مخالفة للقياس المتبع في الرسم العربي الذي اعتدنا عليه في الوقت الحاضر، فاما أن يكون هذا الإبدال هو الأصل الذي يقاس عليه في ذلك الزمن الموغل في القدم، واما أن يكون تطوراً قد أصاب رسم حرف التاء وكتابتها فحدث الإبدال في الرسم وعلينا التعليل لغوياً لنصل إلى النتائج التي نحافظ على قدسية القرآن الكريم لأن تدوينه وقراءته سنة متواترة وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في مبحث ((قداسة القرآن الكريم وتواتر نزوله وتوقيفاته))، وتربوياً في الوقت الحاضر، من غير المقبول للقائمين بالتعليم في مختلف مراحلهم حتى الدراسات العليا منها ان يسمحوا لطلبتهم كتابة كلمات نحو: ((شجرت)) و((امرات)) و((رحمت)) و((بقيت)) و((سنت)) و((قرت)) و((ابنت))... الخ مما مر بنا ذكره من كلمات رسمت بالتاء المفتوحة (الطويلة) المبدلة عن التاء المربوطة (القصرية - اخت الهاء) وتخطأتهم في رسمها، فلو اعترض دارس على أستاذه بأدب جم وقال : يا أستاذي الجليل كيف تخطئ رسم الكلمة وهي واردة بهذه الهيئة من الرسم في القرآن الكريم ؟.

فسيكون بعض الحق مع هذا الدارس إذا لم تفسر الظاهرة بشكل علمي مقنع. علما ان سبب القداسة والتواتر والتوقيف في الرسم القرآني الشريف المذكور آنفاً، يقع خارج إطار التفسير اللغوي لظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة في الدراسة اللغوية.

ب - الأسباب اللغوية في تفسير ظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم :

أما الأسباب اللغوية في تفسير ظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة على وفق منطق اللغة العربية الخاص بها في أنظمتها : الصوتية والصرفية والنحوية والسياقية ، فتتلخص في إطار صفات حرف التاء والفرق بينها وبين التاء المربوطة وبقايا اللغات القديمة (اللهجات) وتعليل ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة في هدي أنظمة اللغة العربية المذكورة آنفاً ولاسيما النظام الصوتي وأثره في هذا الإبدال مثل ما سنرى لاحقاً، ولا ننسى خصائص علم القراءات والتجويد في ذلك.

١. صفات حرف التاء في (الدلالة والمخرج) في اللغة العربية :

ومن الدلالات الحسية لتسمية ((التاء)) في التراث العربي القديم نجد إشارة إلى أن التاء تعني ((البقرة التي تحلب دائماً في قول المهلهل :
أبي فارس الهيجاء في كل حومة
وجدك عبدٌ يحلبُ التاء دائماً)) (٥٨)

ووصفها بطرس البستاني قائلاً ((...)) وهي بالعبرانية و الآرامية تاو ومعناه تواء وهي على شكل صليب تجعل في أفخاذ الإبل والخليل سميت بذلك لان صورتها في الفينيقية هي على شكل صليب وكذلك في اللغات التي أخذت صورتها عن الفينيقية كالإفرنجية و اليونانية و في مسكوكات المكابيين فصورة الصليب في هذا الحرف في غير العربية أوضح مما هي عليه في العربية)) (٥٩) وربما كان ذلك في لغات أعجمية قديمة منقرضة في الوقت الحاضر.

أما ((الهاء)) التي تقلب إليها التاء عند الوقف فدلالته الحسية تعني ((لطمة في خد الطبي، قال أبو مرة الهذلي :

كأن خديه وقد لثمتُهُ [هاء] غزال يافع لطمته)) (٦٠)

إن تسلسل حرف ((التاء)) كما هو معروف في اللغة العربية هو الحرف الثالث في الأبجدية العربية التي رتبها في النصف الثاني من القرن الأول الهجري نصر بن عاصم الليثي في ولاية الحجاج (٦١) و الليثي أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي، وكان قبله الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، قد رتب الحروف العربية على أساس مخارجها من (الحنجرة إلى الشفتين) فجعل مخرج ((التاء)) مع حرفي : [الطاء والذال] أي (ط / د / ت) وقد أيد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) أستاذه الخليل فيما ذهب إليه في مخرج التاء من مخرج الطاء والذال نفسه ؛ إلا أن سيبويه عد ترتيب التاء في الأبجدية العربية التي رتبها بمقتضى تحديده لمخارج الحروف بين ((الذال و الصاد)) أي بعد الذال و قبل الصاد (٦٢) ومخرج التاء عنده ((مما بين طرف اللسان و أصول الثنايا /الطاء والذال والتاء)) (٦٣)، والتاء عند سيبويه حرف مهتوت قال : ((المهتوت التاء لضعفها و خفائها)) (٦٤)، ومن صفاتها عنده أنها حرف مهموس ضمن عشرة أحرف (٦٥)، و الحرف المهموس ((...حرف أضعف الإعتماد عليه في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ...)) (٦٦) وقد عدّها سيبويه أيضاً حرفاً شديداً عندما قال : ((ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والياء وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم تجر ذلك)) (٦٧) وتجمع الحروف الشديدة في اللغة العربية في الجملة ((أجدت طبقك أو أجذك قطبت)) (٦٨). أما ابن منظور (ت ٧١١ هـ) فقد جعل حرف ((التاء)) من الحروف النطعية (٦٩)، وهي من حروف الزيادات عند أبي بكر الرازي. (٧٠) وإذا كان هذا بعضاً من صفات حرف التاء (دلالة و مخرجا) لدى بعض المتقدمين، فما مخرجها عند بعض المتأخرين ؟ فقد وصف إبراهيم أنيس صوت التاء بقوله : ((...صوت شديد مهموس لا فرق بينه وبين الذال سوى ان التاء مهموسة والذال نظيرها المجهور ففي تكوين التاء لا يتحرك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري...)) (٧١)، و ذكر محمود السعرا ان صوت التاء يتكون ((بان يوقف مجرى الهواء وفقاً تاماً وذلك بان يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، و يرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف يضغط الهواء مدة من الزمن ثم يفصل العضوان انفصلاً فجائياً محدثاً صوتاً انفجارياً. فالتاء صوت صامت مهموس سني ((Voiced dental plosive consonant)) (٧٢)، و (ماريو باي) جعل إنتاج

صوت التاء يحدث ضمن مجموعة من الحروف المركبة وغير المركبة هي : ((پ - ب - ك - گ - ت - د)) (٧٣) وعنده ان تيار النفس يقف خلف حاجز جاهز في إنتاج هذه الأصوات ومنها ((التاء)) ربما هو (مقدم اللسان أو طرفه مع الأسنان أو طرف اللثة العليا) (٧٤) وزاد توضيح إنتاج ((التاء في الهامش رقم (١) وهي التاء في اللغات الأجنبية ولا سيما اللغة الإنكليزية والفرنسية والإيطالية قال ((مقدم اللسان مع طرف اللثة العليا في الإنكليزية عادة وطرف اللسان مع مؤخر الأسنان العليا أو السفلى في لغات أخرى كالفرنسية والإيطالية)) (٧٥) وذهب عماد حاتم إلى إن صوت التاء من الأصوات الحبيسة (consonants) وهذه الأصوات تصنف على أساس عملية إنتاجها فعملية لفظ الصوت الحبيس عند هذا الباحث تقسم إلى ثلاثة مراحل هي : تهيؤ أعضاء النطق للعمل ، فقيامها بالعمل ، فعودتها إلى الحالة الأولى وبمقتضى حالة (قيامها بالعمل) تصنف الأصوات الحبيسة وفيها التاء ، فتكون الأصوات : ((ب - پ - ت - د - ك - چ)) آنية لأن لفظها يتم بصورة آنية سرعان ما تنتهي فيستحيل مد هذه الأصوات وتطويل مدة نطقها. (٧٦) وصوت التاء في اللغة العربية ((ت)) و ((ت)) في اللغة الإنكليزية عند عبد الله عبد الحميد سويد صوت واحداً. (٧٧) مع ملاحظة رأي (ماريو باي) في صوت التاء (t) في اللغة الإنكليزية المذكور قبل اسطر قليلة ، قال سويد : ((...)) (فالتاء) صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس ، وهذا النطق الشائع في اللغات الإنسانية كما في العربية والإنكليزية وتختص بعض اللغات بنطق مختلف لهذا الصوت ، فالتاء في اللغة الإسبانية : اسنانية محضة كما في الكلمتين TACO ((وجبة خفيفة)) TENGO ((أنا املك)) حيث إن أول اللسان ((الذلق)) يلتقي أو يقترب من أصول الأسنان العليا وتوضع علامة تحت حرف التاء للدلالة على ذلك هكذا [t] وقد تطلق التاء بالتواء اللسان إلى الأعلى ويسمى الصوت صوتا التوائيا ، وتختص اللغات الفيتنامية والسنسكريتية بهذا النطق ويشار إلى هذه الظاهرة بوضع نقطة تحت الحرف هكذا [t̤] (٧٨) ، وقد عاجلت هذه الإشارات الدالة على الفرق في نطق الأصوات المتشابهة في اللغات الأخرى بخصوصية كل لغة أبجديات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر الأبجدية الصوتية الدولية و الأبجدية الفونيمية (٧٩) و الأبجدية المستعملة في مكتبة (الكونجرس الأمريكي) وأبجدية (برايل) للصم والبكم.

٢. بقايا اللغات القديمة (اللهجات) ❖

نجد إشارات قليلة في بعض كتب التراث تقول بوجود بقايا لغات قديمة (لهجات) ربما بتأثير اللهجات الآرامية القديمة وهي من لغات الأسرة السامية الجزرية بعض العرب بسببها يكتب التاء المربوطة تاء مفتوحة في حالتي الوصل والوقف على السواء وقد انتقل ذلك إلى رسم التاء في القرآن الكريم بتأثير هذه اللغات القديمة ومنها الآرامية والنبطية قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) : ((وزعم أبو الخطاب إن أناساً من العرب يقولون في الوقف طلحت كما قالوا في تاء الجمع واحداً في الوقف والوصل...)) (٨٠) ونقل إلينا السيوطي (ت ٩١١هـ) قول الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة قال : ((قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة : اجمع النحاة على ان ما فيه التأنيث يكون في الوصل تاء وفي الوقف هاء على اللغة الفصحى واختلفوا أيهما بدل من الأخرى فذهب البصريون إلى أن التاء هي الأصل وإن الهاء هي بدل عنها وذهب الكوفيون إلى عكس ذلك. واستدل البصريون

بان بعض العرب يقول التاء في الوصل و الوقف كقوله : الله نجاك بكفي مسلمت (...)) (٨١) . ونقل إلينا أيضا غانم قدوري رأي علم الدين السخاوي في الوسيلة ورقه ٦٨ : ((وقيل إنها لغة طيى ، يقولون : حمزت و طلحت ، وروي انهم نادوا يوم اليمامة يا أهل سورة البقرت و تروى في ذلك بضعة أبيات من الشعر قد لزمتم فيها القافية المنتهية بتاء التأنيث (مسلمت ، الغلصمت ، أمت) وربما كتبت تاء التأنيث تاء في تلك المواضع على هذه اللغة (...)) (٨٢) وفي إطار التطوري التاريخي للكتابة العربية يعلل غانم قدوري سبب كتابة التاء المفتوحة بقوله : ((... فظلت تاء التأنيث ترسم تاء حتى في الوقف لكنها على المدى الطويل بدأت تستجيب للظاهرة الجديدة التي ربما بدأت تدخل مرحلة أخرى من التطور ، وتعطينا الكتابة النبطية و الكتابة العربية القديمة مؤشرات لمراحل ذلك التطور ، فقد كانت الأسماء المؤنثة تكتب بالنبطية بالتاء في معظم الأحوال مثل : خلت (خالة) ، وملت (واثلة) ، غزلت (غزالة) ، ملكت (ملكية) ، ريفت (رائفة) ... الخ. وترينا بعض النقوش النبطية التي ترجع إلى القرن الثالث والرابع الميلاديين كلمة (سنة) مكتوبة بالتاء (سنت) كذلك نجد هذه الكلمة بالتاء في نقش حران (سنة ٥٨٦ م) ونقش القاهرة (سنة ٣١ هـ) ، ومما يلفت النظر في نقش القاهرة أنه بينما يحتفظ بهذا الشكل القديم لطريقة كتابة تاء التأنيث يقدم لنا في نفس الوقت الشكل الجديد وهو كتابتها بالهاء في كلمة (رحمة). وبناء على ذلك يمكن القول بان رسم تاء التأنيث بالتاء في تلك الكلمات المشار إليها يحتمل إن يكون احتفاظاً بالصورة القديمة لرسم تلك الكلمات - وهو ما أرجحه - (...)) (٨٣) ولنا ملاحظتان على ما ذهب إليه الباحث الفاضل في الجزء الذي نقلناه آنفا من تعليقه لظاهرة إبدال رسم التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) الأولى ذكر أن الظاهرة في تاء التأنيث قوله : ((وظلت تاء التأنيث ترسم تاء حتى في الوقف)) و المشكل لغويا أعم من ذلك واكبر لا ينحصر في التأنيث وعلامته و إنما يخص الأبجدية العربية التي عرفت حرفا : التاء (المفتوحة) (الطويلة) والهاء) وليس فيها حرف تاء (مربوطة) و إنما هي علامة تأنيث في الأسماء وهي استمرار لحرف التاء المفتوحة (الطويلة) أبجديا وهذه التاء المفتوحة (الطويلة) علامة التأنيث تلحق الفعل لتأث فاعله وليس الفعل نفسه وهذا هو منطق اللغة العربية أنثيا في التفريق بين المذكر و المؤنث نطقا وكتابة وثابت علميا في تراثنا اللغوي (النحوي) أن المذكر هو الأصل و التأنيث هو الفرع و ابرز علامات التأنيث وأهمها على الإطلاق التاء المفتوحة (الطويلة) والمربوطة (القصيرة).

و الثانية تحليل الباحث الكريم المذكور آنفا قد زاد الطين بلة إذ عكس المسألة في الرسم العربي المعتاد لحرف التاء في جعله رسم التاء المفتوحة (الطويلة) هو الأصل ورسم التاء المربوطة هو (الشكل الجديد) في حديثه عن نقش القاهرة الذي يعود إلى (سنة ٣١ هـ) قال : ((... بينما يحتفظ بهذا الشكل القديم لطريقة كتابة تاء التأنيث يقدم لنا في نفس الوقت الشكل الجديد وهو كتابتها بالهاء في كلمة رحمة (...)) وهذا أيضا خلاف القياس المتبع في كتابة التاء المربوطة التي هي علامة التأنيث وليس حرفا أبجديا في الأبجدية العربية كما ذكرنا من قبل ، والذي نحن بصدده ليس تحليل الكثير الشائع في الوقت الحاضر في رسم التاء المربوطة و إنما هو تحليل القليل النادر الذي هو إبدال رسم التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) خلافا للقياس المتبع في هذا الكثير الشائع في منطق اللغة العربية وبخاصة إبدال رسم التاء المربوطة تاءً مفتوحة (طويلة) في القراءة الكريم ، علما ان الكلمات الشريفة التي وردت

في القرآن الكريم و أبدلت فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة (طويلة) ذكرت بالشكلين (تاء مفتوحة وتاء مربوطة) في الرسم في الكلمة الواحدة، و الكثير الشائع في رسمه بالتاء المربوطة متفق مع القياس المتبع في الرسم الكتابي في اللغة العربية إذ نجد مئات الكلمات الشريقات في القرآن الكريم رسمت بالتاء المربوطة وقليل منها ورد بالتاء المفتوحة وهذا القليل شكل ظاهرة لغوية في مهارة الكتابة العربية جديرة بالدراسة و التعليل لأننا نعلم علميا ولغويا إن الظاهرة إذا تكررت في أكثر من عشرة مواضع تستحق التأمل و الدراسة وهو ما نعمله في هذا البحث، فمثلا كلمة (رحمة) التي ذكرها الباحث الفاضل نجدها تكررت في القرآن الكريم في تسعة وسبعين موضعا، كتبت على القياس المتبع في الكتابة العربية بالتاء المربوطة إلا في سبعة مواضع تقدم ذكرها رسمت فيها بالتاء المفتوحة (الطويلة) بدلا من التاء المربوطة.

٣- اثر النحو (الاعراب) في تفسير ظاهرة ابدال رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة في القرآن الكريم :

في مدار استكمال محاور البحث وجب علينا اعراب جميع الكلمات المخالفة للقياس المتبع في الكتابة العربية الواردة في القرآن الكريم لبيان اثر النحو (الاعراب) في كتابتها لعنا نلاحظ بعض الاسباب و الملاحظات التي تساعدنا في تفسير ظاهرة الابدال في الكلمات التي اثبتناها في صدر البحث حسب ترتيبها الابدالي، هي :

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الاية	السورة	رقم الاية
١	ابنت	نعت او بدل قال النحاس ت (٣٣٨هـ): ((...))ابنة نعتها وان شئت على البدل، يقال : ابنة و بنت)) (٨٤)	(ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها...)	التحريم	١٢
٢	امرات	فاعل	((اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني...)) ((وقالت امرات فرعون قرت عين لي و لك))	ال عمران القصص	٣٥ ٩

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الاية	السورة	رقم الاية
	=	مفعولان و مضافان	((... امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبيدين...)) ((...امرات فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك...))	التحریم =	١٠ ٧
٣	بقيت	مبتدا او مضاف	((بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين))	هود	٨٦
٤	جنت	معطوفة على (روح و ريحان) علما ان اقوالا عديدة في معنى (وريحان) (٨٥)	((فروح وريحان وجنت نعيم...))	الواقعة	٨٩
٥	جملت	خير كان (في رواية حفص) وقد قرئت في رواية (قالون) بالجمع فلا ابدال في اللفظة وقد ذكرنا ذلك من قبل.	((انها ترمي بشر كالقصر كانه جملة صفر...))	المرسلات	٣٢ و ٣٣
٦	رحمت	مفعول به ومضاف	((أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم... ورحمت ربك خير مما يجمعون)) ((اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم))	الزخرف البقرة	٣٢ ٢١٨
	=	مبتدأ معطوف	((ورحمت ربك خير...))	الزخرف	٣٢
	=	مبتدأ ومضاف	((ورحمت الله وبركاته عليكم اهل	هود	٧٣

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الآية	السورة	رقم الآية
			((البيت))		
	=	اسم ان ومضاف	((ان رحمت الله قريب من المحسنين))	الاعراف	٥٦
	=	مضاف اليه	((فانظر الى اثار رحمت الله كيف يحيي الارض))	الروم	٥٠
٧	سنت	فاعل مسبوق بشرط ومجازات ، ومضاف	((... وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين ...))	الانفال	٣٨
	=	استثناء مفرغ ومضاف	((... فهل ينظرون الا سنت الاولين ...))	فاطر	٤٣
	=	جار ومجرور في موقع مفعول به	((... فلن تجد لسنت الله بديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا))	فاطر	٤٣
	=	مصدر و مضاف	((فلم يك ينفعهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده))	غافر	٨٥

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الاية	السورة	رقم الاية
٨	شجرت	اسم ان منصوب	((ان شجرت الزقوم...))	الدخان	٤٣
٩	فطرت	لقد اختلف العلماء في معنى (فطرت) واعرابها ، قال (النحاس ت ٣٣٨ هـ): ((وفطرت الله دين الله قال ابو اسحاق : ((فطرة الله {نصب بمعنى اتبع فطرة الله { قال : لأن معنى ((فاقم وجهك للدين)) اتبع الدين واتبع فطرة الله ، {قال محمد بن جرير : (فطرة) مصدر من معنى فاقم وجهك ، لأن معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة { ((٨٦) فتعرب مصدرا ومضافا في الوقت نفسه .	((فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها))	الروم	٣٠

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الآية	السورة	رقم الآية
١٠	قوت	نقل النحاس ان الكسائي قال : ((المعنى هذا قرة عين لي ولك. قال ابو جعفر : وفي رفعه وجه آخر ذكره ابو اسحاق : يكون رفعاً بالابتداء والخبر)) لا تقتلوه)) وانما بعد لأنه يصير المعنى انه معروف بانه قرة عين له. وجوازه ان يكون المعنى اذا كان قرة عين لي ولك فلا تقتلوه، ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوه قرة عين لي ولك، قالت لا تقتلوه ولم تقل : نقتله وهي تخاطب فرعون كمل يخاطب الجبارون)) (٨٧)	((وقالت امرات فرعون قوت عين لي ولك))	القصص	٩
١١	كلمت	فاعل ومضاف في الوقت نفسه وكذلك في اربع آيات اخرى مذكورة في البحث	((... وتمت كلمت ربك بالحسنى))	الاعراف الانعام م يونس س غافر	١٣٧ ١١٥ ٩٦ و ٣٣ ٦
ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الآية	السورة	رقم الآية
١٢	لعت	مفعول به ومضاف	((فنجعل لعنت الله على الكاذبين...))	ال عمران	٦١

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الآية	السورة	رقم الآية
	=	اسم أن ومضاف	((و الخمسة ان لعنت الله عليه...))	النور	٧
١٣	مرضات	مضاف اليه	((من الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله...)) ...ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله...))	البقرة النساء	٢٠٧ ١١٤
	=	مفعول به	((يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله ولك تبتغي مرضات ازواجك...))	التحریم	١
١٤	معصيت	مجرور بالعطف و مضاف	((ويتنحون بالاثم و العدوان ومعصيت الرسول...)) ((يا ايها الذين امنوا اذا تنجيتم فلا تتنجوا بالاثم و العدوان ومعصيت الرسول))	المجادلة المجادلة	٨ ٩
١٥	نعمت	مفعول به و مضاف	((...واذكروا نعمت الله عليكم...)) ((...واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعدا...)) ((... اذكروا نعمت الله عليكم...)) ((... بدلوا نعمت الله كفرا...)) ((... وان تعدوا نعمت	البقرة ال عمران المائدة ابراهيم ابراهيم فاطر النحل النحل	٢٣١ ١٠٣ ١١ ٢٨ ٣٤ ٣ ٨٣ ١١٤

ت	اللفظة القرآنية برسمها الكتابي	اعرابها	الآية	السورة	رقم الآية
			((الله لا تحسوها)) ((...اذكروا نعمت الله عليكم...)) ((يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها...)) ((...واشكروا نعمت الله وان كنتم اياه تعبدون))		
	=	مجرور و مضاف	((...تجري في البحر بنعمت الله...)) ((أفالبطل يؤمنون و بنعمت الله هم يكفرون)) ((فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن و لا مجنون))	لقمان النحل الطور	٣١ ٧٢ ٢٩

والمؤشرات التي نخرج بها من جدول أثر النحو (الاعراب) في تفسير ظاهرة ابدال رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة في القرآن الكريم هي :

١. ان جميع الكلمات الواردة في القرآن الكريم المبدلة فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة و البالغ عددها (١٥) كلمة زائدا مواضع تكرارها كانت اسماء ((والتذكير في الاسماء وفي اسناد الافعال هو الاصل والتأنيث هو طارئ عليها، وتاء التأنيث في الاسماء سابقة للوجود لتاء التأنيث في الافعال ومن الاسماء انتقلت الى الافعال، ومما يؤيد سبق تأنيث الاسماء لتأنيث الافعال وجود المؤنث المجازي الخالي من علامة التأنيث كالساق و النار واليد والنوى (الفراق...)) (٨٨) وفي الواقع اللغوي اننا لا نؤنث الفعل بتاء التأنيث وانما نؤنث الفاعل.

٢. اما المواقع الاعرابية للكلمات المذكورة انفا فكانت متنوعة في الايات القرآنية الكريمة فمنها المبتدأ والخبر، واسم إن، والمفعول به، والمنصوب على المفعولية، والمضاف والمضاف اليه، والجار و

المجرور، والنعت او البديل، والاستثناء المفرغ...، مثل ما هو مثبت في الجدول والملاحظة الجديرة بالذكر في هذا الصدد هي ان جميع هذه الكلمات جاءت في موقع المضاف و المضاف اليه والمضاف كثير جدا اذ بلغ (٤٣) مرة من مجموع (٤٥) اي ان المضاف اليه مرتان فقط. والاضافة مثل ما هو مثبت في اللغة و النحو من خصائص الاسماء. والتاء ((تعود للظهور مرة اخرى عند الاتصال بمضاف اليه، فالتركيبة الإضافية تحتفظ بالعناصر اللغوية القديمة، او كما يقول اللغويون العرب : الاضافة ترد الاشياء الى اصولها. مثال ذلك في العبرية : (بنت موسى)) وفي الارامية :

((ملكتهم)) وفي العربية الحديثة ((شجرت التوت)) و((جنية البحر))...((٨٩)).

٣. ظهر من الجدول المذكور آنفا ان اعراب كلمة ((ابنت)) في قوله تعالى : ((مريم ابنت عمران...)) التحريم/١٢ نعت او بدل على رأي (النحاس ت ٣٣٨ هـ) المشار اليه في الجدول، فقد ذكر (ابو العباس محمد بن يزيد المبردت هـ) أن التاء التي تبدل منها الهاء في الوقف وغيره تدخل على نعت قال : ((... اعلم ان علامة التأنيث تكون على لفظتين فاحد اللفظين : التاء التي تبدل منها في الوقف هاء. وهي تدخل على نعت يجري على فعله، لا يؤنث الا بها وذلك كقولك في (قائم) و(قاعد) و(مفطر) و(صائم) و(كريم) و(جواد) و(منطلق) و(مقتدر) اذا اردت التأنيث (قائمه) و(قاعده) و(مفطره) و(صائمه) وما لم نسمه فهذا باب وجميع هذا نعت لاحالة وهو ما ذكرت لك مأخوذ من الفعل...)) (٩٠).

٤. كانت جميع الاسماء الوارد ذكرها آنفا مفتوحا ما قبل اخرها وهذه الظاهرة ستفيدنا في تفسير رسم ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة من الناحية الصوتية والصرفية فقد دعا الدكتور ابراهيم انيس الى دراسة هذا الابدال صوتيا لا صرفيا او نحويا قال : ((الاسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما يظن النحاة بل يحذف اخرها ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين صغير (الفتحة) فيخيل للسامع انها تنتهي بالهاء... فحين نسمع كلمة شجرة مثلا في لهجات الكلام الان يخيل الينا ان التاء المربوطة قلبت هاء، والحقيقة انها حذفت من النطق وامتد النفس مع الصوت اللين قبلها فسمع كلهاء)) (٩١) وهذا تفسير الوقف وذكر براغشتراسر في هذا الصدد ايضا ان : ((التاء مع الفتحة قبلها اي (at) سامية الاصل ويدل على قدمها وجودها في ماضي الفعل نحو فعلت... وكثيرا ما كانت الفتحة تحذف في اللغة السامية الأم ولم يبق من ذلك في العربية الا القليل)) (٩٢).

اما الاسماء التي تلحق تاء ساكن ما قبلها نحو : اخت و بنت فهي ليست بتاء تأنيث عند ابن جني قال : ((اخت و بنت وليست التاء فيهما بعلامة تأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن بسكون ما قبلها. هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح وقد نص عليه في باب ما لا ينصرف...)) (٩٣) وقد علل براغشتراسر حصول هذه التاء صرفيا في كلمة اخت و بنت استنادا الى رأي الزمخشري قال : ((ذكر الزمخشري أن التاء في الاخت و البنت أبدلت من الواو وذلك انه ظن ان مادتهما : اخو بنو، وأن التاء الاصلية لام الفعل قامت مقام الواو، ونحن نعرف أن الأخ والابن من الأسماء القديمة جدا التي مادتهما مركبة من حرفين فقط، لا من ثلاثة احرف وان التاء وان لم تسبقها فتحة هي تاء تأنيث، فهي

في غير العربية وخصوصا في الاكادية و العبرية كثيرا ما لا فتحة قبلها...)) (٩٤) ومعنى ذلك ان التاء التي تلحق الاسم سواء أكان ما قبلها مفتوحا ام ساكنا هي تاء تأنيث وكلمة (أخت و بنت) من الفاظ القرابه الشائبة التي قلت في العربية مع تقادم الزمن.

وذهب الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه ((المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي)) الى حصول الظاهرة صوتيا في المقطع الصوتي لنظام العربية الصوتي (لمقطع في العربية) قال ((وقد بقيت تاء التأنيث كما هي في الاشورية و الحبشية، في حالتي الوصل و الوقف. اما في اللغة العربية، فأنها تقلب هاء في حالة الوقف، فيقال عند الوقف : كبيره، وصغيره، ولحيه، وبقره، ونحن عندما نقول : ان التاء تقلب هاء انما ننظر الى النتيجة النهائية، لا الى التطور الصوتي، فانه ليس ثمة علاقة صوتية بين التاء و الهاء، وانما تطور المسألة أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث، فبقى المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في اواخر الكلمات، فتتجنبه بأغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت، وهكذا يبدو الامر كما لو أن تاء التأنيث قد قلبت هاء على ان الحقيقة هي أن التاء قد سقطت لعله، وان الهاء قد جاءت لعله اخرى فليس بينهما تبادل صوتي كما ترى...)) (٩٥) والذي نفهمه من وراء كلام الدكتور عبد التواب ان الاصل في كتابة الكلمات التي رسمت بالتاء المربوطة هو التاء المفتوحة (الساقطة على حد تعبيره) وهذا سيزيد الطين بلة لأن عددا هائلا من الكلمات الواردة في القرآن الكريم كتبت بالتاء المربوطة ايضا، وان نزرا منها ابدلت التاء المربوطة فيه تاء مفتوحة هي مدار البحث.

اما الدكتور عماد حاتم فيرى بصدد التاء المربوطة ((... نلاحظ انه لا مكان لها في الابدادية العربية لأنها ليست الا شكلا من اشكال التاء المفتوحة بعد ان ضمت نهايتها... ومن خصائص هذه التاء أنها لا تكتب الا في اخر الكلمة ومع الكلمات المفردة فقط وانها تنقلب تاء مفتوحة عندما ترد وسط الكلمة كما تنقلب هاء عند الوقف، مثلا :

مدينة	مدینتا طرابلس و بنغازي
سيارة	هذه سيارتي
قهوة	شربت قهوتهم
شهادة	نال شهادته

مدينة جميله (هـ)

قهوة تركيه (هـ)

شهادة هندسه (هـ)... (٩٦) ولم يوضح الدكتور عماد كيف ضمت نهايات التاء المربوطة صرفياً او نحوياً.

ولعلنا نجد في بعض القراءات ما يساعدنا في إلقاء بعض الضوء بشكل مباشر او غير مباشر في تفسير ظاهر ابدال التاء القصيرة تاء مفتوحة في الكتابة العربية في بعض آي القرآن الكريم، فقد ذكر صاحب كتاب ((الروضة في القراءات الاحدى عشرة)) أن ((مذهب الكسائي في الوقف على تاء التأنيث التي تنقلب في الوقف هاء على حروف المعجم وهي تسعة وعشرون حرفا منها خمسة عشر

حرفا لم يختلف عنه في امالتهن يجمعهن (فجئت زينب لذود شمس)، ومنها احد عشر حرفا لم يختلف عنه في فتحها وهن الهاء والهمزة و الحاء و العين و الخاء و الغين و القاف و الصاد والضاد (والطاء والظاء...) (٩٧) اي حروف الحلق و الاطباق وقد سبق ان اثبتنا في صدر البحث ان جميع الكلمات المبدلة فيها التاء المربوطة (القصرية) تاء مفتوحة (طويلة) في القرآن الكريم كان ما قبل اخرها مفتوحا ونعلم لغويا أن الفتحة بعض الالف، وذهب (ابن الجزري ت ٨٣٣هـ) في (باب امالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف) الى أن ((... الهاء التي تكون في الوصل تاء آخر الاسم نحو : نعمه ورحمه. فتبدل في الوقف هاء وقد امالها بعض العرب كما امالوا الألف. وقيل للكسائي انك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال هذا طباع العربية. قال الحافظ ابو عمرو الداني، يعني بذلك ان الامالة هنا لغة اهل الكوفة وهي باقية فيهم الى الان وهم بقية ابناء العرب يقولون أخذته أخذته وضربته ضربه. قال وحكى نحو ذلك عنهم الاخفش سعيد بن مسعدة (قلت) والامالة في هاء التأنيث وما شابهها من نحو (همزة، ولمزة، و خليفة، و بصيرة) وهي لغة الناس اليوم و الجارية على ألسنتهم في اكثر البلاد شرقا وغربا وشاما ومصر لا يحسنون غيرها ولا ينطقون بسواها يرون ذلك اخف على لسانهم واسهل في طباعهم وقد حكاها سيبويه عن العرب ثم قال شبه الهاء بألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف انتهى...) (٩٨) وعرف ابن الجزري الامالة بقوله : ((والامالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبألف نحو الباء (كثيرا) وهو المحض. ويقال له : الاضجاع، ويقال له : البطح، وربما قيل له الكسر ايضا (وقليلا) وهو بين اللفظين ويقال له ايضا التقليل و التلطيف وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم ايضا الى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب...)) (٩٩) وقسم ابن الجزري الامالة الى ثلاثة اقسام (١٠٠) وبين الحروف المختصة بكل قسم وعددها والكلمات الواردة فيها في القرآن الكريم، والذي يعنينا ليس دراسة الامالة و الاطناب في تفسيرها الا بالقدر الذي يعرض ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة في بعض الكلمات المبدلة فيها هذه التاء الواردة في الكلمات في القرآن الكريم ففي القسم الاول من الامالة الذي اشار اليه ابن الجزري، نجد الكلمات المبدلة الاتية : (سنه، وجنه، و لعنه، ونعمه، ورحمه) ومواضع تكرارها، وفي القسم الثاني (مرضاة) وفي الثالث (امراة، و فطرة) وبعد أن عدد ابن الجزري في القسم الثالث (اكثر الائمة وجلة اهل الاداء وعمل جماعة القراء) (١٠١) من ائمة القراء وذكر تواترهم قال : (وقد استثنى جماعة من هؤلاء : فطرت وهي في الروم وذلك ان الكسائي يقف عليه بالهاء على اصله كما سيأتي فيما كتب بالتاء واعتدوا بالفصل بين الكسرة و الهاء وان كان ساكنا وذلك بسبب كونه حرف استعلاء واطباق وهذا اختيار ابي طاهر ابن ابي هاشم و الشذائي و ابي الفتح بن شيطا وابن سوار و ابي محمد سبط الخياط و ابي العلاء الحافظ وصاحب التجريد وابن شريح و ابي الحسن بن فارس وذهب سائر القراء الى الامالة... وذكر الوجهين جميعا ابو عمرو الداني في غير التيسير وذكر ابو محمد مكّي الخلاف فيها عن اصحاب ابن مجاهد وهو مذهب ابي الفتح فارس بن احمد وشيخه ابي الحسن عبد الباقي وروي عنه فقال سألت ابا سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي عن هذا الذي اختاره ابو طاهر فقال لا وجه له لأن هذه الهاء طرف و الاعراب لا يراعي فيه الحرف المستعلى ولا غيره قال وفي القرآن : اعطى و اتقى ويرضى لا خلاف في جواز الامالة فيه وفي شبهه فلما اجمعوا على الامالة في الاطراف

في موضع التغيير كانت الهاء في الوقف بمثابة الالف اذا عدت الالف نحو (مكة، وفطرة) انتهى(١٠٢) ووردت التاء القصيرة بعد حرف الراء في القرآن الكريم في (ثمانية وثمانين اسما... وفي اثنين وخمسين سوى ما تقدم) (١٠٣) اي مئة واربعون اسما شذت في الكتابة منها جميعا الكلمات (فطرت) في قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها) (١٠٤) و(شجرت) في قوله تعالى : (ان شجرت الزقوم) (١٠٥) و (قوت) في قوله تعالى : (... وقالت امرات فرعون قوت عين لي ولك...) (١٠٦) .

وتتوضح مسألة ابدال الفتحة هاء اكثر في قراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمي (١٠٧) الذي انفرد بين القراء بابدال الفتحة هاء في الوقف على الفتح اذ ذكر صاحب كتاب ((الروضة في القراءات الاحدى عشرة)) ((وكان يعقوب يقف على (هو) (هوه) بهاء ساكنة بعد الواو اذا لم يكن قبل الهاء حرف، وكذلك يقف على (عم) (النبا / ١) (عمه) بهاء ساكنة بعد الميم وغير ذلك فلا يزيد الهاء في الوقف عليه الباقون بغير هاء)) (١٠٨)، و(الباقون) في قوله هنا يقصد به باقي القراء بمراتبهم المعروفة في القراءة، علما ان يعقوب الحضرمي من قراء البصرة المشهورين الذي زحزح اسمه من القراء السبعة الى القارئ الثامن بمرتبة القراء في زمن ابن مجاهد (١٠٩) وهو من القراء العشرة. ومن ناحية اخرى نجد في القراءات ايضا حذف الهاء في الوصل فقد "قرأ حمزة ويعقوب والاعمش، العدة ثلاثة رجال (ما هيه نار) بحذف الهاء في الوصل. الباقون باثباتها في الوقف". (١١٠)

جـ- النتائج:

لأنريد ان يكون مثلنا في مبحث (النتائج) مثل الذي يرتدي اكثر من ثوب ليبدو بدينا في نظر الآخرين، فالبحث من اوله الى اخره ينصب على تحديد ظاهرة ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة وتفسيرها في الكلمات الواردة في القرآن الكريم وذكر اراء بعض علماء السلف الصالح والمعاصرين فيها، وقد قال الجاحظ (ت ٢٥٥) قديما: "لم يضع امرؤ صواب القول حتى يضع صواب العمل" (١١١)، وان شاء الله لم نجاف صواب القول في دراسة الظاهرة فيما سبق فكانت النتائج:

١ - احصى البحث الكلمات التي حدثت فيها ظاهرة ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة في القرآن الكريم في (الوصل والوقف) وبالروايتين العروفتين (حفص وقالون) في كلمات شريفة مقدسة هي (آبنت، و أمرات، و بقيت، و جنت، و جمالت، و رحمت، و سنت، و شجرت، و فطرت، و قرت، و كلمت، و لعنت، و مرضات، و معصيت، و نعمت) عددها خمس عشرة كلمة اغلبها برواية حفص في الرسم العثماني الشريف، وحدد البحث مواضع تكرارها في خمسة واربعين موضعا في القرآن الكريم.

٢ - لا يوجد حرف في الابدادية العربية اسمه (تاء مربوطة)، وهذه التاء المربوطة طارئة تتحول في الوقف الى هاء وهي امتداد الى حرف التاء المفتوحة التي هي حرف اصيل في الابدادية العربية وظيفتها علامة اساسية في التأنيث قد تشاركها التاء المربوطة هذه الوظيفة في منطوق اللغة العربية الا أن (المربوطة) ترد الى حرف التاء المفتوحة (الاصل) عند الاضافة.

٣ - جميع الكلمات المبدلة فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة كانت اسما

٤ - جميع الاسماء المبدلة فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة كان ما قبل اخرها مفتوحا

٥ - ان جميع الاسماء التي ابدلت فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة في القرآن الكريم تقع في باب المضاف والمضاف اليه والمضاف كثير جدا فيها اذ بلغ ثلاثا واربعين مرة من مجموع خمس واربعين اي ان المضاف اليه مرتان فقط.

٦ - لم يقتصر ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة على الوقف مثل ما هو شائع سابقا وانما للابدال امتداد قليل في الوصل ايضا مثل ما هو مفصل في سطور البحث.

٧ - من صفات حرف التاء المفتوحة في اللغة العربية عند سيبويه أنها (حرف مهتوت لضعفها وخفائها)، وهي مجهورة وحرف (شديد) عنده ايضا وتشترك في المخرج مع حرفين آخرين هما الدال والصاد. وعند المحدثين (صوت صامت مهموس سني) / السعران / وعند / ماريوباي / تحدث ضمن حروف مركبة وغير مركبة هي (پ / ب / ك / گ / ت / د) وقد اضاف د. عماد حاتم الى هذه الاصوات صوت / چ / المركب، ويصنف حرف التاء على اساس عملية انتاجه وهو صوت حبيس عند د. عماد حاتم فعملية انتاجه عنده تقسم الى ثلاثة مراحل هي : تهيوء اعضاء النطق للعمل، فقيامها بالعمل، فعودتها الى الحالة الاولى، فهو صوت آني لأن لفظه يتم بصورة آنية سرعان ما تنتهي فيستحيل مد الصوت وتطويل مدة نطقه، (انظر مبحث صفات حرف التاء في الدلالة والمخرج).

٨ - وفي مبحث (بقايا اللغات القديمة) اظهر البحث ان اللغات القديمة : الآرامية بلهجاتها العديدة والنبطية والحبشية اثر في كتابة التاء المربوطة تاء طويلة في اللغة العربية، فقد قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : " وزعم ابو الخطاب ان اناسا من العرب يقولون في الوقف طلعت كما يقولون في تاء الجمع واحدا في الوقف والوصل... " وقد اختلف البصريون والكوفيون في ايهما الاصل التاء ام الهاء، فذهب البصريون الى ان التاء هي الاصل والهاء هي بدل عنها وذهب الكوفيون الى عكس ذلك كما ان البصريين استدلوا بأن بعض العرب يقولون في التاء في الوصل والوقف (الله نجا بكفي مسلمت) (الغصلمت، امت) قافية في الشعر منتبهة بتاء التأنيث، ونقل إلينا غانم قدوري رأي علم الدين السخاوي في الوسيلة ورقة ٦٨ : " وقيل انها لغة طيئ يقولون : حمزت وطلحت وروي انهم نادوا يوم اليمامة يا أهل سورة البقرة... " كما انه علل سبب كتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة بسبب بقايا اللغات القديمة قال : "... فقد كانت الاسماء المؤنثة تكتب بالنبطية بالتاء في معظم الاحوال مثل : خلث (خالة)، يلت (وائلة)، غزلت (غزالة)، ملكت (مليكة)، ريفت (رائفة)... الخ " وتؤيد ذلك بعض النقوش النبطية، ((وان ابدال التاء من الهاء ورد عن طيئ فإنهم يقفون على هاء مؤنث بالتاء فيقولون : هذه (امت)، و(جاريت)، و(طلحت)، في أمة وجارية وطلحة)) (١١٢) وقد بقيت تاء التأنيث كما هي في الاشورية والحبشية، وربما كانت التاء المفتوحة (الطويلة) هي الاصل لكن الحير في الامر انها وردت في كلمات كثيرة جدا بالتاء المربوطة في القرآن الكريم اكثر من ورودها بالتاء المفتوحة فيه.

٩ - اما الاسماء التي تكتب بالتاء المفتوحة وما قبلها ساكن نحو : أخت وبنت فهي عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ليست بتاء تأنيث قال : " أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلمة تأنيث كما يظن من لاختبره له بهذا الشأن بسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح وقد نص عليه في باب

ما لا ينصرف " وقد علل (براغشتراسر) (كما ذكر من قبل) حصول هذه التاء صرفياً في كلمة أخت و بنت استناداً الى رأي الزمخشري، قال: "ذكر الزمخشري ان التاء في الاخت وال بنت ابدلت من الواو وذلك انه ظن ان مادتهما: اخو وبنو، وان التاء الاصلية لام الفعل قامت مقام الواو، ونحن نعرف ان الاخ والابن من الاسماء القديمة جدا مادتهما مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة احرف وان التاء وان لم تسبقها فتحة هي هاء تأنيث فهي في غير العربية وخصوصاً في الاكادية والعبرية كثيراً ما لا فتحة قبلها " ومعنى ذلك ان التاء التي تلحق الاسم سواء أكان ما قبلها مفتوحاً ام ساكناً هي تاء تأنيث والذي اثبتناه في ما تقدم ان جميع الاسماء المبدلة فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة كان ما قبل اخرها مفتوحاً وهذه الحالة هي صلب البحث علماً ان كلمة (اخت و بنت) من الالفاظ القرابة ذات الاصل الثنائي النادر والمنقرض في اللغة العربية.

١٠ — ترد التاء المربوطة الى اصلها التاء المفتوحة في وسط الكلمة او في الوقف عند الاضافة.

١١ — درس البحث حصول ظاهرة ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة صوتياً (عند د. ابراهيم انيس و د. رمضان عبد التواب والمستشرق (براغشتراسر) / انظر ص ١٣ و ١٤.

١٢ — اما في مجال القراءات فقد وجدنا ان يعقوب بن اسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) قارئ البصرة المشهور الذي انفرد في قراءته بين القراء جميعاً بابدال الفتحة هاء في الوقف على الفتح وهذا يؤيد تحليل ظاهرة ابدال التاء المربوطة تاء مفتوحة صوتياً التي اشرنا اليها فيما تقدم، فقد كان الحضرمي يقف على (هو) (هوه) بابدال الفتحة هاء ساكنة وكذلك في (عم) (عمه) علماً ان تفاصيل توثيق نتائج البحث ونصوصها مدونة في محاور البحث وعنواناته وهوامشه.

لقد شكلت التاء صعوبة بالغة التعقيد في العملية التعليمية التربوية، يعاني منها النشئ العربي الاسلامي في مهارة الكتابة العربية، ودراسة ظاهرة ابدال التاء المربوطة التي هي طارئة وامتداد للتاء المفتوحة الى الاخيرة تزيد من صعوبتها قداسة القرآن الكريم واعجازه وكونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " انه لقرآن كريم في كتاب مكنون " في لوح محفوظ، وهو معجزة الرسول الأمي الأمين المصطفى المبعوث رحمة للعالمين (محمد بن عبد الله / صلى الله عليه واله وسلم) فهو وقف متواتر في القراءة والرسم والاعجاز والقداسة وقد اثبتنا ذلك في صدر البحث بدءاً فلم يكن للبحث ونتائجه من فضيله الا تفسير الظاهرة من خلال تجميع اراء واقوال الباحثين والاجتهاد في الاشارة والترجيح والله اعلم بما ضم كتابه العزيز من معاني واسرار وطلاسم، ومعرفة كنهها فوق قدرة الباحث والباحثين " وان ليس للانسان إلا ما سعى " (١١٣) صدق الله العظيم.

الهوامش

١ _ التحريم: ١٢

٢ _ انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (م رأ) ص ٦٩٩، ورسم المصحف احصاء ودراسة، صالح محمد صالح عطية، ص ١٧١

٣ _ ال عمران: ٣٥

٤ _ يوسف: ٣٠

٥ _ القصص: ٩

- ٦_التحریم: ١٠
- ٧_التحریم: ١١
- ٨_انظر: البقرة: ٢٤٨، وهود ١١٦
- ٩_هود: ٨٦
- ١٠_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(ج ن ن)، ص ١٨٩
- ١١_الواقعة: ٨٩
- ١٢_المرسلات: ٣٣، ٣٢
- ١٣_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(رح م)، ص ٣١٤
- ١٤_الزخرف: ٣٢
- ١٥_البقرة: ٢١٨
- ١٦_الاعراف: ٥٦
- ١٧_هود: ٧٣
- ١٨_مريم: ٢
- ١٩_الروم: ٥٠
- ٢٠_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(س ن ن)، ص ٣٧١
- ٢١_الانفال: ٣٨
- ٢٢_فاطر: ٤٣
- ٢٣_غافر: ٨٥
- ٢٤_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(ش ج ر)، ص ٣٧٩
- ٢٥_الدخان: ٤٣
- ٢٦_الروم: ٣٠
- ٢٧_القصص: ٩
- ٢٨_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(ك ل م)، ص ٦٢٥_٦٢٦
- ٢٩_الاعراف: ١٣٧
- ٣٠_انظر: المقنع في رسم مصاحف الامصار مع كتاب النقط، لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت ٤٤٤)، تح: محمد صادق قمحاوي، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ص ٨٣_٨٤
- ٣١_الانعام: ١١٥
- ٣٢_يونس: ٣٣
- ٣٣_يونس: ٩٦
- ٣٤_غافر: ٦
- ٣٥_المقنع في رسم مصاحف الامصار مع كتاب النقط، ص ٨٣_٨٤ مصدر سابق
- ٣٦_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة(ل ع ن)، ص ٦٥٥
- ٣٧_ال عمران: ٦١

- ٣٨_النور: ٧
 ٣٩_البقرة: ٢٠٧
 ٤٠_النساء: ١١٤
 ٤١_التحریم: ١
 ٤٢، ٤٣_المجادلة: ٨، ٩
 ٤٤_انظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة (ن ع م) ص ٧١٢_٧١٤
 ٤٥_البقرة: ٢٣١
 ٤٦_ال عمران: ١٠٣
 ٤٧_المائدة: ١١
 ٤٨_ابراهيم: ٢٨
 ٤٩_ابراهيم: ٣٤
 ٥٠_لقمان: ٣١
 ٥١_فاطر: ٣
 ٥٢_النحل: ٧٢
 ٥٣_النحل: ٨٣
 ٥٤_النحل: ١١٤
 ٥٥_الطور: ٢٩
 ٥٦_انظر: على سبيل التمثيل لا الحصر، (من المتقدمين)، "المنع في رسم مصاحف الامصار مع كتاب النقط" لآبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، (ومن المتأخرين): "رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية" غانم قدوري الحمد، ص ٧٢، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، العراق، و"رسم المصحف: احصاء ودراسة"، محمد صالح عطية، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ط ١، ليبيا
 ٥٧_ص ١١
 ٥٨_نحو القلوب الصغير، عبد الكريم القشيري، تح: احمد عالم الجندي، ص ٧١
 ٥٩_دائرة المعارف، م ١٠، دار المعرفة، بيروت، لبنان
 ٦٠_الحروف، للخليل ابن احمد الفراهيدي، تح رمضان عبد التواب، ص
 ٦١_في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، ٣
 ٦٢_انظر: كتاب العين للخليل ابن احمد الفراهيدي، تح، د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، ص ٢٩، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ص
 ٦٣_كتاب سيبويه، ج ٤، ٤٣١
 ٦٤_نفسه، وشرح المفصل لابن يعيش، م ١٠، ١٢٨
 ٦٥_الكتاب، ج ٤، ٤٣٤
 ٦٦_نفسه، والصفحة نفسها

- ٦٧_ نفسه، ج ٤، ٤٣٤
- ٦٨_ انظر: شرح المفصل لابن يعيش النحوي، م ١٠، ١٢٩
- ٦٩_ لسان العرب، م ٢، ٣
- ٧٠_ مختار الصحاح، ٧٣، والحروف الزوائد كما ذكرها ابن دريد في كتابه "جمهرة اللغة" هي: الهمزة والالف، والياء، والواو، والميم، والنون، والتاء، واللام، والسين، والهاء، انظر مصادر اللغة عبد الحميد الشلقاني ٥٩٧
- ٧١_ الاصوات اللغوية، ص ٦١
- ٧٢_ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ١٥٤_١٥٥، والهامش
- ٧٣_ اسس علم اللغة، تر: احمد مختار عمر ٨٢
- ٧٤_ نفسه والصفحة نفسها
- ٧٥_ نفسه والصفحة نفسها
- ٧٦_ في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، ٥١
- ٧٧_ انظر: علم اللغة، بالاشتراك مع عبدالله علي مصطفى، ١٥٦
- ٧٨_ نفسه والصفحة نفسها
- ٧٩_ اسس علم اللغة، مصدر سابق، ٥١
- ◆ اللهجة في علم اللغة لغة
- ٨٠_ الكتاب، ج ٢، ص ٢٨١
- ٨١_ الاشباه والنظائر في النحو ج ١، تح: د. فائز ترحيني، ص ٧٢
- ٨٢_ رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص ٢٧٢
- ٨٣_ نفسه، ٢٧٣_٢٧٤
- ٨٤_ اعراب القرآن، ج ٣، ص ٣٦٧
- ٨٥_ ينظر: المصدر نفسه، ج ٤، ٣٥٤_٣٤٦
- ٨٦_ المصدر نفسه، ج ٣، ٢٧١_٢٧٢
- ٨٧_ نفسه، ج ٣، ص ٢٢٩
- ٨٨_ مصطفى جواد، اللغة العربية ومقامها بين اللغات السامية، امالي مصطفى جواد في فقه اللغة، عبدالله عبد الرحيم السوداني، مجلة التوباد م ١، ع ٤، ص ١٧
- ٨٩_ د. رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص ٢٥٩
- ٩٠_ المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، ص ٨٣
- ٩١_ في اللهجات العربية، ١٢٤_١٢٥
- ٩٢_ التطور النحوي، ١١٥
- ٩٣_ سر صناعة الاعراب ١\ ١٦٥، والمدخل الى علم اللغة، ٢٥٦
- ٩٤_ التطور اللغوي، ٥١، والمدخل الى علم اللغة، ٢٥٧

- ٩٥_ ص ٢٥٧
- ٩٦_ اللغة العربية قواعد و نصوص، ص ٥٣_ ٥٤
- ٩٧_ ابو علي الحسن بن محمد بن ابراهيم البغدادي المالكي، ص ٢٩٠
- ٩٨_ ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بآن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج٢، ص ٨٢
- ٩٩_ نفسه، ص ٣٠
- ١٠٠_ نفسه انظر: من ص ٨٢_ ٩٠
- ١٠١_ نفسه، ص ٨٥
- ١٠٢_ نفسه ٨٥_ ٨٦
- ١٠٣_ نفسه ٨٤
- ١٠٤_ الروم، ص ٣٠
- ١٠٥_ الدخان، ص ٤٣
- ١٠٦_ القصص، ص ٧
- ١٠٧_ يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله بن ابي اسحاق الحضرمي البصري (١١٧_ ٢٠٥ هـ) ومن المصادر التي ترجمت سيرته: ابن الجزري، غاية النهاية، ج٢، ص ٣٨٦، والعسقلاني، لطائف الاشارات ١ \ ٩٨، والسيوطي في بغية الوعاة، ج ٢، ص ٣٤٨، والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ٣١_ ٣٤، والذهبي، معرفة القراء الكبار ١٠٨_ ص ٤٢٥ وانظر: ص ٨٢٥
- ١٠٩_ انظر: سعيد الافغاني، الاحتجاج للقراءات، ص ٧٢، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع ٣٤، ١٩٧٤ م
- ١١٠_ "الروضة في القراءات الاحدى عشرة" ص ٨٤٧
- ١١١_ البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٧٩
- ١١٢_ دراسة اللهجات القديمة، د. داود سلوم، ص ٥٨
- ١١٣_ النجم، اية ٢٩

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية العراقية، ١٩٩٤ م.
- ٢- القرآن الكريم بالرسم العثماني، وبهامشه تفسير الجلالين، العلامة جلال الدين محمد بن احمد المطي، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، مذيلا بكتاب لباب النقول في اسباب النزول، للسيوطي تحقيق ومراجعة الشيخ مصطفى الحديدي الطير، عضو مجمع البحوث الاسلامية، مكتبة مصر.
- ٣- مصحف الجماهيرية، برواية قالون، الرسم العثماني على ما اختاره الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) (ثلاثون جزءا)، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

- ٤ - القرآن الكريم بالرسم العثماني ، مكتبة النهضة ، بغداد.
- ٥ - الاحتجاج للقراءات ، سعيد الافغاني ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ع ٣٤ ، ١٩٧٤ م.
- ٦ - اسس علم اللغة ، ماريو باي ، تر : د. احمد مختار عمر جامعة طرابلس ، كلية التربية ، ١٩٧٣ م.
- ٧ - الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس ، ط ٥ ، مكتبة الانجلو المصرية.
- ٨ - اعراب القراءن الكريم ، لابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تح : د. زهير غازي زاهد ، وزارة الاوقاف ، احياء التراث الاسلامي ٣٤ ، مطبعة العاني ، بغداد.
- ٩ - البيان والتبيين ، الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ١٩٥٠ م.
- ١٠ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٥ م.
- ١١ - التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانيه ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٧ م.
- ١٢ - التطور النحوي ، المستشرق برجستراسر ، اخرج د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٨٢ م.
- ١٣ - الجامع لاحكام القراءن (تفسير القرطبي) ، لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي.
- ١٤ - الحروف ، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تح : رمضان عبد التواب ، ط ١ ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.
- ١٥ - دائرة المعارف ، المعلم بطرس البستاني ، م ١٠ ، دار المعرفة لبنان ، بيروت.
- ١٦ - دراسة اللهجات العربية القديمة ، د. داود سلوم ، مكتبة المنار الاسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٦ م.
- ١٧ - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، د. غانم قدوري حمد ، ط ١ ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٤ م.
- ١٨ - رسم المصحف احصاء ودراسة ، محمد صالح عطية ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا.
- ١٩ - الروضة في القراءات الاحدى عشرة ، لابي علي الحسن بن محمد بن ابراهيم البغدادي المالكي (ت ٤٣٨ هـ) تح : مصطفى عدنان محمد ، اطروحة دكتوراه في اللغة العربية وادابها ، كلية الاداب بالجامعة المستنصرية ، اذار ١٩٩٩ م.
- ٢٠ - سر صناعة الاعراب ، ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد حسن اسماعيل ، واحمد رشدي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م.
- ٢١ - الاشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تح : د. فائز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٤ م.
- ٢٢ - شرح المفصل ، الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب ، بيروت.

- ٢٣ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود سعدون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ٢٤ - علم اللغة، د. عبدالله علي مصطفى، ود. عبدالله عبد الحميد سويد، ط ١، دار المدينة القديمة للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٣م.
- ٢٥ - فقه اللغات السامية، المستشرق كارل بروكلمان، تر: د. رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس، ١٩٧٧م.
- ٢٦ - في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، د. عماد حاتم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ط ١، ليبيا ١٩٨٢م.
- ٢٧ - في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط ٢، لبنان، ١٩٨٦م.
- ٢٨ - الكتاب : كتاب سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت.
- ٢٩ - كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، وزارة الاعلام العراقية.
- ٣٠ - لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، م ١٣، ط ٣، دار صادر بيروت، لبنان ١٩٩٤م.
- ٣١ - اللغة العربية قواعد ونصوص، د. عماد حاتم، الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط ٣، ١٩٨٢م.
- ٣٢ - اللغة العربية ومقامها بين اللغات السامية، امالي مصطفى جواد في فقه اللغة، عبدالله عبد الرحيم السوداني، مجلة التوباد السعودية، م ١، ع ٤، ١٩٨٨م.
- ٣٣ - مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، طبعة دار المعارف بمصر.
- ٣٤ - المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٨٥م.
- ٣٥ - المذكر والمؤنث، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث، ١٩٧٠م.
- ٣٦ - مصادر اللغة، عبد الحمد الشلقاني، ط ٢، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٢م.
- ٣٧ - المعجم في رسم مصاحف الامصار مع كتاب النقط، لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تح: محمد صادق قمحاوي مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- ٣٨ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- ٣٩ - نحو القلوب الصغير، الامام عبد الكريم القشيري، تح: احمد عالم الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس.

٤٠ - النشر في القراءات العشر، ج ٢، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بآبن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، مراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

بناء (مُفْعَلٍّ) ودلالته الكونية في القرآن

الكريم

د. أفراح عبد علي الخياط

بناء (مُفَعَّل) ودلالته الكونية في القرآن الكريم

د. أفراح عبد علي الخياط

المقدمة:

اللغة العربية لغة غنية بالمفردات، ولعل أحد أسباب هذا الغنى وأهمها هو ما توصف به من أنها لغة اشتقاقية، فالاشتقاق بأنواعه الثلاثة (الصغير، والكبير والأكبر) قد أثرى هذه اللغة بمفردات كثيرة لها دلالات متنوعة.

ويعد الاشتقاق الصغير الصق أنواع الاشتقاق بالصيغة أو البناء الصرفي، فهو: "أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في عدد الأحرف الأصلية وترتيبها وإختلاف في الحركات أو عدد الحروف الزائدة نحو: ذهب - يذهب - ذاهب - مذهب به - مذهب... الخ"^(٤١٩).

و من هنا تعددت الابنية و الصيغ، فكانت ابنية الافعال و ابنية الصفات كاسم الفاعل، و ابنية المبالغة، و ابنية الصفة المشبهة و غيرها، و كل باب من ابواب الصفات هذه يشتمل على ابنية مختلفة تبعا للمادة اللغوية التي اشتقت منها أو ما نسميه بالجذر اللغوي، و بناءً عليه اختلفت ابنية اسم الفاعل مثلاً في معانيها و دلالاتها لاختلاف المواد اللغوية التي اشتقت منها، و إن كان الاطار العام الذي يجمع دلالتها هو دلالة الباب الذي انضوت تحته وهو دلالة اسم الفاعل.

بناء (مُفَعَّل) من ابنية اسم الفاعل:

يُعدُّ بناء (مُفَعَّل) أحد ابنية اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي، إذ يُبنى اسم الفاعل من الفعل (افعل) على بناء (مُفَعَّل) نحو: ابيض فهو مبيض، واحول فهو محول.

(٤١٩) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٢٤٨.

ويُلاحظ أنه وبسبب التضعيف في لام الفعل فإن الوصف المشتق من هذا الفعل لا يُميّز في كونه (اسم فاعل) أو (اسم مفعول)؛ لأن (اسم المفعول) من الفعل الثلاثي المزيد لا يختلف عن اسم الفاعل منه سوى في الفتح في الحرف قبل الأخير^(٤٢٠).

ونرى أن اللغويين الذين أشاروا إلى اشتراك بناء (اسم الفاعل) و (اسم المفعول) من بعض الأفعال المزيدة بسبب التضعيف كمرّت، ومنصب، ومتحاب لم يشيروا إلى اشتراك الوصف في بنائه بين الفاعل والمفعول من الفعل إفعل^(٤٢١)، وقد تكون العلة في ذلك الأمرين:

الاول: أنه لم يسمع عن العرب ورود بناء الفعل المبني المجهول من الفعل أفعل، وإنما المسموع هو بناء الفعل المبني للفاعل أو المعلوم افعل ومضارعه يفعل.

الثاني: أن الغالب في (افعل) هو دلالة على الالوان نحو: أبيض، واخضر، واحمر، وعلى العيوب نحو: احول، واعور^(٤٢٢). وهذه الأفعال كلها لازمة، إذ تكتفي بفاعلها ولا تتعداه إلى غيره؛ قال سيبويه في باب الفعل اللازم (هذا باب ما لا يجوز فيه فعلته إنما هي ابنية لا تتعدى الفاعل، كما أن فعلت لا يتعدى إلى مفعول. فهكذا هذه الابنية التي فيها الزوائد... وليس في الكلام أفعللته، وأفعللته، ولا أفعللته، ولا أفعللته، وهو نحو احمررت واشهابت^(٤٢٣)؛ أي: إن الفعل (افعل) ذو دلالة اتصافية لا دلالة علاجية أو ايقاعية من فاعل، وعلى مفعول، مع ما يدل عليه هذا الفعل من دلالة على تحول وحدوث، فصيغة (افعل) مما يصاغ للاتصاف بالالوان والعيوب، وهذا يناسب كون الوصف المشتق منه (اسم فاعل) بدلالته الوصفية لا الايقاعية، فيصدق على (محمر) مثلاً، وهو الوصف من (احمر) أنه يدل على من قام به الفعل على نحو الحدوث، وهو تعريف اسم الفاعل الذي يفرق به عن الصفة المشبهة، ف(محمر) تدل على ذات متصفة بالاحمرار على نحو الحدوث لا الثبوت، وهذه هي الدلالة التي جاءت عليها صيغة (مفعل) في الالفاظ الواردة في القرآن الكريم.

بناء (مُفْعَل) في القرآن الكريم:

لم ترد في القرآن الكريم على بناء (مُفْعَل) سوى ثلاثة الفاظ جميعها مشتقة من الفعل (افعل) الدال على اللون، وهي (مخضرة) و(مسود) بصيغة المذكر، وبصيغة المؤنث (مسودة)، و(مصفر)، ويبلغ مجموع المواضع التي ذكرت فيها هذه الالفاظ في القرآن الكريم سبعة مواضع^(٤٢٤).

ولو تأملنا في الآيات القرآنية التي انتظمت فيها هذه الالفاظ لوجدنا أنها جاءت موافقة لدلالة اسم الفاعل في كونه يدل على ذات متصفة بالمعنى على جهة الحدوث؛ أي: أنها تدل على الوصف اللوني الحادث وبما ينسجم والسياق القرآني لتلك الآيات، و سيتضح ذلك من خلال تفصيل العرض للالفاظ الواردة على هذا البناء.

٤٢٠- ينظر الكتاب ٤/ ٢٨٢.

٤٢١- ينظر شذا العرف ص ٥٢، وفصول في فقه اللغة ص ٣١٠، والمنهج الصوتي للبنية العربية ص ١١٥.

٤٢٢- ينظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٣٩٩.

٤٢٣- الكتاب ٧٦/ ٧٧، وينظر التكملة ص ٥٢٠، واللون في القرآن الكريم ص ١٠٤.

٤٢٤- ينظر المعجم المفهرس ص ٢٣٤، وص ٣٧٠، وص ٤٠٩.

١. لفظة (مُخْضَرَّة)

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى

﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٤٢٥)

وهذه الآية واحدة من آيات الطبيعة الالهية التي تجلّت فيها قدرة الله سبحانه عز وجلّ، وعظيم نعمه على مخلوقيه، وهي في مجموع الفاظها و تراكيبها تدل على امرٍ يحدث ويتجدد على مرأى ومسمع من العباد، فالأرض الجرداء تصبح بنزول المطر عليها أرضاً معشبة ذات خضرة ونبات؛ أي: إن خضرة الأرض حادثة مقترنة بنزول المطر، وقد جاءت لفظة (تُصْبِحُ) بصيغة المضارع، ولفظة (مُخْضَرَّة) بصيغة اسم الفاعل لتعبر في تصوير رائع عن حدوث تلك الخضرة.

قال الزمخشري في علة اختيار الإصباح بصيغة المضارع من دون الماضي: فَإِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ فَأُصْبَحْتَ؟ ولم صرف إلى لفظ المضارع؛ قلت: لنكتة فيه، وهي افادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: انعم علي فلان عام كذا، فاروح واغدوا شاكرًا له، ولو قلت: فرحت وغدوت؛ لم يقع ذلك الموقع^(٤٢٦).

أي: إن الفعل المضارع بدلالته على الحدوث والتجدد قد افاد في هذه الآية معنى حدوث الاخضرار في أزمنة مختلفة بعد نزول المطر، وليس في زمن واحد وهو الماضي المنقطع كما لو قيل (أصبحت)، وربما اوحى صيغة المضارع الدالة على الحال والاستقبال بان ما يحصل للأرض من خضرة إنما هو بعد زمن من نزول المطر قد يطول أو يقصر لا مباشرة بعد نزوله كما توحى بذلك لفظة الماضي (أصبحت).

وقد يفهم من هذا القول إن دلالة الحدوث في الآية مرتكزة في صيغة الفعل المضارع الذي جاءت عليه لفظة (تُصْبِحُ)، وأنه لا يضير في الدلالة على الحدوث لو قيل: (فتصبح الأرض خضراء، بدل مُخْضَرَّة)، لان كلمة (تُصْبِحُ) مؤذنة بهذا الحدوث، وعندها لا يكون هنالك فرق بين أن يأتي خبر (تُصْبِحُ) على صيغة اسم الفاعل الدالة على الحدوث (مُخْضَرَّة) أو أن يأتي على صيغة الصفة المشبهة الدالة على الثبوت (خضراء) ما دامت النتيجة المتحصلة واحدة وهو حدوث الخضرة للأرض، وهذا مفهوم من لفظة، (تُصْبِحُ).

واذا اردنا ان نوجز الكلام نقول: فما العلة في مجيء خبر الفعل الناقص (تُصْبِحُ) الدال على الحدوث، على صيغة الوصف الدال على الحدوث ايضاً، و بعبارة اخرى لم عدل إلى لفظ اسم الفاعل (مُخْضَرَّة) ولم يقل (خضراء)؟
الفرق بين (خضراء) و (مُخْضَرَّة)

إن الفرق بين الصيغتين يكمن في الفرق الاساسي بين صيغة (اسم الفاعل)، وصيغة (الصفة المشبهة)، فاسم الفاعل يدل على الحدوث، والصفة المشبهة تدل على الثبوت، ولما كان ما يحصل

٤٢٥- الحج/٦٣.

٤٢٦- الكشف/٣/١٦٨.

للارض من تغير بأثر نزول المطر غير مُقَيّد بزمن، وإنما هو في ازمته مختلفة على ما يفهم من قول الزمخشري المتقدم كان من المناسب أن يأتي بالخبر على صيغة تدل على جال تلك الارض في كل زمن من تلك الازمنة، وهو اكتساب الارض الخضرة بعد أن كانت غير مخضرة قبل نزول المطر، يقول الطاهر بن عاشور: وإنما عبر عن مصير الارض خضراء بصيغة (تصبح مخضرة) مع ان ذلك مفرع على فعل (أنزل من السماء ماء) الذي هو بصيغة الماضي لأنه قصد من المضارع استحضر تلك الصورة العجيبة^(٤٢٧). واستحضر الصورة بصيغة المضارع يستلزم معه ان يكون الخبر معبراً عن تلك الصورة في الحال.

ثم ان لفظة (مُخْضَرَة) تؤذن بأن ما يحصل للارض من خضرة إنما هو على جهة التدرج والاكتساب لا على جهة المباشرة، وهذا ينسجم ومراحل نمو النبات الذي يتحصل منه مرأى اللون الاخضر، وهذا بخلاف ما لو جاء بالخبر على صيغة (فعلاء) (خضراء) التي تدل على ان اللون الاخضر ثابت فيها مستقر لأنه قد تحولت اليه بفعل نزول المطر. ولو تأملنا في الاستعمال القرآني لمفردة اللون على صيغة الصفة المشبهة (فعلاء) لانتضح لنا وبصورة جلية الفرق بين هذه الصيغة وصيغة اسم الفاعل (مُفْعَل)، ولتبين لنا العلة في اثار القرآن لصيغة اسم الفاعل في هذه الآية على صيغة الصفة المشبهة.

جاءت المفردة اللونية في القرآن الكريم على صيغة (فعلاء) في لفظتين وهما (صفراء)، و(بيضاء) ولم يرد غيرهما على هذا البناء دالاً على اللون، وبالنظر في السياقات القرآنية التي ورد فيها ذكر هاتين اللفظتين نجد أن السياق القرآني في ايراده لصيغة (فعلاء) كان يتوخى اللون، أي: إن المقصد والغاية الاساسية لهذا الاستعمال هو الدلالة اللونية البحث لاغير، فاللون هو الدلالة المركزية المقصودة من استعمال القرآن لصيغة (فعلاء) في المفردة اللونية.

لفظة (صفراء) وردت مرة واحدة في القرآن الكريم لبيان لون البقرة التي أمر موسى (عليه السلام) قومه - وبأمر من ربه - أن يذبحوها، قال تعالى:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاسَ مِنْ

فطلب القوم كان في بيان لون تلك البقرة، ولذلك كان الجواب في بيان ذلك اللون الذي هو من الصفات الثابتة في الحيوانات، ولما كان الاهتمام في سياق هذه الآية في بيان اللون أكد بقوله (فاقع لونها) وفي هذه العبارة تمييز لذلك اللون.

أما لفظة (بيضاء) فقد وردت في القرآن الكريم في سياقين مختلفين ولكنهما لبيان اللون أيضاً. السياق الاول الذي وردت فيه لفظة (بيضاء) هو في صفة خمر الجنة اذ قال تعالى:

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿١﴾ فَوَاكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٥﴾ يَبَاشِرُهُ لَبَنٌ لَلَّاسٍ بَارِدٍ ﴿٦﴾

٤٢٧- التحرير والتنوير ج ١٧ / ٣١٨.

٤٢٨- البقرة / ٦٩.

٤٢٩- الصافات / ٤١ - ٤٦.

فبيضاء هنا صفة للكأس والمراد بها الخمر، قال ابن عاشور: والمعني بها - أي الكأس - في الآية الخمر لأنه أفرَدَ الكأس مع أن المطوف عليهم كثيرون ولأنها وصفت بأنها من معين... وبيضاء صفة لكأس واذ قد أُريدَ بالكأس الخمر الذي فيها كان وصف بيضاء للخمر^(٤٣٠). وذكر صفة اللون هنا جاء للترغيب بهذه الخمرة وبيان إفضليتها على خمر الدنيا، فقد روى مالك عن زيد بن اسلم في صفة هذه الخمرة قوله: لونها مشرق حسن فهي لا كخمر الدنيا في منظرها الرديء من حمرة أو سواد^(٤٣١). أما السياق الثاني الذي وردت فيه لفظة (بيضاء) وهو الأكثر في القرآن الكريم لهذه اللفظة، فكان في بيان معجزة من معجزات النبي موسى عليه السلام التي جاء بها قومه، وتتمثل تلك المعجزة بتحويل لون يد موسى عليه السلام من اللون الأدمي الشديد السمرة الى لون ابيض نوراني مشع^(٤٣٢). قال تعالى:

﴿وَاصْصُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ۗ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۝﴾^(٤٣٣)

وليتأكد لقوم موسى عليه السلام تلك المعجزة اللونية فانه وبعد أن عاينوا شدة بياض يده النوراني اعاد اليد الى كمره فعادت الى لونها الاول^(٤٣٤).

و الملاحظ أن سياق هذه المعجزة قائم كله على التحول و التغير من لون الى لون آخر، و لكن القرآن الكريم لم يعبر عن ذلك اللون الطارئ بصيغة (اسم الفاعل) (مفعول) فيقول (مبيضة) وإنما عبر عنه بصيغة الصفة المشبهة (فعلاء) فقال (بيضاء) وذلك في كل السياقات التي ورد فيها ذكر هذه المعجزة.

والعلة في ذلك تكمن في أن موضع الإعجاز قائم في اللون، فاهتمام السياق جاء منصبا على النتيجة المتحصلة من التحول، لا تصوير ذلك التحول و يفيته، فاللون الذي تحولت اليه اليد كان خارقا عجيبا، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: "وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ" ^(٤٣٥) فإن قُلْتُ، بِمَ يَتَعَلَّقُ (لِلنَّاظِرِينَ)؟ قلت: يتعلق ببيضاء، والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارقا عن العادة، يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب، وذلك ما يروى انه أرى فرعون يده وقال، ما هذه؟ قال: يدك؛ ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها، فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى (عليه السلام) آدم شديد الأدمة^(٤٣٦).

٤٣٠ - التحرير والتنوير ج ٢٣/ ١١٢ - ١١٣.

٤٣١ - التحرير والتنوير ج ٢٣/ ١١٣.

٤٣٢ - ينظر المعجم المفهرس ص ١٤١.

٤٣٣ - طه / ٢٢ - ٢٣.

٤٣٤ - مجمع البيان مج ٩، ج ١٦ / ١٥٧، وينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٥٧/٧، واللون في القرآن الكريم ص ٣٤٥.

٤٣٥ - الاعراف / ١٠٨.

٤٣٦ - الكشف ج ٢ / ١٣٨.

والمشهور أن الكوفيين أجازوا بناء (أَفْعَل) التفضيل من البياض والسواد قالوا: لأنهما مما يصلح أن يصح فيهما التدرج^(٤٣٧)، وهذا يعني أنه لو استعمل (مبيضة) لدلت على درجة من شدة البياض أقل من (بيضاء).

ثم إن الإعجاز يكمن في سرعة الانقلاب من لون البشرة الطبيعي إلى ذلك اللون المعجب، وهذا ما لا يناسبه لو جيء بالصفة على صيغة (اسم الفاعل) (مبيضة)؛ لأنها لا توحي بتلك السرعة المطلوبة، ولذلك نجد أن سياق بعض الآيات في ذكر هذه المعجزة جاء مقترباً إذاً الفجائية لتعبر عن تلك السرعة، إذ قال تعالى: "وَنَزَعْنَاهُ فَيَا هِيَ بَيضاء لِلنَّاطِرِينَ" ^(٤٣٨)

قال ابن عاشور: ودلت إذا المفاجئة على سرعة انقلاب لون يده بياضاً ^(٤٣٩). وكذا الأمر في الآيات القرآنية التي جاءت فيها (بيضاء) واقعة موقع الحال نحو قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيضاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتِّ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ^(٤٤٠) فلما أُريدَ بيان لون اليد عند خروجها جيء بالحال على وزن الصفة المشبهة، فمع الفعل يؤتى باسم الفاعل حالاً، فإن أُريدَ المبالغة في شدة اللون، أو لنقل أُريدَ العناية بذات اللون، لا بالذات المتصفة به جيء بالصفة المشبهة؛ لأن الصفة فيها تكون أكثر لصوقاً بالذات، وكأنها هي الذات نفسها، كما أن السياق في هذه الآية لايهتم بتصوير الحدوث الذي يفيد اسم الفاعل. نخلص من هذا إلى أن المفردة اللونية في القرآن الكريم تأتي على صيغة الصفة المشبهة (فعلاء) عند ارادة الدلالة اللونية - وإن كان في السياق ما يدل على الحدوث والتحول - ، فإن كان القصد هو الحدوث لا اللون فقط جيء بالمفردة اللونية على صيغة اسم الفاعل. وهنا نسأل هل كان قصد القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضرةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ^(٤٤١)، التعبير عن لون الأرض، أم أن اللون هنا كان مقصداً ثانوياً؟.

إن اللون في هذه الآية دليل على أمر آخر هو موضع الاهتمام في السياق وهو النبات الذي بسببه يتحصل مرأى اللون الأخضر؛ أي: إن اللون الأخضر هنا دليل عقلي على شيء آخر ملازم ومقترب به وهو النبات، قال ابن عاشور: اختير في التعبير عن النبات الذي هو مقتضى الشكر لما فيه من إقامة اقوات الناس والبهائم بذكر لونه الأخضر لأن ذلك اللون منعم للأبصار فهو أيضاً موجب شكر على ما خلق الله من جمال المصنوعات في المرأى كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ^(٤٤٢)، ^(٤٤٣) فالدلالة اللونية الصرف لم تكن مقصودة ومرادة في هذا السياق كما أُريدت في سياقات الآيات التي ذكر فيها اللون على صيغة (فعلاء).

٤٣٧- ينظر شرح المفصل ١٣٥/٦.

٤٣٨- الاعراف/ ١٠٨ والشعراء/ ٣٣.

٤٣٩- التحرير والتنوير ج ١٩/ ١٢٤.

٤٤٠- النمل/ ١٢.

٤٤١- الحج/ ٦٣.

٤٤٢- النحل/ ٦.

ولو نظرنا في الآيات السابقة واللاحقة التي انتظم فيها سياق هذه الآية لوجدناها في اظهار النعم، إذ قال تعالى في آية قبلها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ وقال بعدها: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِزُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجَرَّى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُفُورٌ﴾ ﴿٤٤٥﴾. فكانت واحدة من هذه الآيات التي تجلت فيها قدرة الله وعظيم نعمته هي نزول المطر من السماء والذي بسببه ينمو النبات الذي يعتاش عليه الانسان والحيوان.

ثم ان هذه الآية قد افتتحت بقوله "أَلَمْ تَرَ" بأسلوب الاستفهام الانكاري الذي يفيد التقرير^(٤٤٦)، والرؤية في هذا الموضع وإن كانت رؤية بصرية حقيقة (لأن الماء النازل من السماء يرى بالعين، وإخضرار النبات على الارض مرئي)^(٤٤٧) إلا انها رؤية تدعو الى التأمل والنظر في قدرة الله التي تتجلى في هذه الحادثة المتكررة على وجه الارض، ومن ثم فإن هذه المعاني التي افادها هذا السياق لا ينسجم معها التعبير عن خضرة الارض بالصفة المشبهة (خضراء)، لأن الحدوث والتحول هو المقصود فهو وجه القدرة في هذه الآية.

والأمر الآخر: إنه لما كان الموضع موضع إنعام على الإنسان بالنبات الذي هو قوته جيء بما يدل عليه بالصيغة التي تفيد المبالغة والتكثير لأن (مُخْضِرَةً) مصوغة من الفعل (اخضر)، وصيغة (افعل) من الصيغ الفعلية التي يعبر بها عن المبالغة والقوة، فقولهم: احمر وجهه فهو في معنى (حمر) إلا انه أبلغ، وكذلك اخضر، واصفر، وايض^(٤٤٨)، أي: إن التشديد في مبنى هذه الصيغة ينم عن الزيادة في المعنى وتأكيده بما لا تحتمله الصيغ المجردة مثل: حمر، وصفر، والتشديد فيها يشير الى تكرار الحدث و مداومته^(٤٤٩).

وعليه فان بناء (مُفْعَلٌ) الذي جاءت عليه لفظة (مُخْضِرَةً) قد افاد في القرآن الكريم الاتصاف باللون على جهتي الحدوث والمبالغة.

٢- لفظة (مُصْفَرًا)

لا تختلف الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة (مُصْفَرًا) في سياقاتها عن الآية التي وردت فيها لفظة (مُخْضِرَةً) في كونها من الآيات التي يستدل بها على تفرد سبحانه وتعالى بالتصرف والصنع الحكيم.

٤٤٢- التحرير والتنوير ج ١٧ / ٣١٨.

٤٤٤- الحج / ٦١.

٤٤٥- الحج / ٦٤ - ٦٦.

٤٤٦- ينظر روح المعاني ١٧ / ١٧٤، والتحرير والتنوير ١٧ / ٣١٨، واللون في القرآن الكريم ص ٣٤٩.

٤٤٧- التفسير الكبير ٢٣ / ٦١، وينظر البحر المحيط ٦ / ٣٨٥، وروح المعاني ١٧ / ١٧٤، واللون في القرآن الكريم ص ٣٤٩.

٤٤٨- تصريف الاسماء والافعال ص ١١٧، وينظر اللون في القرآن الكريم ص ٢٠٠.

٤٤٩- ينظر دقائق العربية ص ١٥، واللون في القرآن ص ٢٠١.

فقد وردت لفظة (مُصْفَرًا) في القرآن الكريم ثلاث مرات، وقد جاءت في المواضع الثلاثة في سياق حادثة واحدة، وهو تحول لون النبات الأخضر الى اللون الاصفر، لكن ايراد هذه الحادثة جاء لغايات مختلفة بحسب السياق الذي وردت فيه.

فالموضع الاول الذي وردت فيه لفظة (مُصْفَرًا) جاء في سياق آيات تصور حال نفر من الناس طُبعَ الكفر في قلوبهم فهم يتقلبون وفق اهوائهم ولا ينتفعون بآيات الله الكونية الماثلة امامهم ولا يدركون الحكمة من وراء ما يرون وما يشهدون من وقائع واحداث، وقد جاء هذا التصوير من خلال حقيقة من حقائق الطبيعة المنظورة التي (لا تحتاج الى اكثر من النظر والتدبر، ومن ثم يتخذها سبحانه وتعالى برهانا على قضية البعث والاحياء في الآخرة على طريقة الجدل القرآني الذي يتخذ من مشاهد الكون المنظورة وواقع الحياة المشهودة مادته وبرهانه، ويجعل من ساحة الكون العريض مجاله وميدانه)^(٤٥٠)، هذه الحقيقة تتمثل في احياء الارض الميتة التي اصابها الجفاف بنمو النبات الاخضر فيها بعد تهئية اسباب الاحياء وهو المطر واستبشار الناس بنزوله بعد اليأس والقنوط قال تعالى:

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَزِّلُ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥١﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٥٢﴾ فَنَنْظُرُ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ^(٤٥١) والمقصود برحمة الله الغيث الذي اشارت اليه الآيات السابقة. واثر هذه الرحمة هو النبات ^(٤٥٢)،

فإذا اصابه الاعصار وحرقه ضجوا، واجروا على اقوالهم عبارات السخط والقنوط، قال تعالى: وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ" ^(٤٥٣). أي رأوا تغير ذلك الزرع الاخضر الذي استبشروا وتأملوا في الانتفاع والارتزاق منه قريبا ييبس ويصفّر ويحترق. ويتبين لنا من السياق اثر التعبير بـ(مُصْفَرًا) في رسم صورة التغير والحدوث وطروء الصفرة على النبات، قال الزمخشري: قال: مُصْفَرًا لأن تلك صفرة حادثة، وقيل: فرأوا السحاب مصفرا، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر ^(٤٥٤). وهذا المعنى لا يستفاد لو قال (فرأوه أصفرا) لأن تصوير التحول والتغير هو المطلوب في هذا السياق، قال الطاهر بن عاشور: "و المصفر: اسم فاعل مقتضى الوصف بمعناه في الحال، أي فرأوه يصير أصفر، فالتعبير بـ(مُصْفَرٍ) لتصوير حدثان الاصفرار عليه دون(*) أن يقال: فرأوه أصفر ^(٤٥٥)، ثم أن (مُصْفَرًا) رسمت التحول والتغير من اللون الاخضر الى اللون الاصفر ببعده الزمني في واقع حياة

٤٥٠- في ظلال القرآن ج ٢١/ ١٥٣.

٤٥١- الروم/٤٨ - ٥٠.

٤٥٢- الكشف ٣/ ٤٨٥.

٤٥٣- الروم / ٥١.

٤٥٤- الكشف ٣/ ٤٨٦.

* - والصواب من دون.

٤٥٥- التحرير و التنوير ج ٢/ ١٢٥.

النبات لأن النبات لا يتغير لونه الى الصفرة - وهو دليل الذبول والشيخوخة - فجأة ومباشرة، وإنما يمضي ذلك في مدة من الزمن.

والموضعان الآخرا^(٤٥٦) اللذان ورد فيهما ذكر (مُصْفَرًا) كانا أيضاً في بيان مرحلة من مراحل النبات والتي ضُرِبَتْ مثلاً للتذكير والعبرة والإيعاظ، قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ خُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ" ^(٤٥٧) وكما اشرنا الى أن المفردة اللونية في القرآن الكريم على صيغة (مُفْعَل) لا يراد منها أصل اللون او ذاته، وإنما يراد منها التحول الى ذلك اللون، وإن اللون فيها دليل على امر آخر، فإن (مُصْفَرًا) جاءت - والله اعلم بالصواب - لتعبر عن انتهاء مرحلة الهياج التي يمر بها النبات او الزرع والذي فسر بالجفاف واليبس ^(٤٥٨)، هذا يعني ان لفظة (مُصْفَرًا) متعلقة ب(يهيج) تعلق نتيجة متحصلة لانها تمثل مرحلة مستقلة من مراحل دورة حياة النبات أو طوراً من اطواره، والذي يدل على ذلك إن الالفاظ في سياق التعبير عن هذه المراحل جاءت كلها بزنة الفعل المضارع الذي يدل على الحدوث والتجدد (يخرج، يهيج، يجعله)، على حين ورد الاصفرار على زنة الاسم (مُصْفَرًا)، يضاف الى ذلك ان أياً من الافعال الثلاثة لم يتعلق بالرؤية، وإنما الرؤية تعلق بتغير الخضرة الى الاصفرار، الامر الآخر إن الافعال الثلاثة عطفت جميعها بحرف العطف ثم لافادة التراخي الرتبي ^(٤٥٩) بما يفيد ان النبات يأخذ وقته في الانتقال من مرحلة الى اخرى بما ينسجم وحياة النبات كأى كائن حي يترقى في اطوار حياته، أما الاصفرار (مُصْفَرًا) فقد ارتبط بالرؤية المعطوفة بحرف العطف (الفاء) والتي تفيد التعقيب مما يدل على ان الاصفرار يمثل انتهاء مرحلة الهياج بتغير اللون من حال الى حال، قال الطوسي: "وقوله (ثم يهيج فتراه مُصْفَرًا) معناه يجف ويضطرب، فالهيج شدة الاضطراب بالانقلاب عن حال الاستقامة والصلاح... وقيل: معنى (يهيج) أي يحمي ويحف، فكأنه عما يلحق الجميع يخرج الى تلك الحال فيتغير عن لون الخضرة الى لون الصفرة" ^(٤٦٠)، وقال القرطبي فتراه أي بعد خضرته (مُصْفَرًا) ^(٤٦١). ثم ان الهيج في احد معانيه التي ذكرها اللغويون هو الاصفرار ^(٤٦٢)، وهذا يؤكد تعلق (مُصْفَرًا) ب(يهيج) تعلق نتيجة متحصلة.

وعليه يمكن القول إن (مُصْفَرًا) قد أوجزت بصيغتها تصوير التغير من لون الخضرة - بما يمثل مرحلة شباب النبات ونضارته - الى لون الصفرة - بما يمثل شيخوخته وتقدمه في العمر - وهو ما حمل عليه ضرب المثل على أحد الالفاظ للتشبيه بحال الدنيا بعد بهجتها او حال الانسان في هرمه

٤٥٦ - وهما آية (٢١) من سورة الزمر، وآية (٢٠) من سورة الحديد.

٤٥٧ - الزمر/٢١.

٤٥٨ - ينظر التبيان ٢٠/٩.

٤٥٩ - ينظر التحرير والتنوير ٤٠٥/٢٧.

٤٦٠ - التبيان ٢٠/٩، وينظر روح المعاني ٢٣٢/٢٣، واللون في القرآن الكريم ص ٣٥٩.

٤٦١ - الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٥.

٤٦٢ - ينظر المفردات ص ٥٧٠.

وشيوخه بعد شبابه وبقاعته^(٤٦٣). قال تعالى: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ يَمُنُّكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَّاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"^(٤٦٤).

٣- لفظة (مُسَوِّدًا)

اللفظة الثالثة التي جاءت في القرآن الكريم على زنة (مُفْعَل) دالة على الاتصاف باللون على جهة الحدوث هي (مسودًا) والتي اقترنت صفة للوجه في المواضع الثلاثة التي وردت فيها في القرآن الكريم، ففي موضعين منه جاءت (مسودًا) في سياق ما اعتاده العرب في زمن الجاهلية من كرههم لولادة الاناث واستبشارهم بولادة الذكور، قال تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ" [النحل/ ٥٨] [يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] وقال تعالى^(٤٦٥) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ^(٤٦٦) فأول ما يظهر من اعراض هذه الكراهة لولادة الاناث على الجاهلي هو تغير لون الوجه والذي عبر عنه بالاسوداد للدلالة على شدة الكآبة والغضب، قال ابن عاشور: واسوداد الوجه: مستعمل في لون وجه الكتيب اذ ترهقه غبرة، فشبهت بالسواد مبالغة^(٤٦٧)، وقال في تفسير الآية الثانية: واسوداد الوجه من شدة الغضب والغيط اذ يصعد الدم الى الوجه فتصير حمرة الى سواد، والمعنى: تغيط...^(٤٦٨)، ولما كان ما يعرض للوجه من تغير لوني حالة طارئة حادثة مرتبطة بالتبشير عبر عنه بصيغة (مُفْعَل) (مسودًا) من دون (أسود) لأن ملازمة السواد للوجه غير مطلوبة على وجه الدوام وانما لحالة آنية وقتية ولذلك جاء جواب الشرط متصداً بالفعل ظل لانه من افعال الكون التي تدل على اتصاف فاعلها بحالة لازمة^(٤٦٩)، ثم انه لو قيل (أسود) لدل على تحول اللون من لون البشرة الطبيعي الى ذات اللون الاسود وهذا ما لا يكون فالسواد إنما أريد به هنا التعبير عن المساءة. ومثل ذلك قوله تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسَوَّدَةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ"^(٤٧٠) فاسوداد الوجه طارئ على المكذبين بايات الله موقوت بذلك اليوم الرهيب، فلو قيل (وجوههم سوداء) لفات - والله اعلم - معنى الهول والرهيبة والخوف الذي يصيبهم بسبب معاناة انواع العذاب في جهنم والذي بأثره ترى تلك الوجوه مسودة، فمعنى الحدوث مقصود مطلوب في

٤٦٣- ينظر التحرير والتنوير ج ٢٣/ ٣٧٨.

٤٦٤- الحديد/ ٢٠.

٤٦٥- النحل / ٥٨ - ٥٩.

٤٦٦- الزخرف/ ١٧.

٤٦٧- التحرير والتنوير ١٤/ ١٨٤.

٤٦٨- التحرير والتنوير ٢٥/ ١٨٠.

٤٦٩- ينظر تصريف الأسماء والافعال ص ٥٩.

٤٧٠- الزمر/ ٦٠.

هذا السياق للترهيب من العذاب المعد في ذلك اليوم لمن كَذَّبَ واستكبر وهذا ما يفيد تذييل الآية بقوله تعالى " أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " ، ولا يضير في ارادة هذا المعنى تفسير من حمل اسوداد الوجه على الحقيقة بجعلها علامة لهذه الفئة وجعل بقية الناس بخلافهم لأنه سبحانه وتعالى قد جعل اسوداد الوجوه يوم القيامة علامة على سوء المصير كما جعل بياضها علامة على حسن المصير قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَتُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ .

الخلاصة:

نخلص بعد هذا الى القول: إن اختيار المفردة في القرآن الكريم و تشكيلها وبنائها على هيكلية معينة و هو ما نسميه بالبناء الصرفي إنما قائم في المقام الاول على المعنى المتوخى الذي هو الغاية الاساس، و لذا وجدنا أن مفردة اللون تتغير في بنائها الصرفي من موضع الى اخر و ما ذلك إلا لاختلاف معاني الابنية و منها اختلاف الدلالة بين صيغة اسم الفاعل (مفعل) و صيغة الصفة المشبهة أفعَل - فعلاء، فالاولى تدل على الحدوث و الثانية تدل على الثبوت و هما معنيان متضادان، إذ المقصود بالحدوث في اتصاف الذات باللون هو عدم الثبات، و بناء (مفعل) بهذه الدلالة قد ساهم في رسم المتغيرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، متغيرات الطبيعة (خضرة الارض، و إصفراء النبات) و متغيرات الاحوال (إسوداد الوجه)، فجعل هذا البناء الصورة القرآنية صورة حية محسوسة بصرية لا مجرد تراكيب تحمل في طياتها معنى جليلا.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، بغداد، الطبعة الاولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٣. البحر المحيط: أبو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤. التبيان في إعراب القرآن: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، مصر ١٩٧٦م.
٥. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٥٧هـ)، تونس الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٦. تصريف الاسماء والافعال: د. فخر الدين قباوة - مطبعة جامعة حلب ١٩٧٨م.

٧. التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ) الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
٨. التكملة: أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق ودراسة كاظم بحر المرجان، بغداد ١٩٨١م.
٩. الجامع لاحكام القرآن: القرطبي، محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ)، دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٠. دقائق العربية: أمين آل ناصر الدين - بيروت - ١٩٥٣م.
١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ). المطبعة المنيرية بمصر، (د.ت).
١٢. شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي (ت ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الخامسة عشرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
١٣. شرح المفصل: ابن يعيش، يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، المطبعة المنيرية بمصر (د.ت).
١٤. فصول في فقه اللغة: د. رمضان عبد التواب، القاهرة، الطبعة الاولى ١٩٧٧م.
١٥. في ظلال القرآن: سيد قطب، بيروت الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
١٦. الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧. الكشف: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، بيروت دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٨. مجمع البيان: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري)، بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٩. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٩٤٥م.
٢٠. المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، طهران (د.ت).
٢١. المنهج الصوتي للبنية العربية: د. عبد الصبور شاهين، بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م.

الرسائل الجامعية

٢٢. اللون في القرآن الكريم (دراسة لغوية نحوية دلالية): نضال حسن سلمان، اطروحة دكتوراه، كلية القائد لتربية البنات - جامعة الكوفة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

صور من التربية السلوكية القرآنية

حيدر تقي فضيل

صور من التربية السلوكية القرآنية

في سورة يوسف

حيدر تقي فضيل العلاق

مقدمة:-

مما لا شك فيه إن القرآن الكريم حوى الكثير من المبادئ الخلقية والتربوية والإنسانية المهمة التي تصب في خدمة المجتمع، تلك المبادئ التي جاءت لتنظيم حياة الإنسان في كل دقائقه وتفصيلاته، وبالتالي بنائه خلقياً ليكون قادراً على السير في خطى الرسالة التي جاء بها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وليكون كذلك قادراً على تحمل الأمانة التي حملها إياه خالقه، تلك الأمانة التي عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها، وعليه فأنا نجد القرآن الكريم ما انفك يدعو إلى هذا الجانب ويؤكد عليه، وذلك من خلال رسم آياته، ذلك الأمر الذي لا شك أنه يمثل أحد الجوانب المهمة في خلود القرآن الكريم، ووصوله إلينا كما انزل دون تبديل أو تحريف، بالإضافة إلى كونه تعالى هو الذي تعهد بحفظه فقال "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^(١) ومما ينبغي ذكره إن الجوانب الخلقية كانت في مقدمة المنهج التربوي للقرآن الكريم المتمثل بالأوامر والنواهي، هذه الجوانب التي بدونها لا يمكن بحال من الأحوال تحقيق الأهداف المنشودة للمجتمع الإسلامي^(٢)، ويكفي في التدليل على هذا القول هوان الآيات المكية تكاد كلها أو جلها تؤكد على هذا، ولعل السبب يكمن في إن استقرار مثل هذه القيم في النفوس هو الذي يساعد في استلهاهم أهم هدف جاء القرآن الكريم لأجله، ألا وهو تربية المجتمع وتهذيبه.

(١) - الحجر/٩.
(٢) - ينظر: التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ٦ / ٩٢.

وسورة يوسف هي إحدى سور القرآن الكريم، التي تناولت الجوانب التربوية على طريقة العرض القصصي المثير^(٣)، والذي يشد السامع ويلفت انتباهه، ويعرض له حقيقة مؤداها إن الحق لا بد أن ينتصر على الباطل، وإن الحقيقة مهما خفيت فانه لا بد لها أن تظهر ولوبعد حين، وأن العبد المؤمن لا بد وأن يصبر على المحن والبلايا التي تتوالى عليه، وأن العفة والشرف أمر لا يمكن تسميته، وإن عذاب الدنيا وإن طال هو أهون بكثير من عذاب الآخرة وإن قصر، وأن الرؤى والأحلام في مجملها هي ذات معارف عظيمة لا يمكن لأي شخص تصورها إلا من أوتي الحكمة وجوامع الكلم، وأن على المرء كذلك أن يحسن حتى لمن أساء إليه، أو يعفو عن أذاه، فكل هذه وغيرها غايات تربوية حفت بها السورة المباركة والتي يدور الحديث عنها^(٤).

وسنحاول في الصفحات التالية أن نبين وأن نسلط الضوء على أهم الجوانب التربوية منها، وأساليب عرضها، على أن نتخذ منها طريقاً ومنهجاً لتربية هذا الجيل بتهذيب سلوك أفرادها، لنجعل من كل وليد يوسف، بأخلاقه وطبعه وسجيته وتسامحه وعفوه، والله خير من أعان وسدد.

أولاً: - التأني في إصدار الحكم واتخاذ القرار

من الجوانب الخلقية التي أكدت عليها سورة يوسف هي انه على المرء - بشكل عام - والقاضي أو الحاكم - بشكل خاص - أن لا يصدر حكمه على شخص متهم ما لم يسمع حجته ودعواه، وإعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه، فإذا جاء شخص وادعى أمراً معيناً، فما على السامع حينها إلا أن ينصت إلى حجة الشخص ودليل قوله، وأدليل ادعائه، قبل إصدار الحكم عليه بالكذب أم بالصدق، وإن كان هو يعلم سلفاً بطلان ذلك الادعاء وتلك الحجة، قال تعالى " وجاءوا أباهم عشاء يبكون"^(٥). قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين"^(٦)

فمن خلال كلام أولاد يعقوب عليه السلام تبين لنا كما تبين ليعقوب نفسه إن الفتية كانوا كاذبين^(٧) لسببين اثنين: -

اولهما: - اختلافتهم قصة الذئب، فيعقوب هو الذي ذكره أمامهم وذكرهم به بقوله " و أخاف ان يأكله الذئب " وأدرك يعقوب ذلك، فعلم أن الذئب ليس له وجود وانه لم يأكل يوسف، ولوان الفتية كانوا على قدر قليل من الذكاء لا اختاروا سبباً آخر غير الذئب ليوهموا أباهم بأن ما حصل ليوسف عليه السلام كان حقيقة ولم يكن وهماً، بل لو كان لهم ذلك القدر من الذكاء لمزقوا قميص يوسف قبل أن يلطخوه بدم كذب، الأمر الذي جعل أباهم يسخر منهم واصفاً الذئب بأنه حلیم يأكل ولده دون أن يمزق قميصه^(٨).

(٣) - ينظر: الاسلام في حياة المسلم - د. محمد البهي - ٤٩. و ينظر: التربية الاسلامية بين الاصاله و المعاصره - د. اسحاق احمد فرحان / ٣٣.

(٤) - ينظر الجامع لاحكام القرآن - القرطبي ١١٨/٩

(٥) - ذهب الامام القرطبي الى ان ابناء يعقوب انما اختاروا وقت العشاء ليكونوا اكثر قدرة في الاعتذار من ابيهم. الجامع ١١٨/٩

(٦) - يوسف ١٧/

(٧) - ينظر الجامع ١١٨/٩

(٨) - ينظر التبيان في تفسير القرآن - الطوسي ٩٢/٦

ثانيهما :- هو قول إخوة يوسف عليه السلام " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " (٩) والمعنى أنك سوف لن تصدقنا وإن صدقنا، وهذا منطوق يستلزم مفهوما خلاصته أنهم كاذبون (١٠). ولأجل كل ما تقدم كان من حق يعقوب عليه السلام أن ينكر عليهم ادعاءهم مباشرة لكنه لم يفعل ولم يتهمهم أو يصفهم بالكذب حتى جاءوا على قميصه بدم كذب قال تعالى " وجاءوا على قميصه بدم كذب " (١١) حينها قال لهم من غير فاصل " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبراً جميلاً " (١٢)، وهذا خلق تربوي واجتماعي مهم مؤداه انه يجب على الحاكم أن لا يصدر حكمه دون الاستماع إلى حجة المتهم، لأن ذلك طريق يؤدي إلى الظلم، وهذا هو محور قوله تعالى " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " (١٣)، والحكم بالعدل يستلزم الاستماع إلى المتهم وحجته، وأن تترك له الفرصة للدفاع عن نفسه، قبل إصدار الحكم عليه، لأن ذلك اضمن لتحقيق العدل ولتوافر دواعيه، أضف إلى ما سبق ذكره، أن سبق الخصم خصمه في الإدلاء بدعواه لا يستدعي بالضرورة صدق تلك الدعوى، وهذا ما تناولته سورة يوسف أيضاً، فقال تعالى " وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب اليم " (١٤)، وفي هذه الآية إشارة إلى إن امرأة العزيز بادرت باتهام يوسف وذلك بإلقاء التبعة عليه، بالرغم من تيقنها ببراءته، فما كان من يوسف حينها إلا أن بادر بالدفاع عن نفسه، نافياً دعوى زوجة مولاه قائلاً " هي راودتني عن نفسي " (١٥)، ولعل في إدلاء زوجة العزيز بحجتها إمام زوجها قبل يوسف عليه السلام دليل على براءة الأخير، من حيث أن يوسف لوانه هو الذي بادر في إغراء زوجة سيده بجماله وحسنه وروعة صورته، لبادر هو بالدفاع عن نفسه قبلها، ولكنه لم يفعل، لأنه ليست لديه تهمة متحققة تستوجب منه الدفاع عن نفسه، وإنما دافع عن نفسه بعد أن اتهمته زوجة سيده بمحاولة الاعتداء عليها، فهو إذن بريء بشهادة الواقع ومجريات الأمور، إضافة إلى أدلة براءته الأخرى، وعلى ذلك فليس كل من سبق خصمه في الإدلاء بحجته يكون مظلوماً وإنما على صاحب الأمر التريث والتأني وعدم التسرع في إصدار الحكم، كما فعل يعقوب عليه السلام فعليه أن يستمع إلى حجة الخصمين، وصدق من قال : إذا جاءك شخص قد فقت عينه فلا تحكم له فرما يكون قد فقأ عيني صاحبه، والا فان مجانبته للصواب في حكمه ستكون متحققة لا محالة.

ثانياً :- عدم التواني في الدعوة إلى الله

من الرؤى التربوية التي تناولتها سورة يوسف، هي انه على المرء أن يكون داعياً إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن عليه أن لا يعتذر في الدعوة إلى الله تعالى، بالظرف الذي يمر به، فهذا يوسف عليه السلام وقد رمي في السجن لا لشيء إلا لأنه أبى تدنيس نفسه وخيانة سيده الذي أكرمه وأحسن مثواه، ودخل السجن دون أن يتزعزع إيمانه وتذبذب عقيدته في أن من سدده للخلاص من

(٩) - يوسف / ١٧
(١٠) - ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبي جعفر محمد بن جرير الطبرسي ١٩٤/١٢. وقيل المعنى هو " وما انت بمصدق لنا و لو كنا من أهل الصدق الذين لا يهتمون سوء ظنك بنا و تهمتك لنا " المصدر نفسه ١٩٤/١٢
(١١) - يوسف / ٢٨
(١٢) - يوسف / ١٨
(١٣) - النساء / ٥٨
(١٤) - يوسف / ٢٥
(١٥) - يوسف / ٢٦

كيد امرأة، العزيز سوف لن يتركه دون هدى أو تسديد آخر، وأنه إنما دخل السجن فهو لمصلحة، على الرغم من عدم علمه بمهية تلك المصلحة وطبيعتها، لكن إيمانه العميق هو الذي دفعه إلى الإقرار بذلك، وبقي ^(١٦) ملازماً لطاعة ربه، وكله إيمان وعقيدة بأن ربه سوف ينجيه، وما السجن إلا وسيلة من وسائل رفعة وعلو شأنه، فبالرغم من حالة الظلم التي عاشها يوسف إلا أنه لم يتوان في الدعوة إلى ربه وهو في سجنه بقوله "يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" ^(١٦) ولعل هناك دلالة أخرى في هذه الآية، وهي استثمار يوسف للموقف، وذلك بالعروج من إجابة السجينين إلى الدعوة إلى الله، لأن من الملاحظ إن دعوة يوسف إلى ربه اجنبية عن طبيعة الأسئلة الموجهة إليه، وفي ذلك إشارة واضحة وجليّة إلى أن يوسف ^(١٧) كان مواظباً في الدعوة إلى الله، حتى قبل أن يسأل السجينان رؤياهما، وإن السجينين ما كانا ليسألانه عن رؤياهما لولا معرفتهما وعلمهما بفضل علمه وحكمته بقولهما "إنا نراك من المحسنين" ^(١٧) ولا شك أنهما ما أدركا إحسان يوسف إلا من خلال عشرينهما له في السجن الذي لبث فيه بضعة ^(١٨) سنين، فيوسف إذن لم يأل جهداً في الدعوة إلى الله، وفي هذا إشارة إلى أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة في كل حال وفي كل ظرف.

وبعبارة إننا نلاحظ عروج يوسف من تأويل رؤى السجينين إلى الدعوة إلى الله تعالى، على الرغم من تأويله الرؤيا، وقد يكون ذلك سبباً - أعني الدعوة إلى الله - للإيمان بتأويل الرؤيا من قبل صاحبيها، لأن الملحد لا يمكن له أن يؤمن بتأويل رؤيا من قبل شخص يخالف ما هو عليه من عقيدة ورأي، فلا بد إذن أن يعترف السجينان أولاً بأهلية يوسف لتأويل رؤياهما كي يؤمنا به، لذلك جاءت الإشارة منه ^(١٩) إلى الله تبارك وتعالى ووحدانيته ما بين سؤال السجينين وردة عليهما. وحينما أراد الملك تفسير رؤياه وآل الأمر إلى يوسف، اختلف الوضع حينئذ، حيث أنه ^(٢٠) ابتداء بتفسير الرؤيا مباشرة دون الإشارة أوحى العروج إلى الحديث عن عقيدة الوحدانية، ولذلك فإن هناك علاقة ما بين عدم عروج يوسف إلى محور العقيدة، وبين السنين البضع التي لبثها ^(٢١) في السجن، لأنه وفي غضون تلك الحقبة من الزمن كانت مظاهر التوحيد قد انتشرت في مصر، وبالتالي لم تكن هناك حاجة للعروج إلى هذا الموضوع من قبل يوسف، قال تعالى "وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات. يا أيها الملاء أفتونني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أونبئكم بتأويله فارسلون. يوسف أيها الصديق أفنتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن

(١٦) - يوسف / ٤٠

(١٧) - يوسف / ٣٦

(١٨) - ذهب الطبرسي في تفسيره إلى أن السجينين و كأنهما سألا يوسف عن كيفية تأويله الرؤيا، وليس بكاهن ولا عراف فاخبرهما حينها بأنه رسول الله، ثم قام بعد ذلك بنصب الأدلة التي تشير إلى وجوده عز وجل. ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٥٤ / ٥

سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلني ارجع إلى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون" (١٩) وهكذا نلاحظ ان التأويل من قبل يوسف قد أتى مباشرة وفور انتهاء عرض الرؤيا عليه، ومن هنا نعلم ان عقيدة التوحيد قد أخذت مأخذها في المجتمع المصري آنذاك، وإلا لما توانى يوسف في الدعوة إلى ربه والإشارة إلى وجوب وحدانيته، قبل أوحى قبيل تأويله الرؤيا، كما حصل في الحالة الأولى - والله اعلم - .

فلا بدّ لدعاة قرننا هذا ان يتهجوا الأسلوب نفسه، وان يدعوا إلى الله ما أمكنهم الى ذلك سبيلا دون توان أو تقصير، على ان يكونوا دعاة الى الله تعالى بخلقهم وسجيتهم قبل ان يكونوا دعاة بأقوالهم وكلامهم (٢٠).

ثالثاً : - وجوب ستر عورات الآخرين

ومن المبادئ التربوية الأخرى التي احتوتها سورة يوسف هي وجوب المحافظة على عورات الآخرين، لا سيما عورات من سبق فضله وبره وإحسانه، حتى مع توافر الدواعي والأسباب، كأن يتوقف على ذلك إثبات براءة الشخص وإظهار حقه، وهذا عين ما فعله يوسف عليه السلام فحينما عاد موفد الملك الى سيده بعد التقاء يوسف وقيام يوسف عليه السلام بتأويل رؤيا الملك، وبعد ان قال الملك اتئوني به، فلما جاءه الرسول قال يوسف له " ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن " فيوسف يعلم بان النسوة بريئات من كل ذنب، وامرأة العزيز تعلم، كما ان النسوة أنفسهن يعلمن ذلك، و مع هذا فقد أعلن يوسف عليه السلام بان سبب وجوده في السجن هو النسوة، ولعل السبب في ذلك يكمن في ان يوسف يعلم بان النسوة لو وصلها هذا الاتهام فإنهن سيدافعن عن أنفسهن أمام الملك، ويخبرنه بعد ان يوجه سؤاله إليهن بهذا الخصوص عن قصة يوسف، بان المذنب إنما هو زوجة العزيز، و انها هي من راودته عن نفسه، وبالتالي فان هذا الأسلوب يعد من قبيل الإشارة غير المباشرة من يوسف صوب امرأة العزيز (٢١)، تلك المرأة التي كانت السبب في كل ما جرى له، ومع ذلك فقد أبى يوسف ان يشير إليها بأصابع الاتهام إشارة واضحة، ولعل أول من أدرك هذا الخلق التربوي هي امرأة العزيز نفسها، مما دعاها للاعتراف بذنبها وجريرتها، فاعترفت بأنها هي الكاذبة، وان يوسف صادق في دعواه ومقاتله، وأدرك الملك ذلك أيضاً، كما انه أدرك والنسوة معه عظيم أخلاق يوسف، وبعبارة أخرى فان يوسف لم يرد الإساءة إلى من أكرمه وأحسن مثواه، بإساءته إلى زوجته، ولكنه أراد ان يظهر براءته بالإشارة الى النسوة اللاتي قطعن أيديهن مع علمه ببراءتهن، وعلمه كذلك بان النسوة سوف يدافعن عن أنفسهن أمام العزيز، وبدفاعهن عن أنفسهن فان الملك لا بد له ان يدرك ومن خلال التحقيق بان يوسف انما أراد الإشارة الى امرأة العزيز، وانه تكريماً للعزيز لم يفعل ذلك، ووفاء منه عليه السلام له، لما قدمه من خير أثناء إعالته له، قال تعالى " قال ما خطبك ان اذ راودتن يوسف عن نفسه. قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان حصحص

(١٩) - يوسف/٤٣ - ٤٧

(٢٠) - ينظر الاسلام في حياة المسلم - محمد البهي / ٢١٤

(٢١) - ينظر التفسير الكاشف - محمد جواد مغنية / ٣٢٥

الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين " (٢٢)، ولعل الذي يؤيد ان زوجة العزيز أدركت هذا المعنى، وكيف انه - عليه السلام - رفض الإشارة إليها مع علمه بأنها هي المذنبه، وأن إشارته إلى النسوة انما هي إشارة إليها، هوان امرأة العزيز اعترفت بذنبها مباشرة ودونما فاصل قال تعالى " قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء (قالت) "وبهذا فان المرأة تكون قد أدركت ومن قبلها النسوة بان هناك جمالاً آخر ليوسف يفوق جمال وجهه، ألا وهو جمال أدبه وأخلاقه، المعنى الذي أدركه العزيز أيضاً من خلال أسلوب يوسف الرائع، ذلك الأسلوب الذي جعل امرأة العزيز تعترف وتقر بفعلتها، وهي التي كانت شديدة الإنكار طوال السنين البضع الماضية، وبغض النظر عن الضمير الذي تعود عليه لفظة الخيانة " ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب " (٢٣)، فان الثابت هوان امرأة العزيز شعرت بذنبها، وأدركت عظم أخلاق يوسف، وكيف انه فضل السجن على ان يقارب الفاحشة " قال ربي السجن أحب الي مما يدعونني اليه " (٢٤) كما وانها أدركت خطأها اذ توهمت ان بإمكانها إغراء يوسف وجذبه إليها بما تملكه من مال وجمال، وقد أدرك الملك هذا المعنى الذي لا يمكن ان يصدر الا عن نفس كبيرة تؤثر العذاب على خيانة من أكرمها باللذة الزائفة، وهذا ما نلاحظه في أسلوب الملك نفسه، فحينما رأى رؤياه، وقام يوسف بتأويل تلك الرؤيا طلبه الملك لرؤيته ومقابلته قال تعالى " وقال الملك ائتوني به " (٢٥) ولكن أسلوب الملك تغير بعد ذلك فبعد ان اعترفت زوجة العزيز بذنبها من خلال الأسلوب التربوي الذي انتهجه يوسف - ع - تغير أسلوب الملك بقوله " ائتوني به استخلصه لنفسى " (٢٦) وتمثل كلمة الاستخلاص معان عدة من أبرزها ان يوسف سيكون بالنسبة الى الملك مطرح الثقة ومنتجع الأسرار، وهذا ما حدث فعلاً فمن كان وفياً لصاحبه رغم الإغراءات المتكررة، لاسيما وان نوازع النفس معروفة، ولا يمكن التغلب عليها الا بذكر الله والاعتصام بهداه، فانه لا بد ان يكون وفياً فيما عدا ذلك، ولأجل هذا فقد اضاف الملك كلمة الاستخلاص في المرة الثانية بعد (ائتوني به) وكلمة لنفسى تمثل الاستخلاص الحقيقي اوقمة الاستخلاص وذلك لما لمسه من صدق يوسف ووفائه وكرمه وأخلاقه وعفته الى غير ذلك من السمائل التي قلما تجتمع في شخص واحد.

ثم قال تعالى: " فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم " (٢٧) وكلمة (مكين امين) هي دلالة واضحة على ان الملك قد طرح ثقته بيوسف من غير حدود، قال تعالى " وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (٢٨) وهكذا فانه على كل فرد من افراد مجتمعنا الإسلامي أن يسلك هذا المسلك الذي سلكه يوسف عليه السلام وأن يعتبر به ويجعله طريقاً وأسلوباً ومنهجاً في حياته وفي تعامله مع غيره، لانه يمثل خلقاً تربوياً رفيعاً يرقى بالمجتمع إلى اعلى الدرجات وأسمائها.

- (٢٢) - يوسف / ٥١
(٢٣) - يوسف / ٥٢
(٢٤) - يوسف / ٣٣
(٢٥) - يوسف / ٥٠
(٢٦) - يوسف / ٥٤
(٢٧) - يوسف / ٥٤
(٢٨) - يوسف / ٢١

رابعاً :- احترام العهود مطلب إسلامي هام

ان احترام المواثيق يمثل في حقيقته رعاية مهمة للإنسان المؤمن فحتى اولئك الذين فقدوا أبسط قيمهم، فإن للعهد والميثاق عندهم مكانة مهمة، بمعنى أن على المرء ان يلتزم بمواثيقه وعهوده، وهكذا ما حصل مع اكبر أولاد يعقوب عليه السلام فبالرغم من أنه قام بالاشتراك مع اخوته بالكيد لاختيهم يوسف، وجاء الى ابيه بقميص اخيه مدعياً أن الذئب قد أكله، وبالرغم من قساوة قلبه وهو يسمع استنجاد أخيه الأصغر طالبا المعونة والغوث، دون ان يرق قلبه له، إلا أنه مع اخوته كانوا ملتزمين حقيقة بالعهد الذي اخذوه على أنفسهم أمام ابيهم بشأن اخيهم الاخر، الذي طلبه عزيز مصر (يوسف)، حيث رفضوا ودافعوا عنه، قال تعالى "فلما استياسوا منه خلصوا نجيا. قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين" (٢٩).

وقد وصل المر بأولاد يعقوب ان طلبوا من يوسف عليه السلام ان يأخذ احدهم بدل أخيه الذي وجد صواع الملك في رحله، وما ذلك الا احتراماً للميثاق الذي اعطوه لأبيهم، قال تعالى على لسان يعقوب " قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتيني به الا أن يحاط بكم. فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل" (٣٠).

وفي هذه الاية اشارة الى ان الابن الاكبر ربما يكون تحمله للمسؤولية اكثر من غيره " قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف. فلن أبرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين. واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون" (٣١).

وهذا الكلام كله يتضمن اشارة الى صدقهم من حيث الادلة الكثيرة، والشهود الذين طلبوا من أبيهم أن يسألهم، وهم اهل القرية وأهل العير، وهذا يستدعي بالضرورة كذبهم في الحالة الاولى، لأنهم لو كانوا صادقين في السابق لما اقتضت الضرورة الان الاستشهاد بهذا الكم من الأدلة، وقد يسأل السائل هنا، ماذا لو اخذ يعقوب الميثاق من ابنائه في المرة الاولى حينما ارسل يوسف معهم (٣٢)، وجواباً عن ذلك نقول فعلاً، فلو اخذ يعقوب عليه السلام الميثاق من اولاده ومنذ البداية في قضية يوسف، لما تمكن احد منهم ان يكيد به او ان يرميه في غيابة الجب كما حصل، ولكن لان الله تعالى اراد ومن خلال يعقوب عليه السلام ابتلاء اخوة يوسف، لاجل ان تتحقق رؤيا يوسف بان الكواكب سوف تسجد له، ولجل ان يعلم الله تعالى انبيائه الصبر والجلد وتحمل المشاق وفراق الاحبة كان ذلك كله، ولان يعقوب لم يطلب من ابنائه الميثاق والعهد في الحالة الاولى، فانه كان مؤمناً ايماناً حقيقياً بان ابنائه يكذبون عليه، وان يوسف ما زال حياً، ودليل ذلك قول الله تعالى على لسانه " يا بني اذهبوا

(٢٩) - يوسف / ٨٠

(٣٠) - يوسف / ٦٦

(٣١) - يوسف / ٨٢

(٣٢) - ذهب البعض الى ان يعقوب قد اخذ ايضا العهد على اولاده في شأن يوسف، فروي انه خاطب روبيل احد ابنائه قائلاً يا "يا روبيل الم اتمنك على ولدي الم اعهد اليك عهداً"

فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله" (٣٣)، وما يفهم من قول يعقوب في هذه الآية، هوان يعقوب لم يكن مصدقاً ما ادعاه اولاده بان يوسف قد أكله الذئب، بل كان متيقناً بسلامة يوسف ونجاته، لاعتقاده بان رؤيا ولده يوسف لا بد وان تتحقق طال الزمن ام قصر، اضاف الى هذا أن قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام " قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبراً جميلاً" (٣٤) لا يمكن ان يكون المقصود به اخويوسف، لانهم كما نعلم بريئون من وضع صواع الملك في رحله، اذ كيف يفعلون ذلك وهم بالاصل حريصون على اعادته الى ابيهم سالماً حسب الميثاق والعهد الذي قطعوه له " فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل" (٣٥)، وانما الحديث هنا عن يوسف نفسه كما هو الحال في الاية الثامنة عشرة من السورة ذاتها، وفي هذا كله دلالة على ان يعقوب عليه السلام كان مؤمناً ومعتقداً بنجاة يوسف،

ودليل ذلك ايضاً هو قوله تعالى بعد ذلك مباشرة " وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم" (٣٦).

وبناء على هذا فاننا نؤمن بان يعقوب كان يعلم ان ولده يوسف حي، وان اخوته قد مكروا به وكادوا له، وان أخاهم الآخر قد فقدوه مرغمين، وذلك استناداً إلى بقاء أخيهما الأكبر وعدم رجوعه معهم، واستناداً أيضاً الى الادلة الكثيرة التي حاول اخوة يوسف جمعها وتقديمها لأبيهم، لتكون لهم خير دليل على صدق دعواهم ببراءتهم، ولكن الامر الذي غفل عنه الابناء، هوان الحاحهم بعرض الادلة التي تؤيد صدق دعواهم في هذه القضية هو الذي فضح أمرهم وكشف سرهم، وأصبحوا من حيث لا يشعرون مدانين بالمكر لآخيههم وبجريمة الكذب على ابيهم، حتى قال لهم " والله المستعان على ما تصفون".

خامساً: - إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه

من القواعد التربوية المهمة في المجتمع الإسلامي قاعدة " إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". فان من اراد تنفيذ امر فلا بد له ان يحكمه ويتقنه، ومسألة إتقان العمل بعد الابتداء به، من المسائل المهمة التي على المرء ان يفعلها، وهكذا صنع يوسف، فحينما أراد عليه السلام ان يتهم أخاه بفعل لم يفعله أمام إخوته، وبعد أن وضع صواع الملك في رحل أخيه المقصود، وحينما ابتدأت مرحلة التقصي والتحري، لم يذهب يوسف مباشرة إلى رحل أخيه الذي كان قد وضع الصواع فيه، وانما ابتدأ برحال بقية اخوته مع علمه السابق بان الصواع ليس موجوداً في رحالهم، حتى وصل الى رحل اخيه المقصود فاستخرج الصواع منه، لان يوسف لو ذهب مباشرة الى رحل أخيه وقام باستخراج الصواع منه، لقال الإخوة حينها مخاطبين يوسف: وما الذي أدراك بان الصواع هنا؟ وبالتالي يكون يوسف عليه السلام قد فتح على نفسه أبواباً كان من الممكن إغلاقها، وقد أغلقها يوسف فعلاً بمحاولة

(٣٣) - يوسف / ٨٧
(٣٤) - يوسف / ٨٣
(٣٥) - يوسف / ٦٦
(٣٦) - يوسف / ٨٤

البحث عن الصواع في رحال بقية الإخوة^(٣٧)، فعلى المرء إذن أن يتأسى بيوسف في عمله وإتقانه وضبطه.

سادساً: - على المرء أن يكون متسامحاً

ومن المبادئ التربوية والخلقية التي جاءت سورة يوسف لتأصلها وتجذرهما، وذلك من خلال خلق نبي الله يوسف - عليه السلام - هومبدأ العفو والتسامح، فرغم غدر إخوته به ومكرهم له، إلا إن ذلك لم يزد إلا عفواً وتسامحاً وهويتذكر مقاساة ومعاناة السجن، ومن قبله سجن الحب، الذي ما زاد أنينه فيه إخوته إلا غلاظة وقسوة، وكأن الله انتزع الرحمة والشفقة من قلوبهم، فقال - ع - لهم وهويتذكر ذلك كله " قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ^(٣٨) وهذا هو خلق الأنبياء الذين امرنا ان نتأسى بهم ^(٣٩) صلى الله عليه وآله وعلى نبينا خاصة، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. التبيان في تفسير القرآن - ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق احمد حسين قصير العاملي الطبعة الاولى ١٤٠٩ طبع و نشر مكتب الاعلام الاسلامي
٣. الاسلام في حياة المسلم - د. محمد البهي - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٤. الجامع لاحكام القرآن - ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي. طبعة ١٤٠٥ - دار احياء التراث العربي - نشر مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابي جعفر محمد بن جرير الطبري.
٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور - و بهامش القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس جلال الدين السيوطي الطبعة الاولى ١٣٦٥ - مطبعة الفتح جدة ونشرها.
٧. جواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف - ابي زيد الثعالبي المالكي، تحقيق دكتور عبد الفتاح ابو سنة و آخرون - الطبعة الاولى ١٤١٨ - دار احياء التراث العربي.
٨. التفسير الكاشف - محمد جواد مغنية - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى ١٦٦٩.

(٣٧) - ينظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي ٣١/٣

(٣٨) - يوسف ٩٢

(٣٩) - ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي ٤ / ٣٤

العراق والولايات المتحدة الأمريكية
دراسة في السياسة الخارجية العراقية
المستقبلية

م.م. خالد عليوي العرداوي

العراق والولايات المتحدة الامريكية

دراسة في السياسة الخارجية العراقية المستقبلية

م.م. خالد عليوي العرداوي

مقدمة:

إن كل ميدان يشهد التنافس والصراع بين اللاعبين فيه، تكون هناك قواعد محددة تحكم العلاقات القائمة بين الحلفاء والخصوم، وحسب المكان والزمان، وأن تجاهل هذه القواعد وعدم احترامها أو الجهل وعدم المعرفة بها سوف يقود الى الفشل. وإذا أخذنا السياسة الدولية بعدها ميداناً من أشد الميادين التي تنطوي على التنافس والصراع، نجد أن القواعد التي حددت تحرك اللاعبين فيها خلال المدة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع عقد التسعينات من القرن الماضي، قد تغيرت بشكل جذري بعد الإنهيار السريع للاتحاد السوفيتي السابق. وقد تطلب هذا الأمر من الدول ان تتفهم طبيعة القواعد الجديدة التي برزت في الساحة الدولية وتحسن السير وفقها، ولكن الملاحظ ان هناك بعض الأنظمة السياسية حاولت تجاهل هذه القواعد وعدم احترامها، فما كان مصيرها إلا الإنهيار والفشل، ولعل أبرز هذه الأنظمة نظام صدام حسين في العراق، نظام سلوبودان ميلوزوفيتش في يوغسلافيا، ونظام طالبان ومنظمة القاعدة في أفغانستان، وقد تكون هناك أنظمة أخرى لم تع الدرس تنتظر المصير نفسه.

ونحن إذ نحاول في هذه الدراسة، رسم الاطر المحتملة للسياسة الخارجية العراقية اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية، ندعو الساسة الجدد في العراق الى ان يحسنوا الفهم والتصرف وإدراك القواعد التي تحكم العلاقات الدولية الحالية، فنحن في عالم لا يقبل المغفلين ولا يغفر للجهلة، وإن الخطأ في اتخاذ القرار السياسي الصحيح، تترتب عليه عواقب وخيمة تلحق الضرر والأذى بالأنظمة والشعوب. وقبل الحديث عن طبيعة السياسة الخارجية المستقبلية اتجاه الولايات المتحدة، لا بد من معرفة التحديات التي تفرض نفسها على الساحة الإقليمية والدولية - هذا إذا اعتبرنا التحديات الداخلية العراقية معروفة لصانع القرار العراقي من حيث الحاجة الى الأمن والاستقرار، وتحسين الوضع المعيشي ... الخ - والتي يجب معرفتها ابتداء.

وعليه تم تقسيم هذه الدراسة الى ثلاثة محاور، اذ تناول المحور الأول التحديات الدولية، فيما تناول المحور الثاني التحديات الإقليمية، وانفرد المحور الثالث والأخير في بيان سيناريوهات (مشاهد) السياسة الخارجية العراقية اتجاه الولايات المتحدة.

المحور الأول: التحديات الدولية

لعل أبرز التحديات الدولية في الوقت الحاضر هي الآتي :-
اولا : تحدي العولمة :

منذ ان استخدم عالم السوسيولوجيا الكندي (مارشال ماك لوهان) استاذ الاعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو مصطلح العولمة لأول مرة في كتابه (الحرب والسلام في القرية الكونية)^(١)، والمصطلح يمر بسلسلة غير منتهية من التعريفات المختلفة، بعضها يتناول من خلال مظهر واحد من مظاهر العولمة، والبعض الآخر يحاول اعطاء تعريف شامل لهذه المظاهر، ومن التعريفات التي أطلقها أنصار الاتجاه الأول، نجد من يتناول العولمة ببعدها الاقتصادي فيقول: ((هي ظاهرة التكامل في الجوانب الهيكلية والاستراتيجية للشركات التي أصبحت أنشطتها التحويلية والتقنية والمعلوماتية تخترق الحدود الوطنية بهدف تحقيق تنافسيتها الدولية))^(٢)، أو ((أنها القوى التي لا يمكن السيطرة عليها للأسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسية، التي ليس لها ولاء لأي دولة قومية))^(٣). وهناك من يعرف العولمة ببعدها الثقافي، فهي عنده ((عملية مزدوجة تجمع بين التوحيد والتآلف، وفي الوقت نفسه المقاومة والاختراق.. دان بأنها عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعتبرها الكثير من التناقض وعدم الاستقرار))^(٤).

اما أنصار الاتجاه الآخر، الذين حاولوا إعطاء تعريف شامل للعولمة، فقد قالوا: إنها ((.. تعبر عن تداخل وإندماج الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة، والسلوك والأموال والقوى العاملة والتقنية ضمن إطار عالمي لا يعترف بسيادة الدولة وحدودها وخصوصيات المجتمعات الإنسانية وهوياتها الثقافية، كما هي نظام أو نسق ذو أبعاد يتجاوز دائرة الاقتصاد، وأنها نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال كما يشمل السياسة والفكر والايولوجية))^(٥).

ونحن إذ نؤكد على التعريف الأخير، ننظر الى العولمة على أنها أصبحت واقع عالمي يفرض نفسه على الجميع، وهي تعكس طبيعة التطورات الحاصلة في الاقتصاد العالمي وقدرته على الامتداد المؤثر عبر الحدود الدولية، وكسره لمختلف القيود، كما تعكس تطور تكنولوجيا الاتصالات والمواصلات وما توفره من إمكانية اختراق ثقافي وسياسي للمجتمعات، والدول التي تمتلك القدرات التكنولوجية والاقتصادية ولها اهداف استراتيجية تقوم على الهيمنة والسيادة على الآخرين، فأنها لن تجد خيراً من موجة العولمة تركبها لتحقيق اهدافها تلك. وهذه الحقيقة جعلت البعض يقول عن العولمة: ((بأنها القوة بمفهومها الشامل الاقتصادي والسياسي والعسكري والتقني والإعلامي والثقافي، وهي الاساس التي سوف تصنع أو تكون شكل النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين))^(٦).

وإذا كان البعض يجعل العولمة رديف للأمركة^(٧)، لان الولايات المتحدة في ظل الوضع الدولي الحالي، هي الأقوى في إمتلاكها لعناصر القوة المختلفة، وتريد توظيف العولمة لصالحها، كي ((تخرج بحصة الأسد، وأن تعيد تجديد شباب سيطرتها العالمية وتفوقها الساحق على جميع البشرية..))^(٨)،

فهذا لا يمنع في حالة تغير موازين القوى لغير صالح الولايات المتحدة من أن يخرج من يقول بأن العولمة هي رديف للأوربة أو الأسلمة... الخ، وهذا الأمر ان دل على شيء، فهو يدل على ان العولمة واقع طبيعي في عالم اليوم، وأن من أبرز مظاهرها الآتي:

- ١- بروز دور الشركات المتعددة الجنسيات في المجال الاقتصادي، واختراقها لأقتصاديات الدول المختلفة، وتعرض الاقتصاديات الضعيفة والتي لا تملك القدرة على المنافسة الى خطر الانسحاق أو الالحاق (التبعية الاقتصادية)، وهيمنة فلسفة الربح وما تفرض من براغماتية تقود الى اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء على مستوى الأفراد والشعوب.
 - ٢- تعرض الثقافات الوطنية الى الغزو الثقافي، بسبب التطور في وسائل الاتصالات الحديثة، وهذا الغزو يشمل حتى الدول الكبرى، فهذا وزير الثقافة الفرنسية (جاك لانغ) يقول: إن العولمة ((لا تحتل الأراضي بالقوة العسكرية، ولكنها تصدر الضمائر ومناهج التفكير وطرق البحث...))^(٤). لذا على الدول لكي تتجنب المخاطر الثقافية للعولمة، أن تعمل على تعزيز دور ثقافتها الوطنية من خلال جعلها مفتوحة على الثقافات الأخرى، في الوقت الذي تتمتع فيه بالجاذبية والقبول من قبل شعبيها والشعوب الأخرى.
 - ٣- بروز دور التكنولوجيا الحديثة وما تتطلبه من عقول مهيئة للتعامل المفيد معها، فلا جدوى من وجود تكنولوجيا وعقول لم تعد تواكب عصرها.
 - ٤- عولمة الجانب الأمني والعسكري، إذ دخل هذا الشكل من العولمة بقوة بعد هجمات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، فقد حرصت الأخيرة على إعطاء الإرهاب الدولي بعدا يجعل من الضرورة على دول العالم المختلفة ان تشترك معها في رؤيتها الأمنية والعسكرية ومن لا يشترك معها في هذه الرؤية يكون في صف اعدائها الذين تجب معاقبتهم.
 - ٥- تهميش دور الدولة الوطنية واضعاف سيطرتها على حدودها وشعوبها ومحاولة القوى الكبرى فرض نموذجها السياسي في الحكم عليها.
 - ٦- ان عجز الاقتصاد الوطني ودولته الوطنية عن مواجهة تيار العولمة الجارف، سيوجد ميلاً متصاعداً الى نشدان الحماية في ظل التكتلات الإقليمية، التي تكون داعمة للتغيرات العولمية أو متعارضة معها.
- وهذه الحقائق عن العولمة وأخطارها، ينبغي التعامل معها بقهر جيد، لأنها تعد واحدة من القواعد التي تحدد سير العلاقات الدولية الحالية والمستقبلية.

ثانياً: تحدي التكتلات الاقتصادية الإقليمية :

على الرغم من الترابط الكبير بين العولمة الاقتصادية وظهور التكتلات الاقتصادية الإقليمية، فان دور الأخيرة ليس بالضرورة ان يكون دوراً مكماً للأولى، بل قد يكون رد فعل عليها للحد من مخاطرها الاقتصادية، فقد أدركت الكثير من الدول - لاسيما الكبرى منها - ان العولمة الاقتصادية هي واقع ينبغي الاعتراف به، وأن الوقوف المنفرد للاقتصاد الوطني يجعله عرضة للانسحاق أو الالحاق

بمراكز اقتصادية خارجية تعمل من اجل مصلحتها الذاتية فحسب، ولمنع حدوث هذا الأمر، نجد ان الدول - على مستوى العالم - بدأت تتكتل اقتصادياً لمواجهة هذه التحديات الاقتصادية، وزيادة ميزتها التنافسية في الاقتصاد العالمي، ولعل من ابرز هذه التكتلات: التكتل الاقتصادي لدول جنوب شرق آسيا، التكتل السياسي والاقتصادي والأمني لدول الاتحاد الأوروبي، وتكتل الناتفا الذي يضم: الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا والمكسيك، وهو قيد الانقح نحو تشيلي.

((ففي ظل عالم يجري فيه الترابط الوثيق بين السياسة والاقتصاد لم يعد ممكناً ان تنعزل الدول بعضها عن بعض، بل من غير الممكن حصول مثل هذه العزلة، ففي الوقت الذي تحل فيه المنافسات الاقتصادية وسباقات التكنولوجيا، والاشكال المختلفة للحرب التجارية محل المنافسات العسكرية وسباقات التسليح، ورغم ان الأخيرة لا زالت محتفظة بتأثيرها الساند، فأن الحرب العالمية الأكثر حدة تتحول الى المجالات الاقتصادية.. في الوقت الذي يصعب فيه استخدام الوسائل التقليدية كالجيش والقواعد البحرية في مواجهة التحديات الاقتصادية، وهذا الترابط في اقتصاديات العالم يجعل الدولة تتعرض الى أذى بالغ اذا ما تعرضت احدى صناعاتها للمنافسة من دول اخرى تمتلك شروطاً افضل لمنافستها في الاسواق الخارجية، بل وحتى في أسواقها الداخلية، فحتى الدول ذات الاقتصاديات الأقوى في عالم اليوم لم تستطع حماية اقتصادها في مثل هذه المنافسة..))^(١٠).

والدول التي تدخل في سياق الاقلمة الاقتصادية تنقل الترابط الاقتصادي من المستوى الذي تبشر به العولمة (على مستوى العالم)، الى مستوى التكتل الإقليمي حيث يحصل ترابط وثيق بين اقتصادها الوطني واقتصاديات الدول الأخرى الداخلة في التكتل، وما يتطلبه ذلك من انفتاح اقتصادي يسمح بإقامة المناطق الحرة، والاتحادات الكمركية، وحرية انتقال السلع ورؤوس الأموال، وزيادة دور القطاع الخاص، وتقليل القيود الحكومية... الخ، وهذا الأمر يعني، أن الدولة العضو في التكتل يجب عليها أن تقبل التنازل عن شيء من سيادتها على اقتصادها واقليمها، ورفضها لهذا الأمر، يجعلها غير مؤهلة للانضمام الى التكتل، وبالتالي وقوفها وحيدة أمام تحديات الاقتصاد العالمي الجديدة. وهذا الواقع الاقتصادي، الذي يبرز في الوقت الراهن، يتطلب الإلمام به، والعمل على ان لا يكون الاقتصاد العراقي يتحرك بشكل فردي، بل يجب السعي الى انضمامه الى تكتل يسمح بحماية الاقتصاد الوطني، في الوقت الذي يعطيه ميزة تنافسية في الإطار الاقليمي والدولي.

ثالثاً: تحدي الهيمنة الأمريكية:

إن أي محلل سياسي لا يسعه انكار الهيمنة التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية على الشؤون الدولية - لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وبروز الأحادية القطبية الأمريكية - وهذه السيادة الأمريكية لا تنبع من فراغ وانما تنبع من امتلاك واشنطن لعناصر القوة الأساسية في العلاقات الدولية ((فهي تمتلك القوة العسكرية الأولى في العالم، والقوة الاقتصادية الأولى، وتقدمها العلمي والتكنولوجي هو الأسرع، كما ان ثقلها الثقافي والاعلامي قد زاد من قوتها ونفوذها على جميع الصعد))^(١١). والقوى المرشحة لمنافستها في العالم ((لا تمتلك مقومات الزعامة الدولية، فالاتحاد الأوروبي يعد قوة أو موازناً محتملاً لكن تنقصه الإرادة واجتماع الرأي، ويعاني من الضعف الداخلي.

واليابان تعد ثاني اكبر قوة اقتصادية في العالم، ألا انها ما زالت مقيدة بتراث الحرب العالمية الثانية، وتعوزها القدرات العسكرية والسياسية والإرادة الكافية لتفعيلها. والصين تعد قطباً محتملاً لكنها تعاني من نقص مقومات الزعامة الدولية، وروسيا وحلفائها الجدد تمر بمرحلة انتقالية ربما استمرت سنوات عدة، وهي ليست مؤهلة للعب دور جديد فعال لسنوات طويلة طالما ان قدرتها الاقتصادية ضعيفة، ورؤيتها السياسية غير واضحة^(١٢).

وواقع القوة الامريكية الحالية، دفع (هوبرت فدرين) وزير خارجية فرنسا السابق الى القول: إن كلمة دولة عظمى لم تعد تتناسب مع قوة الولايات المتحدة، لان الاخيرة ((أصبحت.. من الآن فصاعداً دولة فوق عظمى))^(١٣).

ويرافق مع بروز السيادة الامريكية، تأكيد من كتاب وسياسيين أمريكيين على ان سيادة بلادهم هي أفضل للأمن والسلام العالمين، وأن على الآخرين تقبلها، بل واستعادة نموذجها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فهذا (ديرينجسكي) في كتابه (رقعة الشطرنج الكبرى) يقول: ((عالمًا بدون سيادة الولايات المتحدة سيكون عالمًا أكثر عنفاً وفوضى وأقل ديمقراطية وأدنى في النمو الاقتصادي من العالم الذي يستمر تأثير الولايات المتحدة فيه أقوى من تأثير أية دولة أخرى على صياغة الشؤون الدولية. ان السيادة الدولية المستدامة للولايات المتحدة ضرورية لرفاهية وأمن الأمريكيين، ولستقبل الحرية والديمقراطية والاقتصاد المنفتح والنظام الدولي في العالم))^(١٤).

في الوقت الذي تعمل فيه وسائل الاعلام الغربية، على تعزيز الادراك بأن ((من مصلحة الولايات المتحدة والدول الغربية، رفع شعار الديمقراطية والتلويح بالمرجعية الديمقراطية والحقوق الانسانية، باعتبار ان هذا العمل يظهر تفوقها الاخلاقي والسياسي، ويعلن انتصار قيمها وعقائدها على النظم الاخرى، ويوفر لها فرص الاشراف على المصير العالمي))^(١٥).

وبدون الدخول في تفاصيل الديمقراطية التي تبشر بها الولايات المتحدة، فأن ما تقدم يؤكد على ان الولايات المتحدة لم تعد ملزمة بالدفاع عن الأنظمة الاستبدادية والرجعية بحجة إبقائها خارج مظلة قوة دولية منافسة - كما كان الحال في ظل الحرب الباردة - بل اصبحت هذه الأنظمة مكشوفة وفاقدة للغطاء السياسي والعسكري الذي يوفر لها الحماية، وهي معرضة للضغط الدولي الأمريكي - الغربي لاحداث تبدلات جوهرية في سياساتها ونمط حياتها وثقافتها، وجعل النموذج الغربي - الأمريكي في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية هو الذي يحظى بالقبول، فهذا (كولن باول) وزير الخارجية الأمريكي الاسبق، يقول في محاضرة ألقاها في مركز التراث بواشنطن في ديسمبر ٢٠٠٢: ((إن دول الشرق الاوسط قدمت على مدى التاريخ مساهمات لا تقدر بثمن للعلوم والفنون، لكن اليوم توجد شعوب كثيرة هناك تفتقر الى الحرية السياسية، والاقتصادية وفاعلية المرأة، والعلم الحديث، التي تحتاج اليها لكي تزدهر في القرن الحادي والعشرين. إن سكان المنطقة يواجهون خياراً أساسياً بين كسل وجمود ونهضة عربية تبني مستقبلاً زاهراً لجميع العرب))^(١٦). في الوقت الذي يروج فيه دعاة اليمين الأمريكي - داخل بلادهم - ألى فكر سياسي يصور العالم العربي والإسلامي عالماً لا تسوده أيدلوجية دينية قائمة على الإرهاب والكراهية والتعصب، تغذيها وتحميها أنظمة طغيانية تسعى لحيازة اسلحة الدمار الشامل، وتوظف طغيانها لاضطهاد وتهديد السلام وقتل

الحريات، وممالة الارهاب الجماعي، الذي يشجع العمليات الانتحارية بأسم الجهاد والاستشهاد في سبيل الدين والعقيدة^(١٧).

وهذا الخطاب الأمريكي جديد على البلدان العربية والاسلامية، لم تكن تسمع مثله في ظل الحرب الباردة، وإدراك هذا الامر من صانع القرار العراقي، يجب ان يترافق مع ادراكه للتبدل الذي حصل في استراتيجية واشنطن في تعاملها مع خصومها بعد احداث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، اذ هجرت الولايات المتحدة استراتيجية الردع والاحتواء لخصومها، واعتمدت استراتيجية جديدة تقوم على العمل الوقائي، حيث ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تقف ساكنة في مواجهة الاخطار الماثلة، وانما تحتفظ لنفسها بخيار الضربات الوقائية لمواجهة أي تهديد جسيم لأمنها القومي، وكلما ازداد التهديد، كلما زاد الخطر من التقاعس وتجاهل العمل الوقائي^(١٨).

وهذه الاستراتيجية الجديدة، تجعل أي نظام سياسي يتبنى سياسة المواجهة مع الولايات المتحدة، يتعرض الى اخطار كبيرة، تصل الى حد العمل العسكري المباشر، دون ان يعول على قانون دولي او امم متحدة لحمايته من مثل هذا الاجراء، لان واشنطن ستتجاوز أي رادع قانوني دولي، كما حصل في الحرب الاخيرة ضد نظام صدام حسين في العراق.

وبعد التعرف على حقيقة السيادة الأمريكية الحالية، والاستراتيجية الجديدة لواشنطن بعد احداث ايلول ٢٠٠١، فانه يجب معرفة اولويات الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الاوسط؟. إن تحليل سياسة البيت الابيض في هذه المنطقة، يبين ان لها هدفين استراتيجيين هما: النفط أولاً، وأمن اسرائيل ثانياً. والضرورة التحليلية تقتضي القاء ضوء مختصر على هذين الهدفين.

١ - النفط

لقد ظهر اهتمام الولايات المتحدة بنفط الخليج العربي بعد الحرب العالمية الاولى، عندما مارست ضغطها السياسي على الحلفاء للحصول على حصتها الاستعمارية^(١٩). وتعاظم اهتمامها بعد ذلك، فاذا كانت شركات السكك الحديد، والضمانات الغذائية والمعلبات، وصناعة السيارات تحتل المراتب الاولى في تسلسل الشركات العملاقة في الولايات المتحدة عام ١٩٢٩، فانه ومنذ عام ١٩٧٩ تغيرت هذه الحالة لتصبح شركات النفط مثل: اكسون، وموبيل، وتكساسو... الخ هي الشركات المتقدمة في هذا التسلسل، وذلك لانها ((.. تحصل على أعلى الأرباح، وكانت وما زالت الى حد كبير تسيطر على الفرع الذي.. يغذي تطور الاقتصاد الرأسمالي ككل))^(٢٠).

وبعد ازمة الطاقة في السبعينات، هدد (هنري كيسنجر) وزير خارجية امريكا - آنذاك - باستخدام القوة العسكرية ضد العرب من اجل النفط، وفي عام ١٩٧٤ جرت لأول مرة تدريبات عسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية الصحراوية لغزو منطقة الخليج العربي من البحر والجو، وفي ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٨٠ اكتسبت هذه الفكرة بعدها المؤسسي بإعلان مبدأ كارتر الذي اعتبر الخليج العربي منطقة ذات اهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة والعالم الغربي بأسره، واتخذوا قرارا بإرسال قوات بحرية الى شواطئه بهدف تأمين تواصل إمدادات النفط منه، ولقد ساند (رونالد ريغان) مبدأ كارتر،

وتم انشاء عدة قواعد عسكرية في المنطق لتوضع تحت تصرف ((قوة الانتشار السريع)) التي اصبحت تعرف منذ عام ١٩٨٣ بـ ((القيادة المركزية))^(٢١).

وفي عام ١٩٨٨ جاء في دراسة بعنوان ((استخدام القوة المسلحة في تأمين نفط الخليج)) وضعها (كوليز) احد مسؤولي وزارة الدفاع الامريكية القول: ((اننا سنتحرك عسكرياً للاستيلاء المباشر على حقول النفط في هذه المنطقة، واننا قد نتعرض الى انتقادات وهجوم عنيف من قبل العديد من الدول سواء الاوربية او الاتحاد السوفيتي (السابق)، ولكن يجب ان نعلن ان مبررنا الوحيد هو تأمين حقول النفط في هذه المنطقة، وضمان وصول الامدادات النفطية))^(٢٢).

واثناء ازمة الخليج عام ١٩٩٠، كتبت صحيفة (الهيرالد تريبيون) الامريكية في ٢٧/٨/١٩٩٠ مقالاً جاء فيه: ((ان أي أمريكي يعرف الف باء السياسة يعلم تماماً، ان الولايات المتحدة لا تحارب من أجل الديمقراطية ضد العراق، لانه ليست هناك ديمقراطية في العالم العربي، ولا تحارب من أجل الكويت، لقد تحركت الولايات المتحدة نحو العراق لمنع العراق من السيطرة على ثروة هي الوقود الاساسي للصناعة، وقد تعني الفرق بين الحياة الاقتصادية وبين الإندثار))^(٢٣).

الواقع الاقتصادي العالمي للنفط

يعد النفط سلعة لم يجد العالم لها بديلاً، وأهميته في تزايد مستمر، ففي الوقت الذي كان النفط يشكل ٣،٩٪ من استهلاك الطاقة العالمي عام ١٩٠٠، ارتفع الى ٣١٪ عام ١٩٥٠، وإلى ٤٥٪ عام ١٩٨٠^(٢٤). في حين يقدر الطلب الحالي على النفط نحو ٧٦،٨ م.ب.ى، ويتوقع ان يصل الى ١٢٠ م.ب.ى بحلول عام ٢٠٢٠، مقارنة بنحو ٧٥ م.ب.ى عام ٢٠٠٠، يتوافق ذلك مع حقيقة انخفاض الإنتاج في الحقول الحالية التي تنتج منذ ما يقرب ٣٠ الى ٤٠ عام^(٢٥). وفي الولايات المتحدة نجد ان الأمريكيين الذين يشكلون ٥٪ من سكان العالم، يستهلكون ٢٥٪ من انتاج النفط العالمي الحالي^(٢٦). وتشير احدث تقارير وزارة الطاقة الأمريكية الى ان ((الولايات المتحدة تستهلك نحو ١٦، ١٩ م.ب.ى من النفط الخام، سترتفع الى نحو ٢٦ م.ب.ى بحلول عام ٢٠٢٠، واذا كانت الولايات المتحدة تستورد حالياً ٦٠٠، ١١ م.ب.ى (٥٤٪ من مجمل استهلاكها الحالي)، فان هذه النسبة سترتفع الى اكثر من ١٦ م.ب.ى عام ٢٠٢٠ وإلى اكثر من ٣٠ م.ب.ى عام ٢٠٣٠ ويعود ذلك لاتجاه الانتاج الأمريكي للانخفاض بمقدار خمسة م.ب.ى عام ٢٠٣٠ بسبب نضوب الحقول الحالية، وعدم اكتشاف حقول جديدة، ولذا يستوجب على الولايات المتحدة ان تهتم بتأمين مصادر مستقرة لوارداتها من النفط الخام من الخارج...))^(٢٧).

وأفضل منطقة يمكن ان تقوم بهذه المهمة هي منطقة الخليج العربي، اذ يوجد في هذه المنطقة ما يزيد على ٦٧٥ مليار برميل، أي انها تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط، وهي صاحبة أطول عمر في الاستمرار بالإنتاج ولماة عام قادمة^(٢٨). وكفي ان نشير الى ان العراق وحده يمتلك أربعة أضعاف الاحتياطي الأمريكي من النفط بما فيه الاسكا^(٢٩).

ويبلغ اجمالي انتاج النفط الخليجي حوالي ٢٠٪ من الانتاج العالمي كما ان انتاج البرميل الواحد من النفط الخليجي يكلف ما بين دولار الى دولار ونصف، في حين تصل هذه الكلفة الى ١٢ دولار في امريكا الشمالية و ١٨ دولار في امريكا الجنوبية، اضافة الى الجودة العالية لهذا النفط^(٣٠). وهذا الواقع النفطي العالمي، يجعل النفط ليس مجرد سلعة للعرض والطلب فحسب، بل يجعله عاملاً أساسياً في نمو الاقتصاد العالمي، ومن يسيطر عليه يسيطر على الاقتصاد العالمي.

أهداف الولايات المتحدة من السيطرة على النفط

يقول الرئيس الأمريكي الاسبق (جورج بوش الأب): ((إن الولايات المتحدة تقف على أبواب القرن الحادي والعشرين، ولا بد من ان يكون هذا القرن الجديد أمريكياً، وهذا ليس ممكناً الا بالسيطرة الكاملة على النفط واحتياطه وفوائض البترول والدولار...))^(٣١). اذن تربط سيادة امريكا على العالم بالسيطرة الكاملة على النفط، تحقيقاً للأهداف التالية :-

- ١ - السيطرة على الدول المنتجة للنفط ولا سيما دول منظمة اوبك، وجعلها غير حرة في تحديد سعر وكمية النفط في السوق العالمي.
- ٢ - انعاش الاقتصاد الأمريكي، الذي يعاني من الركود الاقتصادي منذ احداث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، ويكفي ان نشير الى ان انخفاض سعر النفط بمقدار دولار واحد للبرميل عالمياً، يوفر للولايات المتحدة اربعة مليارات سنوياً من الدولارات^(٣٢).
- ٣ - تحقيق الارباح الطائلة لشركات النفط الأمريكية، التي تعتبر الأكبر في سوق النفط العالمية، مثل : شركات اكسون موبيل، وشيفرون تكساسو... الخ.
- ٤ - تستطيع الولايات المتحدة من خلال سيطرتها الكاملة على امدادات النفط تحقيق سيطرة اقتصادية على القوى الدولية التي يمكن ان تنافسها على السيادة العالمية، اذ من ((يسيطر على النفط يسيطر على الاقتصاد العالمي، ورفع اسعار النفط بصورة طفيفة يمكن ان يلقي بملايين العمال في الشارع في اوربا وشرقي آسيا))^(٣٣). كما يستطيع التحكم بقوى اخرى مثل الصين واليابان وروسيا. وهذه الأهمية الفائقة للنفط، جعلت البعض يتنبأ بطبيعة الحروب التي يمكن ان تزج الولايات المتحدة نفسها فيها، ومناطق هذه الحروب، التي يتبين انها ستكون في : الخليج العربي، بحر قزوين، افريقيا الغربية، امريكا اللاتينية، وهي المناطق الرئيسية لتزويد العالم بالنفط^(٣٤).

٢ - أمن إسرائيل

منذ ان كتب (ارتشبولد) كبير الملحقين العسكريين الامريكيين في فلسطين عام ١٩٤٨، تقريره الى رؤسائه الذي جاء فيه ((... اسرائيل هي الحصان الذي يجب ان نراهن عليه في هذه المنطقة))^(٣٥). ومكانة الكيان الصهيوني تتصاعد بشكل مطرد في الاستراتيجية الأمريكية، فقد اعترفت الولايات المتحدة بهذا الكيان بمجرد اعلان دولته، وساندته بشكل مباشر أو غير مباشر في كل المعارك التي خاضها مع العرب منذ عام ١٩٤٨ ولحد الآن، وفي عام ١٩٨١ وقعت واشنطن معه ((الاتفاق الاستراتيجي))، الذي بموجبه أصبح هذا الكيان القوة الصالحة لحماية مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وفي عام ١٩٨٣ تم تجديد هذا الاتفاق وتطويره ((بشكل أوضح ان منطقة الخليج العربي هي

من بين الأهداف المرشحة لهجوم اسرائيلي لخلق وضع معين في منطقة الخليج العربي يؤدي الى خدمة المصالح الأمريكية في المنطقة وتعزيز تلك المصالح...^(٣٦).

واشتركت اسرائيل في مبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) عام ١٩٨٦ في عهد ريفان، وفي عهد بوش الأب ((حافظت الادارة الامريكية على التزاماتها.. بالحفاظ على الأمن الاسرائيلي...^(٣٧). حتى عكس قول (برنت سكوكروفت) مستشار الأمن القومي الأمريكي - آنذاك - في اجتماع عقده المجلس في الثالث من تموز عام ١٩٩٠، رغبة امريكية مطلقة في حماية امن اسرائيل من هجوم عراقي محتمل، لأن الولايات المتحدة في حالة حصول هكذا هجوم ستقف الى جانب الصهاينة، وهذا يضر بمصالحها مع الدول العربية والإسلامية ((لذلك (والقول هنا لكوكروفت) كان الهدف المحدد منذ انتهاء الحرب العراقية الايرانية هو كيف نمنع العراقيين من ان يخوضوا حرباً ضد اسرائيل))^(٣٨).

وقد عمل اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة على تعزيز الترابط الاستراتيجي بين الطرفين (أمريكا واسرائيل)، وجعل المصالح الاسرائيلية هي المصالح الامريكية، وبالتالي فإن دفاع اسرائيل عن مصالحها هو دفاع عن المصالح الامريكية، وتصوير العرب والمسلمين على انهم العدو الجديد الذي حل محل العدو الشيوعي المنهار واستغلال هجمات الحادي عشر من ايلول لخدمة الأهداف اعلاه.

في ضوء ما تقدم، فإن الحفاظ على أمن الكيان الاسرائيلي التزاماً أمريكياً قل ان نجد له نظيراً مع حلفاء امريكا الآخرين، حتى لو ادى ذلك الى زيادة الكراهية والعداء في العالم العربي والإسلامي للولايات المتحدة، وأن وقوف الأخيرة ضد أي قرار أو بيان إدانة يصدر من الأمم المتحدة ضد الكيان الصهيوني، يعد خير دليل على ذلك، كما يعكس المعايير المزدوجة التي تمارسها واشنطن في تعاملها مع القضايا الدولية، وتشجيعها للارهاب الصهيوني بحجة حفظ أمن الاخير، وهذا السلوك الامريكي الثابت، دفع (ستيفن خرين) الكاتب الامريكي الى القول: ((وكانت العلاقات غير العادية بالولايات المتحدة سبباً لا يستهان به من الأسباب التي حركت اسرائيل في اتجاه السياسة العسكرية والعدوانية))^(٣٩).

المحور الثاني: التحديات الاقليمية

بعد ان بين المحور الأول طبيعة التحديات الدولية في الوقت الراهن، فإن المحور الحالي سوف يسلط الضوء على ابرز التحديات الاقليمية التي تواجه أي صانع قرارات في المنطقة، وهي تتركز في أهم مجالات الحياة التي يمكن لها ان تؤهل العرب والمسلمين ليكونوا قوة فاعلة في الحياة الدولية المعاصرة، وبالشكل الآتي:

اولاً: التحديات السياسية

تزر الحياة العربية والإسلامية في المجال السياسي بـ:

- أ - ان اغلب دول المنطقة - ان لم يكن جميعها - محكومة بأنظمة استبدادية تفرض نفسها على المجتمع، دون ان تقبل النقد، وهي فاقدة لشرعيتها السياسية بفعل الديمقراطية وحولها الى السلطة، وطول بقائها فيها، فحتى الأنظمة الجمهورية اصبحت ذات طابع وراثي عصي على التغيير والتبدل.
- ب - توجد في المنطقة أنظمة سياسية مختلفة: جمهورية، ملكية، إمارة، سلطنة.. الخ، بعضها ذات طبيعة تيوقراطية والبعض الآخر علمانية، وهذا الواقع يعقد عملية الانسجام السياسي، ويقود الى تباين الاهداف السياسية للأنظمة في المنطقة.
- ج - دفع استبداد الأنظمة وجمودها السياسي والفكري الى حصول رد فعل اجتماعي تمثل بظهور تيارات سياسية ذات تسميات مختلفة، وأهداف متضاربة، لكنها متطرفة في أفكارها ووسائلها، ولا تعترف بالعمل الديمقراطي الذي تفتقده في حياتها السياسية. وإذا كانت هناك بعض مظاهر الديمقراطية في بعض دول المنطقة، ألا أنها لا زالت ضعيفة وعاجزة في أساليبها، ومحكومة بقيود السلطة وحدود ما تسمح به.
- د - تعاني دول المنطقة من كثرة الخلافات السياسية التي تشتت شملها وتفرق وحدتها، وتكون في غالبيتها نتيجة للأهواء الشخصية للحكام وحماقتهم السياسية.
- هـ - فشل المنظمات السياسية الاقليمية كمنظمة الدول الاسلامية، وجامعة الدول العربية وغيرها في لعب دور سياسي مؤثر يعطيها قدرة سياسية موحدة، تمكنها من حل مشاكل المنطقة السياسية، ومنع القوى الكبرى من أن تكون اللاعب الرئيسي في شؤوننا السياسية، بل ان الواقع يبين ان هذه المنظمات عجزت عن تخفيض حدة التوترات السياسية في المنطقة ومنعها من الوصول الى مديات لا تحمد عقباها، والأمثلة كثيرة ولا نرغب في الدخول الى تفاصيلها.
- و - ان الولاءات السياسية للأنظمة في المنطقة متضاربة بشكل كبير يقود الى تشتتها وهامشيتها الدولية.

ثانياً: التحديات الاقتصادية

ان اقتصاد بلدان المنطقة يعاني من نقاط الضعف الآتية:

- أ - أغلب بلدان المنطقة ذات اقتصاد ريعي، يعتمد على مصدر واحد للدخل - وهو غالباً النفط - ولم تصل الى مرحلة الاقتصاد الصناعي، وهذا يجعل تعامل السلطات الحاكمة مع الشعوب يقوم على عقلية المنح والاعطيات، او باختصار، يقوم على عقلية الغنيمة وما تفرضه من اخلاق تنافى والعصر الذي نحن فيه.
- ب - فشل بلدان المنطقة في إقامة تكتل اقتصادي مؤثر شبيه بالاتحاد الأوروبي أو غيره، مما يجعلها ذات اقتصاديات ضعيفة غير قادرة على المنافسة في ظل اقتصاد العولمة وما يفرضه من تحديات.
- ج - على الرغم من وجود محاولات لإقامة نوع من التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة من خلال إقامة المناطق الحرة، وتسهيل الاستثمار المالي المتبادل، وإنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة، الا ان الواقع يؤكد على ان هذا التعاون هو دون الطموح، ولم يرقم على أسس متينة، وتتحكم به أهواء الحكام ورغباتهم، اكثر مما تفرضه مصالح الشعوب ومتطلبات نهوضها.

د - تشهد بلدان المنطقة عقد اتفاقات اقتصادية بينها وبين القوى الاقتصادية الكبرى في العالم، كما هو الحال في مشروع الشراكة الاورو - متوسطة وغيره، الا ان الملاحظ على هذه الاتفاقات انها ذات صفة ثنائية تعقد بين طرف ضعيف اقتصادياً - هو كل بلد من بلدان المنطقة على حدة - وبين طرف قوي اقتصادياً - تلك الدول او التكتلات الاقتصادية الكبرى في العالم - ومن شأن هذا ان يفاقم مشكلة التشتت والهشاشة والتبعية التي يعانيها اقتصاد بلدان المنطقة.

هـ - تعاني بلدان المنطقة انخفاضاً كبيراً في معدل نمو ومستوى الدخل الفردي فيها، فإذا اخذنا البلدان العربية - مثلاً - نجد ان تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول لعام ٢٠٠٢، والذي صدر بالتعاون بين الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، يشير الى أن معدل نمو دخل الفرد العربي خلال العقدين الماضيين هو الأقل في العالم، باستثناء أفريقيا جنوب الصحراء، وإنه لا يتجاوز ٢، ٠٪ سنوياً، وإذا استمر الحال على ما هو عليه الآن، فسيحتاج المواطن العربي الى ١٤٠ سنة ليضاعف دخله، في الوقت الذي يستطيع فيه المواطن في مناطق أخرى من العالم مضاعفة دخله كل عشر سنين^(٤٠).

و - تعاني بلدان المنطقة ارتفاعاً في نسبة البطالة، إذ جاء في التقرير اعلاه، ان البلدان العربية تبلغ فيها نسبة البطالة ١٥٪ من القوة العاملة، وهي من أعلى النسب في العالم، وإذا استمرت حالة البطالة بهذا الشكل، فان ذلك ينذر بمشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية لا تحمد عقباه.

ثالثاً: التحديات الثقافية

من أبرز التحديات الثقافية هي :

أ - الثقافة في أغلب البلدان العربية والإسلامية في المنطقة، هي ثقافة حكام، تحكمها عقلية الأمير والرعية، وليست ثقافة حضارية موحدة، تبرز عظمة الحضارة الإسلامية وسموها، وتعطيها جاذبية وقبول لدى شعوبها وشعوب العالم الأخرى.

ب - ويترافق مع الفقرة اعلاه، وجود اعلام عربي واسلامي ضعيف في مادته الاعلامية وإمكاناته المادية، وخاضع للرقابة والقيود، لذا فهو غير قادر على التخلص من شعارات السلطة ورموزها، والتعامل بمجدية مع مشاكل الشعوب الحقيقية. وإذا كان هذا الإعلام مؤخرًا، يحاول تطوير وسائله ومادته الإعلامية، فإنه لا زال دون المستوى المطلوب.

ج - لا زالت الشعوب في المنطقة، ولأسباب كثيرة، يأتي في مقدمتها الجهل وتواطؤ الأنظمة الاستبدادية، شعوباً ذات بعد ثقافي يتداخل فيه الماضي بالحاضر، وتحاول معالجة مشاكل الحاضر وتحدياته بوسائل الماضي وقراءاته. وهذا الواقع يخلق العجز والضياع، وعدم التعامل بفاعلية مع تحديات العصر، فزمن الثورة الصناعية الثالثة والعولمة والقرية الكونية، يحتاج الى انسان يحمل ثقافة حضارية تتفاعل مع العصر، وتدخله من ابوابه الصحيحة، ولا تتوقف عند مستوى تمجيد الماضي وفرضه على الحاضر.

د - تعاني شعوب المنطقة من عدم الانسجام الثقافي، ولا زال دور المرأة فيها مشوهاً بشكل كبير.

هـ - تواجه شعوب المنطقة - أيضاً - غزواً ثقافياً غربياً، قاد ولا زال الى نوع من الانسلاخ الثقافي لقطاعات مهمة من المجتمع، وجعل قطاعات أخرى تعيش حالة الاغتراب والحيرة الثقافية، بينما

تحاول قطاعات ثلاثة مجابهته برد فعل متطرف يرفضه بشكل مطلق، ويتعامل معه بأسلوب عدائي. وهذا الأمر لا يقتصر على عامة الشعب، بل تعاني منه حتى الانتلجنسيا العربية والإسلامية، ومعالجة هذا الوضع الخطير ينبغي ان يكون من أولويات رجال الفكر والثقافة والسياسة في منطقتنا.

رابعاً: التحديات العسكرية

تعاني المنطقة من التحديات العسكرية الآتية :-
أ - أصبحت بلدان المنطقة منذ عام ١٩٩١، وبفعل الهجوم الأرعن لصدام حسين على الكويت وما تلاه من أحداث، خاضعة للهيمنة العسكرية الغربية - الأمريكية، وبما يخدم المصالح الأمريكية - الصهيونية.

ب - على الرغم من أن منطقة الخليج العربي تعتبر من أكثر مناطق العالم شراً للأسلحة في سوق السلاح العالمية، إلا أن ذلك لم يحقق لها قوة ردع عسكرية كافية لحمايتها من الاحتلال.
ج - لم تستطع بلدان المنطقة إقامة تحالف دفاعي بينها، يلزمها بالدفاع عن بعضها ضد عدوان خارجي تتعرض له، أو عدوان داخلي تقوم به إحدى دول المنطقة على دولة أخرى
د - إن كل الشعارات التي طرحتها العديد من بلدان المنطقة، ومنذ عقد الخمسينات من القرن الماضي، وعبرت بها عن عدايتها للكيان الصهيوني، ورغبتها بتحرير فلسطين، لم تمنع هذا الكيان من أن يكون هو الأقوى عسكرياً فيها، واستمراره في سياساته العدوانية بدون أي رادع له. وقد تكون هناك تحديات اقليمية أخرى، إلا إنها أقل أهمية قياساً بالتحديات آتفة الذكر.

المحور الثالث: مستقبل السياسة الخارجية العراقية اتجاه الولايات المتحدة

بعد ان اتضحت لدينا التحديات الدولية والإقليمية التي ينبغي الإلمام بها جيداً من قبل صانع القرار العراقي، فإن الدراسة سوف تمضي قدماً لبيان مستقبل السياسة الخارجية العراقية اتجاه الولايات المتحدة، وقد تم الاعتماد في ذلك على نظرية الاحتمالات التي تضع أكثر من خيار امام صانع القرار، وهي مفيدة له لأنها تضعه امام أكثر من خيار، ليختار منها ما هو افضل.
وانطلاقاً من هذه النظرية، ترى هذه الدراسة أن مستقبل السياسة الخارجية العراقية اتجاه الولايات المتحدة، يمكن ان تأخذ واحداً من ثلاثة سيناريوهات (مشاهد)، وكل سيناريو (مشهد) له محفزات تدفع الى تبنيه، كما ان له عوائق تمنع ذلك، وهذه السيناريوهات (المشاهد) هي :

السيناريو الأول: سيناريو المواجهة

نفترض في هذه السيناريو، ان السياسة الخارجية العراقية مع الولايات المتحدة، سوف تتبنى خيار المواجهة والتصعيد السياسي والاعلامي دون ان تصل الى المستوى العسكري الذي لم يعد له دور بعد حل الجيش والقضاء على الترسانة العسكرية العراقية، وان ما يسمى بالمقاومة المسلحة لقوات الاحتلال، لا تمثل المواجهة المطلوبة في هذا السيناريو (المشهد) الذي يعد من أكثر المشاهد خطورة وبعداً عن الواقع.

محفزات تبني هذا السيناريو

ان من ابرز محفزات السيناريو هي :

١- المحفزات الداخلية

أ. المحفز الديني. ويقوم هذا المحفز على عد الولايات المتحدة دولةً محتلةً لأرض العراق الإسلامية، وان الواجب الوطني الشرعي يتطلب مواجهتها بالقوة لارغامها على الخروج من البلاد، كخيار وحيد لطارحيه.

ب. تشهد الساحة العراقية - حالياً حالة من اللا استقرار السياسي والأمني وقد تدفع هذه الحالة الى بروز قوى متطرفة في الساحة السياسية، تستغل الاخطاء السياسية للقوى الاخرى، وأخطاء السياسة الامريكية في العراق من اجل كسب الشعبية في الداخل وفرض وجودها على السلطة، وعند سيطرتها عليها، فانها ستتبنى قطعاً سياسة المواجهة مع واشنطن.

٢- المحفزات الإقليمية

أ. توجد في المنطقة عدة دول مجاورة للعراق، تعلن الولايات المتحدة عداؤها لها، لذا قد ترى ان من مصلحتها إغراق السياسة الأمريكية في الأرض العراقية، كي تشغل عنها وتخرج خاسرة في رهانها على الوضع العراقي، وبالتالي لن تفكر في تكرار ما حصل في العراق في تلك البلدان، وهذا المحفز تشير اغلب الدلائل على توفره في سياسات بعض البلدان المجاورة للعراق.

ب. المحفز الفلسطيني. اذ لا زالت الولايات المتحدة متمسكة بخيار مساندة الكيان الصهيوني، رغم كل عدوانه وهمجيته تجاه العرب ونعت أفعاله غير الشرعية بأنها دفاع عن النفس، في حين توصف المقاومة الفلسطينية بأنها ارهاب يهدد امن المواطنين الاسرائيليين، كما يهدد السلام والأمن العالميين، واستمرار هذا النهج الأمريكي من شأنه في حالة قيام حكومة عراقية قوية تدافع عن الثوابت العربية والإسلامية بأن يقودها الى انتهاج سياسة غير ودية اتجاه الولايات المتحدة.

٣- المحفز الدولي. هناك قوى سدولية كبرى ترى أن سياسة واشنطن في المنطقة العربية، تهدف الى إخراجها من نطاق مصالحها، وجعلها ورقة ضغط عليها، لذلك قد تسعى الى الحد من اندفاع واشنطن في هذه السياسة من خلال تأكيدها على إنشاء حكومة عراقية قوية ومستقلة سياسياً، وتشجيعها على تبني خيار المواجهة السياسية مع البيت الأبيض، كي تخرج الولايات المتحدة بخفضٍ حينئذٍ من ناحية ضمان مصالحها في العراق.

عوائق تبني هذا السيناريو

١- العوائق الداخلية.

أ. العائق التاريخي. ان العراق تبني - لا سيما منذ عام ١٩٩٠ - سياسة المواجهة مع واشنطن، فما جنى غير الانهيار والاحتلال العسكري، ولا يوجد سياسي عاقل، يرى مثل هذه النتائج التي وصلت اليها سياسة سابقة، فيعود الى اعتماد نفس السياسة.

ب. العائق الاجتماعي. ان الشعب العراقي شعب انهكته سياسات المواجهة والحروب طوال اكثر من خمسة وعشرين عاماً، وقد وصل المواطن العراقي من جراءها الى حد المعاناة في عيشه وصحته وتعليمه، لهذا فأن أي سياسة خارجية عراقية تحاول تحشيد المجتمع وتعبئته وراء سياسة المواجهة غير المبررة سوف يكون مصيرها الفشل، لانها لن تجد شعبنا مستعداً لمساندتها، نعم قد يكون هناك بعض

الناس سوف يؤازرون هذه السياسة، ولكن الى حين اذ لن يلبثوا حتى ينفضوا عنها لصالح القوى المعتدلة التي تدعوا الى السلام والأمن وخدمة مصالح الناس.

ج- العائق الاقتصادي. يعد الاقتصاد العراقي اقتصاداً منهراً بسبب الحروب التي خاضها البلد في العهد السابق، وما أفرزته من نتائج كارثية تتمثل بعظم المديونية، وثقل التعويضات، وانهايار البنى التحتية، وقد ارتبط العراق في انقاذه من حالته هذه بما يسمى بهبات الدول المانحة، واعادة جدولة الديون، ومحاولة الغاء التعويضات، وتشجيع الاستثمار الأجنبي، وهذا الواقع، يقتضي من الساسة العراقيين الجدد اتباع سياسة مهادنة وتصالح مع دول العالم عامة والولايات المتحدة بشكل خاص.

د - العائق العسكري. لقد انهارت القوة العسكرية العراقية بعد الحرب الأخيرة، واصبحت الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة التي تسيطر على البلد، وتريد إعادة تأهيل الجيش العراقي بما يخدم مصالحها العسكرية والصناعية والأمنية، وهذه الحالة سوف تستمر لمدة ليست بالقصيرة. وعليه، فإن العائق العسكري سيكون فاعلاً في منع تبني خيار المواجهة واشنطن، فالدولة التي تخسر قوة الاقتصاد والجيش لن يكون لها ما يدعم تحقيق أهدافها السياسية.

هـ - عائق الارهاب الدولي. اذ كما هو معروف، فإن العراق بعد حربه الاخيرة أصبح ساحة مفتوحة للقوى الدولية التي ترغب في تصفية حساباتها مع البيت الأبيض، لكي تدخل الى ارضه وتحقق اهدافها تلك، الى جانب قيامها بقتل وترويع السكان المدنيين في العراق، وان تخوف الساسة العراقيين الجدد من تنامي قوة هذه القوة، سيدفع بهم الى طلب المساعدة من واشنطن.

٢- العوائق الدولية.

أ - ان العالم يدخل مرحلة جديدة من تأريخه يكون فيها الحوار المتبادل، والتعاون المشترك، والمناورات السياسية هي التي تحكم العلاقات الدولية من اجل ضمان المصالح المتبادلة، فالكل يرغب في ان يفيد ويستفيد، ولا يجذب اللجوء الى القوة المسلحة في علاقاته الدولية - مع استثناءات خاصة - وهذه البيئة الدولية من شأنها ان تدفع صانع القرار العراقي الى عدم تبني هذا المشهد.

ب - لقد قلنا في صفحات سابقة، ان الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ قد اعتمدت استراتيجية العمل الوقائي ضد خصومها، والتي من مظاهرها شن الولايات المتحدة عمليات عسكرية مباشرة عليهم لمنعهم من تهديد الأمن القومي الأمريكي - وحسب ما تقدره سياسة واشنطن - واعتماد هذه الاستراتيجية من شأنه ان يجعل أي صانع قرار يحسب الف حساب قبل اعتماده لسياسة مواجهة مع واشنطن غير مضمونة النتائج.

وإذا حاولنا ان نوازن بين محفزات وعوائق تحقق هذا السيناريو، نرى ان الكلفة تميل لصالح العوائق، لذا يعد هذا المشهد أبعد ما يكون عن التحقق في المدى المنظور على الأقل.

السيناريو الثاني : سيناريو التوافق.

يرى هذا السيناريو (المشهد) ان السياسة الخارجية العراقية مع الولايات المتحدة ستقوم على التبنّي الكامل لوجهة نظر الأخيرة، بالشكل الذي يجعلها مجرد تابع لسياسة البيت الأبيض وما تتطلبه من ضرورة ضمان المصلحة الأمريكية في السيطرة على نفط العراق، وفتح ارض لإقامة القواعد

العسكرية الأمريكية، ودخول الشركات الأمريكية، والسير قدماً نحو تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني... الخ.

محفزات تبني هذا السيناريو

١- المحفزات الداخلية

أ - المحفز الاقتصادي. ان انهيار الاقتصاد العراقي بعد الحرب الاخيرة، ووضع الولايات المتحدة لخطّة شبيهة بخطط مارشال لانقاذه وضمان سير الامور في العراق لصالحها في كافة المجالات، قد يدفع صانع القرار في العراق الى تبني خيار التوافق مع البيت الأبيض من اجل ضمان أكبر قدر من تحقيق المصلحة الاقتصادية للبلاد واعتماد منهج براغماتي كامل في العلاقة بين الطرفين.

ب - المحفز العسكري والأمني. ان حقيقة سيطرة الجيش الامريكي على العراق، وانهيار قوة الأخيرة العسكرية، قد تترك أثرها في صانع القرار العراقي، الذي يرغب في التخلص من حالة الاحتلال وإعادة بناء الجيش، وتحقيق سيادة البلاد، والاستقرار الأمني فيها من خلال تطمين واشنطن بأن العراق سوف يتبنى وجهة نظرها في العراق مع الاحداث الدولية.

٢- المحفزات الإقليمية

أ - يوجد في المنطقة عدة بلدان تقوم سياستها الخارجية على التوافق شبه الكامل مع سياسة واشنطن، وهذا الواقع، قد يغري صانع القرار في العراق الى انتهاج سياسة مماثلة.

ب - المحفز الفلسطيني. ان القضية الفلسطينية لم تصل الى حل نهائي عن طريق القوة العسكرية وأصبح الأمن العربي والفلسطيني مجرد أمن حدود بعد ان كان أمن وجود في زمن سابق، وهذا الأمر دفع العديد من البلدان العربية الى التطبيع مع الكيان المحتل، مما قد يشجع صانع القرار العراقي على تبني خيار التوافق مع واشنطن لأنه لا جدوى من تبني خيار آخر حسب تصوره.

٣- المحفز الدولي. يتمثل المحفز الدولي في سعي الولايات المتحدة الى الوصول الى المستوى الذي يقدمه هذا المشهد في علاقتها مع بلدان العالم لذا هي تشجع تبنيه لانه يخدم مصالحها. عوائق تبني هذا السيناريو.

١- العوائق الداخلية

أ - العائق السياسي. تزخر الساحة السياسية العراقية بوجود الكثير من القوى السياسية التي تصر على تحقيق المصلحة الوطنية، ورفض التبعية لأمريكا، وتعمل من اجل إعادة العراق الى الساحة الدولية بشكل يكون فيه مستقلاً و متمتعاً بالسيادة الكاملة، وان تبني سيناريو التوافق سوف يدفع هذه القوى الى التحرك واستغلال ثقلها الشعبي لمنع حدوث ذلك.

ب - العائق الاجتماعي. ان الشعب العراقي شعب ترى غالبية ان الكثير من سياسات الولايات المتحدة الدولية غير شرعية، وتبني خيار التوافق قد يستفز مشاعره الدينية والوطنية، باعتباره شيء غير مبرر. وهذا سوف يفاقم حالة اللا إستقرار السياسي والأمني.

٢- العوائق الاقليمية.

أ - لقد قلنا في السيناريو الاول. ان هناك دول اقليمية لها مصلحة مباشرة في تبني خيار المواجهة بين السياسة العراقية والسياسة الأمريكية، وفشل هذه الدول في دفع الأمور داخل العراق الى مستوى المواجهة، سوف يجعلها تسلط كل ثقلها السياسي والمخابراتي من اجل اظهار السلطة العراقية الجديدة بمظهر المتهم امام شعبها بعدها حكومة عميلة لواشنطن ولكي لا يحدث هذا الأمر، فان صانع القرار العراقي سوف يتجنب تبني سيناريو التوافق.

ب - العائق الفلسطيني. على الرغم من ان القضية الفلسطينية لم تحل، الا ان المقاومة للاحتلال في فلسطين مستمرة وهي تحظى بدعم شعبي اسلامي كبير، يفرض نفسه على صانعي القرار في المنطقة، وهذا الامر قد يمنع صانع القرار العراقي من تبني هذا السيناريو الى حين الوصول الى حل يرضي الشعب الفلسطيني، وزوال العامل او السبب الذي يثير حساسية كبيرة في توطيد العلاقات مع البيت الأبيض.

وعند مقارنة المحفزات بالعوائق في هذا السيناريو، يتبين ان هناك نوع من التوازن بين الجانبين، لذا فإن تبنيه سوف يعتمد على طبيعة الرجال الذين يحكمون العراق في المرحلة القادمة، لكن تبني هذا المشهد سوف يقود في المدى المتوسط الى اخطار تستدعي الضرورة تجنبها.

السيناريو الثالث : سيناريو الحل الوسط

يعد هذا السيناريو أفضل السيناريوهات المطروحة أمام صانع القرار العراقي في المرحلة القادمة، وهو يقوم على اعتبار ان السياسة الخارجية العراقية مع الولايات المتحدة لن تتبنى خيار المواجهة ولا خيار التوافق التام مع سياسة واشنطن، وانما سوف تأخذ بسيناريو الحل الوسط الذي تراعى فيه مصالح الوطن والمواطن، كما تحترم فيه الثوابت المبدئية العربية والإسلامية، وبأخذ بعين الاعتبار والفهم للحقائق التي تطرحها البيئة الدولية والاقليمية.

محفزات تبني هذا السيناريو.

١- المحفزات الداخلية.

أ - المحفز السياسي. اذ على الرغم من وجود القوى السياسية التي ترفض التبعية لواشنطن في الساحة السياسية العراقية - والتي ورد ذكرها في السيناريو الثاني - إلا ان هذه القوى لا تريد ان تصل العلاقة مع الولايات المتحدة الى حد المواجهة، وانما تريد ضمان امن واستقرار البلد، وحماية مصالح مواطنيه، وهي سوف تشجع تبني هذا السيناريو.

ب - المحفز الاجتماعي. ان الشعب العراقي، سوف يشجع أية سياسة عراقية لاتستفز مشاعره الوطنية والدينية، وتحفظ كرامته وأخلاقه، وفي نفس الوقت لا ترهق كاهل المواطن - المرهق أصلاً - بالشعارات الرنانة والخطب الحماسية ذات الميل الى المواجهة، ومثل هذه الرغبة الشعبية سوف تشجع خيار الحل الوسط.

جـ - محفز الأمن والاستقرار. يعاني العراق بعد سقوط النظام السابق من انعدام الأمن والاستقرار فيه، وان إقامة حكومة عراقية تحظى بدعم القوى السياسية ومؤازرة الشعب وتأييده سوف يعطيها قوة فاعلة في تحقيق اهدافها في مجال الامن والاستقرار.

د - محفز بناء الاقتصاد والجيش العراقي. تعد حالة الاقتصاد والجيش العراقي الحالية سلاح ذو حدين، اذ قد تدفع الرغبة في إعادة بناء الاقتصاد والجيش العراقي صانع القرار الى الاستعجال في تحقيق هذا الهدف عن طريق الارتقاء في احضان واشنطن بتبنيه للسياريو الثاني، اما اذا كان صانع القرار العراقي يتحلى بالحكمة المطلوبة، فانه سوف يتجنب ذلك، ويعتمد سيناريو الحل الوسط الذي سوف تستخدم فيه كل المناورات السياسية والدبلوماسية من اجل ضمان الدعم والتأييد الأمريكي والدولي في إعادة بناء الجيش والاقتصاد العراقي، في الوقت الذي يضمن فيه تحقيق المزايا الاخرى التي يعرضها هذا السيناريو.

عوائق تبني هذا السيناريو

١. العائق الداخلي. سوف يوجد - بلاشك - في داخل العراق قوى سياسية تستخدم كافة السبل من اجل إقامة واقع غير مستقر بين العراق وأمريكا أولاً، وبين ابناء الشعب العراقي ثانياً، وهي سوف تكون عائق فعلي يمنع نجاح هذا السيناريو، ومن هذه القوى تلك التي ترى انها غير مستفيدة من الأوضاع الجديدة في العراق وفشل صانع القرار العراقي بالقيام بما هو مطلوب منه سوف يزيدها قوة وشعبية، لكن نجاحه سوف يجعلها تضمحل وتختفي شيئاً فشيئاً، وستقبل قواعدها الشعبية ان تكون شريكة في بناء الوطن بدلاً من هدمه.

٢. العائق الاقليمي. يوجد في المنطقة عدة جهات ترى ان مصالحها تكمن في إقامة عراق غير مستقر وغير آمن، لذا فهي تشجع القلاقل والاضطرابات السياسية فيه، ومن هذه الجهات: الكيان الصهيوني، دول الجوار الاقليمي، وقوى التطرف غير الواعية كالقاعدة والمنظمات الشبيهة.

٣. العائق الدولي. قد تدفع الحقائق الاقتصادية والعسكرية في العراق الادارة في واشنطن الى محاولة فرض إرادتها على صانع القرار العراقي لإجباره على تبني السيناريو الثاني. ولكن ذلك سوف يكون في غير صالح هذه الإدارة ورغبتها في ضمان الأمن والاستقرار في العراق، اذ ان مصلحة الولايات المتحدة تتحقق من خلال انتهابها لسياسة تحظى بالقبول الرسمي والشعبي في العراق.

ومن خلال تحليل محفزات وعوائق تحقق هذا السيناريو، يتبين ان كل المحفزات تنبع من الداخل العراقي الشعبي والرسمي، في حين ان العوائق اغلبها خارجي، يزيده نجاح الحكم في العراق هشاشة وضعفاً، وهذا الأمر يرفع من أفضلية هذا السيناريو على غيره، كما أن نجاح تحققة يتطلب صانع قرار عراقي يتحلى بنمط من التفكير يقوم على الحكمة وسعة الإدراك والتفهم للواقع، وبعد نظر للمستقبل.

وهكذا تنتهي هذه الدراسة الى التأكيد على أهمية العمل وفق القواعد التي تحكم العلاقات الدولية الحالية، لأن الخروج على هذه القواعد يقود صاحبه الى الفشل، وعدم الإنجراف وراء سياسات تبدو مغرية في بداياتها، لكنها تؤدي الى أخطر العواقب مستقبلاً، بل يجب اختيار ما يضمن

مصالح اليوم والغد من السياسات التي تؤمن مساندة الشعوب لحكوماتها، وليس العكس، وليتذكر صانع القرار العراقي، انه يتحرك في ظل عالم قاس لا يقبل المغفلين، ولا يغفر للجهلة.

الهوامش:

- ١ - باسم علي خريسان. العولة والتحدي الثقافي. اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى كلية العلوم السياسية / جامعة صدام (النهرين حالياً) / ١٩٩٩. ص ٤.
- ٢ - المصدر نفسه ص ٧.
- ٣ - المصدر نفسه. نفس الصفحة.
- ٤ - المصدر نفسه من ص ٨ - ٩.
- ٥ - ماجد مالك احمد الرازمي. اثر المتغيرات الدولية على النظام الاقليمي العربي. اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد، ٢٠٠٣ ص ٨٨.
- ٦ - باسم علي خريسان، المصدر السابق، ص ١٠.
- ٧ - حكمة عبد الله البزاز. العولة والتربية. ط ١. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١. ص ١٨.
- ٨ - باسم علي خريسان. المصدر السابق ص ١٥.
- ٩ - المصدر نفسه من ص ٣٧ - ٣٨.
- ١٠ - خالد عليوي جيا. الديمقراطية في الفكر القومي العربي المعاصر. اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد، ٢٠٠٠. ص ١٢١.
- ١١ - ماجد مالك احمد الرازمي. المصدر السابق. ص ١٣٤.
- ١٢ - المصدر نفسه ص ١٣٦.
- ١٣ - احمد فاروق عبد العظيم. النموذج الامريكي للديمقراطية: قراءة في فلسفة الخطاب. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٣. القاهرة، مؤسسة الاهرام، يوليو ٢٠٠٣. ص ١٥٣.
- ١٤ - نقلاً عن خالد عليوي جيا. الجهاد الاسلامي في مواجهة المشروع الحضاري الامريكي - الصهيوني. مجلة جامعة كربلاء، العدد ٢. آذار.
- ١٥ - خالد عليوي جيا. الديمقراطية في الفكر القومي العربي المعاصر. المصدر السابق. ص ١١٣.
- ١٦ - احمد فاروق عبد العظيم. المصدر السابق. ص ١٥٠.
- ١٧ - المصدر نفسه. ص ١٥٨.
- ١٨ - احمد ابراهيم محمود. حرب العراق وتحولات الفكر الاستراتيجي الامريكي. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٣. القاهرة، مؤسسة الاهرام، يوليو ٢٠٠٣. ص ١١٣.
- ١٩ - الكسندر بريماكوف. نفط الشرق الاوسط والاحتكاكات الدولية، ط ١. بيروت، دار الف باء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤. ص ١٩.
- ٢٠ - المصدر نفسه. ص من ١٤٦ - ١٤٧.

- ٢١- ساجدة سعيد كريم البرزنجي. الدعاية في السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الخليج العربي. اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد. ١٩٩٣. من ص ٨٥ - ٨٦.
- ٢٢- المصدر نفسه ص من ٨٧ - ٨٨.
- ٢٣- نقلاً عن: خالد عليوي جيا. الديمقراطية في الفكر القومي العربي المعاصر. المصدر السابق. ص ١١٩.
- ٢٤- الكسندر بريماكوف. المصدر السابق. ص ٢٤.
- ٢٥- خليل العناني. دور النفط في الأزمة العراقية - الامريكية. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥١. القاهرة، مؤسسة الاهرام، اكتوبر / ٢٠٠٢. ص ٣٢.
- ٢٦- المصدر نفسه. ص ٣٥.
- ٢٧- المصدر نفسه ص ٣٧.
- ٢٨- سرمد امين. الطاقة وحروب امريكا المقبلة في العالم. ج ٢. سلسلة اوراق استراتيجية، العدد ٣٤٤٩. بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٢ ص ١ - ٢.
- ٢٩- خليل العناني. المصدر السابق. ص ٣٧.
- ٣٠- المصدر نفسه. ص ٣٩.
- ٣١- سوسن اسماعيل العساف. امريكا تقيس وزنها في السياسة الدولية بثقل براميل النفط. مجلة الشروق العدد، ٥٧٢ الامارات العربية المتحدة، دار الخليج للطباعة، ٢٠٠٣، ص ٣٩.
- ٣٢- خليل العناني. المصدر السابق ص ٣٩.
- ٣٣- احمد سليم البرحان. اللوبي الصهيوني والاستراتيجية الامريكية في الشرق الأوسط. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٣. القاهرة، مؤسسة الاهرام، اكتوبر / ٢٠٠٢. ص ٦٥.
- ٣٤- سرمد امين. المصدر السابق. ص ١ - ٤.
- ٣٥- ستيفن غرين. الانحياز: علاقات امريكا السرية بإسرائيل. ط ١. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٥. ص ٩.
- ٣٦- ساجدة سعيد كريم البرزنجي. المصدر السابق. ص ٩١ - ٩٢.
- ٣٧- المصدر نفسه. ص ٩٢.
- ٣٨- المصدر نفسه. ص ٩٣.
- ٣٩- ستيفن غرين. المصدر السابق. ص ٦.
- ٤٠- جريدة النور العراقية. عددها الصادر في ٧/٧/٢٠٠٢. ص ٤.

طرائق حل المعادلات البوليانية

م.م. احمد شهاب حمد العتابي

م.م. علي حسين شعاع الطائي

طرائق حل المعادلات البوليانية

م.م. احمد شهاب حمد العتابي
م.م. علي حسين شعاع الطائي

المبحث الاول: الأسس الرياضية للجبر البولياني

1-1 المقدمة

الجبر البولياني Boolean Algebra

لاحظ الإنسان منذ القدم أن الكثير من المسائل الفكرية والمنطقية لا تجد الحل إلا في جواب واحد من اثنين (خطأ أم صواب). قادت الصفة الثنائية في التفكير "أرسطو طاليس" للبحث عن الحقيقة وسط مجموعة من الافتراضات. وقد اقترب ديموركان Demorgan من اكتشاف الصلة بين المنطق والرياضيات إلا أن بول Boole حقق عام 1854 العلاقة بينهما ووضع جبرا جديدا سمي بعد ذلك باسمه (الجبر البولي) أو الجبر البولياني Boolean Algebra وفي عام 1938 نشر شانون Shannon بحثا عن استخدام قوانين الجبر البولياني في العمليات المنطقية للأجهزة المستخدمة لتمثيل الحالات الثنائية وأصبحت وسيلة فعالة لتحليل وتصميم الدوائر الرقمية. [4,6]

إن العمليات الأساسية في الجبر البولياني هي علاقة "النفي" (NOT) وعلاقة "أو" (OR) وعلاقة "مع" (AND) وعلاقة "أو المقصورة" (XOR).

إذا كان X و Y متغيرين فإن $\text{NOT}(X)$ تكتب بـ \bar{x} و $X \text{ OR } Y$ تكتب $X+Y$ و $X \text{ AND } Y$ تكتب $X.Y$ و $X \text{ xor } Y$ تكتب $X \oplus Y$ ويمكن تمثيل هذه العمليات بجدول الحقائق رقم (1-1) :-

جدول (1-1) يوضح العمليات الأساسية في الجبر البولياني

x	y	\bar{x}	$x+y$	$x.y$	$X \oplus y$
---	---	-----------	-------	-------	--------------

0	0	1	0	0	0
0	1	1	1	0	1
1	0	0	1	0	1
1	1	0	1	1	0

1-2 - قوانين الجبر البولياني

يمكن تمثيل أهم القوانين الرياضية للجبر البولياني بالعلاقات الآتية : [5]

$$\begin{array}{ll}
 X + 0 = X & X \cdot 0 = 0 \\
 X + \bar{X} = 1 & X \cdot \bar{X} = 0 \\
 X + X = X & X \cdot X = X \\
 X + 1 = 1 & X \cdot 1 = X \\
 \bar{\bar{X}} = X & \\
 X + Y = Y + X & X \cdot Y = Y \cdot X \\
 X + (Y + Z) = (X + Y) + Z & X \cdot (Y \cdot Z) = (X \cdot Y) \cdot Z \\
 X \cdot (Y + Z) = X \cdot Y + X \cdot Z & x + y \cdot z = (x + y)(x + z) \\
 X + XY = X & X \cdot (X + Y) = X \\
 \overline{X + Y} = \bar{X} \cdot \bar{Y} & \overline{X \cdot Y} = \bar{X} + \bar{Y}
 \end{array}$$

ولذلك فإن الجبر البولياني كأى نظام رياضي ، يعرف على مجموعة من العناصر ومجموعة من العمليات. هناك عدة بديهيات وفرضيات لتعريف الجبر البولياني على المجموعة $B = \{0,1\}$ وتحتوي عمليتين ثنائيتين هما OR, AND.

وبما أن الجبر البولياني نظام رياضي لذلك تطبق عليه جميع الخواص لأي نظام ، ومنها خاصية الانغلاق (closure) وخاصية التجميع (associative) وخاصية الإبدال (commutative) وخاصية العنصر المحايد (identity element) وخاصية النظير (inverse) وقانون التوزيع (distribution).

1-3-3 - فرضيات هونتكتون Huntington

قدم E. V. Huntington [13] فرضيات لتعريف الجبر البولياني بصورة مفصلة ، معرفة على المجموعة $B = \{0,1\}$ مع عمليتين ثنائيتين هما OR, AND ومن الفرضيات الآتية :-

1-3-1 - خاصية الانغلاق (CLOSURE)

ليكن $X, Y \in B$ فيكون $X + Y \in B$ و $X \cdot Y \in B$ صائبة لجميع عناصر B.

2-3-1- خاصية العنصر المحايد (IDENTITY ELEMENT)

ليكن $X, Y \in B$ فيكون $X+0=X$ و $X.1=X$ صائبة

أي أن 0 هو العنصر المحايد لعملية OR

وأن 1 هو العنصر المحايد لعملية AND

3-3-1- خاصية الإبدال (COMMUTATIVE)

ليكن $X, Y \in B$ فتكون $X+Y=Y+X$ و $X.Y=Y.X$ صائبة.

4-3-1- خاصية التوزيع (DISTRIBUTIVE)

ليكن $x, y, z \in B$

أ- خاصية توزيع AND على OR أي أن :-

$$x.(y+z)=x.y+x.z$$

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدول رقم (1 - 2) :-

جدول رقم (1 - 2) يوضح خاصية توزيع AND على OR

X	y	z	$Y+z$	$x.(y+z)$	$x.y$	$x.z$	$x.y+x.z$
0	0	0	0	0	0	0	0
0	0	1	1	0	0	0	0
0	1	0	1	0	0	0	0
0	1	1	1	0	0	0	0
1	0	0	0	0	0	0	0
1	0	1	1	1	0	1	1
1	1	0	1	1	1	0	1
1	1	1	1	1	1	1	1

$$X+(y.z)=(x+y).(x+z)$$

ب- خاصية توزيع OR على AND أي أن

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدول (1 - 3) :-

جدول رقم (1 - 3) يوضح خاصية توزيع OR على AND

X	y	z	$y.z$	$X+(y.z)$	$X+y$	$X+z$	$(x+y).(x+z)$
0	0	0	0	0	0	0	0
0	0	1	0	0	0	1	0
0	1	0	0	0	1	0	0
0	1	1	1	1	1	1	1
1	0	0	0	1	1	1	1

1	0	1	0	1	1	1	1
1	1	0	0	1	1	1	1
1	1	1	1	1	1	1	1

1-3-5- لكل عنصر $X \in B$ يوجد عنصر متممه هو $\bar{X} \in B$

أي أن :-

أ - عملية OR

$$X + \bar{X} = 1$$

ويمكن ملاحظة الآتي :

$$0 + \bar{0} = 0 + 1 = 1$$

$$1 + \bar{1} = 1 + 0 = 1$$

ب - عملية AND

$$X \cdot \bar{X} = 0$$

ويمكن ملاحظة الآتي :-

$$0 \cdot \bar{0} = 0 \cdot 1 = 0$$

$$1 \cdot \bar{1} = 1 \cdot 0 = 0$$

1-4- أوجه الاختلاف بين الجبرين البولياني والاعتيادي

يمكن ملاحظة بعض الفروقات بين الجبر البولياني والجبر الاعتيادي (Ordinary Algebra)

والتي تشمل النقاط الآتية :- [5]

1- قانون توزيع عملية OR على AND $X + (y \cdot z) = (x + y) \cdot (x + z)$ يكون مقبولا في الجبر البولياني لكنه مرفوض في الجبر الاعتيادي.

2- لا يمتلك الجبر البولياني نظيراً جمعياً ونظيراً ضربياً، لذلك لا توجد عمليتا الطرح والقسمة في الجبر البولياني عكس مما موجود في الجبر الاعتيادي.

3- توجد الخاصيتان $X + \bar{X} = 1$ و $X \cdot \bar{X} = 0$ في الجبر البولياني فقط ولا توجد هاتان الخاصيتان في الجبر الاعتيادي.

4- يعرف الجبر البولياني على مجموعة منتهية عناصرها $\{0, 1\}$ بينما يعرف الجبر الاعتيادي على مجموعة غير منتهية.

5-1 هدف البحث

يهدف البحث إلى إيجاد طرائق لحل المعادلات البوليانية الخطية واللاخطية وتحديد فعاليتها

حول استخدامها عملياً في مجال الرياضيات التطبيقية

المبحث الثاني

قبل التطرق لطرق تبسيط المعادلات البوليانية لابد من عرض بعض التعاريف الأساسية

2-1- تعاريف أساسية

تعريف (2-1): حد الضرب (product term) هو عبارة عن متغير واحد أو الضرب المنطقي لعدة متغيرات وربما تكون هذه المتغيرات على صورة المتممة (Complement).

تعريف (2-2): حد الجمع (sum term) هو عبارة عن متغير واحد أو مجموعة متغيرات وربما تكون هذه المتغيرات على صورة المتممة (Complement).

تعريف (2-3): صيغة مجموع حدود الضرب (sum of product expression) هو عبارة عن الإضافة لعدد من الحدود الناتجة عن ضرب المتغيرات فيما بينها.

تعريف (2-4): صيغة ضرب المجموع (product of sum expression) هو عبارة عن مجموع عدة حدود مضروبة منطقياً مع بعضها البعض.

تعريف (2-5): (Derivation of product of sum expression) هو عبارة عن بناء جدول يحتوي على قيم المدخلات والمخرجات وبناء عمود إضافي في داخل الجدول للحدود فتحتوي على المتغيرات بصيغة المتممة وغير المتممة ويكون التعبير المطلوب هو ضرب للحدود الناتجة من جمع الحدود من الأسطر (Rows) التي يكون مخرجها صفراً.

تعريف (2-6): المعادلة البوليانية (Boolean Equation) ذات (n) من المتغيرات هي معادلة تحتوي على (n) من المدخلات الثنائية (Binary inputs) ومخرج ثنائي واحد (Single binary output) حيث أن هناك 2^n من المعادلات البوليانية الممكنة المختلفة لـ (n) من المتغيرات. إن التمثيل العام للمعادلة البوليانية والذي يسمى ANF (Algebraic Normal Form) هو كالاتي :-

$$F(X_1, X_2, \dots, X_n) = a_0 \oplus \sum a_i x_i \oplus \dots \oplus \sum a_{ij} x_i x_j \oplus \dots \oplus a_{1..n} x_1 x_2 \dots x_n$$

(2-1) حيث أن $a_0, a_i, \dots, a_{1..n} \in GF(2)$

تعريف (2-7): المعادلة البوليانية (Boolean Equation) هي معادلة على شكل $F(X)=G(X)$ حيث أن $X=(x_1, x_2, \dots, x_n)$ هو متجه من المتغيرات البوليانية. وأن F و G هي تعبيرات على تلك المتغيرات وحل تلك المعادلة هي نقطة $X \in B$ بحيث تحقق $F(X)=G(X)$. B : متغير بولياني [7]

تعريف (2-8): معادلة DNF (Disjunctive Normal Form) هي معادلة بوليانية على شكل $F(X)=0$ حيث أن F هي DNF وتحقق الشروط الآتية :- [4، 7]

- 1- في كل حد من حدود المعادلة توجد عملية (AND) بين المتغيرات.
- 2- العملية التي تربط الحدود جميعها هي عملية (OR).
- 3- يجب ظهور المتغير أو متممه في الحد الواحد.
- 4- لا توجد أقواس تفصل بين الحدود ولا توجد عمليات بوليانية أخرى.

تعريف (9 - 2) :- التعبير البولياني يدعى CNF (Condition Normal Form) إذا تحققت الشروط الآتية :- [6]

- ١ - في كل حد من حدود المعادلة توجد عملية (OR) بين المتغيرات.
- ٢ - العملية التي تربط الحدود جميعها هي عملية (AND).
- ٣ - يجب ظهور المتغير أو متممه في الحد الواحد.
- ٤ - توجد أقواس تفصل بين الحدود ولا توجد عمليات بوليانية أخرى.

مثال (2-1) :- لو كان لدينا التعبير البولياني $F = XYZ + XYZ + XYZ$ حيث أن F والتعبير البولياني $G = (X+Y+Z) (X+Y+Z) (X+Y+Z)$ حيث أن G أيهما يدعى DNF أو CNF .

الحل :- التعبير البولياني F يدعى DNF لأنه يحقق جميع شروط تعريف (9-2). أما التعبير البولياني G يدعى CNF لأنه يحقق جميع شروط تعريف (10-2).

مثال (2-2) :- لو كان لدينا ثلاثة متغيرات X, Y, Z كمداخل ثنائية جدول هذه القيم ثم جد حد الضرب (product term) & حد الجمع (sum term).
الحل:

Inputs			Product term (min term))	sum term (max term))
X	y	z		
0	0	0	$\overline{x}\overline{y}\overline{z}$	$\overline{X}+\overline{y}+\overline{z}$
0	0	1	$\overline{x}\overline{y}z$	$\overline{x} + \overline{y} + z$
0	1	0	$\overline{x}y\overline{z}$	$\overline{x} + y + \overline{z}$
0	1	1	$\overline{x}yz$	$\overline{x} + y + z$
1	0	0	$x\overline{y}\overline{z}$	$\overline{x} + y + \overline{z}$
1	0	1	$x\overline{y}z$	$\overline{x} + y + z$
1	1	0	$xy\overline{z}$	$\overline{x} + \overline{y} + z$
1	1	1	xyz	$\overline{x} + \overline{y} + \overline{z}$

من خلال الجدول نجد أن maxterm هي متممة minterm

مثال (2-4): اشتق المعادلة البوليانية من خلال اعتماد حاصل جمع الضروب لتحويل من عملية (XOR) الى عملية (OR) في المعادلة البوليانية الآتية:

$$F_3(X_1, X_2, X_3) = X_2 \oplus X_3 \oplus X_2 X_3 \oplus X_1 X_2 X_3$$

الحل:

X1 X2 X3	$X_2 \oplus X_3$	$X_2 X_3$	$X_1 X_2 X_3$	$F_3(X_1, X_2, X_3) =$
0 0 0	0	0	0	0
0 0 1	1	0	0	1
0 1 0	1	0	0	1
0 1 1	0	1	0	1
1 0 0	0	0	0	0
1 0 1	1	0	0	1
1 1 0	1	0	0	1
1 1 1	0	1	1	0

لذلك يمكن استنتاج صورة أخرى للمعادلة من خلال اعتماد حاصل جمع الضروب فنحصل على الآتي:

$$F_3(X_1, X_2, X_3) = X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3$$

2-2- طرائق تبسيط المعادلات البوليانية

إن الهدف الأساس من عمليات التبسيط هو إيجاد أبسط شكل للمعادلة البوليانية من خلال اختزال عدد المتغيرات ضمن المعادلة وذلك باستخدام أساسيات الجبر البوليانى للوصول الى حالة مبسطة. أن هذه العملية تصبح أكثر صعوبة عندما يزداد عدد المتغيرات ضمن المعادلة لذلك ظهرت الحاجة الى إيجاد طرائق وأساليب تساعد على زيادة سرعة تنفيذ عمليات التبسيط مع الوصول الى أبسط شكل للمعادلة البوليانية ومن هذه الطرائق [4,7].

2-2-1 الطريقة الجبرية Algebraic Method

وهي طريقة تستخدم فيها قوانين الجبر البوليانى، ولكن من عيوب هذه الطريقة هو عدم احتوائها على خوارزمية ثابتة توصل الى افضل صيغة مبسطة:

مثال (2-5): بسط المعادلة البوليانية مستخدماً الطريقة الجبرية:

$$F(X_1, X_2, X_3) = X_1 X_2 + X_1 X_3 + X_2 X_3$$

الحل:

$$\begin{aligned}
F(X_1, X_2, X_3) &= X_1 X_2 + \bar{X}_1 X_1 X_3 + X_2 X_3 \\
&= X_1 X_2 + \bar{X}_1 X_3 + X_2 X_3 (X_1 + \bar{X}_1) (X_1 + \bar{X}_1 = 1) \\
&= X_1 X_2 + \bar{X}_1 X_3 + X_1 X_2 X_3 + \bar{X}_1 X_2 X_3 \\
&= (X_1 X_2 + \bar{X}_1 X_2 X_3) + (\bar{X}_1 X_3 + \bar{X}_1 X_2 X_3) \\
&= X_1 X_2 (1 + X_3) + \bar{X}_1 X_3 (1 + X_2) \\
&= X_1 X_2 + \bar{X}_1 X_3 (1 + X_3 = 1), (1 + X_2 = 1)
\end{aligned}$$

2-2-2- الطريقة التخطيطية The map Method

تتلخص خطوات هذه الطريقة برسم مخططات وفق طريقة معينة استناداً إلى نظريات جبرية والتي يتم بموجبها تبسيط المعادلة البوليانية بسهولة. من مساوئ هذه الطريقة هو صعوبة استخدامها لأكثر من ستة متغيرات [3,9] وأهم طريقة من الطرائق التخطيطية هي طريقة مخطط كارنوف Karnaph Map

2-2-3- طريقة مخطط كارنوف Karnaph Map Method

تتلخص هذه الطريقة بخطوتين
 أ - صنع مخطط من المربعات وتمثيل كل حد من حدود المعادلة البوليانية اللاخطية داخل المربعات بوضع (1) داخل المربعات بدل الحد المذكور وتحويل كل حد من حدود المعادلة ما يقابله من الأرقام الثنائية.
 ب - أي مربعين متجاورين يتحدان للحصول على حد جديد.

الشكل (٢ - ٢) يوضح مخطط كارنوف لمتغيرين وثلاثة وأربعة متغيرات.

	0	1		
0	$\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}$	$\overline{\overline{x}}y$		
1	$x\overline{\overline{y}}$	xy		

	00	01	11	10
0	$\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}\overline{\overline{z}}$	$\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}z$	$\overline{\overline{x}}y\overline{\overline{z}}$	$\overline{\overline{x}}yz$
1	$x\overline{\overline{y}}\overline{\overline{z}}$	$x\overline{\overline{y}}z$	$xy\overline{\overline{z}}$	xyz

	00	01	11	10
00	$wxyz$	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}yz$	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}y\overline{\overline{z}}$	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}yz$
01	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}z$	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}yz$	$\overline{\overline{w}}xyz$	$\overline{\overline{w}}xyz$
11	$w\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}z$	$w\overline{\overline{x}}yz$	$wxyz$	$wxyz$
10	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}z$	$\overline{\overline{w}}\overline{\overline{x}}yz$	$\overline{\overline{w}}xyz$	$\overline{\overline{w}}xyz$

مثال (2 - 6) :- بسط المعادلة البوليانية مستخدماً مخطط كارنوف.

$$F(X,Y,Z)=xyz + \overline{\overline{x}}yz + x\overline{\overline{y}}z + xyz$$

الحل:

بما أن المعادلة البوليانية أعلاه تحتوي على ثلاثة متغيرات لذلك يوجد $(2^3=8)$ من المربعات. تحتوي المعادلة على أربعة حدود، كل حد من حدود المعادلة نمثله بالمخطط ونضع بدل الحد المذكور بـ (1) داخل المربعات، ونحول كل حد من الحدود الأربعة ما يقابله من الأرقام الثنائية فمثلاً الحد (xyz) يقابله العدد (011) من الأرقام الثنائية.

	00	01	11	10
0			1	
1	1		1	1

	00	01	11	10
0	$\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}\overline{\overline{z}}$	$\overline{\overline{x}}\overline{\overline{y}}z$	$\overline{\overline{x}}yz$	$\overline{\overline{x}}y\overline{\overline{z}}$
1	XYZ	XYZ	XYZ	XYZ

$$\begin{aligned}
F(x, y, z) &= \bar{x} y z + x \bar{y} z + x y \bar{z} + x \bar{y} \bar{z} \\
&= (\bar{x} y z + x y \bar{z}) + (x \bar{y} z + x \bar{y} \bar{z}) \\
&= y z (\bar{x} + x) + x \bar{z} (\bar{y} + y) \\
&= y z + x \bar{z} \\
&(\bar{x} + x = 1), (\bar{y} + y = 1)
\end{aligned}$$

2-2-4 الطريقة الجدولية

وهي طريقة يمكن استخدامها لأي عدد من المتغيرات ولا يفضل استخدامها للمعادلات البوليانية ذات المتغيرات القليلة لما يتطلب من جهد مقارنة مع الطريقة السابقة (الطريقة التخطيطية) ومن أهم الطرائق الجدولية هي طريقة كوين ماكلوسكي [9] Quine-Mecluskey

2-2-5 طريقة كوين ماكلوسكي Quine-Mecluskey Method

أن الفكرة الأساسية لهذه الطريقة هي تطبيق العلاقة $xy + xy = x$ بصورة متكررة الى أن يتم الحصول على مجموعة الحلول الأولية وبعد ذلك اختيار التعبير الأصغر من هذه الحدود.

2-2-5-1: خوارزمية كوين ماكلوسكي لتوليد الحدود الأولية

أ - عبر عن كل حد من الحدود الدنيا للمعادلة بتمثيله تمثيلاً ثنائياً رقمياً.

ب - تصنيف الحدود حسب تسلسل عدد الواحدات الموجودة في التمثيل الثنائي تصاعدياً.

ج - فصل كل مجموعة من الحدود المتشابهة في عدد الواحدات بوضع خط بين كل مجموعة

د - نجعل $i=0$ وعدد الواحدات بداية تسلسل المقارنة.

هـ - قارن كل الحدود التي تسلسلها (i) مع كل الحدود التي تسلسلها (i+1) إذا كان أي زوج

من الحدود قابلاً للتوحيد، ضع الحد الجديد الموحد باستخدام التمثيل الثنائي مع وضع علامة

(/) أمام الحدين المتحدين.

و - زد (i) بمقدار (1) وكرر تطبيق الخطوة (هـ) وزيادة (i) بمقدار (1) الى أن تنتهي مقارنة جميع

الحدود.

ز - نأخذ القائمة الجديدة ونكرر تطبيقات الخطوات د، هـ، و.

ح - يتوقف تطبيق هذه العملية عندما لا يمكن تشكيل أي قائمة جديدة.

ط - جميع الحدود غير مؤشرة بعلامة (/) تعتبر حدود أولية ضامنة.

2-2-5-2: خوارزمية اختيار التعبير الأصغر

أ - بناء جدول جديد مكون من مصفوفة الأسطر فيها الحدود الأولية والأعمدة هي الحدود

الصغرى وضع في سطر الحدود الأولية وتحت أعمدة حدودها الصغرى علامة (x).

ب - أيجاد جميع الحدود الأولية الضامنة الضرورية في جدول الحدود الأولية وذلك بفحص جميع أعمدة الجدول وتأشير الحد الذي يحتوي على علامة تقاطع (x) واحدة فقط بدائرة مغلقة مع وضع علامة (/) بجانب جميع الحدود الأولية الضامنة الضرورية أن وجدت وتأشير الحدود الصغرى الممثلة بأعمدتها العلامة (/) والتي ضمن السطر الضروري المؤشر.

ج - فحص جميع الأعمدة والأسطر المتبقية وتأشير السطر الذي يحتوي على أكبر عدد من علامات (x) أي السطر الذي يتكون من أكبر عدد من الحدود الصغرى المتبقية مع تأشير الحد الأولي مع حدودها الصغرى.

د - تكرار الخطوة الثالثة إلى إن يتم تأشير كافة الحدود الصغرى.

هـ - التمثيل الأصغر هو كافة الحدود الضامنة التي تم تأشيرها.

مثال (2-7): بسط الدالة $F(w, x, y, z) = \sum (1, 3, 7, 11, 15)$

الحل:

حيث أن 1 يقابل بالتمثيل الثنائي 0001، 3 يقابل بالتمثيل 0011، 7 يقابل بالتمثيل 0111 و 11 يقابل بالتمثيل الثنائي 1011، 15 يقابل بالتمثيل الثنائي 1111 إذا تأملنا جيدا التمثيل الثنائي للحدود الصغرى، فأننا سنلاحظ أن الشرط الضروري لاتحاد الحدين الأصغرين هو أن يكون تمثيلها الثنائي يختلف بموقع واحد فقط.

$$\begin{aligned} F(w, x, y, z) &= \bar{w} \bar{x} \bar{y} z + \bar{w} \bar{x} y \bar{z} + \bar{w} x y z + \bar{w} x \bar{y} z + w x y z \\ &= \bar{w} \bar{x} z (\bar{y} + y) + x y z (\bar{w} + w) + w y z (\bar{x} + x) \\ &= \bar{w} \bar{x} z + x y z + w y z \end{aligned}$$

فعلى سبيل المثال يكون تمثيل الحدين الأصغرين الاثنين كما مبين في الجدول الآتي :-

الحد الناتج من الاتحاد	التمثيل الثنائي للحد الأصغر	الحد الأصغر
00-1	0001 0011	$\bar{w} \bar{x} \bar{y} z$ $\bar{w} \bar{x} y \bar{z}$

والحد الناتج من اتحاد هذين الحدين الأصغرين يمثل بـ (00-1) وخط الشارحة (-) يدل على المتغير المحذوف (/) نتيجة لاتحاد الحدين وتكوين الحد الجديد ($\bar{w} \bar{x} z$).

مثال (1- 8): بسط المعادلة البوليانية الآتية بطريقة كوين – مايكلوسكي

$$F(w, x, y, z) = \sum (1, 4, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 15)$$

الحل:

أولاً: لتوليد الحدود الأولية

نرتب الحدود الصغرى للمعادلة F كما مبين بالقائمة 1 وتتم المقارنة بين كل الحدود التي تسلسلها

(i) مع الحدود التي تسلسلها (i+1) كما مبين بالقائمة 2، القائمة 3

الجدول رقم (2- 1) يمثل خطوات إيجاد الحدود الأولية الضامنة وبذلك تصبح جميع الحدود

غير المؤشرة بعلامة (/) تعتبر حدوداً أولية ضامنة

القائمة ٣		القائمة ٢		القائمة ١	
أرقام الحدود	التمثيل الثنائي w x y z	أرقام الحدود	التمثيل الثنائي w x y z	أرقام الحدود	التمثيل الثنائي w x y z
8, 9, 10, 11	1 0 - -	1, 9	- 0 0 1	1	0 0 0 1
8, 9, 10, 11	1 0 - -	4, 6	0 1 - 0	4	0 1 0 0
		8, 9	1 0 0 -	8	1 0 0 0
		8, 10	1 0 - 0		
		6, 7	0 1 1 -	6	0 1 1 0
		9, 11	1 0 - 1	9	1 0 0 1
		10, 11	1 0 1 -	10	1 0 1 0
		7, 15	- 1 1 1	7	0 1 1 1
		11, 15	1 - 1 1	11	1 0 1 1
				15	1 1 1 1

الجدول رقم (2- 2) يمثل الحدود الأولية الضامنة

أرقام الحدود	التمثيل الثنائي				الحد الناتج
	w	x	y	z	
1, 9	-	0	0	1	$\bar{x} \bar{y} z$
4, 6	0	1	-	0	$\bar{w} x \bar{z}$
6, 7	0	1	1	-	$\bar{w} x z$
7, 15	-	1	1	1	$x y z$
11, 15	1	-	1	1	$w y z$
8, 9, 10, 11	1	0	-	-	$w x$

ثانياً: اختيار التعبير الأصغر

تتضمن الخطوة الثانية في هذه الطريقة استخدام رسم التضمين الأولي اختيار التعبير الأصغر من مجموعة التضمينات الأولية. وفي هذه الخطوة تدرج الحدود الدنيا للمعادلة في أعلى الرسم والتضمينات الأولية على الجانب الأيسر. فإذا كان التضمين الأولي يغطي حداً أدنى مع حدين توضع علامة (x) في موضع التقاطع التضمين الأولي الصف والعمود لذلك الحد ويبين الجدول رقم (2- 3) رسم التضمينات الأولية من الجدول السابق رقم (2- 5) يسمى التضمين الأولي المفرد الذي يغطي الحد الأدنى بتضمين أولي ضروري (essential prime implicates) ومن السهل إيجاداه من خلال رسم التضمينات الأولية.

جدول رقم (2-3) يوضح رسم الحدود الأولية الضامنة

الحد الناتج	أرقام الحدود	1	4	6	7	8	9	10	11	15
$\bar{x} \bar{y} z$	1, 9	x						x		
$\bar{w} x \bar{z}$	4, 6		x	x						
$\bar{w} x y$	6, 7				x	x				
$x y z$	7, 15					x				x
$w y z$	11, 15								x	x
$\bar{w} x$	8, 9, 10, 11						x	x	x	x

فإذا كان أي عمود في الرسم يحتوي على (x) واحدة فقط، فإن الصف الناظر له هو تضمين أولي ضروري (essential-prime-implicates) تحتوي الأعمدة (1, 4, 8, 10) في الجدول رقم (2-3) على x واحدة فقط لذلك فإن التضمينات الأولية ($\bar{w} x, \bar{w} x \bar{z}, x y z$) هي تضمينات أولية ضرورية. وثم تشطب الأعمدة في الجدول السابق المناظرة لكل الحدود الدنيا والتي تغطي بواسطة هذا التضمين الأولى كما موضح في الجدول رقم (2-4)

الجدول رقم (2-4)

الحد الناتج	أرقام الحدود	1	4	6	7	8	9	10	11	15
$\bar{x} \bar{y} z$	1, 9	⊗	—————				x			
$\bar{w} x \bar{z}$	4, 6		⊗ ——— x							
$\bar{w} x y$	6, 7				x	x				
$x y z$	7, 15					x				x
$w y z$	11, 15								x	x
$\bar{w} x$	8, 9, 10, 11						⊗	x	⊗	x

بعد ذلك نختار اقل مجموعة من التضمينات الأولية لكي نغطي الأعمدة المتبقية وفي هذا المثال

(xyz) يغطي العمودين الباقيين.

وبذلك يصبح الحد الأدنى لجمع الضروب minimum sum Product

$$f = x y z + w x z + w x + x y z \text{ هو}$$

المبحث الثالث

Solution of Boolean equations حلول المعادلات البوليانية

قبل التطرق إلى طرائق حل المعادلات لابد من معرفة بعض التعاريف والمبرهنات المهمة التي تعتبر أساساً لحل المعادلات.

3-1 - المعادلة البوليانية

تقسم المعادلة البوليانية إلى نوعين :

أ- المعادلة البوليانية الخطية

أشار (Dodos, 1978), (A kebjork, 1974), [1,8] أن المعادلة تكون خطية إذا كان كل حد

من حدودها لا يحتوي على أكثر من متغير واحد فقط ، كما أن كل متغير يظهر للقوى (1).

(First power) فقط وكذلك يمكن التعبير عنها بأنها خطية هي أنها تمتلك في جميع عملياتها

(Exclusive or).

كما يمثل عدد (n) من المعادلات الخطية أو اللاخطية التي تحتوي على (n) من المجاهيل بمنظومة

(n) من المعادلات الخطية أو اللاخطية. ويمكن معرفة حل هذه المعادلات على أنها مصفوفة تتكون

من (nxn) من القيم بحيث عند تعويض المتغيرات بهذه القيم تحقق المعادلات.

بالإضافة إلى ذلك فإن هناك ثلاثة أنواع من الحلول لمنظومات المعادلات البوليانية الخطية بشكل

عام هي :

1- قد يكون لمنظومة المعادلات حل وحيد.

2- قد يكون لمنظومة المعادلات أكثر من حل.

3- قد لا يكون هناك حل لمنظومة المعادلات.

ويطلق على المنظومات من النوع الثاني والثالث بالمنظومات المفردة (singular)

تعريف (3-1) : - المعادلة البوليانية تدعى (Consistent) إذا كان لها حل

و (inconsistent) إذا لم يكن لها حل. [7]

تعريف (3-2) : - وزن هامتك (Hamming weight) وزن المعادلة البوليانية

$F \in F_n$ هو وزن هامتك لصورة المعادلة F والذي يساوي عدد الواحدات في جدول حقائق

المعادلة F ويرمز له wt(F) . [2]

تعريف (3-3) : - المسافة بين معادلتين بوليائيتين (Distance) يعبر عن المسافة

بين معادلتين بوليائيتين G, F تنتمي إلى الفضاء F_n .

و ($F, G \in F_n$) بالعلاقة الآتية. [2]

$$d(f, g) = wt(f_i \oplus g_i) \quad \dots(3-1)$$

حيث أن $n, 2, 1, \dots$ تمثل عدد بتات المعادلة

تعريف (3-4) :- درجة لخطية المعادلة البوليانية (Nonlinearity Degree N_f)

وهي اقصر مسافة بين المعادلة وبين جميع المعادلات الخطية في

نفس الفضاء، ويمكن تمثيلها بالعلاقة الآتية: [2]

$$N_f = \begin{cases} \sum_{i=1/2(n-2)}^{n-2} 2^i & \text{for } n = 2, 4, 6, \dots \\ 2 \sum_{i=1/2(n-3)}^{n-3} 2^i & \text{for } n = 3, 5, 7, \dots \end{cases} \quad \dots(3-2)$$

مبرهنة (3-1) :-

المعادلة البوليانية التي يحوي مخرجها على عدد متساوي من الواحدات والأصفار تكون معادلة خطية.

مبرهنة (3-2) :-

المسافة بين معادلتين خطيتين مثل α, β تنتمي إلى فضاء المعادلات الخطية L_n بالعلاقة الآتية: [2]

$$d(\alpha, \beta) = \begin{cases} 0 & \text{if } \alpha = \beta \\ 2^n & \text{if } \alpha = \bar{\beta} \\ 2^{n-1} & \text{in other cases} \end{cases} \quad \dots(3-3)$$

ب- المعادلة البوليانية اللاخطية :-

هي المعادلات البوليانية التي تعتمد على أكثر من متغير بولياني وتستخدم عمليات بوليانية لخطية (AND ال OR) بين هذه المتغيرات. ولذلك فإن أي معادلة بوليانية تحتوي على إحدى هاتين العمليتين تعتبر معادلة بوليانية لاخطية.

وعلى سبيل المثال :

$$F(X_1, X_2) = X_1 \cdot X_2$$

$$F(X_1, X_2, X_3) = X_2 \oplus X_1 \cdot X_2 \cdot X_3$$

$$F(X_1, X_2, X_3, X_4) = X_2 \oplus X_3 \oplus X_1 \cdot X_2 \cdot X_3 \cdot X_4$$

مبرهنة (3-3) :- المعادلة $F(X_1, X_2, \dots, X_n) = 0$ تكون Consistent إذا وفقط إذا

$$F(X_1, X_2, \dots, X_{n-1}, 1) = 0 \text{ أو } F(X_1, X_2, \dots, X_{n-1}, 0) = 0$$

تكون Consistent أيضا. [7]

مبرهنة (3-4) :- المعادلة $F(X_1, X_2, \dots, X_n) = 0$ تكون Consistent إذا وفقط إذا كانت

المعادلة اللاخطية

$$\text{Consistent } F(x_1, x_2, \dots, x_{n-1}, 0) \text{ و } F(x_1, x_2, \dots, x_{n-1}, 1) = 0$$

أيضاً. [7]

مبرهنة (3-5): إذا كانت النقطة $(x_1^*, x_2^*, \dots, x_{n-1}^*)$ هي حل للمعادلة

$$x_n^* = F(x_1^*, \dots, x_{n-1}^*, 0) \text{ وكانت } F(x_1, x_2, \dots, x_{n-1}, 0) = F(x_1, x_2, \dots, x_{n-1}, 1) = 0$$

أو $x_n^* = \bar{F}(x_1^*, \dots, x_{n-1}^*, 1)$ فان $(x_1^*, x_2^*, \dots, x_{n-1}^*, x_n^*)$ هو حل للمعادلة

$$[7]. F(x_1, x_2, \dots, x_{n-1}, x_n) = 0$$

2-3- طرائق حل المعادلة البوليانية الخطية

قبل التطرق لحل المعادلة البوليانية لا بد من معرفة الفضاء (Space) الذي يعبر عنه مجموعة من المعادلات البوليانية ل (n) من المتغيرات ويعرف كالاتي :-

$$F_n = \{f/f : x^n \rightarrow x\} \dots \dots \dots (3-4)$$

ويعرف فضاء جميع المعادلات البوليانية التي تربط n من البتات إلى n من البتات

$$F_n^n = \{f/f : x^n \rightarrow x^n\} \dots \dots \dots (3-5)$$

وتعرف المجموعة الجزئية للمعادلات البوليانية الخطية ضمن الفضاء F_n كالاتي

$$L_n = \{\alpha / \alpha \dots \dots \text{Is..linear..equation..and..} \alpha \in L_n\} \dots \dots \dots (3-6)$$

ويكون عدد هذه المعادلات البوليانية الخطية ضمن الفضاء F_n هو

$$|L_n| = 2^{n+1} \dots \dots \dots (3-7)$$

يكون عدد المعادلات البوليانية الخطية واللاخطية في الفضاء F_n من العلاقة الآتية :

$$|F_n| = 2^{2^n} \dots \dots \dots (3-8)$$

أما عدد المعادلات البوليانية اللاخطية هو $(F_n - L_n)$.

3-3- خوارزمية الحذف لكاوس Gauss elimination method

اعتماداً على طريقة الحذف لكاوس (Gauss elimination method) لحل أنظمة من المعادلات الخطية لأنها مباشرة وعامة وغير خاصة بالإضافة إلى ذلك إنها تحتاج إلى عدد اقل من العمليات الحسابية.

أوضح كل من (Dodes, 1978)، (Alcebjrok, 1974) بأنه يمكن تمثيل الأنظمة التي تحتوي على المعادلات الخطية كما يأتي :

$$\begin{bmatrix} a_{11} & a_{12} & \cdot & a_{1n} \\ \cdot & \cdot & \cdot & \cdot \\ \cdot & \cdot & \cdot & \cdot \\ a_{n1} & a_{n2} & \cdot & a_{nn} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} x_1 \\ x_2 \\ \cdot \\ x_n \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} c_1 \\ c_2 \\ \cdot \\ c_n \end{bmatrix}$$

أو

$$AX=C$$

حيث أن A هي مصفوفة أبعادها $n \times n$ وعناصرها a_{ij} ويطلق عليها مصفوفة المعاملات (Coefficients Matrix) أما X فيدعى عمود المجاهيل و C يدعى عمود الثوابت تعتمد الخوارزمية على تحويل معاملات المجاهيل إلى أصفار وصولاً إلى المصفوفة ذات المثلث السفلي السفري.

يحذف العمود الأول للسطر الثاني بضرب معاملات المعادلة الأولى بـ $\frac{a_{21}}{a_{11}}$ وطرح

المعادلة الأولى من المعادلة الثانية. بعدها يحذف العمود الأول للمعادلة الثالثة بضرب معاملات المعادلة

الأولى بـ $\frac{a_{31}}{a_{11}}$ وطرح المعادلة الأولى من العمود الثالث تستمر بهذه العملية إلى أن يصبح

المثلث السفلي الأسير لمصفوفة المعادلات صفراً

يمكن حل المعادلات بعد عمليات الحذف بشكل معكوس ابتداءً من آخر معادلة ووصولاً إلى أول معادلة. بعدها يتم الحصول على قيم المجاهيل بواسطة التعويض الخلفي

(Backward Substitution)

4-3 طرائق حل المعادلة البوليانية اللاحقة:

- ١ - طرائق حذف المتغير Variable elimination procedure
- ٢ - طرائق التفرع Branching procedure
- ٣ - طرائق التجمع (الإجماع) Consensus procedure
- ٤ - استخدام البرمجة الرياضية Mathematical Programming Approaches

في هذه البحث سيتم عرض طرائق حذف المتغير Variable elimination procedure وطرائق التفرع Branching procedure بصورة مفصلة مع وجود بعض الأمثلة التي سيتم ذكرها. [7]

١ - طرائق حذف المتغير VARIABLE ELIMINATION PROCEDURE

وهي طريقة لحل المعادلة البوليانية اللاحقة والتي تطبق فيها مبرهنة (3-4) ومبرهنة (3-5) مثال (1-3): لتكن معادلة DNF متمثلة بالصيغة الآتية:

$$F_3(x_1, x_2, x_3) = 0 \dots\dots\dots (1)$$

حيث أن :

$$x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 + x_1 x_1 x_3 + x_2 x_3 \dots (2)$$

$$F_3 = x_2 +$$

الحل :

نطبق مبرهنة (3 - 4) على المعادلة $F_3(x_1, x_2, x_3) = 0$

أذن المعادلة $F_3(x_1, x_2, x_3) = 0$ تكون consistent

إذا وفقط إذا المعادلة $F_2(x_1, x_2) = 0$ تكون consistent أيضاً.

وبذلك تصبح المعادلة F_3 كآلاتي :-

$$F_2(x_1, x_2) = F_3(x_1, x_2, 0) \quad F_3(x_1, x_2, 1)$$

$$F_2(x_1, x_2) = (x_1 x_2 + x_1 x_2)(x_1 x_2 + x_1 + x_2) \dots (3)$$

ثم نطبق مبرهنة (3 - 4) مرة أخرى على المعادلة F_2

أذن المعادلة $F_2(x_1, x_2) = 0$ تكون consistent إذا وفقط إذا كانت المعادلة $F_1(x_1) = 0$

consistent أيضاً.

وبذلك تصبح المعادلة التي رقمها (3) كآلاتي :

$$F_1(x_1) = F_2(x_1, 0) \quad F_2(x_1, 1)$$

$$F_1(x_1) = (x_1)(x_1 + x_1 + 1)(x_1)(0 + x_1 + 0)$$

$$F_1(x_1) = (x_1)(x_1) = x_1 \dots\dots\dots (4)$$

ثم نطبق مبرهنة (3 - 4) مرة أخرى على المعادلة F_1 أذن المعادلة $F_1(x_1) = 0$

تكون consistent إذا فقط إذا كانت المعادلة $F_0 = 0$ consistent أيضاً. وبذلك تصبح

المعادلة التي رقمها (4) كآلاتي :

$$F_0 = F_1(0) \quad F_1(1)$$

$$F_0 = 1 \cdot 0$$

$$F_0 = 0 \dots\dots\dots (5)$$

وبذلك أصبح واضحاً أن $F_0 = 0$ تكون consistent

وبذلك نستطيع أن نطبق مبرهنة (3 - 5) لإيجاد النقطة (x_1^*, x_3, x_2^*) التي تحقق المعادلة

$$F_3 = 0$$

ليكن :

$$x_1^* = F_1(0) = \bar{0} = 1$$

$$x_2^* = F_2(x_1^*, 0) = F_2(1, 0) = 0$$

$$x_3^* = F_3(x_1^*, x_2^*, 0) = F_3(1, 0, 0) = 0$$

أذن تكون النقطة $(x_1^*, x_2^*, x_3^*) = (1, 0, 0)$ هي حل للمعادلة F_3 وهي تحقق المعادلة F_3
مثال (2-3): لتكن معادلة DNF متمثلة بالصيغة الآتية:

$$F_3(x_1, x_2, x_3) = 0 \dots (1)$$

$$F_3 = 1 \oplus x_1 \oplus x_2 \oplus x_1 x_3 \oplus x_2 x_3 \dots (2)$$

الحل:

يمكن بناء جدول الحقائق لهذه المعادلة وكالاتي:

x_1	x_2	x_3	$x_1 \oplus x_2$	$1 \oplus x_1 \oplus x_2$	$x_1 x_3$	$x_2 x_3$	$F_3 =$
0	0	0	0	1	0	0	1
0	0	1	0	1	0	0	1
0	1	0	1	0	0	0	0
0	1	1	1	0	0	1	1
1	0	0	1	0	0	0	0
1	0	1	1	0	1	0	1
1	1	0	0	1	0	0	1
1	1	1	0	1	1	1	1

يمكن استنتاج صورة أفضل للمعادلة من خلال اعتماد حاصل جمع الضرب فنحصل على الآتي:

$$F_3 = x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 + x_1 x_2 x_3 \dots (3)$$

نطبق مبرهنة (3-4) على المعادلة $F_3(x_1 x_2 x_3) = 0$

وبذلك تصبح المعادلة $F_3(x_1 x_2 x_3) = 0$ التي رقمها (3) كالاتي:

$$F_2 = F_3(x_1, x_2, 0) F_3(x_1, x_2, 1) \\ (x_1 x_2 + x_1 x_2) + (x_1 x_2 + x_1 x_2 + x_1 x_2 + x_1 x_2) \dots (4)$$

$$F_2 =$$

ثم نطبق مبرهنة (3-4) مرة أخرى على المعادلة F_2 أذن المعادلة

تكون consistent إذا وفقط إذا المعادلة $F_2(x_1, x_2) = 0$ تكون consistent أيضاً.

وبذلك تصبح المعادلة F_3 التي رقمها (4) كالاتي: $F_1 = F_2(x_1, 0) F_2(x_1, 1)$

$$F_1 = (x_1)(x_1 + x_1)(x_1)(x_1 + x_1)$$

$$F_1 = x_1 x_1$$

$$F_1 = 0 \dots (5)$$

ثم نطبق مبرهنة (3-4) مرة أخرى على المعادلة F_1 إذن المعادلة

تكون consistent أيضاً وبذلك تصبح المعادلة F_1 التي رقمها (5) كالاتي:

$$F_0 = F_1(0) F_1(1)$$

$$F_0=0. \quad 0$$

$$F_0=0 \text{-----} (6)$$

وبذلك أصبح واضحاً أن تكون consistent وبذلك نستطيع أن نطبق مبرهنة (5-3) لإيجاد النقطة (X_1^*, X_2^*, X_3^*) التي تحقق المعادلة $F_3=0$ ليكن :

$$x_1^* = F_1(0) = 0$$

$$x_2^* = F_2(x_1^*, 0) = F_2(0, 0) = 1$$

$$x_3^* = F_3(x_1^*, x_2^*, 0) = F_3(0, 1, 0) = 0$$

أذن تكون النقطة $(X_1^*, X_2^*, X_3^*) = (0, 1, 0)$ هي حل للمعادلة F_3 وهي تحقق المعادلة أعلاه.

٢- طرائق التفرع Branching Procedure

تتضمن هذه الطريقة المحاور والاتجاهات الطبيعية لحل المعادلات البوليانية اللاخطية. وقد اقترح الباحثان Putnam & Davis قوانين تتعلق بمتغيرات المعادلة البوليانية والتي تكون على الصيغة الآتية : [9]

$$F = \overline{x_i} F_0 + x_i F_1 + F_2 \text{-----} (1)$$

حيث F_0, F_1, F_2 هي DNF وتتضمن هذه القوانين بثبيت أحد المتغيرات إلى قيمة خاصة بدون التأثير على تماسك المعادلة البوليانية اللاخطية. تعتبر هذه القوانين ذات اتجاهين هما

أ- قوانين الحرف الواحد Unit Literal Rules

لكل $i=1, 2, \dots, n$

أ- إذا كانت F على الشكل الآتي :-

$$F = X_i + X_i + F_2 \text{-----} (2)$$

فان المعادلة تكون inconsistent

ب- إذا كانت F على الشكل الآتي :

$$F = X_i + F_2 \text{-----} (3)$$

عندها يمكن فرض $X_i=1$ أي أن $X_i=0$

ج- إذا كانت F على الشكل الآتي :

$$F = X_i + F_2 \text{-----} (4)$$

عندها يمكن فرض $X_i=0$ أي أن $X_i=1$

ب- قوانين تعدد الحروف Monotone Literal Rules

لكل $i=1, 2, \dots, n$

أ- إذا ظهر المتغير X_i وحيداً على صيغة المتغير في المعادلة F

حيث F تكون على الشكل الآتي :

$$F = X_i F_1 + F_2 \text{ -----(5)}$$

عندها يمكن فرض $X_i=0$ أي أن $X_i=1$
 ب- إذا ظهر المتغير X_i وحيداً على صيغة المتممة في المعادلة F
 حيث F تكون على الشكل الآتي:

$$F = X_i F_0 + F_2 \text{ -----(6)}$$

عندها يمكن فرض $X_i=1$ أي أن $X_i=0$
 ويمكن توضيح هذه القوانين بالأمثلة الآتية:

مثال (3-3): لتكن معادلة DNF متمثلة بالصيغة الآتية:

$$F_3(X_1 X_2 X_3) = 0 \text{ ----- (1)}$$

حيث أن

$$F_3 = 1 \oplus X_1 X_2 \oplus X_1 X_3 \oplus X_2 X_3 \oplus X_1 X_2 X_3 \text{ -----(2)}$$

الحل:

$$F_3 = 1 \oplus X_1 X_2 \oplus X_1 X_3 \oplus X_2 X_3 \oplus X_1 X_2 X_3$$

يمكن بناء الحقائق لهذه المعادلة كالاتي:

X_1	X_2	X_3	$X_1 X_2$	$1 \oplus X_1 X_2$	$X_1 X_3$	$X_2 X_3$	$X_1 X_2 X_3$	$F_3 =$
0	0	0	0	1	0	0	0	1
0	0	1	0	1	0	0	0	1
0	1	0	0	1	0	0	0	1
0	1	1	0	1	0	1	0	0
1	0	0	0	1	0	0	0	1
1	0	1	0	1	1	0	0	0
1	1	0	1	0	0	0	0	0
1	1	1	1	0	1	1	1	1

يمكن استنتاج صورة افضل للمعادلة من خلال اعتماد حاصل جمع الضروب فنحصل على الآتي:

$$F_3 = X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 \text{(3)}$$

نطبق قوانين Unit literal rules وبذلك نجعل $X_3=1$ أي أن $X_3=0$ وبذلك تصبح المعادلة رقم (3) كالاتي:

$$\overline{F}_2 = X_1 X_2 + X_1 X_2 \text{ (4)}$$

ثم نطبق قوانين Unit literal rules مرة أخرى وبذلك نجعل $X_2=1$ أي أن $X_2=1$ وبذلك تصبح المعادلة رقم (4) كالآتي:

$$F_1 = X_1 \text{-----} (5)$$

ثم نطبق قوانين Monotone literal rules وبذلك نجعل $X_1=0$ أي أن $X_1=1$ وبذلك تصبح المعادلة رقم (5) كالآتي:

$$F_0 = 0 \text{-----} (6)$$

وحسب مبرهنة (3- 5) ليكن

$$X_1^* = F(0)=0$$

$$X_2^* = F_2(X_1^*, 0) = F_2(0, 0) = 1.1 + 0.0 = 1$$

$$X_3^* = F_3(X_1^*, X_2^*, 0) = F_3(0, 1, 0) = 0 + 0 + 1 + 0 + 0 = 1$$

وبذلك تكون النقطة $(X_1^* X_2^* X_3^*) = (0, 0, 1)$ هي حل للمعادلة F_3

مثال (3-4): لتكن معادلة DNF متمثلة بالصيغة الآتية:

$$F_3(X_1 X_2 X_3) = 0 \text{-----} (1)$$

حيث أن

$$F_3 = X_1 \oplus X_2 \oplus X_1 X_2 \oplus X_2 X_3 \oplus X_1 X_2 X_3 \text{-----} (2)$$

الحل:

يمكن بناء جدول الحقائق لهذه المعادلة وكالآتي:

$X_1 X_2 X_3$	$X_1 \oplus X_2$	$X_1 X_2$	$X_2 X_3$	$X_1 X_2 X_3$	F_3
0 0 0	0	0	0	0	0
0 0 1	0	0	0	0	0
0 1 0	1	0	0	0	1
0 1 1	1	0	1	0	0
1 0 0	1	0	0	0	1
1 0 1	1	0	0	0	1
1 1 0	0	1	0	0	1
1 1 1	0	1	1	1	1

يمكن استنتاج صورة افضل للمعادلة من خلال اعتماد حاصل جمع الضروب فنحصل على

الآتي:

$$F_3 = X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 + X_1 X_2 X_3 \text{-----} (3)$$

نطبق قوانين Unit literal rules وبذلك نجعل $X_3 = 1$ أي أن $X_3 = 0$ وبذلك تصبح المعادلة رقم (3) كالآتي :

$$F_2 = X_1 X_2 + X_1 X_2 \text{ (4)}$$

ثم نطبق Unit literal rules وبذلك نجعل $X_2 = 1$ أي أن $X_2 = 0$

وبذلك تصبح المعادلة رقم (4) كالآتي : (5) $F_1 = X_1$

نطبق قوانين Monotone literal rules وبذلك نجعل $X_1 = 0$ أي أن $X_1 = 1$ وبذلك تصبح المعادلة رقم (5) كالآتي :

$$\overline{F}_0 = 0 \text{ (6)}$$

وحسب مبرهنة (3- 5) ليكن

$$X_1^* = F_1(0) = 0$$

$$X_2^* = F_2(X_1^*, 0) = F_2(0, 0) = 0$$

$$X_3^* = F_3(X_1^*, X_2^*, 0) = F_3(0, 0, 0) = 0$$

وبذلك تكون النقطة $(X_1^*, X_2^*, X_3^*) = (0, 0, 0)$ هي حل للمعادلة البوليانية F_3

المبحث الرابع : المناقشة والاستنتاجات والتوصيات

1-4 المناقشة والاستنتاجات

- 1- إن العمل على زيادة عدد المتغيرات البوليانية الداخلة في تكوين المعادلة البوليانية يعمل على الزيادة الآسية السريعة لعدد المعادلات الناتجة. وهذا يسبب زيادة في التعقيد للتعامل مع هذه المسألة مما يؤدي بطبيعة الحال الى تعقيد الحل الناتج من هذه الطريقة
- 2- هنالك حالات (عند استخدام طريقة باير لحساب معكوس المصفوفة) لا تضمن وجود حل وحيد للمصفوفة الخاصة بمجموعة المعادلات البوليانية الخطية الناتجة. وهذا مما يؤدي الى عدم إيجاد حل للمعادلة البوليانية.

2-4 التوصيات

- 1- دراسة تحليلية لبعض الطرائق التي لم يتم التركيز عليها في البحث لحل المعادلة البوليانية اللاخطية مثل
- (Mathematical Programming approaches ، Consensus Procedure)
- 2- إيجاد المعادلات البوليانية الخطية واللاخطية عندما يكون $n=4$
- 3- بناء خوارزميات لتسهيل عملية حل المعادلات حاسوبياً ضمن ازمان تعقيد مقبولة في الحاسبة (polynomial time).

المصادر Reference

[1] Gernund Dahlquist Akebjrok, "Numerical Methods", 1974.

- [2] J.pierzyk and G.finkelstein, Tow Effective Non –Linear
- [3] HURST.S.L., “Logical proceesing of digital signals”, NewYork, 1978.
- [4] Dietemeger D.L, “Logic Design of Digital systems” Allyn and Bacan Inc,1979.
- [5] M. Morris Mano, “ Digital Design”
- [6] Math forum Home // math library //, Quick refrence // math form// Ask Dr Math, 1994-2002
- [7] Chapter 2, “Boolean Equations”,[http://Webster.cs-ucr-edu/AoA/windows/ HTML / Digital Design, 2002](http://Webster.cs-ucr-edu/AoA/windows/HTML/Digital%20Design,2002).
- [٨]- عبد الكريم مرهج، " معالجة المعادلات البوليانية الخطية واللاخطية"، أطروحة ماجستير مقدمة الى قسم علوم الحاسبات في الجامعة التكنولوجية، 1989.
- [٩]- محمد صفر صديق، "تحليل تعقيدات المعادلات البوليانية"، أطروحة ماجستير مقدمة الى قسم علوم الحاسبات في الجامعة التكنولوجية، 1990.

Editorial

Ahlulbait Journal has arrived at its third station with a number of valuable papers dealing with various aspects of man who is considered the objective of education plans .

Man , since childhood , has been embraced and adopted by the Arab heritage and its educational programme in verse and prose .

Since the age of puberty, man's suffering starts . Consequently , there should have been some insurance for his rights in case they are violated . When receiving administrative tasks , self- satisfaction should have been achieved as a criterion for a successful administrator . In the field of journalism , professional manners should be considered .In all these stations , the Glorious Quran has a word which we can trace through its holy verses .Quran is a book for all human beings with the sublime end of building man's personality for the purpose of controlling his behavior to become civilized humsn behavior . We will pass by all these stations and others in our tour in the present issue of Ahlulbait Journal , the oasis where scholars find their original field and undepleting source.

10. From the Graph of the letter ((T)) in the Glovious Quran.	232
By: Dr. Mohamad sangoor	
11. Aspects of Quranic Behavioral Education in Yousif Sura.	262
By: Hayder Taqi Fadheel Al-Alaaq	
12. Activating stracture and its Universal theme in the Glovious Quran	276
By: Dr. Afrah Abed-Ali Al-Khaiiat.	
13. Iraq and the USA: Astudy in the Future Iraqi Foreign Policy.....	286
By: Khalid Alewi Al-Ardawi.	
14. Methods of solving poloniyaniay Equations.	306
By: Mr. Ahmed Shhab Hamad Al-Attabi	
Mr. Ali Husein Shiaa Al-Taai	

Contents

Editorial.....	5
1. Viewpoint of at The Child in The Arab Heritage	7
By: Prof. Dr. Husain Ali Mahfuth.	
2. Liberties and Rights According to The Veiw Point of Ali Bin Aby Talib.....	22
By: Dr. Mohsen Al-Qezweeni	
3. The Effect of Starategic Planning upon Customer Satisfication According to The Philosophy of Quality Management.....	54
By: Prof. Dr. Abbas Ausein Jawad.	
Sahar Abbas Husein	
4. Activating the Economic & Social Development In Iraq.....	86
By: Prof. Dr. Hakem mehsen mohammad	
5. Future horizens of Al-Mustansirya University in the light of Geographical citation.	104
By: Prof. Dr. Abbas Ali Al-Tamimi	
Dr. Moatted Jawad Bahjat	
6. Agressiveness and its relationships in self respect	120
By: Assistant. Prof. Dr. Najih Karim Al-Soltani.	
7. Al-Albait in the poetry of Doubil Al- Khouzai	138
By: Dr. Farog-Al-Haboby.	
8. Idiom of the lette.	170
By: Dr. Mohamad amr.	
9. Mores of Journalistic Job.	198
By: Dr. Mohamed Abbod Mehdi	

Consultant staff

Prof. Dr.
H.A.Mahfodh.

Prof. Dr.
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.
Khadija Al-Hadithy.

Prof. Dr.
Hakim M. Mohammed

Prof. Dr.
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.
Abdul Amir Al warid

In The Name Of God Most Gracious, Most Merciful.

ISSN 1819-2033

issue:3

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor

prof.Dr. Abbas Hussein Jawad

Editorial Secretary

Dr. Farooq Mahmood Al_Habboobi

Editors

Dr. Mehdi Dakheel Al-Aobaidi
Dr. Abbas Marzook Flayeh
Dr. Hakmat Aobaid Hassan
Dr. Abod Joody Al-Hilli
Dr. Mohammed A. Al-Khateeb

Language Corrector

Sadik Jaafar Al_qazwini

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019, Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com , www.ahlulbaitonline.com
